

الغرائب

فِي
الْكَتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدَبِ

تَأَلَّفَتْ

الْحَبْرُ الْعَامَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ الْكَبِيرُ
عَبْدُ الْمُحْسِنِ أَحْمَدُ الْأَمِينِيُّ النَّجْفِيُّ

الجزء الثاني

مؤسسة الأعلیٰ للطبوعات
بکیرت - لبنان

عبد المحسن



الغزالي

في

الكتاب والسنة والأدب

٢

الغرائب

في

الكتابات والسنة والأدب

كتاب ديني، عامي، فني، تاريخي، أدبي، أخلاقي
يتكلم في موضوعه فردي في بابه يبحث فيه عن هبة الفذير كتاباً وسنة وأدباً
وتضمن تراجم كثيرة من رجال الآداب والعلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الآداب
من العالم وغيرهم

تأليف

الخبير العالم المجتهد الجليل الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الهيئة العامة للكتاب الهيئة العامة للكتاب الهيئة العامة للكتاب
رقم التسجيل
رقم المصنف
رقم التوزيع

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأمل للطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعة الأولى المميّزة
كافة حقوق الكتاب محفوظة لورثة المؤلف
وكافة حقوق الصف والإخراج محفوظة ومسجلة للناسر
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

وليس لأيّ جهة أو مؤسسة
في أي دولة كانت الحق باعادة طبع
هذا الكتاب وتلاحق قانونياً من قبل الأنترپول الدولي

PUBLISHED BY

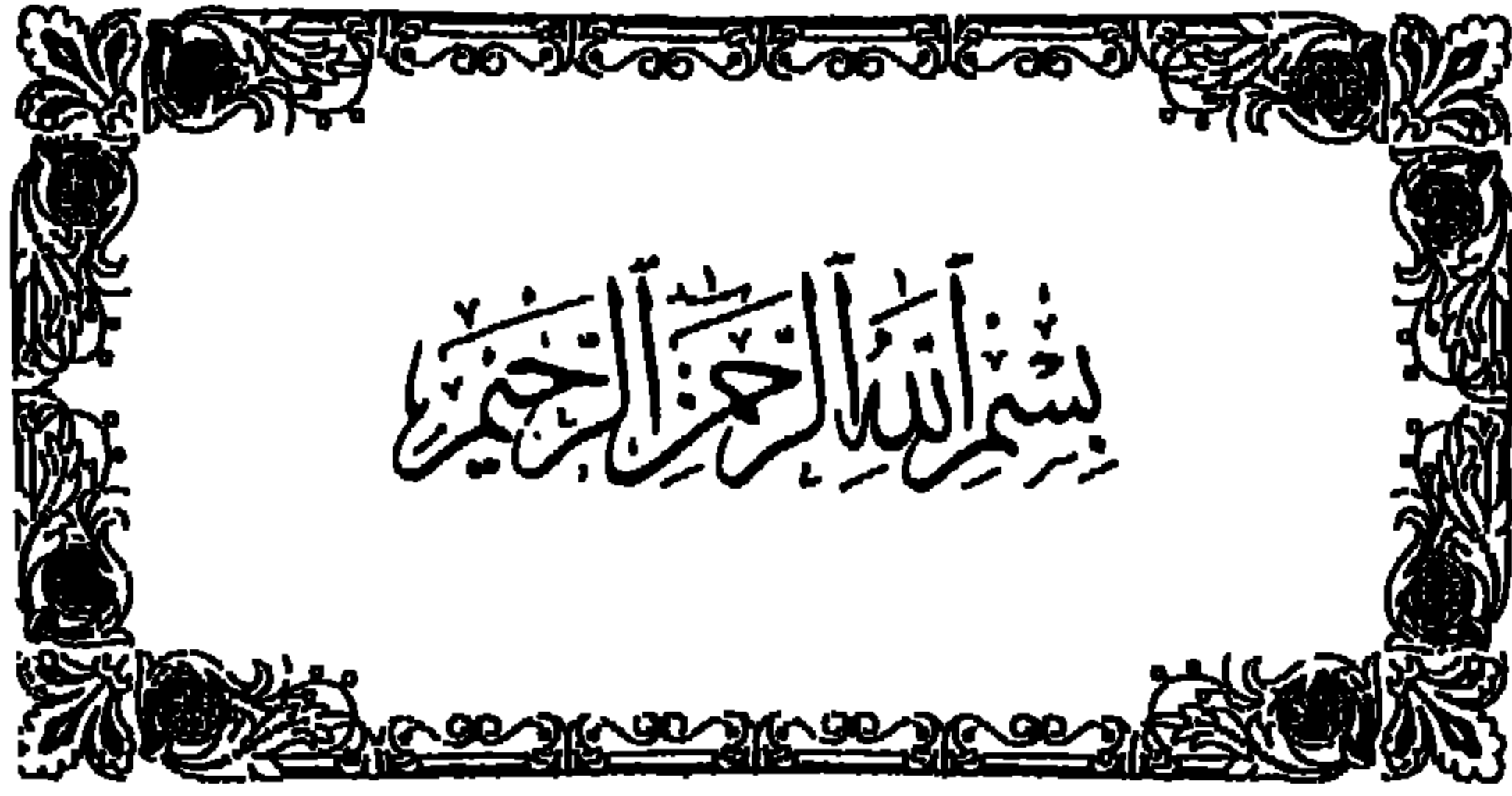
Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .

ملك الاعلي . ص.ب. ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣



كتاب كريم

أتانا من الأستاذ الفدّ الشيخ محمد سعيد دحدوح ، أحد
أئمة الجمعة والجماعة من حلب «محلة الفوقاني» والكتاب
كغيره مما بعثته إلينا يد ولائه من الأيكة الغراء تطفح من جوانبه
بينات ثقافته وحرّيته في الرأي الصالح ، وتحليه بمكارم
الأخلاق ، وبخوعه بحقائق التاريخ الناصعة ، وسيره وراء
العلم العربي ، وتجردّه عمّا يشين المرء من النزعات الوبيلة ،
وتزحزحه عن الإنكباب على بهرج القول والهوى السائد .
فقد زينا هذه الطبعة من «الغدِير» بكتابه العزيز تقديراً
لمكاته ، وإعجاباً بذلك الخطاب المبين ، مشفوعاً بشكر غير
مجلود .

نص الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله
ومُجتباه، وآله وصحبه ومن والاه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
سيّدي العلامة الأوحد والحجّة الجليل الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني
النجفيّ ، حفظه الله وأبقاه .

وصلني كتابك المؤرّخ ٢٣ الماضي في غرة الحاضر، وقرأت وأكبرت
فيك تلك الأخلاق الكريمة والسجايا، والولاء الأكيد، والحبّ السعيد،

والنفسية الطاهرة، والشمائل الباهرة التي نمت وربت بحب آل البيت الأطهار، وأعطت أكلها، وأظهرت نتاجها، وفاح عبير حبها، وعبيق ياسمين ودّها، فأرج الأرجاء، وعمّ الآفاق، وجعل حديث المحبّين يفوح من شذاء المسكّي، وريحه الطيب نداً كبيراً .

سيدي أبيت إلا أن تتحفني بتقديم « الغدير » في طبعته الجديدة، ولم ترض مني عذراً، وأنا كنت أحب أن أتحف « الغدير » بغير هذه الكلمة بدراسة واسعة، بعد أن تنتهي من طبعه كلّ، وبعد أن يطّلع عليه كافة الأدباء وجميع أهل الخبرة بالتاريخ وأدواره، ولكن نزولاً عند رغبتك، أرسل هذه الجمل وأنا العليم بعجزني الآن عن ايفاءها للغدير من حقّ عليّ، وما لصاحبه من عملٍ قدّمه لرواد الحقيقة، وطلاب البحث الحرّ.

الغدير

كلمة عذبة، ولفظ جميل، أطلق على مؤلف ضمّ وجمع ما قيل عن تلك الوقفة التي وقفها الرسول ﷺ بعد إنصرافه من حجة الوداع، يُعلن لذلك الجمّ الغفير، والجمع المحتشد ما [لعليّ عليه السلام] من مكانة عنده بعد أن ربّاه وأنشأه، وما هو عليه من فضائل ومحامد أهله أن يكون وصياً، وجعلته إماماً بعد الرسول وخليفةً هادياً مهدياً، يأخذ بالناس إلى الطريق المستقيم، والمهيع الحقّ .

فالغدير ألف هذا، والغدير يُحدّث حول ما قيل في هذا البحث، وكشف للناس عن أمور كانوا غافلين عنها - وإن كانت في الكتب - وعن أبناء أصبحت نسياً منسياً، فأظهر صورها من كتاب الله - دامت قدسيته - وسنة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى، وقول المحدثين والمفسرين، وكلام أهل السير والتاريخ، ونثر الأدباء، وقصائد الشعراء .

ولم يكتف بما قيل سابقاً عن هذا، ولم يقنع بما سطرته أقلام القرون الأولى حتى صال وجال، وتوسّع بتراجم الرجال وامتدّ إلى كلّ بحث، يمت بصلة ما إليه، وينسب بوشيجة مضارعة ومشابهة بوجه من الوجوه معه .

فهو موسوعةٌ تذكر كلام المادح والقادح، والمحكم، والمتشابه، ثم يدحض كلَّ حديثٍ مُفترى، وقولٍ مشينٍ، وإعتقادٍ فاسدٍ، ولفظٍ دخيلٍ، وجملَةٍ نكراءٍ، أريد بها إصباغُ تُهم باطلةً، وآراءٍ فاسدةٍ بالمرتضى علي عليه السلام وبوالده شيخ الأبطح أبي طالب، وأهله وذويه وأبناءه وأحفاده وذريته، وعترته وأشياعه وأتباعه الأموات والأحياء ما هم براء منها، ويُنسب للإمام علي عليه السلام من وخصائص، وما للأوصياء من مزايا وفضائل بكلامٍ سهبٍ، وسياقٍ رصينٍ، وسباقٍ متينٍ.

هذا ما لمستَه من « الغدير » حينما أرسل إليَّ بعض أجزاء العلامة الحجة محمد الحسين المظفري حفظه الله وأبقاه، صاحب المؤلفات النافعة الدالة على رجحان عقله وقوة بيانه، والذي رأيت فيه فكر العلماء، وثقابة العرفاء، وأخلاق الخيار، وسمة الصلحاء الأبرار.

وهذا الذي جعلني أفرح وأسرُّ حينما علمت بتجديد طبع أجزاءه الأولى، لأنني على علم بنفادها، وعلى اطلاع أنها تحوي أبحاثاً جمَّة، وعلماً وافراً، واموراً كانت كأن لم تكن، ولكن بنشرها بالغدِير عاد للعلم ما فاتهُ، وللباحث ما يرجوه، وللمؤرِّخ ما يجهله، وللمفكِّر ما يستند عليه عقله ويستنتجُه من أسباب وأحوال.

فالغدِير دعم اموراً، وأزال أوهاماً، وأقرَّ حقائق، وأثبت أشياء كنا نجهلها، ودحض أقوالاً مشينا عليها قروناً عديدة ونحن نقول: - أي هكذا خلقت - لا نعلم لها مأتى ولا نفكر بأسرارها.

والحوادث يجب أن تُعطينا أخباراً تجعلنا نبني عليها صرحاً متيناً من التفكير والتعمُّق بما جرى وما وقع.

وكلُّ ذلك أصبح من الضروريِّ للباحث أن يعلمه ويفقهه لا ليثير خلافاً، ولا لينبش أحقاداً، وإنما ليبين للناس: ما هو الحقُّ؟! ومن هم شيعة المرتضى؟! ومن أين أتاهم ذلك الحبُّ للبيت الطاهر النبوي؟! وما منشأ العاطفة؟! وما هي الأشياء التي نسبت إليهم إفكا وزوراً؟!!

نعم للباحث أن يعلم هذا، ويسير وراء الوعي ويدع العاطفة جانباً، ويأخذ من أخطاء الماضي درساً للحاضر، ووصايا لأبناء هذا الجيل تكلمهم: أن الخلاف منشأ التفرقة، وأن التباضع معولٌ يهدم الوحدة، ويقضي على الإعتصام، ويدع المسلمين لا حبّ بينهم ولا إخاء يجمعهم، كل يعمل لمصلحة قومه، وتدعيم آراء من يحب، ويدعون ناحية الأخلاق، ولا يُقيمون لها وزناً.

فبالأخلاق تُعرف الأمم، وبالأخلاق يكون السمؤ، وعليها يُبنى العز، وبغيرها فلا نجاح لنا، وطالما الرسول الأعظم وآله الأطهار دعونا إليه، وحضونا على التمسك بالإتحاد، والقرآن يُنادي: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾. ويقول: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. ﴿وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾. ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾. ﴿إتقوا وكونوا مع الصادقين﴾.

وإنني لا يسعني قبل أن يجفّ القلم، إلا أن أقوم بما يجب عليّ من تقديم الشكر، والثناء على جهود مؤلفه العلامة الحجّة سماحة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، على ما أسداه للعصر وللأجيال في مؤلفه ممّا يدلُّ على غزارة علم، ووفرة فهم، واستطلاع واسع، واستقراء بعيد المدى، وسبك بارع، فجزاه الله أحسن الجزاء، وجعل مؤلفه يدعو إلى الحقيقة، وإلى الوحدة معاً، ويشير وراءه الإتحاد، وبغيته جمع الكلمة والإعتصام بالثقلين: الكتاب الكريم والعترة الذين طهرهم الله من الرّجس والآثام تطهيراً.

وفي الختام تقبل سلام أخيك ومحبّك

٤/ ربيع الآخر - ١٣٧٢ هـ .

محمد سعيد دحدوح

٢١/١٢/١٩١٢ م

شعراء الفخدير
في القرن الأول والثاني ،
ونشط من القرن الثالث
وهم عشرة كاملة

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى :

نُجِّزُ الجزء الأول ولله الحمد من هذا الكتاب، بعد أن ألمسك باليد حقيقة ناصعة، هي من أجلى الحقائق الدينية. ألا وهي: مغزى نص الغدير ومفاده، ذلك النص الجلي على إمامة مولانا أسير المؤمنين، بحيث لم يدع لقاتل كلمة، ولا لمجادل شبهة في تلك الدلالة، وقد أوعزنا في تضاعيف ذلك البحث الضافي، إلى أن هذا المعنى من الحديث هو الذي عرفته منه العرب منذ عهد الصحابة الوعاة له، وفي الأجيال من بعدهم وإلى عصرنا الحاضر؛ فهو معنى اللفظ اللغوي المراد لا محالة قبل القرائن المؤكدة له وبعدها، وقد أسلفنا نزراً من شواهد هذا المدعى، غير أنه يروقنا هنها التبسط في ذلك بإيراد الشعر المقول فيه؛ مع يسير من مكانة الشاعر وتوغله في العربية، ليزداد القارئ بصيرة على بصيرته.

ألا إن كلاً من أولئك الشعراء الفطاحل (وقل في أكثرهم: العلماء) معدود من رواة هذا الحديث، فإن نظمهم إياه في شعرهم القصصي، ليس من الصور الخيالية الفارغة، كما هو المطرد في كثير من المعاني الشعرية، ولدى سواد عظيم من الشعراء، ألم ترهم في كل وادٍ يهيمون؟ لكن هؤلاء نظموا قصة لها خارج، وأفرغوا ما فيها من كلم مثورة أو معان مقصودة، من غير أي تدخل للخيال فيه، فجاء قولهم كأحد الأحاديث الماثورة، فتكون تلكم القوافي المنضدة في عقودها الذهبية، من جملة المؤكدات لتواتر الحديث.

ومن هنا لم نعتبر في بعض ما أوردناه أن يكون من عليّة الشعر، ولا لاحظنا تناسبه لأوقات نبوغ الشاعر في القوّة، لما ذكرناه من أن الغاية هي روايته للحديث وفهمه المعنى المقصود منه، ولن تجد أيّ فصيح من الشعراء والكتّاب تشابهت ولائد فكرته في القوّة والضعف في جميع أدواره وحالاته.

الشعر والشعراء

ونحن لا نرى شعر السلف الصالح، مجرد ألفاظ مسبوكة في بوتقة النظم، أو كلمات منضّدة على أسلاك القريض فحسب، بل نحن نتلقاه بما هناك من الأبحاث الراقية في المعارف من علمي الكتاب، والسنة، إلى دروس عالية من الفلسفة والعبر، والموعظة الحسنة والأخلاق، أضف إليها ما فيه من فنون الأدب، وموادّ اللغة، ومباني التاريخ، فالشعر الحافل لهذه النواحي بغية العالم، ومقصد الحكيم، ومأرب الأخلاقيّ، وطلبة الأديب، وأمنيّة المؤرّخ وقل: مرمى المجتمع البشريّ أجمع.

وهناك للشعر المذهبيّ مأرب أخرى هي من أهمّ ما نجده في شعر السلف. ألا وهي الحجاج في المذهب، والدعوة إلى الحق، وبتّ فضائل آل الله، ونشر روحيّات العترة الطاهرة في المجتمع، بصورة خلّابة، وأسلوب بديع، يُمازج الأرواح، ويُخالط الأدمغة، فيبلغ هتافه القاصي والداني، وتلوّكه أشداق الموالى والمناوىء مهما علت في الكون عقيرته، ودوّخت الأرجاء شهرته، وشاع وذاع وطار صيته في الأقطار، وقرّطت به الأذان.

مهما صار أحدوّة تحدو بها الحُداة، وأغاني تغني بها الجوّاري في أندية الملوك والخلفاء والأمراء، وتُناغي بها الأمّهات الرضع في المهود، ويرقصنها بها بعد الفطام في الحجور، ويُلقنها الآباء أولادهم على حين نعومة الأظفار، فينمو ويشبّ، وفي صفحة قلبه أسطرّ نوريّة من الولاء المحض بسبب تلك الأهازيج، وهذه الناحية (الفارغة اليوم) لا تسدّها خطابة أيّ مفوّه لسن، ولا تلحقه دعاية أيّ متكلم، كما يقصر دون إدراكها السيف والقلم.

وأنت تجد تأثير الشعر الرائق في نفسيّتك فوق أيّ دعاية وتبليغ، فأيّ أحد يتلو ميمية الفرزدق، فلا يكاد أن يطير شوقاً إلى الممدوح وحباً له؟ أو ينشد هاشميات الكميت، فلا يمتلىء حجاجاً للحق؟ أو يترنم بعينية الحميري، فلا يعلم أن الحق يدور على الممدوح بها؟ أو تلقى عليه تائبة دعبل، فلا يستاء لاضطهاد أهل الحق؟ أو تصكُّ سمعه ميمية الأمير أبي فراس فلا تقف شعرات جلده؟ ثم لا يجد كلُّ عضو منه يخاطب القوم بقوله:

يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم لعصبةٍ بيعهم يوم الحياج دمٌ

وكم وكم لهذه من أشباه ونظائر، في شعراء أكابر الشيعة، وسوف تقف عليها في طيات أجزاء كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

وبهذه الغاية المهمة كان الشعر في القرون الأولى، مدحاً وهجاءً وورثاءً كالصارم المسلول بيد موالي أئمة الدين، وسهماً مغرقاً في أكباد أعداء الله، ومجلة دعاية إلى ولاء آل الله في كلِّ صقع وناحية، وكانوا صلوات الله عليهم يُضحّون دونه ثروة طائلة، ويبذلون من مال الله للشعراء ما يُغنيهم عن التكبُّب والاشتغال بغير هذه المهمة، وكانوا يُوجّهون الشعراء إلى هذه الناحية، ويحتفظون بها بكلِّ حول وطول، ويحرضون الناس عليها، ويُبشرونهم عن الله (هم أمناء وحيه) بمثل قولهم: مَنْ قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة. ويحثونهم على تعلّم ما قيل فيهم وحفظه، بمثل قول الصادق الأمين عليه السلام. علّموا أولادكم بشعر العبدى. وقوله: ما قال فينا قائلٌ بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس^(١). وروى الكشي في رجاله ص ١٦٠ عن أبي طالب القمي، قال: كتبت إلى أبي جعفر بأبيات شعر وذكرت فيها أباه وسألته أن يأذن لي في أن أقول فيه، فقطع الشعر وحبسه، وكتب في صدر ما بقي من القرطاس: قد أحسنت فجزاك الله خيراً. وعنه في لفظ آخر: فأذن لي أن أرثي أبا الحسن أعني أباه وكتب إليّ: أن اندبه واندب لي.

(١) عيون أخبار الرضا، رجال الكشي ص ٢٥٤.

الشعر والشعراء في السنة والكتاب

كل ما ذُتِرنا عنهم صلوات الله عليهم، كان تأسيًا بقدوتهم النبي الطاهر صلى الله عليه وآله، فإنه أول فاتح لهذا الباب بمصراعيه مدحاً وهجاءً، بإصاخته للشعراء المادحين له ولأسرته الكريمة، وكان ينشد الشعر ويستنشده ويجيز عليه ويرتاح له، ويكرم الشاعر مهما وجد في شعره هذه الغاية الوحيدة، كإرتياعه لشعر عمه شيخ الأباطح أبي طالب سلام الله عليه، لَمَّا استسقى فسقى قال: لله درُّ أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، مَنْ يُنشدنا قوله؟ فقام عمر بن الخطاب فقال: عسى أردت يا رسول الله: .

وما حملت من ناقة فوق ظهرها أبرّ وأوفى ذمّة من محمّد

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس هذا من قول أبي طالب، هذا من قول حسان بن ثابت. فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كأنك أردت يا رسول الله:

وأبيضٌ يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهل عنده في نعمة وفواضل

فقال رسول الله: أجل. فقام رجل من بني كنانة فقال:

لك الحمد والحمد ممّن شكر سُقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة وأشخص منه إليه البصر
فلم يك إلا كالقار سردا وأسرع حتى أتانا الدرر
دفاق العزالي جمّ البُعاق^(١) أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه أبو طالب ذا روائٍ غزر
به الله يسقى صيوب الغمام فهذا العيان وذاك الخبر

فقال رسول الله: يا كناني؟ بؤاك الله بكل بيت قلته بيتاً في الجنة^(٢).

(١) العزالي جمع العزلاء: مصب الماء. والبُعاق بالضم: السحاب الممطر بشدة.

(٢) أمالي شيخ الطائفة ص ٤٦.

ولَمَّا نظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يوم بدر إلى القتلى مصرعين قال لأبي بكر: لو أن أبا طالب حيٌّ لعلم أن أسيافنا أخذت بالأماثل وذلك لقول أبي طالب:

وإنَّا لعمر الله إن جدَّ ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
وكإرتياحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لشعر عمِّه العباس بن عبد المطلب، لَمَّا قال: يا رسول الله! أريد أن أمتدحك. فقال رسول الله: قل لا يفضض الله فاك. فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغرق
تُنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالمٌ بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وأنت لَمَّا وُلدت أشرقت الأ	رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نخترق ^(١)

وكإرتياحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لشعر عمرو بن سالم، وقوله له: نصرت يا عمرو بن سالم لَمَّا قدمه وأنشده أبياتاً أولها^(٢):

لا همَّ إنِّي ناشدُ محمداً	حلف أبيناً وأبيه الأتلدا
كنت لنا أباً وكنا ولداً	ثُمَّتْ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً عتداً	وادع عباد الله يأتوا مدداً

إلى آخر الأبيات :

وكإرتياحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لشعر النابغة الجعدي، ودعائه له بقوله: لا يفضض فاك. لَمَّا أنشده أبياتاً من قصيدته مائتي بيت أولها:

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٢٧، اسد الغابة ج ١ ص ١١٩.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١١، اسد الغابة ج ٤ ص ١٠٤.

خليلي غضبا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ومما أنشده رسول الله صلى الله عليه وآله :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيراً
وجاهدت حتى ما أحسُّ ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثم تحوراً
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا
ولما بلغ إلى قوله :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال النبي صلى الله عليه وآله : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قال : الجنة .
قال : أجل إن شاء الله تعالى . ثم قال :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكذرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلِيمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أجدت لا يفضض الله فاك . مرتين
فكانت أسنانه كالبرد المنهل ما انفصمت له سن ولا انفلتت وكان معمرًا^(١) .
وكإرتياحه صلى الله عليه وآله ، لشعر كعب بن زهير ، لما أنشده في
مسجده الشريف لاميته التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ مُتيمٌ أثرها لم يفسد مكبولٌ

فكساه النبي صلى الله عليه وآله بردة إشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين
ألف درهم ، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين^(٢) ، وفي مستدرك الحاكم
ج ٣ ص ٥٨٢ : لما أنشد كعب قصيدته هذه رسول الله وبلغ قوله :

إنَّ الرُّسولَ لسيفٌ يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلولٌ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٦ ، الاستيعاب ج ١ ص ٣١١ ، الإصابة ج ٣ ص ٥٣٩ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٢ ، الامتاع للمقرئزي ٤٩٤ ، الإصابة ج ٥ ص ٢٩٦ .

أشار صلى الله عليه وآله بكلمه إلى الخلق لسمعوا منه . ويُروى أن كعباً أنشد (من سيوف الهند) فقال النبي صلى الله عليه وآله : من سيوف الله (١) .

وكإرتياحه صلى الله عليه وآله ، لشعر عبدالله بن رواحة ، قال البراء بن عازب : رأيت النبي صلى الله عليه وآله ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلد بطنه وهو يرتجز بكلمة عبدالله بن رواحة .

لا همُّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبَّت الأقدام إن لاقينا
إن أولاء قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا (٢)

ويظهر من رواية ابن سعد في طبقاته ، وابن الأثير ، أن الأبيات لعامر بن الأكوع ، روى الثاني في اسد الغابة ج ٣ ص ٧٢ أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعامر في مسيره إلى خيبر : انزل يا بن الأكوع واحد لنا من هناتك (٣) قال : نزل يرتجز رسول الله صلى الله عليه وآله :

لا همُّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا «الخ»

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يرحمك ربك . وفي لفظ : رحمك الله . وفي الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٩ : غفر لك ربك .

وكإرتياحه صلى الله عليه وآله لشعر حسان بن ثابت ، يوم غدير خم ، ودعائه له بقوله : لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك . وكان صلى الله عليه وآله وآله ، يضع لحسان منبراً في مسجده الشريف ، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ، ويقول رسول الله : إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافخ أو فاجر عن رسول الله (٤) .

(١) شرح قصيدة : بانت سعاد . لجمال الدين الأنصاري ص ٩٨ .

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٠٢ .

(٣) أي كلماتك وأراجيزك وفي رواية : هنيأتك . على التصغير ، وفي أخرى : هنيهاتك .

(٤) مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٤٧٧ وصححه هو والذهبي في تلخيصه .

وكإرتياحه لشعر أبي كبير الهذلي ، قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وعرقه يتولد نوراً قالت : فبهتُ فنظر إليّ فقال : ما لك بهتُ؟ فقلت يا رسول الله! نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وعرقك يتولد نوراً، ولو رأك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحقُّ بشعره، قال : وما يقول أبو كبير؟ قلت يقول :

ومبرئء من كلِّ غبر حيصه وفساد مرضعة وداء معضل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت : فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان بيده وقام وقبل ما بين عيني ، وقال : جزاك الله خيراً يا عائشة؟ ما سررت مني كسروري منك^(١) .

وكان صلى الله عليه وآله، يحثُّ الشعراء إلى هذه الناحية، ويأمرهم بالاحتفاظ بها، ويُرشدهم إلى أخذ حديث المخالفين له، وأحسابهم وتاريخ نشأتهم ممن يعرفها وهجاءهم، كما كان يأمرهم بتعلم القرآن العزيز، وكان يراه نصرة للإسلام، وجهاداً دون الدين الحنيف؛ وكان يصور للشاعر جهاده وينصّر به ويقول: إهجوا بالشعر إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل. وفي لفظ آخر: فكأن ما ترمونهم به نضح النبل. وفي ثالث: والذي نفس محمد بيده فكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر^(٢) .

وكان صلى الله عليه وآله، يثور شعراءه إلى الجدال بنبال النظم وحسام القريض ويحرّضهم إلى الحماسة في مجابهة الكفار، في قولهم المضاد لمبدئه القدسي، ويبث فيهم روحاً دينياً قوياً، ويؤكد فيهم حمية تجاه الحمية الجاهلية، وكان يوجد فيهم هياجاً ونشاطاً في النشر والدعاية، وشوقاً مؤكداً إلى الدفاع عن حامية الإسلام المقدس، ورغبة في المجاهدة بالنظم بمثل قوله صلى الله عليه

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٤٥، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٥٣ .

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦، ٤٦٠، ج ٦ ص ٣٨٧ .

وآله، للشاعر: إهيج المشركين فإنَّ روح القدس معك ما هاجيتهم^(١) وقوله:
إهجهم فإنَّ جبريل معك^(٢).

قال البراء بن عازب: إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا
سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقال عبدالله بن رواحة: يا
رسول الله؟ إئذن لي فيه فقال: أنت الذي تقول: ثبت الله؟ قال: نعم قلت يا
رسول الله:

فثبتَّ اللهُ ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً مثل ما نصروا

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وأنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك. قال: ثمَّ
وثب كعب فقال: يا رسول الله؟ ائذن لي فيه. قال: أنت الذي تقول: همت؟
قال: نعم، قلت يا رسول الله:

همت سخينة أن تغالب ربَّها فليغلبن مغالب الغلابِ

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنَّ الله لم ينس ذلك لك. قال ثمَّ قام حسان
فقال: يا رسول الله! ائذن لي فيه وأخرج لساناً له أسود فقال: يا رسول الله!
إئذن لي إن شئت أفريت به المزاد^(٣) فقال: إذهب إلى أبي بكر ليحدثك حديث
القوم وأيامهم وأحسابهم ثمَّ إهجهم وجبريل معك^(٤).

وهذه الطائفة من الشعراء هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ وهم
المستثنون في صريح القرآن من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾.
الآية، سورة الشعراء ولَمَّا نزلت هذه الآية جاءت عدَّة من الشعراء إلى
رسول الله ﷺ وهم يبيكون، قائلين إنا شعراء، والله أنزل هذه الآية فتلا

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٧.

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) أي شققته. كناية عن إسقاطه بالفضيحة.

(٤) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٨.

النبي ﷺ: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. قال: أنتم. وذكروا الله كثيراً، قال: أنتم. وانتصروا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا، قال: أنتم^(١).

وإن كعب بن مالك، أحد شعراء النبي الأعظم حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النبي ﷺ فقال: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه^(٢).

على أن في وسع الباحث أن يقول: إن المراد بالشعراء في الآية الكريمة كل من يأتي بكلام شعري منظوماً أو مثنوياً، فتكون مصاديقها أحزاب الباطل وقوالة الزور، فعن مولانا الصادق عليه السلام: إنهم القصاصون. رواه شيخنا الصدوق في عقائده، وفي تفسير علي بن إبراهيم ص ٤٧٤ أنه قال: نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا أمر الله، هل رأيت شاعراً قط تبعه أحد؟ إنما عني بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم على ذلك الناس، ويؤكد ذلك قوله: ألم ترهم في كل واد يهيمون. يعني يناظرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج وفي كل مذهب يذهبون. وفي تفسير العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

فليس في الآية حط لمقام الشعر بما هو شعر، وإنما الحط على الباطل منه، ومن المثنو، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله عند فريقين الإسلام قوله: إن من الشعر لحكمة. - وإن من البيان لسحرا^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤.

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٣٢، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٩٦، صحيح البخاري كتاب الطب، باب: إن من البيان سحراً، المجنى لابن دريد ص ٢٢، تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ٩٨، ٢٥٨، وج ٤ ص ٢٥٤، وج ٨ ص ١٨، ٣١٤، البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢١٢، ٢٧٥، رسائل الجاحظ ص ٢٣٥، مصابيح السنة للبغوي ج ٢ ص ١٤٩، الروض الانف ج ٢ ص ٣٣٧، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٤٥، تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٣٤٨، وج ٦ ص ٤٢٣، الإصابة ج ١ ص ٤٥٣، وج ٤ ص ١٨٣، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٥٣.

الهواتف بالشعر

وهناك هاتفاتٌ غيبيةٌ شعريةٌ في الدعاية الدينية، خوطبَ بها أناسٌ في بدء الإسلام فاهتدوا بها، وهي معدودةٌ من معاجز النبي صلى الله عليه وآله، وتنمُّ عن أهمية الشعر في باب الإلقاء والحجاج وإفهام المستمع، وإن أخذ به بمجامع القلوب والأفئدة، أكد من الكلام المثور، فليتخذ دستوراً في إصلاح المجتمع، وبثُّ الدعاية الروحية ومنها:

١ - سمعت آمنة بنت وهب في ولادة النبي صلى الله عليه وآله، هاتفاً

يقول:

صلى الإله وكلُّ عبد صالح	والطيبون على السراج الواضح
المصطفى خير الأنام محمد	الطاهر العلم الضياء اللايح
زين الأنام المصطفى علم الهدى	الصادق البرّ التقي الناصح
صلى عليه الله ما هبت الصبا	وتجاوبت ورق الحمام النايح ^(١)

٢ - هتف هاتفٌ من صنم بصوت جهير ليلة مولد النبي ﷺ وقد خرَّت فيها

الأصنام، وهو يقول:

تردى لمولود أنارت بنوره	جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب
وخرَّت له الأوثان طراً وأرعدت	قلوب ملوك الأرض طراً من الرعب
ونار جميع الفرس باخت وأظلمت	وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
وصدَّت عن الكهان بالغيب جنُّها	فلا مخبرٌ منهم بحق ولا كذب
فبالقصي إرجعوا عن ضلالكم	وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحب ^(٢)

٣ - قال ورقة: بثُّ ليلة مولد النبي ﷺ عند صنم لنا إذ سمعت من جوفه

هاتفاً يقول:

وُلد النبي فذلَّت الأملاك ونأى الضلال وأدبر الإشراك

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٧٣.

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤١، الخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٥٢.

ثم انتكس الصنم على رأسه (١).

٤ - قال العوام بن جُهَيْل (مصغراً) الهمداني سادن (يغوث): بيت ليلاً في بيت الصنم: وسمعت هاتفاً من الصنم يقول: يا ابن جُهَيْل! حل بالأصنام الويل، هذا نورٌ سطع من الأرض الحرام، فودّع يغوث بالسلام. فكلمت قومي ما سمعت فإذا هاتفٌ يقول:

هل تسمعن القول يا عوام أم أنت ذو وقيرٍ عن الكلام؟
قد كشفت دياجر الظلام وأصفق الناس على الإسلام
فقلت:

يا أيها الهاتف بالعوام لست بذي وقيرٍ عن الكلام.
فبينن عن سنة الإسلام.

قال: وما كنت والله عرفت الإسلام قبل ذلك فأجابني يقول:

أرحل على اسم الله والتوفيق رحلة لا وإن ولا مشيقي
إلى فريق خير ما فريق إلى النبي الصادق المصدوق

فرميت الصنم وخرجت أريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فصادت وفد همدان يدور بالنبي فدخلت عليه فأخبرته خبري، فسر النبي ﷺ ثم قال: أخبر المسلمين: وأمرني بكسر الأصنام فرجعت إلى اليمن وقد إمتحن الله قلبي بالإسلام وقلت في ذلك:

من مبلغ عنا شام قومنا ومن حل بالأجواف سراً وجهراً
بأننا هدانا الله للحق بعدما تهود منا حائرٌ وتنصراً
وإننا سرينا من يغوث وقربه يعوق، وتابعاك يا خير الوري (٢)

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٥٢.

(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ١٩٣، الإصابة ج ٣ ص ٤١.

٥ - أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة ج ١ ص ٣٤ عن العباس بن مرداس السلمي قال: دخلت على وثن يقال له (الضمار) فكنست ما حوله ومسحته وقبلته فإذا بصائح يصيح يا عباس بن مرداس!

قل للقبائل من سليم كلها	هلك الأنيس وفاز أهل المسجد
أودى «ضمار» وكان يعبد مرة	قبل الكتاب إلى النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والهدى	بعد ابن مريم من قريش مهتد

فخرج العباس في ثلاثمائة راكب من قومه إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه النبي تبسم ثم قال: يا عباس بن مرداس، كيف كان إسلامك؟ فقص عليه القصة فقال: صدقت وسر بذلك^(١).

٦ - أخرج أبو نعيم في دلائله ج ١ ص ٣٣ عن رجل خثعمي قال: إن قوماً من خثعم كانوا مجتمعين عند صنم لهم، إذ سمعوا بهاتف يهتف:

يا أيها الناس ذوو الأجسام	ومسندو الحكم إلى الأصنام
ما أنتم وطائش الأحلام	هذا نبي سيّد الأنام
أعدل ذي حكم من الحكام	يصدع بالنور وبالإسلام
ويردع الناس عن الآثام	مستعلن في البلد الحرام

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال: سمعت هاتفاً يهتف ويقول:

يا أيها الناس ذوو الأجسام	ومسندوا الحكم إلى الأصنام
ما أنتم وطائش الأحلام	فكلكم أورء كالنعام ^(٢)
أما ترون ما أرى أمامي؟	قد لاح لناظر من تهام

(١) ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٦١، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤١.
(٢) في البحار ج ٦ ص ٣١٩. فكلكم أورء كالنعام. ورء فهو أورء. أي حمق. الكهام: الكليل. البطيء. المسن.

أكرم به الله من إمامٍ قد جاء بعد الكفر بالإسلام.

والبرّ والصّلات للأرحام^(١)

ورواه الخرائطي كما في تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣ بإسناده واللفظ

فيه:

يا أيّها الناس ذوّ الأجسامِ	من بين أشياخ إلى غلامِ
ما أنتم وطائش الأحلامِ	ومسند الحُكم إلى الأصنامِ
أكلكم في حير النيامِ؟	أم لا ترون ما الذي أمامي؟
من ساطع يجلو دُجى الظلامِ	قد لاح للناظر من تهامِ
ذاك نبيّ سيّد الأنامِ	قد جاء بعد الكفر بالإسلامِ
أكرمه الرّحمن من إمامِ	ومن رسول صادق الكلامِ
أعدل ذي حُكم من الحكّامِ	يأمر بالصّلاة والصيامِ
والبرّ والصّلات للأرحامِ	ويزجر الناس عن الأثامِ
والرجس والأوثان والحرامِ	من هاشم في ذروة السنامِ

مستعلنًا في البلد الحرامِ

٧ - أخرج أبو نعيم عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التيمي ، عن رجل قال:

كنا بقفرة من الأرض إذا هاتف من خلفنا يقول:

قد لاح نجمٌ فأضاء مشرقه	يخرج من ظلماء عسوف موبقه
ذاك رسولٌ مفلحٌ من صدّقه	الله أعلى أمره وحققه ^(٢)

٨ - أخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس ، إن رجلاً قال: يا رسول

الله! خرجت في الجاهليّة أطلب بعيراً شرد فهتف بي هاتف في الصبح يقول:

يا أيّها الراقد في اللّيل الأجم	قد بعث الله نبيّاً في الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم	يجلو دجنّات الدياجي والظلم

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٤ .

فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً فقلت :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم ماذا الذي يدعو إليه؟ يغتنم

فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول :

ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمداً بالخير. ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحماًداً خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث^(١)

٩ - أخرج أبو سعد في (شرف المصطفى) عن الجعد بن قيس المرادي

قال : خرجنا أربعة أنفس نريد الحج في الجاهلية فمررنا بواد من أودية اليمن إذا بهاتف يقول :

ألا أيها الركب المعرّس بلّغوا إذا ما وقفتم بالحطيم وزمما
محمّد المبعوث منا تحية تُشيعه من حيث سار ويمما
وقولوا له : إنا لديك شيعه بذلك أوصانا المسيح بن مريما^(٢)

١٠ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٥٣ ، عن عيش بن جبر ،

قال : سمعت قريش في ليلة قائل يقول على أبي قبيس :

فإن يسلم السعدان يصبح محمداً بمكة لا يخشى خلاف مخالف

فظنت قريش أنهما سعد تميم ، وسعد هذيم ، فلما كانت الليلة الثانية

سمعوه يقول :

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٩ .

(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٩ .

أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف
فإن ثواب الله يا طالب الهدى جناناً من الفردوس ذات رفاريف

فلما أصبحوا قال سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد^(١).

١١ - روى ابن سعد في طبقاته الكبرى ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٩ ما ملخصه: لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ومر هو ومن معه بخيمتي أم معبد الخزاعية، وهي قاعدة بفناء الخيمة فسألوها تمرأ أو لحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون^(٢) مستنون^(٣) فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها. قال: فتفاجت^(٤) ودرت واجترت^(٥) فدعا بإناء لها يربض^(٦) الرهط فحلب فيه ثجاً^(٧) حتى غلبه الشمال^(٨) فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا وشرب ﷺ آخرهم وقال: ساقى القوم آخرهم، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل^(٩) حتى أراضوا^(١٠) ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها.

(١) ورواه ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ١٥٩.

(٢) نفذ زادهم وافتقروا.

(٣) مجدبون.

(٤) من التفاج هو المبالغة في تفريج ما بين الرجلين، وهو من الفج أي الطريق.

(٥) من الجرة وهي: ما يخرج البعير من بطنه فيمضغه ثانياً.

(٦) أي يرويه حتى يناموا ويأخذوا راحتهم.

(٧) ثج الماء ثجوجاً: سال.

(٨) الشمال بضم الشاء واحده ثمالة: الرغوة. وما بقي في الإناء من ماء غيره.

(٩) عللاً. بالتحريك: شرباً بعد شرب. نهل بالتحريك: أول الشرب.

(١٠) من أراض إراضة: روى.

الحديث. وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون مَنْ يقول وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه	رفيقين حلًّا خيمتي أمَّ معبدٍ
هما نزلا بالبرِّ وارتحلا به	فأفلح مَنْ أمسى رفيق محمدٍ
فياقصيُّ ما زوى الله عنكم	به من فعالٍ لا يجازى وسؤددٍ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلبت	له بصريحٍ ضرةُ الشاة مزبدٍ (١)
فغادره رهناً لديها لحالبٍ	تدرُّ بها في مصدر ثمَّ موردٍ (٢)

١٢ - أخرج ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ١٨٨ عن أبي ذؤيب الهذلي الشاعر أنه سمع ليلة وفاة النبي ﷺ هاتفاً يقول:

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام	بين النخيل ومعقد الأطم (٣)
قبض النبي محمدٌ فعيوننا	تذري الدموع عليه بالتسجام

وهناك هواتف في شؤون العترة النبوية منها:

١٣ - أخرج الحافظ الكنجي في كفايته ص ٢٦١: لَمَّا وُلد في الكعبة عليُّ «أمير المؤمنين» دخل أبو طالب الكعبة، وهو يقول:

يا ربُّ هذا الغسق الدُّجيُّ	والقمر المنبلج المضِيُّ
بين لنا من أمرِك الخفيُّ	ماذا ترى في اسمِ ذا الصبيِّ

قال: فسمع صوت هاتفٍ وهو يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيِّ	خصصتمُ بالولد الزكيِّ
إنَّ اسمه من شامخِ العليِّ	عليُّ اشتقُّ من العليِّ

(١) الصريح: الخالص. الضرة. أصل الثدي. المزبد: القاذف بالزبد.

(٢) ورواها أبو نعيم في دلائل النبوة ج ٢ ص ١١٨.

(٣) واحده الاطم بالضم: الأبنية المرتفعة كالحصون.

ثم قال: هذا حديثٌ تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الشافعي.

١٤ - ذكر الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤٧: إن علياً «أمير المؤمنين» كان يزور قبر فاطمة في كل يوم فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى، وأنشأ يقول:

ما لي مررت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلا يرد جوابي
يا قبراً ما لك لا تجيب منادياً؟ أملت بعدي خلة الأحاب؟

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قال الحبيب:

وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب؟
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم خلة الأحاب

١٥ - روى ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣٤١، والكنجي في الكفاية، عن أم سلمة قالت: لما كانت ليلة قتل الحسين (الإمام السبط) سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحامل الإنجيل^(١)

موكب الشعراء

فمن هنا وهنا جاء بيمن السنة والكتاب، من الصحابة الواكبين على الشعر مواكب بعين سيدهم نبي العظمة كالأسود الضارية، تفترس أعراض الشرك والضلال، وصقور جارحة تصطاد الأفئدة والمسامع، وتلك المواكب كانت ملتفة حوله في حضره، وتسري معه في سفره، ورجالها فرسان الهيجاء، ومعهم حسام

(١) ذكر ابن حجر منها بيتين، ورواها شيخنا ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧ وفي الكامل ج ٨ ص ٣٠.

الشعر ونبل القريض، يُجادلون دون مبدء الإسلام المقدس، ويُجاهدون
بألسنتهم في سبيل الله، وفيهم نظراء:

العبّاس عمّ النبيّ	كعب بن مالك	عبدالله بن رواحة	حسان بن ثابت
النابغة الجعدي	ضرار الأسدي	ضرار القرشي	كعب بن زهير
قيس بن صرمة	أمية بن الصلت	نعمان بن عجلان	العبّاس بن مرداس
طفيل الغنوي	كعب بن نمط	مالك بن عوف	صرمة بن أبي أنس
قيس بن بحر	عبدالله بن حرب	بُحير بن أبي سلمى	سراقة بن مالك

وقد أخذت هذه الروح الدينيّة بمجامع قلوب أفراد المجتمع، ودبت في
النفوس ودبّجتها، ونخالطت الأرواح، حتى مازجت نفوس المسلمات،
فأصبحت تغار على الدين وتكلاه، وهنّ ربّات الحجان تذبّ عن نبيّ الأُمّة بديع
النظم وجيّد الشعر نظيرات:

١ - أمّ المؤمنين (المليكة) خديجة بنت خويلد، زوج النبيّ الطاهر
صلّى الله عليه وآله، وكانت رقيقة الشعر جدّاً، ومن شعرها في تمريخ البعير
وجّهه على قدمي النبيّ، ونطقه بفضله كرامةً له صلّى الله عليه وآله قولها:

نطق البعير بفضل أحمد مخبراً	هذا الذي شرفت به أمّ القرى
هذا محمّد خير مبعوث أتى	فهو الشفيع وخير من وطىء الثرى
يا حاسديه تمزّقوا من غيظكم	فهو الحبيب ولا سواه في الورى ^(١)

٢ - سعدى بنت كرز، خالة عثمان بن عفان، ومن شعرها في الدعاية

الدينيّة:

عثمان يا عثمان يا عثمان! لك الجمالُ ولك الشأنُ

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ١٠٣.

هذا نبيُّ معه البرهانُ أرسله بحقِّه الديانُ
وجاءه التنزيل والبرهانُ فاتبعه لا تغيا بك الأوثانُ

فقلت: إنَّ محمَّد بن عبد الله رسول الله، جاء إليه جبريل يدعو إلى الله.

مصباحه مصباحٌ وقوله صلاحُ ودينه فلاحٌ وأمره نجاحُ
لقرنه نطاحٌ ذلت له البطاحُ ما ينفع الصياحُ لو وقع الرماحُ
وسلت الصفاحُ ومدت الرماحُ

وتقول في إسلام عثمان:

هدى الله عثمان الصفيُّ بقوله فأرشده والله يهدي إلى الحقِّ
فتابع بالرأي السديد محمَّداً وكان ابن أروى لا يصدُّ عن الحقِّ
وأنكحه المبعوث إحدى بناته فكان كبدر مازج الشمس في الأفقِ
فداءك يا بن الهاشميين مهجتي فأنت أمين الله أرسلت في المخلوقِ (١)

٣ - الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى، أخت النبيِّ الأقدس من الرضاة، تقول في النبيِّ صلى الله عليه وآله:

يا ربِّنا أبق لنا محمَّداً حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثمَّ أراه سيِّداً مسدداً واكبت أعاديته معاً والحسداً

وأعطه عزاً يدوم أبداً (٢)

٤ - هند بنت أبان (٣) بن عباد بن المطلب، لها عدَّة قواف في النبيِّ الطاهر صلى الله عليه وآله، توجد في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٤٨، وهي تجابه هند بنت عتبة في وقعة أحد في قولها تفتخر بقتل حمزة ومن أصيب من المسلمين:

نحن جزيناكم بيوم بدرٍ والحرب بعد الحرب ذات سعرٍ

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٧٢ و ٣٢٨.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٤٤.

(٣) في الطبقات الكبرى لابن سعد واسد الغابة: أئانة بن عباد.

ما كان عن عتبة لي من صبرٍ
شفيت وحشي غليل صدري
فأجابتها هند بنت أبان بقولها:
جزيت في بدر وغير بدر
صَبَّحَكَ اللهُ غداة الفجرِ
بكلِّ قَطَاعِ حَسَامٍ يفري
أبي وعمي وشقيق بكري
شفيت نفسي وقضيت نذري
يا بنت وقاع عظيم الكفرِ
بالهاشميين الطوال الزهرِ
حمزة ليثي وعلي صقري (١)

٥ - خنساء بنت عمرو حفيدة امرئ القيس، قد أكثرت من الشعر، وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشدته (٢).

٦ - رُقَيْقَة (بقافين مصغرة) بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم، هي التي أخبرت رسول الله بأن قريشاً قد اجتمعت تريد شأنك الليلة فتحوّل رسول الله ﷺ عن فراشه وبات فيه علي أمير المؤمنين (٣) لها شعرٌ جيدٌ منها قولها في استسقاء عبد المطلب لقريش، ومعه رسول الله ﷺ يافعاً أوله:

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا
وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر (٤)

٧ - أروى بنت عبد المطلب، عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وصاحبة الإحتجاج المشهور على معاوية يأتي في ترجمة عمرو بن العاص، ولها شعر في رثاء النبي صلى الله عليه وآله منه أبيات أولها:

ألا يا عين ويحك أسعديني . بدمعك ما بقيت وطاوعيني
ومنها أبيات مستهلها:

ألا يا رسول الله، كنت رجاءنا
وكنت بنا برأ ولم تك جافيا

(١) اسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٩، الإصابة ج ٤ ص ٤٢١.

(٢) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٤ ص ٢٩٥، ٢٩٦، اسد الغابة ج ٥ ص ٤٤١.

(٣) الإصابة ج ٤ ص ٣٠٣.

(٤) اسد الغابة ج ٥ ص ٤٥٥، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٠.

وتقول فيها:

أفاطم، صلى الله ربُّ محمد
أبا حسن، فارقته وتركته
على جدث أمسى بيثرب ثاوريا
فبكَّ بحزن آخر الدهر شاجيا^(١)

٨ عاتكة بنت عبد المطلب ٩ صفية بنت عبد المطلب

١٠ هند بنت الحارث ١١ زوج النبي أم سلمة

١٢ عاتكة بنت زيد بن عمرو ١٣ خادمة النبي أم أيمن^(٢).

وكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله، تحفظ الشعر الكثير،
وكانت تقول: أرويت للبيد إثني عشر ألف بيت^(٣) وكان صلى الله عليه وآله،
يستنشدُها الشعر ويقول: أبيتك. ومما أنشدت:

إذا ما التبرُّ حُكَّ على محكِّ
وبان الزيف والذهب المصفى
تبيّن نشئه من غير شكِّ
« عليُّ » بيننا شبه المحكِّ^(٤)

الشعر والشعراء عند الأئمة

هذه الدعاية الروحية، والنصرة الدينية، المرغَّب فيها بالكتاب والسنة،
والمجاهدة دون المذهب بالشعر ونظم القريض، كانت قائمة على ساقها في
عهد أئمة العترة الطاهرة تأسياً منهم بالنبي الأعظم، وكانت قلوب أفراد المجتمع
تلين لشعراء أهل البيت، فتتأثر بأهازيجهم حتى تعود مزيجة نفسياتهم.

وكان الشعراء يقصدون أئمة العترة، من البلاد القاصية بقصائدهم
المذهبية، وهم صلوات الله عليهم يحسنون نزل الشاعر وقراءه، ويرحّبون به بكلِّ

(١) توجد بقية الأبيات في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) تجد شعر هؤلاء في طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٤٤، ١٤٨، مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٦٩
وغيرهما.

(٣) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٢٨.

(٤) الكنز المدفون للسيوطي ص ٢٣٦.

حفاوة وتبجيل، ويحتفلون بشعره ويدعون له، ويؤدونه بكل صلة وكرامة، ويُرشدونه إلى صواب القول إن كان هناك خللٌ في النظم، ومن هنا أخذ الأدب في تلك القرون في التطور والتوسع حتى بلغ إلى حدّ يقصر دونه كثيرٌ من العلوم والفنون الإجتماعية.

وقد يكسب الشعر بناحيته هذه أهمية كبرى عند حماة الدين أهل بيت الرُحى حتى يُعدُّ الإحتفال به، والإصغاء إليه، وصرف الوقت النفيس دون سماعه واستماعه من أعظم القربات وأولى الطاعات، وقد يُقدّم على العبادة والدعاء في أشرف الأوقات وأعظم المواقف، كما يُستفاد من قول الإمام الصادق عليه السلام وفعله بهاشميات الكميت لما دخل عليه في أيام التشريق بمعنى فقال له: جعلت فداك إلا أنشدك؟ قال: إنها أيام عظام قال: إنها فيكم، فلما سمع الإمام عليه السلام مقاله بعث إلى ذويه فقربهم إليه وقال: هات فأنشده لاميته من الهاشميات فحظي بدعائه عليه السلام له وألف دينار وكسوة. وسنوقفك على تفصيل هذا الإجمال في ترجمة كميته والحميري ودعبل.

ونظراً إلى الغايات الإجتماعية كان أئمة الدين يفضون البصر من شخصيات الشاعر المذهبي وأفعاله، ويضربون عنها صفحاً إن كان هناك عملٌ غير صالح يسوؤهم مهما وجدوه وراء صالح الأئمة، وفي الخير له قدم، وصرح به الحق عن محضه، وصرح المحض عن الزبد، وصار الأمر عليه لزاماً^(١) وكانوا يستغفرون له ربّه في سوء صنعه، ويجلبون له عواطف الملا الديني بمثل قولهم: لا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبتنا ومادحتنا، وقولهم أيعزُّ على الله أن يغفر الذنوب لمحبت عليّ، وإنّ محبّ عليّ لا تزلُّ له قدمٌ إلاّ تثبت له أخرى^(٢). وفي تلك القدم الثابتة صلاح المجتمع، وعليها نموت ونحى.

وهناك لأئمة الدين صلوات الله عليهم فكرةٌ صالحة، صرفت في هذه

(١) قل من هذه الجمل مثل بصرت لزام بكسر الميم مثل حدام، أي: صار هذا الأمر لازماً له.

(٢) نرحد هذه الأحاديث في ترجمة أبي هريرة الشاعر والسيد الحميري وغيرهما.

الناحية، وهي كدستور فيها تعاليم وإرشادات إلى مناهج الخدمة للمجتمع، وتنوير أفكار المثقفين وتوجيهها إلى طرق النشر والدعاية، ودروس في توطيد أسس المذهب، وكيفية احتلال روحيات البلاد وقلوب العباد، وبرنامج في صرف مال الله، وتلويح إلى أهم موارده.

تُعرب عن هذه الفكرة المشكورة إيحاء الإمام الباقر، ابنه الإمام الصادق عليه السلام، بقوله: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى^(١) وفي تعيينه عليه السلام ظرف الندبة من الزمان والمكان، لأنهما المجتمع الوحيد لزرافات المسلمين، من أدنى البلاد وأقصاها من كل فج عميق، وليس لهم مجتمع يضاهيه في الكثرة، دلالة واضحة على أن الغاية من ذلك إسماع الملاء الديني مآثر الفقيه «فقيه بيت الوحي» ومزاياه، حتى تعطف عليه القلوب، وتحن إليه الأفتدة، ويكونوا علي أمم من أمره، وبمقربة من اعتناق مذهبه، فيحدوهم ذلك بتكرار الندبة في كل سنة إلى الإلتحاق به، والبخوع لحقه، والقول بإمامته، والتحلّي بمكارم أخلاقه، والأخذ بتعاليمه المنجية، وعلى هذا الأساس الديني القويم أُسست المآتم والمواكب الحسينية، ليس إلا.

ونظراً إلى المغازي الكريمة المتوخاة من الشعر، كان شعراء أهل البيت ممقوتين ثقيلين جداً على مناوئهم، وكانت العداء عليهم محتدمة، والشحناء لهم متشزنة، وكان حامل ألوية هذه الناحية من الشعر لم يزل خائفاً يترقب، آيساً من حياته مستميتاً مستقتلاً، لا يقر له قرار؛ ولا يأويه منزل. وكان طيلة حياته يكابد المشاق، ويقاسي الشدائد من شتى وقتلٍ وحرقٍ وقطع لسانٍ وحبسٍ وعذابٍ وتنكيلٍ وضربٍ وهتك حرمةٍ وإقصاءٍ من الأهل والوطن إلى شدائد أخرى سجّلها لهم التاريخ في صحائفه.

(١) رواه بطريق صحيح رجاله ثقات شيخنا الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٦٠.

الشعر والشعراء عند أعلام الدين

إقتفى أثر الأئمة الطاهرين فقهاء الأمة، وزعماء المذهب، وقاموا لخدمة الدين الحنيف، بحفظ هذه الناحية من الشعر كلاءةً لناموس المذهب، وحرصاً لبقاء مآثر آل الله، وتخليداً لذكرهم في الملأ، وكانوا يتبعون منهاج أئمتهم في الإحتفاء بشاعرهم وتقديره، والإثابة على عمله والشكر له بكل قول وكرامة، وكانوا يحتفظون بهذه المغازي بالتأليف في الشعر وفنونه، ويعدونه من واجبهم كما كانوا يؤلفون في الفقه وسائر العلوم الدينية، مهما كان كل منهم للغايات حفيماً.

هذا: شيخنا الأكبر الكليني، الذي قضى من عمره عشرين سنة في تأليف الكافي أحد الكتب الأربعة مراجع الإمامية، له كتاب ما قيل من الشعر في أهل البيت. والعياشي، الذي ألف كتباً كثيرة في الفقه الإمامي لا يستهان بعدتها، له كتاب «معارض الشعر». وشيخنا الأعظم الصدوق، الذي بذل النفس والنفس دون التأليف والنشر في الفقه والحديث، له كتاب الشعر. وشيخ الشيعة بالبصرة الجلودي ذلك الشخصية البارزة في العلم وفنونه، له كتاب ما قيل في علي عليه السلام من الشعر. وشيخ الإمامية بالجزيرة أبو الحسن الشمشاطي مؤلف مختصر فقه أهل البيت، له كتب قيمة في فنون الشعر. ومعلم الأمة شيخنا المفيد الذي لا تخفى على أي أحد أشواطه البعيدة في خدمة الدين، وإحياء الأمة، وإصلاح الفاسد، له كتاب مسائل النظم. وسيد الطائفة المرتضى علم الهدى، له ديوان، وتآليف في فنون الشعر، إلى زرافات آخرين من حملة الفقه وأعضاء العلم الإلهي من الطبقة العليا.

ولم يزالوا يعقدون الحفلات والأندية في الأعياد المذهبية، من مواليد أئمة الدين عليهم السلام ويوم العيد الأكبر (الغدِير) ومجالس تعقد في وفياتهم، فتأتي إليها الشعراء شُرْعاً فيلقون ولائد أفكارهم من مدائح وتهاني وتأبينات ومراثي فيها إحياء أمرهم، فتثبت لها القلوب، وتشتدُّ بها العلائق الودية بين أفراد

المجتمع ومواليهم عليهم السّلام، ويتبعها الحفاوة والتكريم والإثابة والتعظيم لمنصّدي تلك العقود وجامعي أوابدها، هذا وما عند الله خير وأبقى .

وكانت الحالة في بعض تلك القرون الخالية أكيدة، والنشاط الروحي بالغاً في رجالاته فوق ما يُتصوّر، والأمة بيمن تلك النفوس الطاهرة سعيدة جداً كعصر سيّد الأمة آية الله بحر العلوم، والشيخ الأكبر كاشف الغطاء، وأمّا اليوم فإنّ تلك المحتشدات الروحية :

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبيد

نعم بالأمس، كان بقية العترة الطاهرة الإمام المجدّد الشيرازي، نزيل سامراء المشرفة ذلك العلم الخفّاق للأمة جمعاء، الذي طنبت زعامته الدينية على أطراف العالم كلّه، لا تنقطع حفلاته في الأيام المذكورة كلّها فتقصدها صاغة القريض بأناشيدهم المبهجة من شتى النواحي، فتجد عنده فناءً رحباً، وانبساطاً شاملاً، وتقديراً معجباً، ونائلاً جزيلاً، وبشاشة مرغّبة. ولكن :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم

ومن نماذج هاتيك الأحوال، أن شاعر أهل البيت المفلق السيّد حيدر الحلبي، قصده بشعر في بعض وفداته إليه فأضمر السيّد المجدّد في نفسه أن يُثيبه بعشرين ليرة عثمانية، فأفضى بعزمه إلى ابن عمّه العلم الحجّة (١) الحاج ميرزا إسماعيل، فاستقلّ ذلك المبلغ، وقال: إنه شاعر أهل البيت، وإنه أجل وأفضل من أمثال دعبل، والحميري ونظرائهما، وكان أئمة الدين يُقدّمون إليهم الصّرر والبدر، فاستحفاه عن مقتضى الحال فقال له: إنّ الحريّ أن تعطيه مائة ليرة بيدك الشريفة. هناك قصد السيّد المجدّد زيارة السيّد حيدر، وناوله المبلغ المذكور بكلّ حفاوة وتبجيل، وقبل يد شاعر أهل البيت. حكاة جمع ممّن أدرك ذلك العصر الذهبي، ومنهم خلفه الصالح آية الله ميرزا علي آغا، الذي خلف

(١) تأتي ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر.

والده على تلك المجالس والمجتمعات واستنشاد الشعر، والإصاحبة إليه والتقدير والترحيب في النجف الأشرف.

ولا يسعنا بسط المقال حول هذه كلها. وليس هذا المجمل إلا نفثة مصدور، ولهفة متحسر على فراغ هذه الناحية في اليوم، وإهمال تلك الغاية المهمة، وإفلاق تلك الطمأنينة، وضياح تلك الفوائد الجمّة على الأمة، فالأيام عوج رواجع^(١)، فكان الدنيا رجعت إلى ورائها القهقري، واكتسى الشعر كسوة الجاهلية الأولى، وذهب أمس بما فيه^(٢)، فلا فقيه هناك كأولئك، ولا شاعر كهؤلاء، ولا رأي لمن لا يطاع.

ومهما نتلقى شعر السلف (في القرون الأولى) تلقى الحديث والسنة، نذكر في شعرهم المقول في فضائل آل الله بعض ما وقفنا عليه من الحديث الوارد هناك من طرق العامه، ولعلّ الباحث يقف بذلك على سعة باع الشاعر، في علمي الكتاب والسنة.

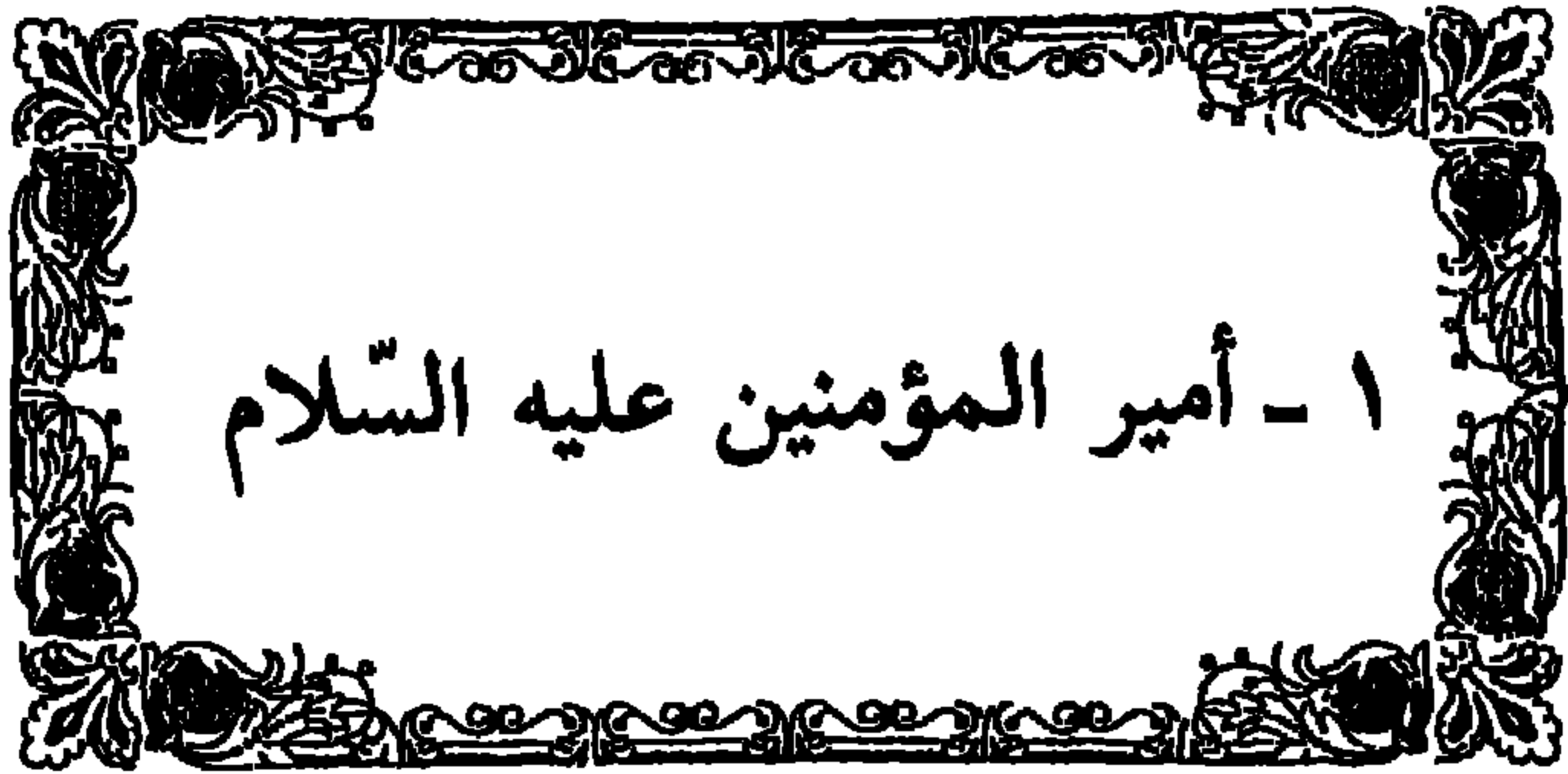
عبد الحسين الأميني

﴿آخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(١) مثل بضرب يعني: الدهر تارة يمرج عليك وتارة يرجع إليك.

(٢) مثل سائر بضرب.

شعراء الفطير
في القرن الأول



نتيماً في بدء الكتاب بذكر سيدنا أمير المؤمنين عليّ، خليفة النبي المصطفى، صلى الله عليهما وآلهما، فإنه أفصح عربي، وأعرف الناس بمعاريف كلام العرب، بعد صنوه النبي الأعظم، عرف من لفظ المولى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه، معنى الإمامة المطلقة، وفرض الطاعة التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقال عليه السلام:

محمدُ النبيُّ أخي وصنوي ^(١)	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يُضحى ويُمسي	يطير مع الملائكة ابن أُمي
وبنت محمد سكاني وعرسي	منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولدائي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً	على ما كان من فهمي وعلمي ^(٢)
فأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خم ^(٣)

(١) في تاريخ ابن عساكر وغير واحد من المصادر: صهري.

(٢) في رواية ابن أبي الحديد وابن حجر وابن شهر آشوب: غلاماً ما بلغت أوان حلمي . وفي رواية ابن الشيخ وبعض آخر: صغيراً ما بلغت أوان حلمي . وفي رواية الطبرسي بعد هذا البيت:

وصليت الصلاة وكنت طفلاً
مقرأً بالنبي في بطن امي

(٣) وذكر الدكتور أحمد رفاعي في تعليقه على معجم الأدباء:

وأوصاني النبي على اختيار
ببيعتته غداة غدير خم

وهناك في هذا البيت تصحيف سنوقفك عليه .

فسويلٌ ثمَّ وسيلٌ ثمَّ وسيلٌ لمن يلقى الإله غداً بظلمي
ما يتبع الشعر :

هذه الأبيات كتبها الإمام عليه السلام، إلى معاوية لما كتب معاوية إليه :
إن لي فضائل كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر
رسول الله، ونخال المؤمنين، وكاتب الوحي، فقال أمير المؤمنين صلوات الله
عليه : أبافضائل يبني عليّ ابن اكلة الأكباد؟ اكتب يا غلام ! :

محمّد النبي أخي وصنوي إلى آخر الأبيات المذكورة

فلما قرأ معاوية الكتاب قال : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا
إلى ابن أبي طالب .

والأئمة قد تلقّتها بالقبول، وتسالمت على روايتها، غير أن كلاً أخذ منها ما
يرجع إلى موضوع بحثه، من دون أي غمز فيها، بل ستقف على أنها مشهورة،
ورواها النقلة الأثبات، ونقلها الحفظة الثقات، وذكر جمع من أعلام السنة
والجماعة عن البيهقي : أن هذا الشعر مما يجب على كل متوالٍ لعليّ حفظه،
ليعلم مفاخره في الإسلام . فرواها من أصحابنا :

١ - معلّم الأمة شيخنا المفيد المتوفى سنة ٤١٣، رواها بأجمعها في
الفصول المختارة، ج ٢ ص ٧٨ وقال : كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين في
ذلك؟ وقد شاع في شهرته عليّ حدٌ يرتفع فيه الخلاف، وانتشر حتى صار
مذكوراً مسموعاً من العامة فضلاً عن الخاصة، وفي هذا الشعر كفاية في البيان
عن تقدّم إيمانه عليه السلام، وأنه وقع مع المعرفة بالحجة والبيان، وفيه أيضاً :
أنه كان الإمام بعد الرسول صلى الله عليه واله، بدليل المقال الظاهر في يوم
الغدیر الموجب له للإستخلاف .

٢ - شيخنا الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩، رواها في «كنز الفوائد»

ص ١٢٢ .

٣ - أبو عليّ الفتال النيسابوري، في «روضه الواعظين» ص ٧٦ .

٤ - أبو منصور الطبرسي أحمد مشايخ ابن شهر آشوب، في «الإحتجاج» ص ٩٧.

٥ - ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨، في «المناقب» ج ١ ص ٣٥٦.

٦ - أبو الحسن الأربلي المتوفى سنة ٦٩٢، في «كشف الغمة» ص ٩٢.

٧ - ابن سنجر النخجواني، في «تجارب السلف» ص ٤٢ وقال ما تعريبه: لعلّي ديوان^(١) لا مجال لترديد والشك فيه.

٨ - الشيخ علي البياضي المتوفى سنة ٨٧٧، في «الصراط المستقيم».

٩ - المجلسي العظيم المتوفى سنة ١١١١، في «بحار الأنوار» ج ٩ ص ٣٧٥.

١٠ - السيد صدر الدين علي خان المدني المتوفى سنة ١١٢٠، في درجاته الرفيعة.

١١ - الشيخ أبو الحسن الشريف، في «ضياء العالمين» المؤلف ١١٣٧.

ورواها من أعلام العامة

١ - الحافظ البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ (المترجم ج ١ ص ١٤٥) رواها برمتها، وقال: إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوال في عليّ حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام.

٢ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد البلوي المالكي الشهير بابن الشيخ، المتوفى حدود سنة ٦٠٥، قال في كتابه «ألف باء» ج ١ ص ٤٣٩: وأما عليّ رضي الله عنه فمكانه عليّ، وشرفه سنيّ، أوّل من دخل في الإسلام، وزوج فاطمة عليها السلام بنت النبيّ، وقد نظم في أبيات المفاخرة، وذكر فيها مآثره

(١) لعله يريد ما دونه الفنجكردي من شعره عليه السلام مما يبلغ مائتي بيت كما يأتي في ترجمته، لا هذا الديوان الكبير المطبوع المتشرف إن فيه كل الشك.

حين فاخره بعض عداه ممن لم يبلغ مداه، فقال رضي الله عنه يفخر بحمزة عمه
وبجعفر ابن عمه رضي الله عنهم:

محمد النبيُّ أخي وصنوي وذكر إلى آخر بيت الغدير

فقال: يريد بذلك قوله عليه السلام: من كنت مولاه فعليُّ مولاه، اللهم
وال من والاه، وعاد من عاده.

٣ - أبو الحسين الحافظ زيد بن الحسن تاج الدين الكندي الحنفي
المتوفى سنة ٦١٣، رواه من طريق ابن دُرَيْد في كتابه «المجتنى» ص ٣٩ ذكر
منها خمسة أبيات.

٤ - ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ (المترجم ج ١ ص ١٥٤) ذكر
ستة أبيات منها في «معجم الادباء» ج ٥ ص ٢٦٦، وزاد الدكتور أحمد رفاعي
المصري بيتين في التعليق.

٥ - أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢، تأتي ترجمته
في شعراء القرن السابع، رواها برمتها في «مطالب السؤل» ص ١١ (ط إيران)
فقال: هذه الأبيات نقلها عنه عليه السلام الثقات، ورواها النقلة الأثبات.

٦ - سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٤ (المترجم ج ١ ص
١٥٥) رواها بجملتها في [تذكرة خواص الأمة] ص ٦٢ وفي بعض أبياته تغييرٌ
يسير.

٧ - ابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٨، ذكر منها في شرح نهج البلاغة
ج ٢ ص ٣٧٧ بيتين مكتفياً عن البقية بشهرتها.

٨ - أبو عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨،
رواه في «المناقب» المطبوع بمصر ص ٤١، وقال في الاستدلال على سبق أمير
المؤمنين إلى الإسلام: وقد أشار عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى شيء من
ذلك في أبيات قالها، رواها عنه الثقات. ثم ذكر البيت الأول، والثالث،
والخامس، والسابع.

٩ - سعيد الدين الفرغاني المتوفى سنة ٦٩٩ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) ذكر في شرح تائبة ابن الفارض في قوله:

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً عليّ بعلم ناله بالوصية
بيتين وهما:

وأوصاني النبيُّ على اختيار لأُمَّته رضياً منه بحكمي
وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدیر خم

١٠ - شيخ الإسلام أبو إسحاق الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) رواها في «فرائد السمطين» وذكر من أولها إلى آخر بيت الولاية وزاد قبله:

وأوصاني النبيُّ على اختيار لأُمَّته رضياً منه بحكمي

١١ - أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢، أخذ منها في تاريخه ج ١ ص ١١٨، ما يرجع إلى إسلامه عليه السلام.

١٢ - جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي المتوفى بضع و ٧٥٠ ذكرها برمتها غير البيت الأخير: فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ. إلخ في كتابه [نظم درر السمطين].

١٣ - ابن كثير الشامي المتوفى سنة ٧٧٤ (المترجم ج ١ ص ١٦٢) رواها في «البداية والنهاية» ج ٨ ص ٨ عن أبي بكر ابن دريد، عن دماذ، عن أبي عبيدة، وذكر منها خمسة أبيات.

١٤ - خواجه پارسا الحنفي المتوفى سنة ٨٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٦٥) رواها برمتها في «فصل الخطاب» عن الإمام تاج الإسلام الخدابادي البخاري في أربعينه.

١٥ - ابن الصبّاغ المكي المالكي المتوفى سنة ٨٥٥ (المترجم ج ١ ص ١٦٧) رواها في «الفصول المهمة» ص ١٦ وذكر منها أربعة أبيات، وقال: رواها الثقات الأثبات.

١٦ - غياث الدين خواندمير^(١) رواها في «حبيب السير» ج ٢ ص ٥ نقلاً عن «فصل الخطاب» لخواجه پارسا.

١٧ - ابن حجر المتوفى سنة ٩٧٤ (المترجم ج ١ ص ١٧١) ذكر خمسة أبيات منها في «الصواعق» ص ٧٩ ونقل كلام الحافظ البيهقي المذكور.

توجد في المخطوط من الصواعق سبعة أبيات، وكذلك في المنقول عنه كينابيع المودة للقندوزي ص ٢٩١، ويؤيد صحة نقله عن البيهقي، فإنه ذكرها برمتها، لكن يد الطبع الأمينة حرّفت عنه بيت الولاية وما بعده.

١٨ - المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥ (المترجم ج ١ ص ١٧٢) روى كتاب معاوية في «كنز العمال» ج ٦ ص ٣٩٢ وذكر من الأبيات خمسة.

١٩ - الإسحاقى روى كتاب معاوية باللفظ المذكور في [لطائف أخبار الدول] ص ٣٣ وذكر الأبيات كلها، ولفظ بيت الولاية فيه كذا:

وأوجب طاعتي فرضاً عليكم رسول الله يوم غدیر خم
فويل ثم ويل ثم ويل لمن يرد القيامة وهو خصمي

٢٠ - الحلبي الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٤ (المترجم ج ١ ص ١٧٦) أخذ منها في «السيرة النبوية» ج ١ ص ٢٨٦ ما يرجع إلى إسلامه عليه السلام.

٢١ - الشبراوي الشافعي شيخ جامع الأزهر، المتوفى سنة ١١٧٢ رواها في [الإتحاف بحب الأشراف] ص ١٨١، وفي طبع ص ٦٩ وذكر منها خمسة أبيات.

٢٢ - السيد أحمد قادين خاني، رواها في «هداية المرتاب» وحكى عن البيهقي قوله المذكور.

٢٣ - السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ (المترجم ج ١

(١) مدحه بحسب إلى إمام الطبريه.

ص ١٨٤) رواها غير البيت الأول والأخير، في شرح عينية الشاعر المفلح عبد الباقي العمري ص ٧٨، وقال: هي ممّا رواها الثقات عنه عليه السلام.

٢٤ - القندوزي الحنفي المتوفى سنة ١٢٩٣ (المترجم ج ١ ص ١٨٥) رواها في «ينابيع المودة» ص ٢٩١، نقلاً عن ابن حجر، وص ٣٧١ نقلاً عن أربعين الإمام تاج الإسلام الخدابادي البخاري.

٢٥ - السيد أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ (المترجم ج ١ ص ١٨٥) ذكر منها في «السيرة النبوية» - هامش السيرة الحلبية - ج ١ ص ١٩٠ ما يرجع إلى إسلامه، وقال: هي ممّا كتبه علي عليه السلام، لمعاوية ثم ذكر كلام البيهقي المذكور.

٢٦ - الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المالكي، ذكرها برمتها في «كفاية الطالب» ص ٣٦ وعدّها ممّا وثق به أنّه من شعر أمير المؤمنين.

(لفت نظر):

أخذ منها ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ٣١٥ بيتاً في بيان الفرق بين الصهر والختن، وقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

محمّد النبي أخي وصهري أحبّ الناس كلّهم إليّ

وذهل عن أن الشطر الثاني المذكور، هو لأبي أسود الدؤلي من قوله:

بنو عمّ النبي وأقربوه أحبّ الناس كلّهم إليّ

تصحيح غلط

لا أحسب أنّ أساتذة مصر، يخفى عليهم صحيح لفظة (غدير خم) أو لا يوقفهم السير على مسماها وقصتها، وإن قال قائلهم: إنها واقعة حرب معروفة، أو يكون لهم معها حساب آخر دون سائر الألفاظ، أو يروقهم أن تكون الأمة على جهل منها، لكن أسفي على إغضائهم من تصحيح هذه اللفظة في غير واحد من التأليف، بل تركوها بصورة يتيه بها القارىء.

هذا الدكتور أحمد رفاعي، ذلك الأستاذ الفذ فإنه يذكر في تعليقه على «معجم الأدباء» - ط مصر سنة ١٣٥٧ هـ ج ١٤ ص ٤٨ من شعر أمير المؤمنين بيت الولاية بهذه الصورة:

وأوصاني النبيُّ على اختيار بيئته غداة غد برحم

وأعجب من ذلك، أنه جعل للكتاب فهرس البلدان والبقاع والمياه في ٤٧ صحيفة وأهمل فيها غدير خم، وقد ذكرت في عدة مواضع من المعجم.

والأستاذ محمد حسين مصحح «ثمار القلوب» (ط مصر سنة ١٣٢٦ هـ) فإنه يقف على هذه اللفظة، في صحيفة واحدة ص ٥١١ وهي مذكورة فيها غير مرة ص ٦ و ٨ و ١٢ ويدعها (غدير خم) وهذا «ثمار القلوب» المخطوط بين أيدينا وفيها: (غدير خم).

ومصحح لطائف أخبار الدول (ط مصر سنة ١٣١٠ هـ) فإنه يترك البيت المذكور من شعر أمير المؤمنين في ص ٣٣ هكذا:

وأوجب طاعتي فرضاً عليكم رسول الله يوم غدا برحمني

وأنت تجد في مطبوعات غير مصر، لدة هذا التصحيف أيضاً.

شكر ونقد

لا أفتىء معجباً بكتابين فخمين هما من حسنات العصر الحاضر، عني بجمعهما بحائثة كبير حظي به هذا القرن، ألا وهما: كتاب جمهرة خطب العرب، وجمهرة رسائل العرب، للكاتب الشهير أحمد زكي صفوت. فقد أسدى بهما إلى الأمة يده الواجبة، أعاد ذكريات قديمة للأمة العربية أتى عليها الدثور، وكابد في ذلك جهوداً جبارة، فعلى الأمة جمعاء أن تشكره على تلك المثابرة الناجعة، وتقدر منه ذلك الجهاد المتواصل، فله العتبي على ما أجاد وأفاد.

غير أنا نعاتب الأستاذ على إهماله هذه الرسالة الموجودة في جملة من مصادر كتابه، وغيرها من الكتب القيّمة، وقد ذكر ما هو أخصر منه، وأضعف مدركاً، وأقلُّ نفعاً، وذكر من التافهات ما لم يقله مستوى الصدق والأمانة كبعض رسائل ابن عباس، إلى أمير المؤمنين عليه السلام، المكذوبة على خبر الأمة خطتها أقلام مستأجرة من زبائن الأمويين، هذا ما نعاتبه عليه، وأما هو فلماذا ذكر؟ ولماذا أهمل؟ فلنطو عنه كشحاً.

ويشبه هذا الإهمال أو يزيد عليه إهماله خطبة الغدير، في جمهرة خطب العرب، ولها وليومها المشهود أهمية كبرى في تاريخ الإسلام، وقد أثبتتها المصادر الوثيقة بأسانيد تربو على حدّ التواتر، كما وقفت عليها في الجزء الأول من كتابنا، هب أن تمام الخطبة لم يثبت عنده في كتب يعول عليها، إلا أن المقدار الذي أصفق عليه الفريقان، وأنهوا إليه أسانيدهم لا مفرّ له عن إثباته، لكن الكاتب يعلم أنه لماذا ترك، ونحن أيضاً لم يفتنا عرفانه، لكن نضرب عن البيان صفحاً.

ويروى لأمر المؤمنين عليه السلام

ما أخرجه الإمام عليّ بن أحمد الواحدي، عن أبي هريرة قال: اجتمع عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل بن عباس، وعمّار، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم فدخل عليهم عليّ عليه السلام فسألهم: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا ممّا سمعنا من رسول الله فقال عليّ إسمعوا مني. ثمّ أنشأ يقول:

لقد علم الأناس بأنّ سهمي من الإسلام يفضل كلّ سهم
وأحمد النبيّ أخي وصهري عليه الله صلى وابن عمّي
وإنّي قائدٌ للناس طراً إلى الإسلام من عرب وعجم

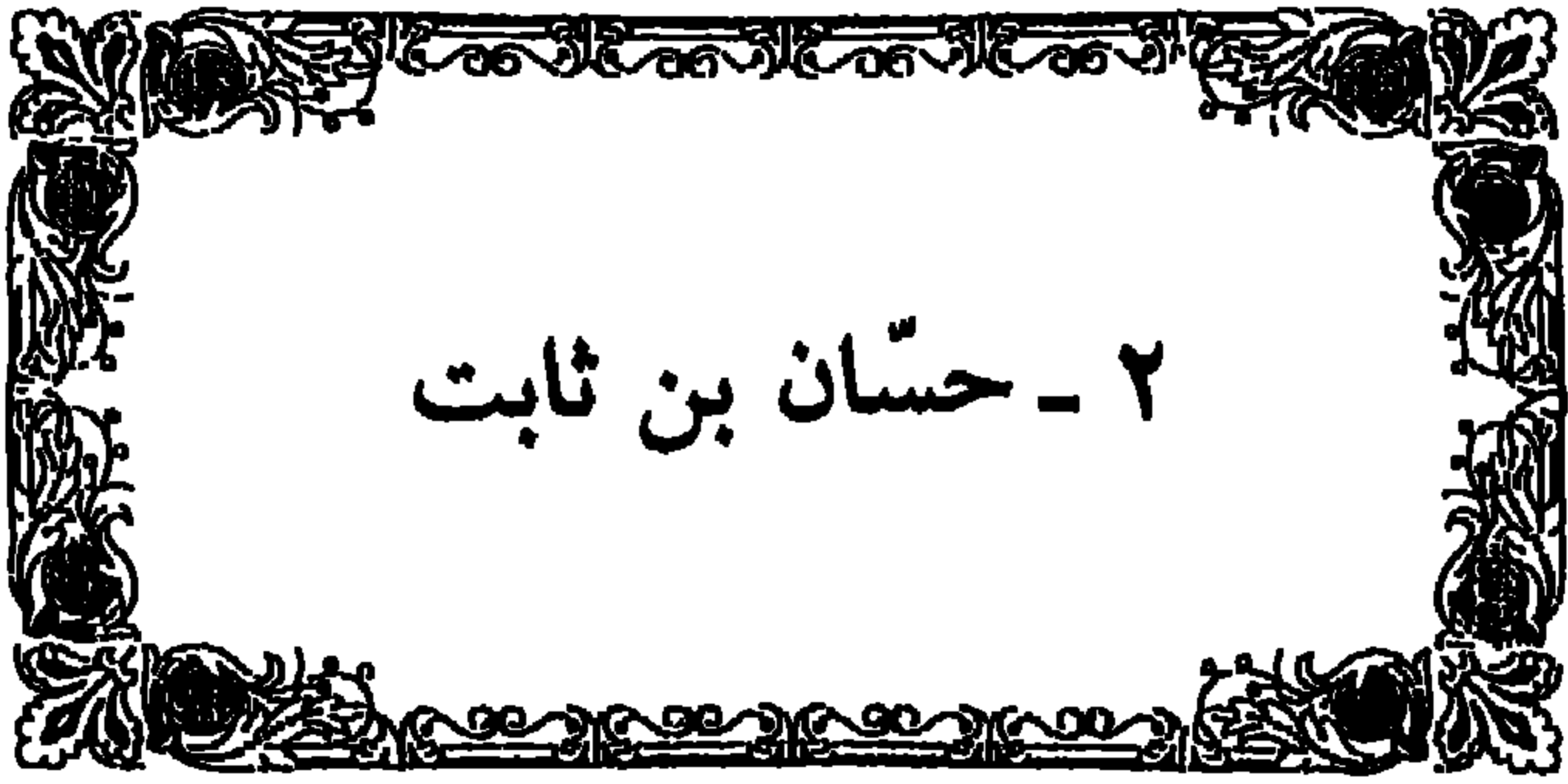
وقاتل كلُّ صنديدٍ رئيسٍ
وفي القرآن ألزّمهم ولائي
كما هارون من موسى أخوه
لذاك أقامني لهم إماماً
فمن منكم يعادلني بسهمي
فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ
وويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ
وويلٌ للذي يشقي سفاهاً
وجبارٍ من الكفار ضخمٍ
وأوجب طاعتي فرضاً بعزمٍ
كذاك أنا أخوه وذاك إسمي
وأخبرهم به بغدير خمٍ
وإسلامي وسابقتي ورحمي؟
لمن يلقي الإله غداً بظلمي
لجاحد طاعتي ومريد هضمي
يريد عداوتي من غير جرمي

وذكره عن الواحدي القاضي الميبدّي الشافعيّ، في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين ص ٤٠٥ - ٤٠٧، والقندوزيّ الحنفيّ في ينابيع المودّة ص ٦٨.

الشاعر

أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وأوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضيّة، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة النبيّ الأقدس^(١) صلّى الله عليهما وآلهما. عليّ بن أبي طالب الهاشمي الطاهر، وليد الكعبة المشرّفة، ومطهرها من كلِّ صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلهيّ (جامع الكوفة) في محرابه حال صلّاته سنة ٤٠، وقد اتّصل ها هنا المنتهى بالمبدأ، فوليد البيت فاض شهيداً في بيت هو من أعظم بيوت الله، وبين الحدّين لم تزل عرى حياته متواصلة بالمبدأ الأعلى سبحانه.

(١) كل من هذه الجمل الخمس عشرة كلمة قدسية نبوية أخرجها الحفاظ، راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٣١، وج ٥ ص ١٨٢، ١٨٩، حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ - ٦٨.



٢ - حسان بن ثابت

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ بِخَمٍّ وَأَسْمَعٍ بِالرَّسُولِ مَنَادِيَا
 فَقَالَ: فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ فَقَالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا:
 إِلَهَكَ مَوْلَاتَا وَأَنْتَ نَبِينَا وَلَمْ تَلَقْ مِنَّا فِي الْوَلَايَةِ عَاصِيَا
 فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ رَضِيْتِكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
 فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ فَكُونُوا لَهُ أَتْبَاعَ صَدَقِ مَوَالِيَا
 هُنَاكَ دَعَا اللَّهُمَّا وَال وَلِيُّهُ وَكَنْ لِلذِّي عَادَا عَلِيًّا مَعَادِيَا

ما يتبع الشعر

هذا أول ما عُرف من الشعر القصصي في رواية هذا النبا العظيم، وقد ألقاه في ذاك المحتشد الرهيب، الحافل بمائة ألف أو يزيدون، وفيهم البلغاء، ومداره الخطابة، وصاغة القريض، ومشیخة قريش العارفون بلحن القول، ومعارض الكلام، بمسمع من أفصح من نطق بالضاد (النبي الأعظم) وقد أقره النبي صلى الله عليه وآله على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرظه بقوله: لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك^(١).

وأقدم كتاب سبق إلى رواية هذا الشعر هو كتاب سليم بن قيس الهلالي التابعي، الصدوق الثبت المعول عليه عند علماء الفريقين (كما مر في ج ١ ص ٢٣٨) فرواه بلفظ يقرب مما يأتي عن كتاب «علم اليقين» للمحقق الفيض الكاشاني، وتبعه على روايته لفيث من علماء الإسلام لا يستهان بعدتهم فرواه

(١) هذا من أعلام النبوة ومن مغيبات رسول الله، فقد علم أنه سوف ينحرف عن إمام الهدى صلوات الله عليه في أخريات أيامه، فعلق دعائه على ظرف استمراره في نصرته.

من الحفاظ:

١ - الحافظ أبو عبدالله المرزباني محمد بن عمران الخراساني المتوفى سنة ٣٧٨^(١) أخرج في (مرقاة الشعر) عن محمد بن الحسين عن حفص عن محمد بن هارون عن قاسم بن الحسن عن يحيى بن عبد الحميد، عن قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى قال: لَمَّا كَانَ مِنْ غَدِيرِ نَحْمٍ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ مَنَادِيًّا فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ: مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ. فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقُولُ فِي عَلِيٍّ شِعْرًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِفْعَلْ، فَقَالَ:

يناديهم يوم الغدير نبيهم الأبيات

٢ - الحافظ الخرگوشي أبو سعد المتوفى سنة ٤٠٦ (المترجم ج ١ ص ١٤٢) أخرجه في كتابه (شرف المصطفى).

٣ - الحافظ ابن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٠ (المترجم ج ١ ص ١٤٢) أخرجه بإسناده عن أبي سعيد الخدرى، حديث الغدير كما مرّ ج ١ ص ٢٧٦ وفيه: فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله! أتأذن لي أن أقول أبياتاً؟ فقال: قل على بركة الله فقال: يناديهم يوم الغدير نبيهم الأبيات ورواه عن ابن عباس بلفظ مرّ ج ١ ص ٢٦١ .

٤ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ (المترجم ج ١ ص ١٤٤) أخرجه في كتابه - ما نزل من القرآن في عليّ - بالسند والتمن اللذين أسلفناهما ج ١ ص ٢٧٧ وفيه: فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ. فقال: قل على بركة الله. فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش! أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية. إلخ .

٥ - الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفى سنة ٤٧٧ (المترجم ج ١ ص

(١) لنا في مذهب الرجل نظر.

(١٤٦) أخرجه في - كتاب الولاية - بسند ولفظ مرآج ١ ص ٢٧٨ .

٦ - أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفى سنة ٥٦٨ ، تأتي ترجمته في شعراء القرن السادس ، رواه في - مقتل الإمام السبط الشهيد - و«المناقب» ص ٨٠ بسند ولفظ ذُكرا في ج ١ ص ٢٧٩

٧ - الحافظ أبو الفتح النطنزي (الترجم ج ١ ص ١٤٩) رواه في - الخصائص العلوية على سائر البرية - عن الحسن بن أحمد المهري ، عن أحمد بن عبد الله بن أحمد ، عن محمد بن أحمد بن علي ، عن ابن أبي شيبة محمد بن عثمان ، عن الجُماني عن ابن الربيع عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى بلفظ أبي نعيم الإصبهاني ، وذكر من الأبيات أربعة من أولها .

٨ - أبو المظفر سبط الحافظ ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٤ (الترجم ج ١ ص ١٥٥) رواه في - تذكرة خواص الأمة - ص ٢٠ .

٩ - صدر الحفاظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ (المذكور ج ١ ص ١٥٦) ذكره في «كفاية الطالب» ص ١٧ بلفظ أبي نعيم المذكور .

١٠ - شيخ الإسلام صدر الدين الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ (الترجم ج ١ ص ١٥٨) رواه في - فرائد السمطين - في الباب الثاني عشر عن الشيخ تاج الدين أبي طالب علي بن الحب بن عثمان الخازن ، عن برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي ، عن أخطب خوارزم بسنده ولفظه المذكورين .

١١ - الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي شمس الدين الحنفي المتوفى بضع و ٧٥٠ «الترجم ج ١ ص ١٦١» أخرجه في كتابه : [نظم درر السمطين] .

١٢ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ (الترجم ج ١ ص ١٦٩) ذكره في رسالته - الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار - نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم الحنفي المتوفى سنة ٧٤٩ .

ورواه من أعلام الإمامية

١ - أبو عبدالله محمد بن أحمد المفضّع المتوفى سنة ٢٢٧^(١)، رواه في شرح قصيدته المعروفة بالأشباه، عن عبدالله بن محمد بن عائشة القرشي، عن المبارك، عن عبدالله بن أبي سلمان عن عطاء، عن جابر بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه واله نزل بغدير خم، ونصب بدوحات، وكان يوم حار وإن أحدنا ليستظل بثوبه، ويبل خرقه فيضعها على رأسه من شدة الحر فقام عليه السلام فقال: أيها الناس! ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجي أمهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! فأخذ بيد علي فرفعها ثم قال: اشهدوا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. يقولها ثلاثاً. فقال عمر: هنيئاً لك يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فقام رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! أتأذن لي في إنشاء أبيات في علي؟ فقال عليه السلام: قل يا حسان! فقال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ
إلى آخر الأبيات .

٢ - أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم بن يزيد الطبري رواه في (المسترشد) بإسناده عن يحيى الجعاني، عن قيس عن العبدي، عن أبي سعيد بلفظ الحافظ أبي نعيم الإصبهاني المذكور إلا أن البيت الثالث فيه:

إلهك مولانا وأنت ولينا ولا تجدن منا لك اليوم عاصيا

٣ - شيخنا أبو جعفر الصدوق محمد بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١، رواه في «الأمالي» ص ٣٤٣ بالسند والتمن المذكورين عن الحافظ المرزباني .

٤ - الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ صاحب نهج البلاغة^(٢) في

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع يأتي هناك شعره وترجمته .

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع يأتي هناك شعره وترجمته .

خصائص الأئمة .

٥ - معلّم الأمة شيخنا المفيد المتوفى سنة ٤١٣ ، رواه في «الفصول المختارة» ج ١ ص ٨٧ وقال : ومما يشهد بقول الشيعة في معنى المولى وأنّ النبيّ أراد به يوم الغدير ، الإمامة قول حسان بن ثابت على ما جاء به الأثر : إنّ رسول الله لَمَّا نصب عليّاً يوم الغدير للناس علماً وقال فيه ما قال ، استأذنه حسان بن ثابت في أن يقول شعراً فأنشأ يقول :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ
إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ .

فلَمَّا فرغ من هذا القول ، قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله : لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، فلولا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله ، أراد بالمولى الإمامة لَمَّا أثنى على حسان بإخباره بذلك ، ولأنكره عليه ، وردّه عنه .

ورواه في رسالته في معنى المولى وقال بعد ذكره : شعر حسان مشهورٌ في ذلك ، وهو شاعر رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقد قال له : لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك . وهذا صريحٌ في الإقرار بإمامته من جهة القول الكائن في يوم الغدير من رسول الله له ، لا يمكن تأويله ، ولا يسوغ صرفه إلى غير حقيقته .

ورواه في تأليفه - النصره لسيد العترة في حرب البصرة - وفي كتابه «الإرشاد» ص ٣١ ، ٦٤ بلفظ يقرب من رواية الحافظ أبي نعيم الإصبهاني المذكور .

٦ - الشريف المرتضى علم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦ ، في شرح بائيّة السيد الحميري .

٧ - أبو الفتح الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ في «كنز الفوائد» ص ١٢٣ وقال ما ملخصه : إنّ شعر حسان هذا قد صارت به الركبان ، وقد تضمّن الإقرار

لأمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، والرياسة على الأنام لَمَا مدحه بذلك يوم الغدير، بحضرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعلى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ فَصُوبَهُ النَّبِيُّ فِي مَقَالِهِ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَزَالُ يَا حَسَّانُ مُؤَيَّدًا مَا نَصَرْتَنَا بِلِسَانِكَ.

٨ - الشيخ عبيدالله بن عبدالله السد آبادي رواه في «المقنع» في الإمامة.

٩ - شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ في تلخيص

الشافي.

١٠ - المفسر الكبير الشيخ أبو الفتوح الخزاعي الرازي من مشايخ ابن

شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨، رواه في تفسيره ج ٢ ص ١٩٢ بلفظ يقرب من لفظ الحافظ أبي نعيم وزاد فيه^(١):

فخص بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المواخيا

١١ - شيخنا الفتال أبو علي الشهيد المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة»

ص ٣٧، رواه في «روضة الواعظين» ص ٩٠.

١٢ - أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، رواه في «إعلام الوري»

ص ٨١.

١٣ - ابن شهر اشوب السروي المتوفى سنة ٥٨٨، في «المناقب» ج ٣

ص ٣٥.

١٤ - أبو زكريا يحيى بن الحسن الحلبي الشهير بابن بطريق، رواه في

«الخصائص» ص ٣٧ من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني.

١٥ - السيد هبة الدين رواه في كتابه (المجموع الرائق) المخطوط.

١٦ - رضي الدين سيدنا علي بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ في

«الطرائف» ص ٣٥.

(١) ستقف على أن هذه الزيادة في محلها من شعر حسان.

١٧ - بهاء الدين أبو الحسن الإربلي المتوفى سنة ٦٩٢/٣ في «كشف الغمة» ص ٩٤.

١٨ - عماد الدين الحسن الطبري، في «الكامل البهائي» ص ١٥٢ و ٢١٧.

١٩ - الشيخ يوسف بن أبي حاتم الشامي، في موضعين من كتابه (الدرّ النظيم).

٢٠ - الشيخ عليّ البياضي العاملي، في كتابه «الصراط المستقيم».

٢١ - القاضي نور الله المرعشي الشهيد سنة ١٠١٩، المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ١٧١، ذكره في «مجالس المؤمنين» ص ٢١.

٢٢ - مولانا المحقق المحسن الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١ في «علم اليقين» ص ١٤٢ نقلًا عن - إتهاب نيران الأحزان - بلفظ يقرب من لفظ سليم بن قيس الهلاليّ التابعي في كتابه وهو:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيِّهِمْ	بِخَمٍّ وَأَسْمَعُ بِالنَّبِيِّ مَنَادِيَا
وَقَدْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ	بَأَنَّكَ مَعْصُومٌ فَلَا تَكُ وَايَا
وَيَلْبِغُهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ رَبَّهُمْ إِلَيْكَ	وَلَا تَخْشُ هُنَاكَ الْأَعَادِيَا
فَقَامَ بِهِ إِذْ ذَاكَ رَافِعٌ كَفَّهُ	بَكْفٍ عَلِيٌّ مُعَلِّنُ الصَّوْتِ عَالِيَا
فَقَالَ: فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَوَلِيِّكُمْ؟	فَقَالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُنَاكَ تَعَامِيَا
: إِلَهَكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيْنَا	وَلَنْ تَجِدُنَا فِينَا لَكَ الْيَوْمَ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ فَإِنِّي	رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ	فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صِدْقِ مَوَالِيَا
هُنَاكَ دَعَا اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيُّهُ	وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مَعَادِيَا
فِيَا رَبِّ أَنْصِرْ نَاصِرِيهِ لِنَصْرِهِمْ	إِمَامَ هَدَى كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدِّيَاجِيَا

٢٣ - الشيخ إبراهيم القطيفي، في «الفرقة الناجية» بلفظ الكاشاني.

٢٤ - السيّد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧، في «غاية المرام»

٢٥ - العلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١١ في «بحار الأنوار» ج ٩ ص ٢٣٤ ، ٢٥٩ .

٢٦ - شيخنا البحراني صاحب «الحدائق» المتوفى سنة ١١٨٦ ، في «كشكوله» ج ٢ ص ١٨ .

وهناك جمع آخرون رووا هذا الحديث وفي المذكورين كفاية .

لفت نظر

والذي يظهر للباحث، أن حسناً أكمل هذه الأبيات قصيدةً ضمنها نبذاً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فكلُّ أخذ منها شطراً يناسب موضوعه، وذكر الحافظ ابن أبي شيبة قال: حدَّثنا ابن فضل، قال: حدَّثنا سالم بن أبي حفصة، عن جميع بن عمير، عن عبدالله بن عمر، وصدر الحفاظ الكنجي الشافعي في كفايته (ط نجف) ص ٣٨، و(ط مصر) ص ١٦، و(ط إيران) ص ٢١، وابن الصبَّاح المالكي في فصوله المهمة ص ٢٢ وغيرهم منها قوله:

وكان عليُّ أرمدا العين يتغي	دواءً فلما لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقياً وبورك راقيا
فقال: سأعطي الراية اليوم ضارباً	كمياً محبباً للرسول مواليا
يحبُّ إلهي وإلهه يحبه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخصُّ بها دون البرية كلها	علياً وسماه الوزير المؤاخيا ^(١)

هذه الأبيات إشارة إلى حديث صحيح متواتر، أخرجه أئمة الحديث بأسانيد رجال جلها كلهم ثقات أنهوها إلى:

بريدة بن الخصيب	عبدالله بن عمر	عبدالله بن العباس
عمران بن حصين	أبي سعيد الخدري	أبي ليلي الأنصاري

(١) ورواه شيخنا الطبري في «المسترشد» رواية عن الحافظ ابن أبي شيبة المذكور، وأبو علي الفتل في «روضة الواعظين» وغيرهما.

سهل الساعدي
البراء بن عازب
أبي هريرة الدوسي
سعد بن أبي وقاص
سلمة بن الأكوع.

فأخرجه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٣٢٣ عن سهل، وج ٥ ص ٢٦٩ عنه، و ٢٧٠ عن سلمة، وج ٢ ص ١٩١ عن سلمة وسهل، وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٣٢٤، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٣٠٠ وصححه، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٩٩، وج ٥ ص ٣٥٣، ٣٥٨ وغيرها، وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٥٨، وابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٣٨٦، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٩٣، والنسائي في خصائصه ج ٤ ص ٨، ١٦، ٢٣، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٩٠، ١١٦ وقال: هذا حديثٌ دخل في حدِّ التواتر، والخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٣٨٧، وأبو نعيم الإصبهاني في الحلية ج ١ ص ٦٢، بعدة طرق وصحَّح بعضها، وج ٤ ص ٣٥٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٣٦٣، في ترجمة عامر، والحموي^(١) في فرائده وقال: قال الإمام محيي السنة: هذا حديثٌ صحيحٌ متفقٌ على صحته، ومحبُّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٨٧، والياضي في مرآة الجنان ج ١ ص ١٠٩ وصحَّحه، والقاضي الإيجي في المواقف ج ٣ ص ١٠، ١٢، وهناك آخرون رووا هذه الأثارة وصحَّحوها لو نذكرهم بأجمعهم لجاها منه كتاب مفرد، ونحن نقتصر من المتون على لفظ البخاري ألا وهو:

إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال فبات الناس يدوكون^(٢) ليلتهم أيهم يُعطاهما، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن

(١) بفتح المهملة ثم الميم المضمومة المشددة نسبة إلى جده حمويه، ونحن تبعاً على المؤلفين ذكرناه في المجلد الأول (الحموي) وقد أوقفنا السير على كلام ابن الأثير من أن رجال هذه الاسرة يكتبون لأنفسهم (الحموي) وضبطه على ما ذكر فعلنا عما كنا عليه.

(٢) أي يخوضون. يقال: الناس في دوكة. أي: في اختلاط وخوض. وأصله من الدوك، وهو السحق. وفي كثير من الكتب: يذكرون. وهو تصحيف.

يُعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى لم يكن به وجع فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ عليّ رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم وفي لفظه الآخر: ففتح الله عليه.

ديوان حسان

إن لحسان في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، مدائح جمّة غير ما سبقت الإشارة إليه، وسنوقفك على ما التقطناه من ذلك، فمن هذه الناحية نعرف أن يد الأمانة لم تقبض عليها يوم مدّت إلى ديوانه، فحرّفت الكلم عن مواضعها، ولعبت بديوان حسان كما لعبت بغيره من الدواوين والكتب والمعاجم التي أسقطت منها مدائح أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، والذكريات الحميدة لأتباعهم، كديوان الفرزدق الذي أسقطوا منه ميميته المشهورة في مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام، مع إشارة الناشر إليها في مقدّمة شرح ديوانه، وقد طفحت بذكرها الكتب والمعاجم، وكديوان كميّ، فإنه حرّفت منه أبيات كما زيدت عليه أخرى، وكديوان أمير الشعراء أبي فراس، وكديوان كشاجم، الذي زحزحوا عنه كميّة مهمّة من مرثي سيدنا الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه، وكتاب «المعارف» لابن قتيبة الذي زيد فيه ما شاءه الهوى للمحرّف ونقص منه ما يلائم خطّه، بشهادة الكتب الناقلة عنه من بعده كما مرّ بعض ما ذكر في محله من هذا الكتاب ويأتي بعضه، إلى غير هذه من الكتب التي عاثوا فيها لدى النشر، أو حرّفوها عند النقل، ونحن نحيل تفصيل ذلك إلى مظانّه من مواقع المناسبة لئلا نخرج عن وضع الكتاب، فلنعد الآن إلى ما شدّد من شعر حسان عن ديوانه، وأثبتته له المصادر الوثيقة كنفس يائتته السابقة فمن ذلك:

وغيرهما: صعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله ﷺ بمرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمتم فاتبعوني، وإن زغت فقوموني، لا أقول إني أفضلكم فضلاً، ولكني أفضلكم حملاً، وأثنى على الأنصار خيراً وقال: أنا وإياكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فولت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت

فاعترلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلم خطبائها، وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش: قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلك، فقام الفضل بن العباس فرد عليهم، ثم صار إلى علي فأخبره وأنشده شعراً قاله، فخرج علي مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير ورد على عمرو بن العاص قوله، فلما علمت الأنصار ذلك سرها وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول علي، واجتمعت إلى حسان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل، فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحني فقالوا^(١): فاذكر علياً فقط، فقال:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كآبي حسن؟
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله فصدرك مشروح وقلبك ممتحن^(٢)
تمنت رجالاً من قريش أعزّة مكانك هيات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كل منزل بمنزلة الطرف البطين من الرسن
غضبت لنا إذ قال عمرو بخصلة أمانت بها التقوى وأحیی بها الإحن
وكنت المرجى من لوي بن غالب لما كان منه والذي بعد لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده إليك ومن أولى به منك من ومن؟

(١) في شرح ابن أبي الحديد: فقال له خزيمه بن ثابت: اذكر علياً وآله يكفيك عن كل شيء.
(٢) هذان البيتان ذكرهما لحسان شيخ الطائفة المفيد كما في (الفصول) ج ٢ ص ٦١ و٦٧.

ألست أخاه في الهدى ووصيّه
فحقك ما دامت بنجد وشيعة
وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن؟
عظيم علينا ثم بعد على اليمن

قوله:

فصندرک مشروح. إشارة إلى ما ورد في قوله تعالى: ﴿أفمن شره لله صدره للإسلام﴾، فإنها نزلت في عليّ وحمزة. رواه الحافظ محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٠٧ عن الحافظين الواحدي، وأبي الفرج، وفي ذخائر العقبي ص ٨٨.

قوله:

وقلبك ممتحن. أشار به إلى الحديث النبويّ الوارد في أمير المؤمنين: إنه امتحن الله قلبه بالإيمان^(١) أخرجه جمع من الحفاظ والعلماء منهم: النسائي في خصائصه ص ١١، والترمذي في الصحيح ج ٢ ص ٢٩٨، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ١٣٣، والبيهقي في المحاسن والمساوي ج ١ ص ٢٩، ومحبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٩١، وذخائر العقبي ص ٧٦ وقال: أخرجه الترمذي وصحّحه، والكنجي في الكفاية ص ٣٤، وقال: هذا حديث عال حسن صحيح، والحموي في قرائده في الباب الـ ٣٣، والسيوطي في جمع الجوامع بعدة طرق كما في كتر العمال ج ٦ ص ٣٩٣ و٣٩٦، والبدخشي في نزل الأبرار ص ١١ وغيرهم.

قوله:

ألست أخاه في الهدى ووصيّه. أوعز به إلى حديثي الإخاء والوصية وهما من الشهرة والتواتر بمكان عظيم يجدهما الباحث في جلّ مسانيد الحفاظ والأعلام.

قوله:

وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن. أراد به ما ورد في علم عليّ أمير المؤمنين بالكتاب

(١) كذا في لفظ الخطيب، وفي بعض المصادر: على الإيمان. وفي بعضها: للإيمان.

والسنة. أخرج الحفاظ عن النبي صلى الله عليه وآله، في حديث فاطمة سلام الله عليها: زوجتك خير أهلي أعلمهم علماً، وأفضلهم حليماً، وأولهم إسلاماً. وفي حديث آخر: أعلم أممي من بعدي علي بن أبي طالب. وفي ثالث: أعلم الناس بالله وبالناس.

وفي حديث: يا علي لك سبع خصال، وعد منها: وأعلمهم بالقضية^(١) وأخرج محب الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ١٩٣، والدخائر ص ٧٨، وابن عبد البر في الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٠ عن عائشة: أنه أعلم الناس بالسنة. وفي كفاية الكنجي ص ١٩٠ عن أبي أمامة عنه صلى الله عليه وآله: أعلم أممي بالسنة والقضاء بعدي علي بن أبي طالب. وأخرج الخوارزمي في المناقب ص ٤٩، وشيخ الإسلام الحموي في فرائده في الباب الثامن عشر بإسناده عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله: أعلم أممي من بعدي علي بن أبي طالب.

وأخرج الحفاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً^(٢) وعن النبي ﷺ قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً^(٣).

وقال السيد أحمد زيني دحلان في «الفتوحات الإسلامية» ج ٢ ص ٣٣٧: كان علي رضي الله عنه، أعطاه الله علماً كثيراً وكشفاً غزيراً، قال أبو الطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني^(٤) من كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، ١٥٦، ٣٩٨.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٨، كفاية الكنجي ص ٩٠، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٦، إسعاف الراغبين ص ١٦٢.

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

(٤) في الإصابة ج ٢ ص ٥١٩: سلوني سلوني عن كتاب الله. الحديث.

أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين
 بغيراً من تفسير فاتحة الكتاب، وقال ابن عباس رضي الله عنه: علم رسول الله
 من علم الله تبارك وتعالى، وعلم علي رضي الله عنه من علم النبي ﷺ وعلمي
 من علم علي رضي الله عنه، وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي
 رضي الله عنه إلا كقطرة في سبعة أبحر، ويقال: إن عبدالله بن عباس أكثر البكاء
 على علي رضي الله عنه حتى ذهب بصره، وقال ابن عباس أيضاً، لقد أعطي
 علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارك الناس في العشر
 العاشر، وكان معاوية رضي الله عنه، يسأله ويكتب له فيما ينزل به فلما توفي
 علي رضي الله عنه قال معاوية: لقد ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي
 طالب رضي الله عنه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يتعوذ من معضلة
 ليس فيها أبو الحسن^(١)، وسئل عطاء أكان في أصحاب محمد ﷺ أحد أعلم من
 علي؟ قال: لا والله ما أعلمه. انتهى. وعن عبدالله بن مسعود: إن القرآن نزل
 على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علياً عنده علم الظاهر
 والباطن^(٢).

وهناك نظير هذه الأحاديث والكلمات، حول علم أمير المؤمنين، بالكتاب
 والسنة، كثير جداً لو جمعته يد التأليف لجاء كتاباً ضخماً.

ومن شعر حسان في أمير المؤمنين

ذكر له أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١١٥،
 والكنجي الشافعي في كفايته ص ٥٥، وابن طلحة الشافعي في «مطالب
 السؤل» ص ٢٠ وقال: فشت هذه الأبيات من قول حسان، وتناقلها سمع عن
 سمع ولسان عن لسان:

أنزل الله والكتاب عزيز في علي وفي الوليد قرانا

(١) أخرجه كثير من الحفاظ وأئمة الحديث.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

فتبوا الوليد من ذاك فسقاً
ليس من كان مؤمناً عرف الله
فعليُّ يلقي لدى الله عزاً
سوف يُجزى الوليد خزيًا وناراً
وعليُّ مبرأ إيماناً
كمن كان فاسقاً خوَّاناً
ووليدٌ يلقي هناك هواناً
وعليُّ لا شكُّ يُجزى جناناً

ورواها له ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠٣ ، وفيه بعد البيت الثالث :

سوف يُدعى الوليد بعد قليل
فعليُّ يُجزى بذاك جناناً
رُبَّ جَدِّ لعقبة بن أبان
وعليُّ إلى الحساب عياناً
ووليدٌ يُجزى بذاك هواناً^(١)
لابسٌ في بلادنا تَباناً^(٢)

وذكرها له نقلاً عن شرح النهج الأستاذ أحمد زكي صفوت في «جمهرة الخطب» ج ٢ ص ٢٣ .

أشار بهذه الأبيات إلى قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ونزوله في عليّ عليه السلام ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط فيما شجر بينهما ، أخرج الطبري في تفسيره ج ٢١ ص ٦٢ بإسناده عن عطاء بن يسار قال : كان بين الوليد وعليّ كلامٌ فقال الوليد : أنا أبسط منك لساناً ، وأحدُّ منك سناناً ، وأردُّ منك للكتيبة فقال عليّ : اسكت فإنك فاسقٌ . فأنزل الله فيهما : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ الآية .

وفي الأغاني ج ٤ ص ١٨٥ ، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٤٧٠ : كان بين عليّ والوليد تنازعٌ وكلامٌ في شيء فقال الوليد لعليّ : اسكت فإنك صبيٌّ وأنا شيخٌ ، والله إنني أبسط منك لساناً ، وأحدُّ منك سناناً ، وأشجع منك جناناً ، وأملأ

(١) في التذكرة : هناك . بدل «بذاك» في الموضعين .

(٢) أبان : هو أبو معيط جد الوليد . والتبان : سروال صغير مقدار شبر يستر العورة فقط كان يخص بالملاحين .

منك حشواً في الكتيبة. فقال له عليٌّ: اسكت فإنك فاسقٌ. فأنزل الله هذه الآية.

وأخرجه: الواحدي بإسناده من طريق ابن عباس في «أسباب النزول» ص ٢٦٣، ومحب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٠٦، عن ابن عباس، وقتادة من طريق الحافظين السلفي، والواحدي، وفي ذخائر العقبى ص ٨٨، والخوارزمي في المناقب ص ١٨٨، والكنجي في الكفاية ص ٥٥؛ والنيسابوري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٦٢ قال: ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة (فيه تصحيف لا يخفى)، ورواه جمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين».

وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٩٤، ج ٢ ص ١٠٣، وحكى عن شيخه: أنه من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به وإطباق الناس عليه. وأخرجه السيوطي في الدرر المثور ج ٤ ص ١٧٨، وقال: أخرج أبو الفرج في الأغاني، والواحدي، وابن عدي، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، من طرق عن ابن عباس، وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، عن عطاء بن يسار، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه مثله، وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه، وأخرج ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، عن ابن عباس. - وذكره الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٥.

ومن شعر حسان في أمير المؤمنين

ذكر له أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١٠:

مَنْ ذَا بَخَاتِمِهِ تَصَدَّقَ رَاكِعاً	وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ إِسْرَاراً
مَنْ كَانَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ مُحَمَّدٍ	وَمُحَمَّدٌ أُسْرَى يَوْمَ الْغَارِ
مَنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ سُمِّيَ مُؤْمِناً	فِي تِسْعِ آيَاتٍ تُلِينُ غَزَاراً ^(١)

(١) وذكرها الكنجي في الكفاية ص ١٢٣ ونسبها إلى بعضهم وفيه: في تسع آيات جعلن كباراً.

في البيت الأول إيعاز إلى مآثرة تصدّقه صلوات الله عليه بخاتمه للسائل راکعاً وفيها نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. الآية. وسنوقفك على بيانها في شرح البيت الثالث إن شاء الله تعالى.

وبثاني الأبيات أشار إلى حديث أصفقت الأمة عليه من أن علياً عليه السلام، لبس بُرد النبي صلى الله عليه وآله، الحضرمي الأخضر ونام على فراشه ليلة هرب النبي من المشركين إلى الغار وفداه بنفسه ونزلت فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٧).

قال أبو جعفر الإسكافي، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٠: حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، وقد روى المفسرون كلهم: أن قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾. الآية. نزلت في علي ليلة المبيت على الفراش. وروى الثعلبي في تفسيره: أن النبي ﷺ لما أراد الهجرة إلى المدينة خلف علي بن أبي طالب، بمكة لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه وقال له: إتشح بيردي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى ففعل ذلك علي عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فتزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا علي؟ يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة. فأنزل الله على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾. وقال ابن عباس: نزلت الآية في علي حين هرب - رسول الله - من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام على فراش النبي.

وحديث الثعلبي هذا، رواه بطوله الغزالي في «إحياء العلوم» ج ٣ ص ٢٣٨، والكنجي في «كفاية الطالب» ص ١١٤، والصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٠٩ نقلاً عن الحافظ النسفي. ورواه ابن الصبّاغ المالكي في فصوله ص ٣٣، وسبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ٢١، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٨٦، وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: قال ابن عباس: أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيتُ بنفسي خيراً من وطىء الحصا وأكرم خلقٍ طاف بالبيت والحجرُ
وبتُ أراعي منهم ما يسوءني وقد صبرت نفسي على القتل والأسرُ
وبات رسول الله في الغار آمناً وما زال في حفظ الإله وفي الستر^(١)

ويوجد حديث ليلة المبيت في مسند أحمد ج ١ ص ٣٤٨، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٩-١٠١، الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢١٢، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٩، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩١، العقد الفريد ج ٣ ص ٢٩٠، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٩١، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢، تاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ١٢٦، مناقب الخوارزمي ص ٧٥، الإمتاع للمقريزي ص ٣٩، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٨، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩.

ويوجد الإيعاز إلى هذه المأثرة، في حديث صحيح عن ابن عباس أخرجه جمع من الحفاظ الأثبات راجع ما مرّ ج ١ ص ٧٦ و ٧٧، وهي مروية في حديث عن الإمام السبط الحسن، وقال: بات أمير المؤمنين يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله، من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾^(٢).

(البيت الثالث)

أشار به إلى الآيات التسع، النازلة في أمير المؤمنين التي سُمي فيها مؤمناً،

(١) وتوجد هذه الأبيات في مناقب الخوارزمي مع زيادة بيت.

(٢) تذكرة السبط ص ١١٥، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢.

ونحن وقفنا من تلك على عشر^(١) آيات، ولم نعرف خصوص التسع المراد لحسان في قوله، وقال معاوية بن صعصعة في قصيدة له ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٣١:

ومن نزلت فيه ثلاثون آية تُسميه فيها مؤمناً مخلصاً فرداً
سوى موجبات جئن فيه وغيره بها أوجب الله الولاية والوداً
والآيات:

١ - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

«سورة السجدة، الآية ١٨».

مر الإيعاز إلى حديث نزولها في علي عليه السلام ص ٤٦ من هذا الجزء.

٢ - ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

«سورة الأنفال، الآية ٦٢»

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن مسلم الشافعي، أخبرنا أبو القاسم بن العلا، وأبو بكر محمد بن عمر بن سليمان العريني النصيبي، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المهري، حدثنا عباس بن بكار، حدثنا خالد بن أبي عمر الأسدي، عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي أيده بعلي، وذلك قوله عز وجل في كتابه الكريم: هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ وَحْدَهُ.

ورواه بإسناده الكنجي الشافعي في كفايته ص ١١٠، ثم قال: قلت: ذكره ابن جرير في تفسيره^(٢) وابن عساكر في تاريخه في ترجمة علي

(١) وكذا قال الإمام الحسن السبط الزكي في حديث: سمي أبي مؤمناً في عشر آيات.

(٢) لم نجد هذا الحديث في تفسير الطبري تحت هذه الآية.

عليه السلام. ورواه الحافظ جلال الدين السيوطي في الدرّ المشورج ٣ ص ١٩٩، نقلاً عن ابن عساكر، والقندوزي في يناعه ص ٩٤ نقلاً عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن أبي هريرة، ومن طريق أبي صالح، عن ابن عباس.

وصدر الحديث أخرجه جمعٌ من الحفاظ منهم: الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١١ ص ١٧٣، بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال النبي ﷺ: لَمَّا عُرِجَ بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّده بعليّ، نصرته بعليّ. ومحبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ٢ ص ١٧٢ عن أبي الحمراء من طريق الملاّ في سيرته، وفي ذخائر العقبى ص ٦٩، والخوارزمي في المناقب ص ٢٥٤، والحموي في فرائده في الباب السادس والأربعين من طريقين بلفظ: لَمَّا أُسْرِي بي إلى السماء رأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله صفوتي من خلقي، أيّده بعليّ ونصرته به. وإسناده آخر عن أبي الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وآله، بلفظ: ليلة أُسْرِي بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً: أنا الله وحدي لا إله غيري، غرست جنة عدن بيدي لمحمد صفوتي أيّده بعليّ. وبهذا اللفظ رواه الحافظ السيوطي كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨، من غير طريق عن أبي الحمراء. ومن طريق آخر عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله: مكتوبٌ في باب الجنة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي سنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّده بعليّ. - وذكره الحافظ الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٢١ من طريق الطبراني عن أبي الحمراء، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٧ نقلاً عن ابن عدي، وابن عساكر من طريق أنس.

وروى السيّد الهمداني في «موذّة القربى» في الموذّة الثامنة، عن عليّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن: فلَمَّا بلغت البيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرة بها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيّده بعليّ وزيره. ولَمَّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت عليها: إنّي أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، محمد صفوتي

من خلقي أيده بعلي وزيره ونصرته به. ولما انتهيت إلى عرش رب العالمين فوجدت مكتوباً على قوائمه: إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد حبيبي من خلقي، أيده بعلي وزيره ونصرته به. فلما وصلت الجنة وجدت مكتوباً على باب الجنة: لا إله إلا أنا، ومحمد حبيبي من خلقي أيده بعلي وزيره ونصرته به.

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

«سورة الأنفال، الآية ٦٣».

أخرج الحافظ أبو نعيم في فضائل الصحابة بإسناده: إنها نزلت في علي، وهو المعني بقوله: المؤمنين.

٤ - ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.
[سورة الأحزاب، الآية ٢٣].

أخرج الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ١٨، وصدر الحفاظ الكنجي في «الكفاية» ص ١٢٢ نقلاً عن ابن جرير، وغيره من المفسرين أنه نزل قوله: فمنهم من قضى نحبه في حمزة وأصحابه، كانوا عاهدوا الله تعالى لا يُولون الأدبار فجاهدوا مقبلين حتى قتلوا، ومنهم من ينتظر، علي بن أبي طالب مضى على الجهاد ولم يُبدل ولم يُغير الآثار.

وفي الصواعق لابن حجر ص ٨٠: سُئل (علي) وهو على المنبر بالكوفة، عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. الآية. فقال: اللهم غفرًا هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبدة بن الحرث بن عبد المطلب، فأما عبدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فانتظر أشقاهما يخضب هذه من هذه - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم عليه السلام.

٥ - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

«سورة المائدة ٥٥»

أخرج أبو إسحاق الثعلبي ، في تفسيره بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال :
أما إنّي صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد
فلم يُعطه أحدُ شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء ، وقال . اللهم أشهد إنّي سألت
في مسجد نبيك محمد ﷺ فلم يُعطني أحدُ شيئاً ، وكان عليّ رضي الله عنه في
الصلاة راکعاً فأوماً إليه بخنصره اليمنى ، وفيه خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم
من خنصره ، وذلك بمراى من النبي ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ
طرفه إلى السماء وقال : اللهم إن أخي موسى سألک فقال : ربّ اشرح لي
صدري ، ويسّر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي
وزيراً من أهلي هارون أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري ، فأنزلت عليه
قرآناً : سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما اللهم وإنّي
محمد نبيك و صفيك اللهم ، و اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً
من أهلي علياً أشدد به ظهري . قال أبو ذر رضي الله عنه : فما استتمّ دعاءه حتى
نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ وقال : يا محمد ﴿اقرأ إنّما
وليکم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ . الآية .

أخرج هذه الآثار ، ونزول الآية فيها جمعٌ كثيرٌ من أئمة التفسير والحديث
منهم : الطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥ من طريق ابن عباس ، وعتبة بن أبي
حكيم ، ومجاهد . الواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨ من طريقين . الرازي
في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ عن عطا عن عبدالله بن سلام وابن عباس وحديث أبي
ذر المذكور . الخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦ . أبو البركات في تفسيره ج ١
ص ٤٩٦ . النيسابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١ . ابن الصبّاغ المالكي في
«الفصول المهمة» ص ١٢٣ حديث الثعلبي المذكور . ابن طلحة الشافعي في
«مطالب السؤل» ص ٣١ بلفظ أبي ذر المذكور . سبط ابن الجوزي في
«التذكرة» ص ٩ عن تفسير الثعلبي ، عن السدي ، وعتبة ، وغالب بن عبدالله .
الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ١٠٦ بإسناده عن أنس ، وص ١٢٢ عن ابن
عبّاس من طريق حافظ العراقي ، والخوارزمي ، وابن عساكر ، عن أبي نعيم ،

والقاضي أبي المعالي . الخوارزمي في مناقبه ص ١٧٨ بطريقين . الحموي في فرائده في الباب الرابع عشر من طريق الواحدي ، وفي التاسع والثلاثين عن أنس ، ومن طرق أخرى عن ابن عباس ، وفي الباب الأربعين عن ابن عباس وعمار بن ياسر . القاضي عضد الإيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦ . محب الدين الطبري في «الرياض» ج ٢ ص ٢٢٧ عن عبدالله بن سلام من طريق الواحدي ، وأبي الفرج والفضائي ، وص ٢٠٦ ، وفي الذخائر ص ١٠٢ من طريق الواقدي ، وابن الجوزي . ابن كثير الشامي في تفسيره ج ٢ ص ٧١ بطريق عن أمير المؤمنين ، ومن طريق ابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل ، وعن ابن جرير الطبري بإسناده عن مجاهد ، والسدي ، وعن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن ابن عباس ، وبطريق الحافظ ابن مردويه بالإسناد عن سفيان الثوري ، عن ابن عباس ، ومن طريق الكلبي عن ابن عباس فقال : هذا إسناد لا يُقدح به ، وعن الحافظ ابن مردويه بلفظ أمير المؤمنين ، وعمار ، وأبي رافع . ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٧ عن الطبراني بإسناده عن أمير المؤمنين ، ومن طريق ابن عساکر عن سلمة بن كهيل . الحافظ السيوطي في «جمع الجوامع» كما في الكترج ٦ ص ٣٩١ من طريق الخطيب في «المتفق» عن ابن عباس ، وص ٤٠٥ من طريق أبي الشيخ ، وابن مردويه عن أمير المؤمنين . ابن حجر في «الصواعق» ص ٢٥ . الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٧٧ حديث أبي ذرّ المذكور عن الثعالبي . الألوسي في «روح المعاني» ج ٢ ص ٣٢٩ وغيرهم . ولحسن بن ثابت في هذه المأثرة شعرٌ يأتي إن شاء الله تعالى .

٦ - ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ .

(سورة التوبة ، الآية ١٩) .

أخرج الطبري في تفسيره ج ١٠ ص ٥٩ بإسناده عن أنس أنه قال : قعد العباس وشيبة (ابن عثمان) صاحب البيت يفتخران ، فقال له العباس : أنا أشرف منك أنا عم رسول الله ووصي أبيه وساتي الحجيج . فقال شيبة : أنا أشرف منك

أنا أمين الله على بيته، وخازنه أفلا ائتمنتك كما ائتمنتني. فهما على ذلك يتشاجران حتى أشرف عليهما علي، فقال له العباس: إن شيبة فاخرني فزعم أنه أشرف مني، فقال: فما قلت له يا عمّاه؟ قال: قلت: أنا عم رسول الله ووصي أبيه وساقى الحجيج أنا أشرف منك. فقال لشيبة: ماذا قلت أنت يا شيبة؟ قال قلت: أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه أفلا ائتمنتك كما ائتمنتني. قال فقال لهما: إجعلاني معكما فخراً، قالا: نعم. قال: فأنا أشرف منكما أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمة وهاجر وجاهد. وانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي فأخبر كل واحد منهم بمفخره فما أجابهم النبي بشيء فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل عليه السلام بالوحي بعد أيام فيهم، فأرسل النبي إليهم ثلاثتهم حتى أتوه فقرأ عليهم: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. الآية.

حديث هذه المفاخرة ونزول الآية فيها أخرجه كثير من الحفاظ والعلماء مجملاً ومفصلاً منهم: الواحد في أسباب النزول ص ١٨٢ نقلاً عن الحسن والشعبي والقرظي. القرظي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ عن السدي. الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢. الخازن في تفسيره ج ٢ ص ١٢٢ قال: وقال الشعبي، ومحمد بن كعب القرظي: نزلت في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن أبي شيبة، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه. وقال العباس: وأنا صاحب السقاية والقيام عليها. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله هذه الآية.

ومنهم: أبو البركات النسفي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢١. الحموي في «الفرائد» في الباب الواحد والأربعين بإسناده عن أنس. ابن الصبّاع المالكي في «الفصول المهمة» ص ١٢٣ من طريق الواحد عن الحسن والشعبي والقرظي جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي في نظم درر السمطين. الكنجي في «الكفاية» ص ١١٣ من طريق ابن جرير، وابن عساكر، عن أنس بلفظه

المذكور. ابن كثير الشامي في تفسيره ج ٢ ص ٣٤١ عن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن الشعبي، ومن طريق ابن جرير، عن محمد بن كعب القرظي، وعن السدي وفيه: افتخر علي، والعباس، وشيبة كما مر، ومن طريق الحافظ عبد الرزاق أيضاً عن الحسن، ومحمد بن ثور عن معمر عن الحسن. الحافظ السيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨ من طريق الحافظ ابن مردويه، عن ابن عباس، ومن طريق الحافظ عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن منذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن الشعبي، وعن ابن مردويه عن الشعبي، وعن عبد الرزاق، عن الحسن، ومن طريق ابن أبي شيبة، وأبي الشيخ، وابن مردويه، عن عبيد الله بن عبيدة، ومن طريق الفرياني، عن ابن سيرين، وعن ابن جرير، عن محمد بن كعب القرظي، ومن طريق ابن جرير، وأبي الشيخ، عن الضحّاك، وعن الحافظين أبي نعيم، وابن عساكر بإسنادهما عن أنس باللفظ المذكور.

ومنهم: الصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٢ وفي طبعة ٢٠٩ نقلاً عن شوارد الملح وموارد المنح: أن العباس، وحمزة رضي الله عنهما، تفاخرا فقال حمزة: أنا خير منك لأنني على عمارة الكعبة. وقال العباس: أنا خير منك لأنني على سقاية الحاج فقالا: نخرج إلى الأبطح ونتحاكم إلى أول رجل نلقاه فوجدنا علياً رضي الله عنه، فتحاكما على يديه فقال: أنا خير منكما لأنني سبقتكما إلى الإسلام. فأخبر النبي بذلك فضاق صدره لافتخاره على عميه فأنزل الله تعالى تصديقاً لكلام علي وبياناً لفضله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية.

ولا يسعنا ذكر جميع المصادر التي وقفنا فيها على هذه المفاخرة، ونزول الآية فيها وكذلك في بقية الآيات والأحاديث، بل لم نذكر جلّها روماً للإختصار، وقد بسطنا القول في جميعها في كتابنا (العترة الطاهرة في الكتاب العزيز) يتضمّن الآيات النازلة فيهم صلوات الله عليهم.

وهذه المفاخرة ونزول الآية فيها نظمها غير واحد من شعراء السلف،

الحافظين لناموس الحديث كسيد الشعراء الحميري، والناشي، والبشنوي، ونظرائهم وستقف عليه في تراجمهم إن شاء الله.

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

«سورة مريم آية ٩٦»

أخرج أبو إسحاق الثعلبي، في تفسيره بإسناده عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة. فأنزل الله هذه الآية.

ورواه أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١٠ وقال: ورؤي عن ابن عباس: إن هذا الود جعله الله لعليّ في قلوب المؤمنين. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ عن ابن عباس قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. الآية. قال: محبة في قلوب المؤمنين. وأخرج الخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ١٨٨ حديث ابن عباس وبعده بإسناده عن عليّ عليه السلام، أنه قال: لقيني رجل فقال: يا أبا الحسن والله إنني أحبك في الله. فرجعت إلى رسول الله فأخبرته بقول الرجل، فقال: لعلك يا عليّ اصطنعت إليه معروفاً. قال فقلت: والله ما اصطنعت إليه معروفاً. فقال رسول الله: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودة. فنزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

وأخرجه صدر الحفاظ الكنجي في الكفاية ص ١٢١. وأخرج محب الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٠٧ في الآية من طريق الحفاظ السلفي عن ابن الحنفية: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودّ لعليّ وأهل بيته. وأخرج الحموي في فرائده في الباب الرابع عشر من طريق الواحدي بسندين عن ابن عباس، والسيوطي في الدرّ المشهور ج ٤ ص ٢٨٧ من طريق الحفاظ ابن مردويه، والديلمي، عن البراء، ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس، والقسطلاني في المواهب ج ٧ ص ١٤ من طريق النقاش، والشبلنجي في نور

الأبصار ص ١١٢ عن النقاش وذكر ما مرّ عن ابن الحنفية، والحضرمي في رشفة الصادي ص ٢٥.

٨ - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

«سورة الجاثية الآية ٢١»

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١١ : قال السدي، عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام يوم بدر: فالَّذِينَ اجترحوا السيئات عتبه، وشيبة، والوليد والمغيرة، والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عليّ عليه السلام. وتجد ما يقرب منه في كفاية الكنجي ص ١٢٠.

٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

«سورة البينة الآية ٧»

أخرج الطبري في تفسيره ج ٣٠ ص ١٤٦ بإسناده، عن أبي الجارود، عن محمد بن علي: أولئك هم خير البرية. فقال: قال النبي ﷺ أنت يا عليّ وشيعتك. وروى الخوارزمي في مناقبه ص ٦٦ عن جابر قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل عليّ بن أبي طالب فقال رسول الله: قد أتاكم أخي ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثم قال: إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية، قال: وفي ذلك الوقت نزلت فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البرية.

وروى في ص ١٧٨ من طريق الحافظ ابن مردويه، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت علياً يقول: حدثني رسول الله وأنا مسنده إلى صدري فقال: أي عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى إن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض

إذا جاءت الأمم للحساب تُدعون غراً محجّلين. وأخرج الكنجي في الكفاية ص ١١٩ حديث يزيد بن شراحيل.

وأرسل ابن الصبّاغ المالكي في فصوله ص ١٢٢ عن ابن عباس قال: لَمَّا نزلت هذه الآية قال (النبي ﷺ) لعلّي: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين. وروى الحموي في فرائده بطريقين عن جابر: إنها نزلت في عليّ، وكان أصحاب محمد إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البرية.

وقال ابن حجر في «الصواعق» ص ٩٦ في عدّ الآيات الواردة في أهل البيت: الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية لَمَّا نزلت قال صلى الله عليه وآله لعلّي: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين، قال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك، ثم قال رسول الله ﷺ: ومن قال: رحم الله عليّاً، رحمه الله.

وقال جلال الدين السيوطي في «الدرّ المشثور» ج ٦ ص ٣٧٩: أخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل عليّ فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية، وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لَمَّا نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. الآية قال رسول الله ﷺ لعلّي: أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر حديث يزيد بن شراحيل المذكور، وذكر الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٧٨ و١١٢ عن ابن عباس باللفظ المذكور عن ابن الصبّاغ المالكي.

١٠ - ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .
(سورة العصر)

قال جلال الدين السيوطي في «الدرّ المنتور» ج ٦ ص ٣٩٢: أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ . يعني أبا جهل بن هشام ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . ذكر علياً، وسلمان .

ومن شعر حسان في أمير المؤمنين

أبا حسن! تفديك نفسي ومهجتي	وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبين ضايعاً؟	وما المدح في ذات الإله بضايع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راع	فدتك نفوس القوم يا خير راع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد	ويا خير شارٍ ثم يا خير بايع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبيّنها في محكمات الشرايع

نظم بها حديث تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام، خاتمه للسائل راعاً ونزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزُّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ . فيه كما مرّ حديثه ص ٧١ .

ذكرها لحسان الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ١٧٨، وشيخ الإسلام الحموي في فرائده في الباب التاسع والثلاثين، وصدر الحفاظ الكنجي في «الكفاية» ص ١٠٧ وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٠، وجمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين» .

ومن شعر حسان في أمير المؤمنين

جبريلُ نادى معلناً	والنقحُ ليس بمنجلي
والمسلمون قد أحدقوا	حول النبيّ المرسل
لا سيفَ إلا ذو الفقار	ولا فتى إلا علي

يشير بها إلى ما هتف به أمين الوحي جبرئيل عليه السلام، يوم أحد في عليّ وسيفه. أخرج الطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٧، عن أبي رافع قال: لَمَّا قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (يَوْمَ أُحُدٍ) أَصْحَابَ الْأَلْوِيَةِ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيِّ: إِحْمِلْ عَلَيْهِمْ. فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ، وَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمْحِيَّ قَالَ: ثُمَّ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيِّ: إِحْمِلْ عَلَيْهِمْ. فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ وَقَتَلَ شَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ هَذَا لِلْمَوَاسَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. فَقَالَ جَبْرِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمْ. قَالَ فَسَمِعُوا صَوْتًا:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

وأخرجه أحمد بن حنبل في الفضائل، عن ابن عباس، وابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٥٢ عن ابن أبي نجيح، الخثعمي في «الروض الانف» ج ٢ ص ١٤٣، وابن أبي الحديد في «شرح النهج» ج ١ ص ٩ وقال: إنه المشهور المروي، وفي ج ٢ ص ٢٣٦ وقال: إن رسول الله قال: هذا صوت جبريل، ولج ٣ ص ٢٨١، والخوارزمي في «المناقب» ص ١٠٤ عن محمد بن إسحاق بن يسار، قال: هاجت ريح في ذلك اليوم فسمع منادٍ يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ
فإذا ندبتم هالكاً فابكوا الوفيّ أخا الوفيّ^(١)

وروى الحموي نحوه في فرائده في الباب التاسع والأربعين، وروى بإسناده من طرق شتى عن الحافظ البيهقي إلى عليّ عليه السلام قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: إن صنماً في اليمن مغفراً في حديد فابعث إليه فادقّه وخذ الحديد، قال: فدعاني وبعثني إليه فدققت الصنم وأخذت الحديد فجئت به إلى رسول الله، فاستنصرت منه سيفين فسّمى واحداً ذا الفقار، والآخر

(١) يعني حمزة سيد الشهداء قتيل ذلك اليوم سلام الله عليه.

مجذماً، فقلد رسول الله ذا الفقار، وأعطاني مجذماً ثم أعطاني بعدُ ذا الفقار، ورآني رسول الله وأنا أقاتل دونه يوم أحد فقال:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٦: ذكر أحمد في الفضائل أيضاً أنهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم (يوم خيبر) وقائلاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن ينشد شعراً فأذن له فقال:

جبريلُ نادى مُعلنًا إلى آخر الأبيات المذكورة

ثم قال ما ملخصه: يقال: إن الواقعة كانت يوم أحد كما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عباس، وقيل: إن ذلك كان يوم بدر، والأصح أنه كان في يوم خيبر، فلم يطعن فيه أحدٌ من العلماء. إنتهى.

قال الأميني: إن الأحاديث تؤذننا بتعدد الواقعة، وأن المنادي يوم أحد كان جبريل كما مر، والمنادي يوم بدر ملك يقال له: رضوان، قد أجمع أئمة الحديث على نقله كما قال الكنجي، وأخرجه في كفايته ص ١٤٤ من طريق أبي الغنائم، وابن الجوزي، والسلفي، وابن الجواليقي، وابن أبي الوفا البغدادي، وابن الوليد، وابن أبي الفهم، والمفتي عبد الكريم الموصلي، ومحمد بن القاسم العدل، والحافظ محمد بن محمود، وابن أبي البدر، والفتية عبد الغني بن أحمد، وصدقة بن الحسين، ويوسف بن شروان المقرئ، والصاحب أبي المعالي الدوامي، وابن بطة، وشيخ الشيوخ عبد الرحمن بن اللطيف، وعليّ بن محمد المقرئ، وابن بكروس، والحافظ ابن المعالي، وأبي عبد الله محمد بن عمر، بأسانيدهم عن سعد بن طريف الحنظلي، عن أبي جعفر محمد بن علي «الإمام الباقر» قال: نادى ملكٌ من السماء يوم بدر يقال له:

رضوان:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

ثم قال: قلت: أجمع أئمة الحديث على نقل هذا الجزء كإبراً عن كابر رزقناه عالياً بحمد الله عن الجمّ الغفير كما سقناه، ورواه الحاكم مرفوعاً، وأخرجه عنه البيهقي في مناقبه، أخبرنا بذلك الحافظ ابن النجار، أخبرنا المؤيد الطوسي (إلى آخر السند) عن جابر بن عبدالله، قال قال رسول الله يوم بدر: هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

وأخرجه محبّ الدين الطبري باللفظ المذكور في رياضه ص ١٩٠، وذنخائر العقبي ص ٧٤، والخوارزمي في المناقب ص ١٠١ حديث جابر، وفي كتاب «صفيين» لنصر بن مزاحم ص ٢٥٧، وفي ط مصر ص ٥٤٦ عن جابر بن نُمير - الصحيح: عُمير - الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كثيراً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

ومن شعر حسان

وإن مريمٌ أحصنت فرجها وجاءت بعيسى كبدر الدجى
فقد أحصنت فاطمٌ بعدها وجاءت بسبطي نبيّ الهدى^(١)

يشير إلى ما صحّ عن النبيّ الطاهر في بضعته الصديقة (فاطمة): إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار. أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٥٢ وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد. والخطيب في تاريخه ج ٣

(١) ذكره ابن شهر آشوب السروي في «المناقب» ج ٤ ص ٢٤.

ص ٥٤ ، ومحَبّ الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص ٤٨ عن أبي تمام في فوائده، وصدر الحفاظ الكنَجِيّ الشافعيّ في «الكفاية» ص ٢٢٢ بإسناده عن حذيفة بن اليمان، قال قال رسول الله: إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَهَا اللَّهُ وَذَرَّيْتَهَا عَلَى النَّارِ، وفي ص ٢٢٣ بسند آخر عن ابن مسعود بلفظ حذيفة، والسيوطي في «إحياء الميت» ص ٢٥٧ عن ابن مسعود من طريق البزّاز، وأبي يعلى، والعقيلي، والطبراني، وابن شاهين، وأخرجه في «جمع الجوامع» من طريق البزّاز، والعقيلي، والطبراني، والحاكم بلفظ حذيفة اليماني، وذكر المتقي الهندي في إكماله في «كنز العمال» ج ٦ ص ٢١٩ من طريق الطبراني بلفظ: إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا وَإِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَهَا بِأَحْصَانِ فَرْجِهَا وَذَرَّيْتَهَا الْجَنَّةَ. وابن حجر في «الصواعق» من طريق أبي تمام^(١) والبزّاز، والطبراني، وأبي نعيم، باللفظ المذكور وقال: وفي رواية فحَرَّمَهَا اللَّهُ وَذَرَّيْتَهَا عَلَى النَّارِ. ورواه في ص ١١٢ من طريق البزّاز، وأبي يعلى، والطبراني، والحاكم، باللفظ الثاني، وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٤٥ باللفظين.

الشاعر

أبو الوليد حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك النَجَّار (تيم الله) بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة العنقاء (سُمِّيَ به لطول عنقه) ابن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢).

بيت حَسَّان أحد بيوتات الشعر، عريقٌ في الأدب ونظم القريض، قال

(١) في الصواعق: تمام. والصحيح: أبو تمام.

(٢) كذا سرده أبو الفرج في الأغاني ج ٤ ص ٣.

المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٦٦: قال دعبل، والمبرد: أعرق الناس كانوا في الشعر آل حسان، فمنهم يُعدّون ستة في نسق كلهم شاعر: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. اهـ. وولده عبد الرحمن المذكور شاعرٌ قليل الحديث تُوفي سنة ١٠٤، وفيه وفي والده حسان قال شاعر:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وأما المترجم نفسه فعن أبي عبيدة: إن العرب قد اجتمعت على أن حسان أشعر أهل المدن، وأنه فضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار. وشاعر النبي في أيامه صلى الله عليه وآله. وشاعر اليمن كلها في الإسلام. قال له النبي صلى الله عليه وآله: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثم قال: والله إنني لو وضعت على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه، وما يسرني به مقول من معد^(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يضع له منبراً في مسجده الشريف يقوم عليه قائماً ويفاخر عن رسول الله ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله^(٢).

كانت الحالة على هذا في عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولما توفي صلى الله عليه وآله مرَّ عمر على حسان وهو ينشد في المسجد فانتهره^(٣) فقال: أفي مسجد رسول الله تنشد؟ فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك. ثم التفت إلى أبي هريرة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أجب عني، اللهم أيده بروح القدس، قال: نعم. قال أبو عبد الله الآبي المالكي في شرح صحيح مسلم ٣١٧: وهذا يدل على أن عمر رضي الله عنه، كان يكره إنشاد

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٦٨ و ١٥٠.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٨٧ بإسناد صححه هو والذهبي.

(٣) كذا في لفظ ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن عساکر في تاريخه ج ٤ ص ١٢٦، وفي لفظ مسلم في الصحيح ج ٢ ص ٣٨٤: فلاحظ إليه. وفي لفظ لأحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٢٢: فقال: مه.

الشعر في المسجد، وكان قد بنى رحبةً خارجةً وقال: من أراد أن يلغظ أو ينشد شعراً فليخرج إلى هذه الرحبة.

كلُّ ذلك على خلاف ما كان عليه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وفي وقته أفحمه حسان بما ذكر من قوله: لكن لا رأي لمن لا يُطاع. وقبل حسان نهاه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، عن فكرته هذه وفهمه بما هناك من الغاية الدينية المتوخاة حين تعرّض على عبدالله بن رواحة، لَمَّا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يطوف البيت على بعير وعبدالله أخذ بغرزه وهو يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله	خلّوا فكلُّ الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تنزيله	ضرباً يُزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله	يا ربّ إنّي مؤمنٌ بقيله

فقال له عمر: أوها هنا يا ابن رواحة أيضاً؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أو ما تعلمن أو لا تسمع ما قال؟ ١١؟ (وفي رواية أبي يعلى) إنّ النبيُّ قال: خلّ عنه يا عمر؟ فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل^(١).

وكان حسان من المعروفين بالجبن، ذكره ابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٢ ص ٦ وقال: كان من أجبن الناس. وعده السوطاوي في «غرر الخصاص» ص ٣٥٥ من الجبناء وقال: ذكر ابن قتيبة في كتاب «المعارف»: إنّه لم يشهد مع رسول الله ﷺ مشهداً قط، قالت صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله: كان معنا حسان في حصن فارغ يوم الخندق مع النساء والصبيان، فمرّ بنا في الحصن رجلٌ يهوديٌّ فجعل يطوف بالحصن (وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا أتانا آت) قالت: فقلت: يا حسان! أنا والله لا آمن أن يدلّ علينا هذا اليهوديُّ أصحابه، ورسول الله ﷺ قد شغل عنّا

(١) تاريخ ابن عسكرج ٧ ص ٣٩١.

فانزل إليه واقتله، قال: يغفر الله لك (يا ابنة عبد المطلب) ما أنا بصاحب شجاعة، قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً إعتجرت^(١) ثم أخذت عموداً ونزلت إليه فضربتة بالعمود حتى قتلتها، ثم رجعت إلى الحصن وقلت: يا حسان انزل إلي واسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، فقال: ما لي بسلبه من حاجة [يا ابنة عبد المطلب]^(٢) وكان حسان اقتدى في فعله بهذا الشاعر في قوله:

باتت تشجعني هند وما علمت ان الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الأبصار رؤيته ما يشتهي الموت عندي من له إرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهم لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

قال الأميني: هذا ما نقله الوطواط عن «المعارف» لابن قتيبة، لكن أسفي على مطابع مصر، وعلى يد الطبع الأمانة فيها فإنها تحرف الكلم عن مواضعها فأسقطت هذه القصة عن «المعارف» كما حرّفت عنه غيرها.

وُلد المترجم قبل مولد النبيّ القدسيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِثَمَانِ سِنِينَ، وَعَاشَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي عَمْرِهِ. وَفِي الْمُسْتَدْرَكِ ج ٣ ص ٤٨٦، وَاسْدُ الْغَابَةِ ج ٢ ص ٧: أَرْبَعَةٌ تَنَاسَلُوا مِنْ صَلْبِ وَاحِدٍ عَاشَ كُلُّ مِنْهُمْ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَهُمْ: حَسَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ حِرَامٍ.

يُكْنَى بِأَبِي الْوَلِيدِ، وَأَبِي الْمَضْرِبِ، وَأَبِي حَسَامٍ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالْأَوَّلُ أَشْهُرُ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الْحَسَامُ. وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ دِفَاعِهِ عَنِ حَامِيَةِ الْإِسْلَامِ،

(١) أي لبست المعجر. وفي سيرة ابن هشام: احتجرت. يقال: احتجرت المرأة. أي شدت وسطها.
(٢) وإلى هنا ذكره ابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٢٤٦، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٤٠، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٢ ص ٦، والعباسي في المعاهد ج ١ ص ٧٤، والجمل التي جعلناها بين القوسين من لفظ ابن هشام.

المقدّس بشعره. وروى الحاكم عن المصعب أنّه قال: عاش حسان ستين في الجاهليّة وستين في الإسلام. وذهب بصره وتوفّي على قول سنة ٥٥ (١) أعمى البصر والبصيرة كما نصّ عليه الصحابيُّ الكبير سيّد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة لما عزله أمير المؤمنين عليه السلام من ولاية مصر، ورجع إلى المدينة فإنّه حينما قدمها جاءه حسان شامتاً به وكان عثمانياً بعدما كان علويّاً فقال له: نزعك عليّ بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر. فزجره قيس وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثمّ أخرجته من عنده (٢).

(١) هذا أحد القولين في المستدرک، وقد كثر الخلاف في وفاته، وصحح ابن كثير في تاريخه سنة ٥٤.
 (٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥.



قلتُ لَمَّا بغى العدو علينا
حسبنا ربنا الذي فتح البصر
حسبنا ربنا ونعم الوكيلُ
رة بالأمس والحديث طويلُ
ويقول فيها:

وعليُّ إمامنا وإمامُ
يوم قال النبيُّ: من كنت مولا
لسوانا أتى به التنزيلُ
ه فهذا مولاة خطبُ جليلُ
إنما قاله النبيُّ على الأمة
حتم ما فيه قال وقيلُ

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات أنشدتها الصحابيُّ العظيم، سيِّد الخزرج، قيس بن سعد بن عبادة بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفين، رواها شيخنا المفيد، معلِّم الأمة المتوفى سنة ٤١٣ في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٨٧ وقال بعد ذكرها: إن هذه الأشعار مع تضمنها الإعراف بإمامة أمير المؤمنين، فهي دلائل على ثبوت سلف الشيعة وإبطال عناد المعتزلة في إنكارهم ذلك.

وذكرها في رسالته في معنى المولى وقال فيها: قصيدة قيس التي لا يشكُّ أحدٌ من أهل النقل فيها، والعلم بها من قبوله كالعلم بنصرته لأمر المؤمنين وحرية أهل البصرة وصفين معه، وهي التي أولها:

قلتُ لَمَّا بغى العدو علينا
حسبنا ربنا ونعم الوكيلُ

فشهد هكذا شهادةً قطعيةً بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة خبر يوم الغدير، صرح بأن القول فيه يوجب رياسته على الكل وإمامته عليهم.

ورواها سيّدنا الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ في خصائص الأئمة، وقال: اتفق حملة الأخبار على نقل شعر قيس وهو يُنشد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، بعد رجوعهم من البصرة في قصيدته التي أولها:

قلتُ لَمَّا بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيلُ

وهذان الشاعران [قيس، وحسان] صحابيَّان شهدا بالإمامة لأمر المؤمنين شهادة من حضر المشهد وعرف المصدر والمورد.

وأخرجها العلم الحجّة الشيخ عبيدالله السدابادي في المقنع - الموجود عندنا - فقال: قالوا: ومن الدليل على أن أمير المؤمنين، هو الإمام المنصوص عليه قول قيس بن سعد بن عبادة، وقال الكميّ بن زيد يصدّق قول قيس بن سعد، وحسان بن ثابت.

ورواها العلامة الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ في كثر الفوائد ص ٢٣٤ فقال: إنه ممّا حفظ عن قيس بن سعد بن عبادة وإنه كان يقوله بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفين ومعه الراية.

وأخرجها أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٤ في «التذكرة» ص ٢٠ فقال: إن قيس أنشدها بين يدي علي بصفين.

ورواها سيّدنا هبة الدين الراوندي في «المجموع الرائق» - الموجود عندنا - والمفسر الكبير الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره ج ٢ ص ١٩٣، وشيخ السرويّ الآتي شيخنا الشهيد القتال في «روضه الواعظين» ص ٩٠، وسيّدنا القاضي نور الله المرعشيّ الشهيد سنة ١٠١٩ في «مجالس المؤمنين» ص ١٠١، والعلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١١ في «البحار» ج ٩ ص ٢٤٥، والسيد علي خان المتوفى سنة ١١٢٠ في «الدرجات الرفيعة» - الموجود عندنا - في ذكر غزوة صفين، وشيخنا صاحب «الحدائق» البحراني

المتوفى سنة ١١٨٦ في كشكوله ج ٢ ص ١٨ . وجمع آخر من متأخري أعلام الطائفة .

الشاعر

أبو القاسم وقيل: أبو الفضل^(١) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم^(٢) بن حارثة ابن أبي خزيمة [بالحاء المهملة المفتوحة]^(٣) ابن ثعلبة بن ظريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر^(٤) بن حارثة بن ثعلبة . إلى آخر النسب المذكور ص ٨٢ ، أمه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة .

هو ذلك الصحابي العظيم، كان يعدُّ من أشرف العرب، وأمرائها، ودهاتها وفرسانها، وأجوادها، وخطبائها، وزهادها، وفضلائها، ومن عمد الدين وأركان المذهب .

أما شرفه

فكان هو سيّد الخزرج وابن سادتها، وقد حاز بيته الشرف والمجد جاهليّة وإسلاماً، قال سليم بن قيس الهلالي في كتابه: إن قيس بن سعد، كان سيّد الأنصار وابن سيّدها . وفي كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩: كان شجاعاً جواداً سيّداً . وقال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ٧٣: لم يزل قيس سيّداً في الجاهليّة والإسلام وأبوه وجدّه وجدّ جدّه لم يزل فيهم الشرف، وكان سعد يُجير فيجار وذلك له لسؤدده، ولم يزل هو وأبوه أصحاب إطعام في الجاهليّة والإسلام، وقيس ابنه بعده على مثل ذلك . وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨: كان قيس شريف قومه غير مدافع هو وأبوه وجدّه . وفي اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥: كان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم . وقال ابن كثير في تاريخه ج ٨

(١) وقيل: أبو عبدالله . وقيل: أبو عبد الملك .

(٢) في تهذيب التهذيب: دليهم .

(٣) وقيل: حارثة بن خزيم بن أبي خزيمة بالمعجمة المضمومة، تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٧٧ .

(٤) هنا يتحد المترجم مع حسان في النسب .

ص ٩٩: كان سيِّداً مطاعاً كريماً ممدوحاً شجاعاً. وقال المترجم له في أبيات له:

وإني من القوم اليمانيين سيِّدٌ وما النَّاسُ إلا سيِّدٌ ومسودٌ
وبزُّ جميع النَّاسِ أصلي ومنصبي وجسمٌ به أعلو الرجال مديدٌ

وكان والده أحد النقباء الإثني عشر الذين ضمنوا لرسول الله ﷺ إسلام قومهم والنقيب: الضمين: راجع تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٨٦.

وأما إمارته

ففي العهد النبوي كان من النبي صلى الله عليه وآله، بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير يلي ما يلي من أموره^(١) وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله، في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة، وكان من ذوي الرأي من الناس^(٢) وبعده ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام، مصر وكان أميرها الطاهر.

كان قيس من شيعة علي عليه السلام، ومناصحيه بعثه علي أميراً على مصر في صفر سنة ٣٦، وقال له: سر إلى مصر فقد وليتكها، واخرج إلى ظاهر المدينة، واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشدد على المريّب، وارفق بالعامّة والخاصّة فإن الرفق يُمّن.

فقال قيس: رحمك الله يا أمير المؤمنين، قد فهمت ما ذكرت، فأما الجند فإني أدعه لك، فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك، وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدّة، ولكنني أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي، وأما ما أوصيتني به من الرفق والإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٧، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٥، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٥١، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، الإصابة ج ٥ ص ٣٥٤، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٩٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥.
(٢) تاريخ ابن عساکر، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٩.

فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر مستهل ربيع الأول، فصعد المنبر فجلس عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: الحمد لله الذي جاء بالحق. وأمات الباطل، وكبت الظالمين، أيها الناس، إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا محمداً «صلى الله عليه وآله» فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله، فإن نحن لم نعلم لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عماله إلا أن قرية منها يقال لها: خربتاً^(١) قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له: يزيد بن الحارث، فبعث إلى قيس إنا لا نأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس، ووثب محمد بن مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري، فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه. فأرسل إليه قيس: ويحك أعليّ تشب؟ والله ما أحب أن لي ملك الشام، ومصر، وأني قتلتك فاحقن دمك. فأرسل إليه مسلمة: إني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر، وكان قيس له حزم ورأي^(٢).

خرج أمير المؤمنين عليه السلام، إلى الجمل، وقيس على مصر، ورجع من البصرة إلى الكوفة، وهو بمكانه ووليها أربعة أشهر وخمسة أيام، دخلها كما مر في مستهل ربيع الأول، وصرف منها لخمس خلون من رجب، كما في الخطط للمقرئزي، فما في الإستيعاب وغيره: إنه شهد الجمل الواقع في جمادى الآخرة سنة ٣٦ في غير محله، نعم يظهر من التاريخ شهوده في مقدمات الجمل.

وولاه عليّ أمير المؤمنين، آذربيجان كما في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٨ وكتب إليه وهو عليها: أما بعد: فأقبل على خراجك بالحق، وأحسن

(١) بفتح الخاء وكسرهما وكسر الراء المهملة ثم الموحدة الساكنة.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي.

إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله، ثم إنَّ عبد الله بن شبيب الأحمسي، سألني الكتاب إليك فيه بوصايتك به خيراً، فقد رأيتُه وادعاً متواضعاً، فالن حجابك، وافتح بابك، واعمد إلى الحق، فإنَّ من وافق الحق ما يحبو أسره، ولا تتبَّع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إنَّ الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب.

قال غياث: ولَمَّا أجمع عليُّ على القتال لمعاوية كتب أيضاً إلى قيس: أمَّا بعد: فاستعمل عبد الله بن شبيب الأحمسي خليفةً لك وأقبل إليّ، فإنَّ المسلمين قد أجمع ملاًهم وانقادت جماعتهم، فعجَّل الإقبال فأنا سأحضرنَّ إلى المحلِّين عند غرة الهلال إن شاء الله، وما تأخري إلا لك، قضى الله لنا ولك بالإحسان في أمرنا كلُّه.

وروى الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٩١، وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٤ عن الزهري أنه قال: جعل عليُّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدمة من أهل العراق إلى قبل آذربيجان وعلي أرضها، وشرطة الخميس التي ابتدعتها العرب وكانوا أربعين ألفاً بايعوا علياً عليه السلام على الموت، ولم يزل قيس يُداري ذلك البعث حتى قُتل عليُّ عليه السلام، واستخلف أهل العراق الحسن بن عليُّ عليه السلام على الخلافة.

حديث دهائه

يجد القارىء شواهد قوية على ذلك من مواقفه العظيمة في المغازي، ونظراته العميقة في الحروب، وآرائه المتبعة في مهمات القضايا، وأفكاره العالية في إمارته، وإعظام الإمام أمير المؤمنين محلّه من الدهاء، وإكباره رأيه في حكومته، فإنه لَمَّا قدم قيس من ولاية مصر على عليِّ، وأخبره الخبر الجاري بينه وبين رجال مصر، ومعاوية علم أنه كان يقاسي اموراً عظاماً من المكايدة، فعظم محلّ قيس عنده، وأطاعه في الأمر كلّه (تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١).

فَعِنْدَهَا تَجِدُ سَيِّدَ الْخَزْرَجِ (قيس) فِي الطَّبَقَةِ الْعَلِيَا مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ،

ومن مقدّمي رجالات النُهي والحجاء، وتشاهد هناك آيات عقله المطبوع والمكتسب، وتعدّه أعظم دهاء العرب حين ثارت الفتن، وسعرت نار الحرب، إن لم نقل: أعظم دهاء العالم، ونرى له التقدّم في الفضيلة على الخمسة^(١) الذين عدّوه منهم، وأولاهم بالعقلية الناضجة، وتجد دون محله الشامخ ما في الإستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨ وغيره^(٢) من: إنه أحد الفضلاء الجلة من دهاء العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب، مع النجدة والسخاء والشجاعة. قال الحلبي في سيرته: من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لرأى العجب من وفور عقله. وقال ابن كثير في البداية ج ٨ ص ٩٩: ولأه عليّ نيابة مصر وكان يُقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص.

وكان الإمام السبط الحسن، يوصي أمير عسكره عبيدالله بن العباس وهو أمير اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرأ مصر بمشاوره قيس بن سعد والمراجعة إليه في مهام الحرب مع معاوية والأخذ برأيه في سياسة الجيش، كما يأتي حديثه.

وكان ثقيلاً جداً على معاوية وأصحابه، ولما قدم قيس إلى المدينة من مصر، أخافه مروان والأسود بن أبي البختري، فظهر قيس إلى عليّ عليه السلام، فكتب معاوية، إلى مروان، والأسود يتغيظ عليهما، ويقول: أمددتما عليّاً بقيس بن سعد ورأيه ومكايدته، فوالله لو أنكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل، ما كان ذلك بأغيظ إليّ من إخراجكما قيس بن سعد إلى عليّ (تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٣) وعالج معاوية قلوب أصحابه وأمنهم من ناحية قيس، بافتعال كتاب عليه وقرائه على أهل الشام، كما يأتي تفصيله.

وكان قيس يرى نفسه في المكيدة والدهاء فوق الكلّ وأولى الجميع،

(١) هم: معاوية. عمرو بن العاص. قيس بن سعد. المغيرة بن شعبة. عبدالله بن بديل: راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٣، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥.

(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٥، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣.

ويقول: لولا أنني سمعت من رسول الله ﷺ يقول: المكر والخديعة في النار. لكنت من أمكر هذه الأمة^(١) ويقول: لولا الإسلام لمكرت مكرراً لا تطيقه العرب^(٢).

فشهرته بالدهاء مع تقيّد المعروف بالدين، وكلاءته حمى الشريعة، والتزامه البالغ في إعمال الرأي بما يوافق رضى مولاة سبحانه، وكفه نفسه عما يُخالف ربه، تُثبت له الأولوية والتقدم والبروز بين دهاة العرب، ولا يعادله من الدهاة الخمسة الشهيرة أحدٌ إلاّ عبدالله بن بُديل وذلك لاشتراكهما في المبدء، والتزامهما بالدين الحنيف، والكف عن الهوى، والوقوف عند مُضلات الفتن.

وكلامه لمالك الأشتر (مالك وما مالك؟) ينم عن غزارة عقله، وحسن تدبيره، واستقامة رأيه، وقوة إيمانه، وهو من غرر الكليم، ودُرر الحكم، رواه شيخ الطائفة في أماليه ص ٨٦ في حديث طويل فقال: قال الأشتر لعلي عليه السلام: دعني يا أمير المؤمنين، أوقع بهؤلاء الذين يتخلفون عنك. فقال له: كف عني. فانصرف الأشتر وهو مغضب، ثم إن قيس بن سعد لقي مالكا في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: يا مالك؟ كلما ضاق صدرك بشيء أخرجته، وكلما استبطأت أمراً استعجلته، إن أدب الصبر: التسليم، وأدب العجلة: الأناة، وإن شرّ القول: ما ضاهى العيب، وشرّ الرأي: ما ضاهى التهمة، فإذا ابتليت فاسأل، وإذا أمرت فاطع، ولا تسأل قبل البلاء، ولا تكلف قبل أن ينزل الأمر، فإن في أنفسنا ما في نفسك، فلا تشق على صاحبك.

ولما بويع أمير المؤمنين بلغه: أن معاوية قد وقف من إظهار البيعة له وقال: إن أقرني على الشام وأعمالي التي ولانيها عثمان بايعته. فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين إن معاوية من قد عرفت وقد ولّاه الشام من كان قبلك فولّه أنت كيما تشق عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك فقال

(١) اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠١.

(٢) الدرجات الرفيعة، الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩.

أمير المؤمنين: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا.
قال: لا يسألني الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء
أبدأ، وما كنت متخذ المضللين عضداً، لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي
من الحق، فإن أجاب فرجل من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وإن
أبى حاكمته إلى الله، فولى المغيرة وهو يقول: فحاكمه إذاً، فحاكمه إذاً، فأنشأ
يقول:

نصحتُ علياً في ابن حرب نصيحةً فردّ فما مني له الدهر ثانية
ولم يقبل النصح الذي جئته به وكانت له تلك النصيحة كافية
وقالوا له: ما أخلص النصح كله فقلت له: إن النصيحة غالية

فقام قيس بن سعد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة أشار عليك بأمر
لم يرد الله به، فقدّم فيه رجلاً وأخر فيه أخرى، فإن كان لك الغلبة يقرب إليك
بالنصيحة، وإن كانت لمعاوية يقرب إليه بالمشورة. ثم أنشأ يقول:

يكاد ومن أرسى بُشيراً مكانه (١) مغيرة أن يقوى عليك معاوية
وكنت بحمد الله فينا موفّقاً وتلك التي أراءكها غير كافية
فسبحان من علا السماء مكانها وأرضاً دحاها فاستقرت كما هيه

فكان هو صاحب الرأي الوحيد بعين الإمام الطاهر تجاه تلك الآراء التعسة
الفارغة عن النزعات الروحية في كل منحسة ومتعسة بين حاذف وقاذف (٢).

فروسيته

إن الباحث لا يقف على أي معجم يُذكر فيه قيس، إلا ويجد في طيه جمل الشاء
متواصلة على حماسته وشجاعته، ويقرأ له دروساً وافية حول فروسيته، وبأسه في

(١) الواو: للقسم. بشير مصغراً: جبل معروف بمنى.

(٢) مثل يضرب لمن هو بين شرين: الحاذف بالعصا، القاذف بالحصى.

الحروب وشدته في المواقف الهائلة، فما عساني أن أكتب عن فارس سجل له التاريخ: إنه كان سياف النبي الأعظم، وأشد الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين^(١)؟ وما عساني أن أقول في باسل كان أثقل خلق الله على معاوية؟ جبن أصحابه الشجاع والجبان، وكان أشد عليه من جيش عرام، وكتائب تحشد مائة ألف مقاتل، وكان يوم صفين يقول والله إن قيساً يريد أن يفينا غداً إن لم يحبسه عنا حابس القيل^(٢).

تعرب عن هذه الناحية مواقفه في العهدين: النبوي والعلوي. أما مواقفه على العهد النبوي فتجد نبأها العظيم في صحائف بدر وفتح وحنين وأحد وخيبر ونضير وأحزاب، وهو يعد مواقفه هذه كلها في شعره ويقول:

إننا إنا الذين إذا الفتح شهدنا وخيبراً، وحنينا
بعد بدر وتلك قاصمة الظهر وأحد، وبالنضير، ثنا

وقال سيدنا صاحب «الدرجات الرفيعة»: إنه شهد مع النبي المشاهد كلها، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله، أخذ النبي ﷺ يوم الفتح الراية من أبيه - سعد - ودفعها إليه. وقال الخطيب في تاريخه ج ١ ص ١٧٧: إنه حمل لواء رسول الله في بعض مغازيه. وفي تاريخي الطبري وابن الأثير ج ٣ ص ١٠٦: إنه كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ وكان من ذوي الرأي والبأس. وفي الاستيعاب^(٣): إنه كان حامل راية النبي في فتح مكة إذ نزعها من أبيه، وأرسل علياً رضي الله عنه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس ففعل.

وأما مواقفه على العهد العلوي فكان يحض أمير المؤمنين، على قتال معاوية ويحثه على محاربة مناوئيه ويقول: يا أمير المؤمنين، ما على الأرض أحد أحب إلينا أن يُقيم فينا منك. لأنك نجمنا الذي نهتدي به، ومفزعنا الذي نصير

(١) إرشاد القلوب للدلمي ج ٢ ص ٢٠١.

(٢) يأتي ذكر مصادر هذه كلها إن شاء الله تعالى.

(٣) ج ٢ ص ٥٣٧، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣، وهامشها سيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٢٦٥.

إليه، وإن فقدناك لتظلمن أرضنا وسماؤنا، ولكن والله لو خلّيت معاوية للمكر ليرومن مصر، وليفسدن اليمن، وليطمعن في العراق، ومعه قوم يمانيون قد أشربوا قتل عثمان، وقد اكتفوا بالظن عن العلم، وبالشك عن اليقين، وبالهوى عن الخير، فسر بأهل الحجاز وأهل العراق ثم أرمه بأمر يضيق فيه خناقه، ويقصر له من نفسه. فقال: أحسنت والله يا قيس وأجملت^(١).

فأرسله عليّ عليه السلام، مع ولده الحسن الزكيّ، وعمّار بن ياسر إلى الكوفة، ودعوا أهلها إلى نصرته فخطب الحسن عليه السلام، هناك وعمّار وبعدهما قام قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى، لكان عليّ أحقّ الناس به في سابقته وهجرته وعلمه، وكان قتل من أبي ذلك حلالاً وكيف؟ والحجة قامت على طلحة، والزبير وقد بايعاه وخلعاه حسداً. فقام خطبائهم وأسرعوا إلى الردّ بالإجابة فقال النجاشي:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا	عليّاً وأبناء النبيّ محمّد
وقلنا له: أهلاً وسهلاً ومرحباً	نقبّل يديه من هوى وتودّد
فمرنا بما ترضى نجيبك إلى الرضى	بصمّ العوالي والصفيح المهند ^(٢)
وتسويد من سوّدت غير مدافع	وإن كان من سوّدت غير مسودّ
فإن نلت ما تهوى فذاك نريده	وإن تخط ما تهوى فغير تعمّد

وقال قيس بن سعد حين أجاب أهل الكوفة:

جزى الله أهل الكوفة اليوم نصرة	أجابوا ولم يابوا بخذلان من خذل
وقالوا: عليّ خير حافٍ وناعل	رضينا به من ناقضي العهد من بدل
هما أبرزوا زوج النبيّ تعمّداً	يسوق بها الحادي المنيع على جمل

(١) أمالي شيخ الطائفة، ص ٨٥.

(٢) صم الرجل بحجر: ضربه به. السيف المصمم: الماضي. العوالي ج العالية: ما يلي السنان من القناة. ويطلق على الرمح. الصفيح ج الصفيحة. السيف العريض. هند السيف: أحد.

فما هكذا كانت وصاة نبيكم وما هكذا الإنصاف أعظم بذا المثل
فهل بعد هذا من مقال لقائل؟ ألا قبَّح الله الأمانى والعلل

هذا لفظ شيخ الطائفة في أمالي ولده ص ٨٧ و ٩٤، ورواه شيخنا المفيد في (النصرة لسيد العترة) ونسب الأبيات الدالية إلى قيس بن سعد، بتغيير وزيادة وهذا لفظه: فلما قدم الحسن عليه السلام، وعمار، وقيس الكوفة مستنفرين لأهلها (إلى أن قال): ثم قام قيس بن سعد رحمه الله فقال: أيها الناس إن هذا الأمر لو استقبلناه فيه شورى لكان أمير المؤمنين أحق الناس به لمكانه من رسول الله، وكان قتال من أبي ذلك حلالاً، فكيف في الحجة على طلحة والزبير؟ وقد بايعاه طوعاً ثم خلعاه حسداً وبغياً، وقد جاءكم علي في المهاجرين والأنصار، ثم أنشأ يقول:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا	علياً وأبناء الرسول محمد
وقلنا لهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً	نمدُّ يدينا من هوى وتودد
فما للزبير الناقض العهد حرمة	ولا لأخيه طلحة اليوم من يد
أناكم سليل المصطفى ووصيه	وأنتم بحمد الله عار من الهد ^(١)
فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغا	وصم العوالي والصفيح المهند
يسود من أدناه غير مدافع	وإن كان ما نقضيه غير مسود
فإن يأتي ما نهوى فذاك نريده	وإن نخط ما نهوى فغير تعمّد

وكان يسير في تلك المواقف بكل عظمة وجلال بهيئة فخمة، تُرهب القلوب، وتُرعب الفوارس، وتُرعد الفرائص، قال المنذر بن الجارود يصف مواكب المجاهدين مع أمير المؤمنين وقد رأهم في الزاوية^(٢): ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض، وقلنسوة بيضاء، وعمامة صفراء، متنكب قوساً، متقلد سيفاً تخط رجلاه في الأرض، في ألف من الناس، الغالب على

(١) الهد: الضعيف والجبان.

(٢) موضع قرب البصرة، وقرية بين واسط والبصرة على شاطئ دجلة.

تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبناءهم وغيرهم من قحطان. «مروج الذهب ج ٢ ص ٨».

ولما أراد أمير المؤمنين، المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد: فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق؛ مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم.

فقام قيس بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنكمش^(١) بنا إلى عدونا، ولا تعرج^(٢) فوالله لجهادهم أحب إلي من جهاد الترك والروم لأدهانهم في دين الله، واستذلّ لهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار، والتابعين بالإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه، وفيأنا لهم في أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين. قال: يعني رقيق «كتاب صفين ص ٥٠».

قال صعصعة بن صوحان: لما عقد علي بن أبي طالب الألوية لأجل حرب صفين أخرج لواء رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ير ذلك اللواء منذ قبض رسول الله، فعقده علي ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفع إليه واجتمعت الأنصار وأهل بدر، فلما نظروا إلى لواء رسول الله صلى الله عليه وآله بكوا فأنشأ قيس بن سعد يقول:

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرهم أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى يفتح البلد

(١) انكمش الرجل: أسرع.

(٢) من عرج: وقف ولبث.

ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٢٤٥ ، وابن عبد البر في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٥٣٩ ، وابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٤ ص ٢١٦ ، والخوارزمي في «المناقب» ص ١٢٢ (١).

ولما تعاظمت الأمور على معاوية دعاعمر بن العاص ، وبُسر بن أرطاة ، وعبيدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقال لهم : إنه قد غمّني رجال من أصحاب عليّ منهم : سعيد بن قيس في همدان ، والأشتر في قومه ، والمرقال (هاشم بن عتبة) ، وعديّ بن حاتم ، وقيس بن سعد في الأنصار ، وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها حتى لقد استحيت لكم وأنتم عُدّتم من قريش ، وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غنا ، وقد عبأت لكل رجل منهم رجلاً منكم فاجعلوا ذلك إليّ . فقالوا : ذلك إليك . قال : فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً . وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة : المرقال . وأنت يا بُسر لقيس بن سعد . وأنت يا عبيدالله للأشتر النخعي . وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيّ يعني : عديّ بن حاتم . ثم ليرد كل رجل منكم عن حماة الخيل فجعلها نواب في خمسة أيام لكل رجل منهم يوماً .

وإن بُسر بن أرطاة ، غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في حماة الأنصار فاشتدت الحرب بينهما وبرز قيس كأنه فنيق (٢) مكرم (٣) وهو يقول :

أنا ابن سعد زانه عباده	والخزرجيون رجال ساده
ليس فراري بالوغا بعاده	إن الفرار للفتى قلاده
يا رب أنت لقي الشهادة (٤)	والقتل خير من عناق غاده

حتى متى تُثنى لي الوساده

(١) ذكر الأبيات له شيخنا المفيد في يوم الجمل وهو في غير محله .

(٢) فنيق كشريف : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته .

(٣) أكرم الفحل : ترك عن الركوب والعمل للفحلة .

(٤) في مناقب ابن شهر آشوب : يا ذا الجلال لقي الشهادة .

فطعن خيل بُسر وبرز له بعد مليّ وهو يقول:

أنا ابن أرطاة عظيم القدر مراود في غالب بن فهر
ليس الفرار من طباع بُسر إن يرجع اليوم بغير وتر
وقد قضيت في عدوي نذري يا ليت شعري ما بقي من عمري

وجعل يطعن بُسر قيساً فيضربه قيس فيردّه على عقبه، ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل (كتاب صفين ص ٢٢٦).

وروى نصر في كتابه ص ٢٢٧ - ٢٤٠: إن معاوية دعا النعمان بن بشر بن سعد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال: يا هذان؟ لقد غمّني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى والله جبنوا أصحابي الشجاع والجبان، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا: قتلت الأنصار، أما والله لألقينهم بحدي وحديدي، ولأعيبن لكل فارس منهم فارساً ينشب^(١) في حلقه، ثم لأرمينهم بأعدادهم من قريش رجالاً لم يغذهم التمر والطفيشل^(٢) يقولون: نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم.

فغضب النعمان فقال: يا معاوية، لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب، فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية، فأما دعائهم إلى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما لقاءك إياهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفاً، فافعل، وأما التمر والطفيشل فإن التمر كان لنا فلما أن ذقتموه شاركتموننا فيه، وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على سخينة^(٣) ثم تكلم مسلمة بن مخلد (إلى أن قال):

(١) نشب الشيء في الشيء: علق فيه.

(٢) كسميدع: نوع من المرق.

(٣) طعام يتخذ من دقيق وسمن كانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها وسميت: قريش السخينة.

وانتهى الكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار ثم قام خطيباً فيهم فقال: إن معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن عظمت معاوية اليوم لقد عظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه، فجدّوا اليوم جدّاً تنسونه به ما كان أمس، وجدّوا غداً جدّاً تنسونه به ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يُقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب، وأما التمر فإننا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه، وأما الطُفَيْشَل فلو كان طعامنا لَسُمِّينا به كما سُمِّيت: قريش السخينة. ثم قال قيس بن سعد في ذلك:

يا بن هند: دع التوثب في الحرب	إذا نحن في البلاد نأيننا ^(١)
نحن من قد رأيت فادن إذا	شئت بمن شئت في العجاج إلينا
إن برزنا بالجمع نلقك في الجمع	وإن شئت محضة أسرينا
فالقنا في الليف نلقك في الخزرج	تدعو في حربنا أبويننا
أي هذين ما أردت فخذ،	ليس منا وليس منك الهويننا
ثم لا يُنزع العجاجة حتى	تنجلي حوبنا لنا أو علينا
ليت ما تطلب العداة أتانا	أنعم الله بالشهادة عينا
إننا إننا الذين إذا الفتح	شهدنا وخبيراً وحنينا
بعد بدرٍ وتلك قاصمة الظهر	وأحد وبالنضير ثنينا
يوم الأحزاب قد علم الناس	شفينا من قبلكم واشتفينا

فلما بلغ معاوية شعره، دعا عمرو بن العاص فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟ قال: أرى أن توعد ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمهم ذم أبدانهم ولا تدم أحسابهم قال معاوية: إن خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسنا عنا حابس القيل، فما الرأي؟ قال: الرأي: التوكل والصبر.

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٩٧ ستة من هذه الأبيات مع اختلاف فيها.

فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار فعائبهم، منهم: عقبة بن عمرو، وأبو مسعود والبراء بن عازب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعمرو بن عمرو، والحجاج بن عزية. وكانوا هؤلاء يُلقون في تلك الحرب فبعث معاوية بقوله: لتأتوا قيس بن سعد. فمشوا بأجمعهم إلى قيس فقالوا: إن معاوية لا يريد شتمنا فكف عن شتمه فقال: إن مثلي لا يشتم ولكني لا أكف عن حربه حتى ألقى الله. وتحركت الخيل غدوة فظن قيس بن سعد أن فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فقتعه بالسيف فإذا غير معاوية، وحمل الثانية على رجل يشبهه أيضاً فضربه ثم انصرف وهو يقول:

قولوا لهذا الشامي معاوية إن كلما أوعدت ريح هاوية
خوفتنا لكلب قوم عاوية إلي بابن الخاطئين الماضيه
ترقل إرقال العجوز الخاوية^(١) في أثر الساري ليال الشاتيه

فقال معاوية: يا أهل الشام، إذا لقيتم هذا الرجل فأخبروه بمساويه (فلما تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتماً قبيحاً وشتم الأنصار)^(٢) فغضب النعمان ومسلمة على معاوية، فأرضاهما بعدما هما أن ينصرفا إلى قومهما.

ثم إن معاوية، سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السلم، فخرج النعمان حتى وقف بين الصفيين فقال يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا ابن بشير؟ فما حاجتك؟ فقال النعمان: يا قيس، إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه، أستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار؟ وقتلتم أنصاره يوم الجمل؟ وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم علياً لكان واحدة بواحدة، ولكنكم خذلتهم حقاً ونصرتهم باطلاً، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم

(١) أرقل: أسرع. الخاوية: الساقطة.

(٢) هذه الجملة من لفظ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

في الحرب، ودعوتهم إلى البراز، ثم لم ينزل بعليّ أمر^(١) قط إلا هونتم عليه المصيبة، ووعدتموه الظفر، وقد أخذت الحرب منا وعنكم ما قد رأيتم فاتقوا الله في البقية.

فضحك قيس ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجتري على هذه المقالة، أنه لا ينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاش الضال المضل. أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ مني واحدة: قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك، أما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. وأما معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار. وأما قولك: إنا لسنا كالناس فنحن في هذا الحرب كما كنا مع رسول الله نتقي السيوف بوجوهنا، والرماح بنحورنا، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان، هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحك؟ ولستما والله ببدرين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الإسلام، ولا آية في القرآن^(٢) ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك. ثم قال قيس في ذلك:

والراقصات بكل أشعث أغبر	خوص العيون تحثها الركبان
ما ابن المخلد ناسياً أسيفنا	عمن نحاربه ولا النعمان
تركا العيان وفي العيان كفاية	لو كان ينفع صاحبيه عيان

ثم إن علياً عليه السلام، دعا قيس بن سعد فأثنى عليه خيراً وسوّده على الأنصار^(٣) وخرج قيس في نهروان إلى الخوارج فقال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، والشرك

(١) في شرح النهج: خطب.

(٢) وإلى هنا رواه ابن قتيبة أيضاً في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٤.

(٣) إلى هنا تنتهي رواية نصر بن مزاحم في كتاب صفين.

ظلمٌ عظيم، تسفكون دماء المسلمين، وتعدّونهم مشركين. فقال له عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحقُّ قد أضياء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال قيس: ما نعلمه فينا غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم، قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فإنني لا أرى الفتنة إلا وقد غلبت عليكم^(١).

أما موقفه بعد العهدين فكان مع الإمام السبط المجتبي سلام الله عليه ولما وجّه عسكره إلى قتال أهل الشام دعا عليه السلام عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب فقال له: يا بن عمّ؟ إنني باعثُ إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء مضر، الرجل منهم يريد الكتيبة، فسير بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدّهم في مجلسك، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين، وسير بهم على شطّ الفرات حتى تقطع بهم الفرات حتى تسير بمسكن^(٢). ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى أتيك فإنني على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين يعني: قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله، وإن أصبت فقيس بن سعد، وإن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس. فسار عبيدالله....

فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها: الحيوضة (بمسكن) وأقبل عبيدالله بن عباس، حتى نزل بإزائه فلما كان من غدٍ وجّه معاوية بخيل إلى عبيدالله فيمن معه فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيدالله بن عباس أن الحسن قد أرسلني في الصلح، وهو مسلمٌ الأمر إليّ فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتي الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، أعجل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الأخر، فأقبل عبيدالله إليه ليلاً فدخل عسكر معاوية،

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٧، كامل اس الأثير ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) فتوح الميم ثم السكون ثم الكسر: موضع قريب من أوانا ناحية دجيل بيه وبين بغداد عدة فراسخ من جهة تكريت.

فوفى له بما وعده، وأصبح الناس ينتظرون عبيدالله أن يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيدالله فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة وقالوا له: انهض بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم وخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق: ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين: إمّا القتال مع غير إمام، وإمّا أن تبايعوا بيعة ضلال. فقالوا: بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافهم، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويؤمنه فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح. (شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٤).

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩١: إنه وبّجه الحسن عليه السلام بعبيدالله بن العباس في إثني عشر ألفاً لقتال معاوية، ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وأمر عبيدالله، أن يعمل بأمر قيس ورأيه فسار إلى ناحية الجزيرة وأقبل معاوية لما انتهى إليه الخبر بقتل عليّ فسار إلى الموصل بعد قتل عليّ بثمانية عشر يوماً، والتقى العسكران فوجّه معاوية إلى قيس بن سعد: يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه، فأرسل إليه بالمال وقال: تخذعني عن ديني؟

فيقال: إنه أرسل إلى عبيدالله بن عباس، وجعل له ألف ألف درهم فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس على محاربتة، وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدّث: أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ووجه إلى عسكر قيس من يتحدّث: أن الحسن قد صالح معاوية وأجابته.

وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٢٢٥ عن عروة قال: كان قيس مع الحسن بن عليّ على مقدّمته ومعه خمسة آلاف قد حلّقوا رؤوسهم بعدما مات عليّ وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل وقال لأصحابه: ما شئتم؟ إن شئتم جادلت بكم حتى يموت الأعجل منا، وإن شئتم

أخذت لكم أماناً؟ فقالوا: خذ لنا أماناً، فأخذ لهم أن لهم كذا وكذا، وأن لا يعاقبوا بشيء وأنه رجلٌ منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئاً. (ثم ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه).

حديث جوده

لا يسعنا بسط المقال في أخبار (قيس) من هذه الناحية لكثرتها، غير أنانورد لك شيئاً من ذلك الكثير الطيب، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق^(١) وكانت هذه الخلّة من هذا البيت على عنق الدهر «أي قديماً» وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الجود من شيمة أهل ذلك البيت^(٢).

باع قيس مالاً من معاوية بتسعين ألفاً فأمر منادياً فنادى في المدينة: من أراد القرض فليأت منزل سعد فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على من أقر له صكاً فمرض مرضاً قلّ عواده فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة اخت أبي بكر: يا قريبة! لِمَ ترين قلّ عُوادي؟ قالت للذي لك عليهم من الدين. فأرسل إلى كل رجل بصكه المكتوب عليه فوهبه ما له عليهم^(٣).

قال جابر: خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد ونحر لهم تسع ركائب فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له من أمر قيس فقال: إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت، ولما ارتحل من العراق نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كل يوم جزوراً حتى بلغ^(٤).

روى عبدالله بن المبارك، عن جوية قال: كتب معاوية إلى مروان: أن اشتر دار كثير بن الصلت منه فأبى عليه فكتب معاوية إلى مروان: أن خذه بالمال الذي عليه، فإن جاء به وإلا بع عليه داره، فأرسل إليه مروان فأخبره قال: إني

(١) مثل يضرب: أي حسبك بالقليل من الكثير.

(٢) الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١ ص ١٧٧، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٦٩.

(٤) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٥، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٤.

أوجلك ثلاثاً فإن جئت بالمال وإلا بعت عليك دارك. قال: فجمعها إلا ثلاثين ألفاً فقال: من لي بها؟ ثم ذكر قيس بن سعد فأتاه فطلبها منه فأقرضه فجاء بها إلى مروان فلما رآه قد جاء بها ردها إليه ورد عليه داره، فرد كثير الثلاثين ألفاً على قيس فأبى أن يقبلها^(١).

روى المبرد في كامله ج ١ ص ٣٠٩: أن عجوزاً شكت إلى قيس أن ليس في بيتها جرد فقال: ما أحسن ما سألت، أما والله لأكثرن جردان بيتك. فملاً بيتها طعاماً وودكاً وإداماً، وقال ابن عبد البر: هذه القصة مشهورة صحيحة.

في كامل المبرد ج ١ ص ٣٠٩: إنه توفي أبوه عن حمل لم يعلم به، فلما وُلد وقد كان سعد رضي الله عنه قسم ماله في حين خروجه من المدينة بين أولاده، فكلّم أبو بكر وعمر في ذلك قيساً وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة فقال: نصيبي للمولود ولا أُغير ما صنع أبي ولا أنقضه. وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٥٢٥ وقال: صحيح من رواية الثقات.

ومن مشهور أخبار قيس: أنه كان له مالٌ كثيرٌ ديوناً على الناس فمرض واستبطاً عواده فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من العيادة. فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس عليه مالٌ فهو في حل. فأتاه الناس حتى هدموا درجةً كانوا يصعدون عليها إليه، وفي لفظ: فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد^(٢).

كان قيس في سرية فيها أبو بكر وعمر فكان يستدين ويطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه فمشيا في الناس فلما سمع سعد قام خلف النبي فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة، وابن الخطاب يبخلان عليّ ابني. «اسد الغابة» ج ٤ ص ٤١٥.

وفي لفظ: كان قيس مع أبي بكر، وعمر في سفر في حياة رسول الله ﷺ

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٥، الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٦، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠.

فكان يُنفق عليهما وعلى غيرهما، ويفضل فقال له أبو بكر: إن هذا لا يقوم به مال أبيك فأمسك يدك. فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبي بكر: أردت أن تبخل ابني، إنا لقوم لا نستطيع البخل^(١).

حكى ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٩٩: إنه كانت لقيس صحيفة يُدار بها حيث داروا كان ينادي له مناد: هلموا اللحم، والثريد. وكان أبوه، وجدّه، من قبله يفعلان كفعله.

قال الهيثم بن عدي: اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم فقال أحدهم: عبدالله بن جعفر. وقال الآخر: قيس بن سعد. وقال الآخر: عُرابة الأوسي. فتماروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة، فقال لهم رجل: فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره، فليُنظر ما يعطيه وليحكم على العيان. فذهب صاحب عبدالله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الغرز^(٢) ليذهب إلى ضيعة له، فقال له: يا ابن عمّ رسول الله! ابن سبيل ومنقطع به. قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو عليها، فهي لك بما عليها، وخذ ما في الحقيبة^(٣) ولا تخذعن في السيف فإنه من سيوف عليّ، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار، ومطارف من خنزٍ وغير ذلك، وأجل ذلك سيف عليّ بن أبي طالب. ومضى صاحب قيس إليه فوجده نائماً، فقالت له الجارية: ما حاجتك إليه؟ قال ابن سبيل ومنقطع به. قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس مال غيره اليوم، واذهب إلى مولانا في معادن الإبل فخذ لك ناقةً وعبداً، واذهب راشداً. فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت، فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك وقال: هلاً أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً، فلعلّ الذي أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته. وذهب صاحب عُرابة

(١) الدرجات الرفيعة نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن سعيد الثقفى.

(٢) الغرز بالفتح ثم السكون: ركاب من جلد.

(٣) الحقيبة بفتح المهملة: ما يحمل على الفرس خلف الراكب.

الأوسي إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبيد له - وكان قد كف بصره - فقال له: يا عرابة! فقال: قل. فقال: ابن سبيل ومنقطع به. قال: فخلي عن العبيد ثم صفق يديه باليمنى على اليسرى ثم قال: أوه أوه والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً ولكن خذ هذين العبيد. قال: ما كنت لأفعل. فقال: إن لم تأخذهما فهما حران، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ. وأقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه. قال فحكّم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم وأن ذلك ليس بمستنكر له، إلا أن السيف أجله. وإن قيساً أحد الأجواد حكمت مملوكته في ماله بغير علمه، واستحسن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي، لأنه جاد بجميع ما يملكه، وذلك جهد من مقل. « البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠ ».

حديث خطابته

إنّ تقدّم سيّد الأنصار في المعالم الدينيّة، وتضلّعه في علمي الكتاب والسنة، وعرفانه بمعاريف القول، ومخاريق القيل، وسقطات الرأي، وتحليه بما يحتاج إليه مداره الكلام ومشيحة الخطابة من العلم الكثار، والأدب الجمّ، وربط الجاش، وقوة العارضة، وحسن التقرير، وجودة السرد، وبلاغة المنطق، وطلاقة اللسان، ومعرفة مناهج الحجاج والمناظرة، وأساليب إلقاء المحاضرة، كلّها براهين واضحة على حظه الوافر وقسطه البالغ من هذه الخلة، وأنه أعلى الناس ذافوق^(١) على أن فيما مرّ وما يأتي من كلمه وخطبه خبراً يصدّق الخبر، وشاهد صدق على أنه أحد أمراء الكلام كما كان في مقدّم أمراء السيف، فهو خطيب الأنصار المفوّه، واللسن الفذّ من الخزرج، ومتكلّم الشيعة الأكبر، ولسان العترة الطاهرة الناطق، والمجاهد الوحيد دون مبدئه المقدّس بالسيف والنسان، أخطب من سحبان وائل، وأنطق من قسّ الأيادي، وأصدق في مقاله من قطة^(٢).

(١) مثل يضرب: أي أعلى الناس سهماً. (٢) أصدق من قطة. مثل مشهور.

وناهيك بقول معاوية بن أبي سفيان لقومه يوم صفين: إن خطيب الأنصار قيس بن سعد، يقوم كل يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسنا عنّا حابس القيل (مرص ١٠٣) وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام له عند بعض مقاله كما مرّ ص ٩٧: أحسنت والله يا قيس وأجملت، لغنى وكفاية عن أيّ إطراء وثناءٍ عليه.

حديث زهده

لا نحاول في البحث عن هذه النواحي في أيّ من التراجم سرد تاريخ أمة غابرة، أو ذكريات أمثال الأمة أو حثالتها في القرون الخالية فحسب، بل إنما نخوض فيها بما فيها من عظات دينية، وفلسفة أخلاقية، وجحّم عملية، ومعالم روحية، ومصالح اجتماعية، ودستور في مناهج السير إلى المولى سبحانه، وبرنامج في إصلاح النفس، ودروس في التحلي بمكارم الأخلاق التي بُعث لإتمامها نبي الإسلام.

وهناك نماذج من نفسيات شيعة العترة الطاهرة وما لهم دون مناوئتهم من خلاق من المكارم والفضائل والقداسة والنزاهة يحقّ بذلك كله أن يكون كل من نظراء قيس قدوة للبشر في السلوك إلى المولى، وقادة للخلق في تهذيب النفس، ومؤدّباً للأمة بالخلاتق الكريمة، ومُصلحاً للمجتمع بالنفسيات الراقية، والروحيات السليمة، فلن تجد فيهم جُرفٌ منهل، ولا سحبٌ مُنجال^(١).

ففي وسع الباحث أن يستخرج من تاريخ تلكم النفوس القدسية من قيس ومن يصادفه في المبدء الديني، ومن ترجمة من يصادهم في التشيع بآل الله من عمرو بن العاص ومن يُشاكله، حقيقةً راهنةً دينيةً أثنى وأغلى من معرفة حقائق الرجال، والوقوف على تاريخ الأجيال الماضية، ويمكنه أن يقف بذلك على غاية كل من الحزبين (العلويّ والأمويّ) مهما يكن القارىء شريف النفس، حرّاً في تفكيره، غير مقلّد ولا أئمة، مهما حداه التوفيق إلى اتباع الحق، والحق أحقُّ

(١) مثل يضرب. جرف منهل: أي لا حزم عنده ولا عقل. سحب منجال: أي لا يطمع في خيره.

أن يُتبع، غير ناكبٍ عن الطريقة المثلى في البخوع للحقائق، والجنوح إليها.

فخذ قيس بن سعد، وعمرو بن العاص مثلاً من الفريقين وقس بينهما، وضع يدك على أي مآثرة تحاوله من طهارة مولد، وإسلام، وعقل، وحزم، وعفة، وحياء، وشمم، وإباء، ومنعة، وبذخ، وصدق، ووفاء، ووقار، ورزاق، ومجد، ونجدة، وشجاعة، وكرم، وقدااسة، وزهد، وسداد، ورشد، وعدل، وثبات في الدين، وورع عن محارم الله، إلى مآثر أخرى لا تُحصى؛ تجد الأول منهما حامل عبء كل منها بحيث لو تجسّم أي من تلك الصفات ليكون هو مثاله وصورته. وهل ترى الثاني كذلك؟ اللهم لا. بل كل منها في ذاته محكومٌ بالسلب؛ أضف إلى مخازن في المولد والمحتد والدين والفروسية والأخلاق والنفسيات كلها، وسنلمسك كل هذه بيدك عن قريب إن شاء الله تعالى.

عندئذ يعرف المنقّب نفسيّة كل من إمامي الحزبين (إذ الناس على دين ملوكهم) ويكون على بصيرة من أمرهما، وحقيقة دعوة أي منهما، وتكون أمثلتهما نصب عينيه، إن لم يتبع الهوى، ولا تضلّه تعمية من يروقه جهل الأمة الإسلامية بالحقائق بقوله في مقاتلي أمير المؤمنين والخارجين عليه: إنهم كانوا مجتهدين مخطئين ولهم أجرٌ واحدٌ، أو بقوله: الصحابة كلهم عدول. وإن فعل أحدهم ما فعل وجنت يدها ما جنت، وخرج عن طاعة الإمام العادل، وسن لعنه وسبّه وحاربه وقاتله وقتله.

فالناظر إلى هذه التراجم بعين النصفة إذا أمعن فيها بما فيها من المغازي المذكورة يعتقد بأن^(١) أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ هُدي وهُدَى فأقام سنّة معلومة وأمات بدعةً مجهولة وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شرّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ضلّ وأضلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعةً متروكة، وصدق بقول النبي الطاهر: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر

(١) من هنا إلى آخر الكلمة لمولانا أمير المؤمنين إلا كلمتي صدق والطاهر.

وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحي، ثم يرتبط في قعرها.

لعلَّ الباحث لا يمرُّ على شيء من نُحُطِّبِ سَيِّدِ الْخَزْرَجِ وكتبه وكلمه ومحاضراته إلاَّ ويجده طافحاً بقداسة جانبه عن كلِّ ما يلوِّث ويدنِّس من أتباع الهوى، وبزهادته عن حطام الدنيا، مُعرباً عن ورعه عن محارم الله وخشونته في ذات ربِّه، وتعظيمه شعائر الدين، وقيامه بحقِّ النبيِّ الأعظم، ورعايته في أهل بيته وذويه بكلِّ حول وطول، وبذل النفس والنفيس دون كلائة دينه وإعلاء كلمة الحقِّ، وإرحاض معرَّة الباطل، وإصلاح الفاسد، وكسر شوكة المعتدين، وبعد اليأس عن صلاح أمته، والعجز عن الدعوة إلى الحقِّ، لزم عقر داره بالمدينة المشرفة بقية حياته، وأقبل على العبادة حتى أدركه أجله المحتوم كما ذكره ابن عبد البرِّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٤.

وأوفى كلمة في زهده وعبادته، ما قاله المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣ قال: كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى عليٍّ بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه لله وطاعته إياه أنه كان يُصلي فلما أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبانٌ عظيمٌ مطرُقٌ، فمال على الثعبان برأسه وسجد إلى جانبه، فتطوَّق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته، ولا نقص منها شيئاً حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به. كذلك ذكر الحسن بن علي بن المغيرة، عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن (الإمام) عليٍّ بن موسى الرضا عليه السلام. اهـ. والحديث الرضويُّ هذا رواه الكشي بإسناده عنه عليه السلام في رجاله ص ٦٣.

وكان ذلك الخشوع والإقبال إلى الله في العبادة، وإفراغ القلب بكِّله إلى الصلاة من وصايا والده الطاهر له قال: يا بُنيُّ اوصيك بوصية فاحفظها فإذا أنت ضيعتها فانت لغيرها من الأمر أضيع، إذا توضأت فاتمِّ الوضوء، ثم صلِّ صلاة امرئٍ مودِّع يرى أنه لا يعود، وأظهر اليأس من الناس فإنه غني، وإيَّاك وطلب الحوائج إليهم فإنه فقرٌ حاضرٌ، وإيَّاك وكلِّ شيء تعتذر منه (تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠).

وكان من دعاء سيّدنا المترجم كما في «الدرجات الرفيعة» «وتاريخ الخطيب» وغيرهما قوله: اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لاحمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال. اللهم وسّع عليّ، فإن القليل لا يسعني ولا أسعه. وفي البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠: كان قيس يقول: اللهم ارزقني مالاً وفعالاً، فإنه لا تصلح الفعّال إلا بالمال.

ومعلوم أن طلب المال غير مناف للزهادة فإن حقيقة الزهد أن لا يملكك المال لا أن لا تملك المال.

حديث فضله

إنّ خطابات (قيس) وكتابه ومحاضراته ومقالاته الماثورة في طيات الكتب ومعجم السير، شواهد صادقة على تضلّعه في المعارف الالهية، وأشواطه البعيدة في علمي الكتاب والسنة، وفي خدمته النبي الأعظم مدّة عشر سنين^(١) أو مدّة غير محدودة، وقد كان أبوه دفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله، ليخدمه كما في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ ومسامرته معه صلى الله عليه وآله سفرأ وحضراً طول عمره مع ما كان له من العقل والحزم والرأي السديد والشوق المؤكّد إلى تهذيب نفسه والولع التام إلى تكميل روحياته لغنى وكفاية عن أيّ ثناء على علمه المتدفّق، وفضله الكثار، وتقدمه في علمي الكتاب والسنة.

ومن المفضول أن نتعرض لإحصاء شواهد حسن تعليم النبي صلى الله عليه وآله إياه، وأنه كان يُجيد تربيته، ويُعلّمه معالم دينه، ويُفيض عليه من نعيم فضله، ويُلقّنه بما يحتاج إليه الإنسان الكامل من المعارف الدينية، وإنّ ملازمته لصاحب الرسالة وهو سيّد الخزرج وابن سادتها لم تكن خدمةً بسيطةً كما هو الشأن في الخدم والأتباع من الناس، وإنما هي كخدمة تلميذ لأستاذه للتعلم وأخذ المعارف الدينية، والاقْتباس من أنوار علمه، ومما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وآله كان يُعلّمه معالم دينه في كلّ حال يجده، وكان قيس يغتنم

(١) البداية ج ٨ ص ٩٩، الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

الفرص ويظهر الشوق إليه، وينم عن ذلك ما رواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ عن قيس قال: مرُّ بي النبي ﷺ وقد صلّيت وقال: ألا أدلك إلى باب من أبواب الجنة؟ قلت: نعم. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وسمعه بعد وفاة النبي ﷺ عن أمير المؤمنين باب مدينة العلم النبوي، وأخذه منه علمي الكتاب والسنة كما قاله لمعاوية في حديث يأتي لما جرت بينهما مناظرة واحتج قيس عليه بكل آية نزلت في عليّ وبكل حديث ورد في فضله حتى قال معاوية: يا بن سعد: عمّن أخذت هذا، وعمّن رويته؟ وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك؟ وعنه أخذته؟ قال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خير من أبي، وأعظم حقاً من أبي. قال: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام عالم الأمة وصديقها.

كلّ هذه آية محكمة تدلّ على اطلاعه الغزير في المعالم الدينية، وبرهنة واضحة تُثبت طول باعه في العلوم الإلهية، ومثل قيس إذا كان أخذه وسماعه وروايته عن مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ينحسر البيان عن استكناه فضله، ويقصر التعريف عن درك مداه.

ومن شواهد غزارة علمه إسلامه الراسخ، وإيمانه المستقر، وعرفانه بأولياء الأمر بعد نبيّه، وتهالكه في ولائهم، وتفانيه في نصرتهم إلى آخر نفس لفظه، وعدم اكترائه للومة أي لائم، وكان هناك قوم حناق عليه من أهل النفاق وحملة الحقد والضغينة يُعيرونه بولاء العترة الطاهرة، وعدم إيثاره على دينه عوامل النهم، وعدم تأثره ببواعث الفخفخة أو دواعي الجشع، وعدم انتظاره منهم في دولتهم لرتبة ولا راتب، وعدم إرادته منهم على ولائه جزاءً عاجلاً ولا شكوراً، ويشف عن ذلك ما وقع بينه وبين حسان بن ثابت لما عزله أمير المؤمنين عن ولاية مصر ورجع إلى المدينة فإنه حينما قدمها جاءه حسان شامتاً به وكان عثمانياً فقال له: نزعك عليّ بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر، فزجره قيس وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر، والله لولا

أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثم أخرجه من عنده^(١).
ولولا أن قيساً مستودع العلوم والمعارف، ومستقى معالم الدين، ومعقد
جمان الفضيلة، كما كانت له الشهرة الطائلة في الدهاء والحزم، لَمَا ولّاه أمير
المؤمنين عليه السلام مصر لإدارة شئونها الدينية، والمدنية، كما فوض إليه إقامة
امورها السياسية والإدارية والعسكرية، ولما كتب إليه بما مرّ ص ٩٢ من كلامه
عليه السلام: وَعَلِمَ مَنْ قَبْلَكَ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّ عَامِلَ الْخَلِيفَةِ هُوَ مَرْجِعُ تَلْكَمِ
الشُّونِ كُلِّهَا فِي الْوَسْطِ الَّذِي اسْتَعْمَلَ بِهِ، وَمِثْلُ أُمَّتِهِ فِي كُلِّ مَشْكَلَةٍ دِينِيَّةٍ: كَمَا
أَنَّ لَهُ إِمَامَةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمَا كَانَ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مُتَدَحٍّ عَنْ اسْتِعْمَالِ مَنْ لَهُ
الكفاية لذلك كله.

قال الماوردي في (الأحكام السلطانية) ص ٢٤: وإذا قلّد الخليفة أميراً
على إقليم أو بلد كانت إمارته على ضربين: عامة وخاصة. فأما العامة على
ضربين: إمارة إستكفاء بعقدٍ عن إختيار، وإمارة استيلاء بعقدٍ عن اضطرار، فأما
إمارة الإستكفاء التي تنعقد عن اختياره، فتشمل على عمل محدود، ونظر
معهود، والتقليد فيها أن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع
أهله، ونظراً في المعهود من سائر أعماله فيصير عامّ النظر فيما كان محدوداً من
عمل، ومعهوداً من نظر، فيشتمل نظره فيه على سبعة أمور:

١ - النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم إلا أن
يكون الخليفة قدّرها فيدّرها عليهم.

٢ - النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

٣ - جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق
منهما.

٤ - حماية الدين والذبّ عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥.

٥ - إقامة الحدود في حق الله وحقوق الأدميين .

٦ - الجُمع والجماعات حتى يؤمُّ بها أو يستخلف عليها .

٧ - تسيير الحجيج من عمله .

فإن كان هذا الإقليم ثغراً متاخماً للعدو اقترن بها ثامنٌ وهو: جهاد مَنْ يليه من الأعداء، وقسم غنائمهم في المقاتلة، وأخذ خمسها لأهل الخمس، وتعتبر في هذه الإمارة الشروط المعتمدة في وزارة التفويض .

وقال في ص ٢٠ : يُعتبر في تقليد وزارة التفويض شروط الإمامة إلا النسب . وذكر الشروط المعتمدة في الإمامة ص ٤ وقال : إنها سبعة .

١ - العدالة على شروطها الجامعة .

٢ - العلم المؤدي إلى الإجتهد في النوازل والأحكام .

٣ - سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان .

٤ - سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة .

٥ - الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح .

٦ - الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو .

٧ - النسب وهو أن يكون من قريش .

إذا عرفت معنى التقليد بالولاية على المسلمين ومغزاها، ووقفت على الامور الثمانية التي ينظر إليها كل أمير بالإستكفاء بعقد عن اختيار كأمير الإسلام الكبير (قيس بن سعد) واطلعت على ما يُعتبر فيها من الشروط الستة المعتمدة في الإمامة ووزارة التفويض، فحدثت عن فضل قيس ولا حرج .

كلمتنا الأخيرة عن قيس

إنه من عمد الدين وأركان المذهب .

لعلك بعد ما تلوناه عليك من فضائل المترجم له وفواضله، وعلومه ومعارفه، وحزمه وسداده، وصلاحه وإصلاحه، وتهالكه في نصرة إمامه الطاهر، وإقامته علم الدين منذ عهد النبوة وعلى العهد العلوي الناصع، وثباته عند تخاذل الأيدي وتدابير النفوس على العهد الحسيني، ومصارحته بكلمة الحق في كل محتشد إلى آخر حياته، وعدم إنخداعه ببهرجة الباطل، وزبرجة الإلحاد السفيفاني؛ وثناء معاوية الطائل الهاطل عليه لخدعه عن دينه حينما بدل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه كما مرّ ص ١٠٦ إنك لا تشك بعد ذلك كله في أن قيساً من عمدة الدين، وأركان المذهب، وعظماء الأمة، ودعاة الحق، فدون مقامه الباذخ ما في المعاجم والكتب من جمل الثناء عليه مهما بالغوا فيها.

ولولا مثل قيس في آل سعد لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة. وما كان يقول في غزوة ذي قرد: اللهم ارحم سعداً وآل سعد، نعم المرء سعد بن عبادة. وما كان يقول لَمَّا أَكَلَ طَعَاماً فِي مَنْزِلِ سَعْدٍ: أَكَلْتُ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارَ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَمَا كَانَ يَقُولُ لِسَعْدٍ وَقَيْسٍ لَمَّا أَتِيَا بِزَامِلَةٍ تَحْمِلُ زَاداً يَوْمَ ضَلَّتْ زَامِلَةَ النَّبِيِّ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمَا يَا أَبَا ثَابِتٍ (١) أَبَشَرَ فَقَدْ أَفْلَحْتَ إِنَّ الْأَخْلَافَ بِيَدِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ مِنْهَا خَلْفاً صَالِحاً مَنَحَهُ، وَلَقَدْ مَنَحَكَ اللَّهُ خَلْفاً صَالِحاً (٢).

فليُنظر القارئ في قيس بن سعد إلى آثار رحمة الله، ومظاهر صلواته، ومجالي فضله، وما أثرت فيه تلك الدعوة النبوية وما ظهر فيه وفي آله من بركاتها وقد حقت به الصلوات والرحمة الإلهية. صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

(١) كنية سعد والد المترجم له.

(٢) توجد هذه الأحاديث في امتاع المقرئ ص ٢٦٣، ٥١٥، تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٨٢، ٨٨،

السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨.

ولقيس محاضرةً ومناظرةً مع الشيخين في قصة طوق خالد ذكرها أبو محمد الديلمي الحسن بن أبي الحسن في (إرشاد القلوب) ج ٢ ص ٢٠١، أفاضها بلسان ذلق، وإيمان مستقرّ وجنان ثابت نضرب عنها صفحاً تحريماً للإيجاز.

مشايخ قيس والرواة عنه

يروى سيّد الخزرج عن النبيّ صلى الله عليه وآله وصنوه الطاهر، وعن والده السعيد (سعد) كما في الإصابة وتهذيب التهذيب، ومن رواياته عن والده ما أخرجه الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنازدي الحنبليّ في كتاب «معالم العترة» مرفوعاً إلى قيس عن أبيه: إنّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول: أصابتنى يوم أحد ستّ عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ فجاء رجلٌ حسن الوجه طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال: أقبل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسوله وهما عنك راضيان. قال عليّ: فأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: يا عليّ! أقر الله عينك ذاك جبريل (كفاية الطالب ط مصر ص ٣٧، نور الأبصار ص ٨٧).

ويروى عن عبدالله بن حنظلة بن الراهب الأنصاري المقتول يوم الحرة سنة ٦٣ وكانت الأنصار قد بايعته يومئذ، ذكر روايته عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٩٣، وج ٥ ص ١٩٣ وج ٨ ص ٣٩٦.

ويروى عن سيّدنا قيس زرافات من الصحابة والتابعين، ذكر منهم في حلية الأولياء واسبغ الغابة ج ٤ ص ٢١٥، والإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٦:

١ - أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ - بكر بن سودة يروي عن قيس حديثاً في الملاحى كما في «السنن الكبرى» للبيهقي ج ١٠ ص ٢٢٢.

٣ - ثعلبة بن أبي مالك القرظي .

٤ - عامر بن شراحيل الشعبي المتوفى سنة ١٠٤ .

٥ - عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري خاصة أمير المؤمنين، وصاحب رايته يوم الجمل، ضربه الحجاج حتى اسودّ كتفاه على سبّ عليّ فما فعل، كان أصحاب رسول الله يسمعون لحديثه، وينصتون له، قال عبدالله بن حارث: ما ظننت أنّ النساء ولدن مثله. ووثقه ابن معين والعجلي وغيرهما توفى سنة ٦/٣/٢/٨١، ترجمه ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٦ وكثير من أرباب المعاجم.

٦ - عبدالله بن مالك الجيشاني المتوفى سنة ٧٧، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٥ ص ٣٨٠، وحكى عن جمع ثقته، وعن مرثد: كان أعبد أهل مصر، يروي عن أمير المؤمنين، وعمر، وأبي ذرّ ومعاذ بن جبل، وعقبة.

٧ - أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني.

٨ - أبو عمّار عريب بن حميد الهمداني. يروي عن أمير المؤمنين وحذيفة وعمّار وأبي ميسرة، وثقه أحمد وغيره، راجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٩١.

٩ - أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي المتوفى سنة ٦٣، أثنى عليه شيخنا الشهيد الثاني في درايته وقال: تابعي فاضل من أصحاب محمد بن مسعود. وترجمه ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ١١٤، وفي تهذيبه ج ٨ ص ٤٧ وقال: ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من العبّاد وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة.

١٠ - عمرو بن الوليد السهمي المصري المتوفى سنة ١٠٣ مولى عمرو بن العاص، يروي عن جمع من الصحابة منهم: المترجم له (قيس) كما في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ١١٦، ومن أحاديثه عنه حديث في الملاهي أخرجه من طريقه البيهقي في «السنن» ج ١٠ ص ٢٢٢

١١ - أبو نصر ميمون بن أبي شبيب الربيعي الكوفي المتوفى سنة ٨٣ ويُقال: الرقي. يروي عن أمير المؤمنين، وعمر، ومعاذ بن جبل، وأبي ذر،

والمقداد، وابن مسعود، ترجمه ابن حجر في تهذيبه.

١٢ - هُزِيل بن شرجيل الأزدي الكوفي. كما في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٤، والإصابة ج ٣ ص ٦٢٠.

١٣ - الوليد بن عبدة [بفتح الباء] مولى عمرو بن العاص، يروي عن المترجم له كما في تهذيب ابن حجر ج ١١ ص ١٤١، ولعله عمرو بن الوليد المذكور كما يظهر من كلام الدارقطني.

١٤ - أبو نجیح يسار الثقفي المكي المتوفى سنة ١٠٩، حكى ابن حجر في تهذيبه عن جمع ثقته، وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ عنه عن قيس عن النبي ﷺ قوله: لو كان العلم متعلقاً بالثريا لنالته ناسٌ من فارس. وأخرجه أبو بكر الشيرازي المتوفى سنة ٤٠٧ في «الألقاب» كما في «تبييض الصحيفة» ص ٤.

معاوية وقيس قبل وقعة صفين

ذكر غير واحد من رجال التاريخ في معاجمهم^(١): أنه لما قرب يوم صفين خاف معاوية على نفسه أن يأتيه عليٌّ بأهل العراق، وقيس بأهل مصر، فيقع بينهما ففكر في استدراج قيس، واختداعه فكتب إليه: أما بعد: فإنكم إن كنتم نقيتم على عثمان في أثره رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو في شتمه رجلاً، أو تسييره أحداً، أو في استعماله الفتیان من أهله، فقد علمتم أن دمه لم يحل لكم بذلك، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً إذا، فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً، فأما صاحبك فإننا استيقنا أنه الذي أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عظيم قومك فإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فبايعنا على

(١) ذكره الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٨٨، وابن الأثير في كامله ج ٣ ص ١٠٧، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣.

عليّ في أمرنا، ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرتُ ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسلني غير هذا ما تحبّ فكتب إليه قيس:

أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك، وفهمتُ الذي ذكرتَ من أمر عثمان، وذلك أمرٌ لم أقاربه، وذكرتُ أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان ودسّهم إليه حتى قتلوه وهذا أمرٌ لم أطلع عليه، وذكرتُ لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إن أولى الناس كان في أمره عشيرتي، وأما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدم عثمان وما عرضته عليّ فقد فهمته وهذا أمرٌ لي فيه نظرٌ وفكرٌ، وليس هذا ممّا يعجل إلى مثله، وأنا كافٌ عنك وليس يأتيك من قبلي شيءٌ تكرهه حتى ترى ونرى.

فكتب إليه معاوية:

أما بعد: فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً، ولم أرك تتباعد فأعدك حرباً، أراك كحبل الجزور، وليس مثلي يُصانع بالخداع، ولا يُخدع بالمكايد، ومعه عدد الرجال، ويده أعنة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وإن أنت لم تفعل ملأتُ عليك خيلاً ورجلاً، والسلام.

فكتب إليه قيس:

أما بعد: فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني - لأبأ غيرك - الخروج عن طاعة أولى الناس بالأمر، وأقولهم للحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمروني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول الله وسيلة، ولديك قومٌ ضالّون مضلّون، طاغوتٌ من طواغيت إبليس، وأما قولك: إنك تملأ عليّ مصر خيلاً ورجلاً فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جدّ، والسلام.

وفي لفظ الطبري: فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهمّ إليك، إنك لذو جدّ.

فلما آيس معاوية منه كتب إليه^(١):

أما بعد: فإنك يهودي ابن يهودي، إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك، واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وكان أبوك وتر قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحز، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، ثم مات طريداً بحوران والسلام.

فكتب إليه قيس:

أما بعد: فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، وقد كان أبي وتر قوسه، ورمى غرضه، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه، ولم يشقّ غبازه، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه. والسلام.

راجع كامل المبرد ج ١ ص ٣٠٩، البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٨، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٣، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢١٣، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢، مناقب الخوارزمي ص ١٧٣، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٥.

لفظ الجاحظ في كتاب التاج ص ١٠٩:

كتب قيس إلى معاوية: يا وثن ابن وثن! تكتب إليّ تدعوني إلى مفارقة عليّ بن أبي طالب، والدخول في طاعتك، وتخوفني بتفرّق أصحابه عنه، وإقبال الناس عليك وإجفالههم إليك، فوالله الذي لا إله غيره لو لم يبق له غيري، ولم يبق لي غيره، ما سالمتك أبداً وأنت حرب، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدوّ الله على وليه، ولا حزب الشيطان على حزب الله. والسلام.

(١) من هنا كلام الجاحظ في «البيان والتبيين» ج ٢ ص ٦٨ والكتب المذكورة توجد في تعليق البيان ج ٢ ص ٤٨.

كتاب مُفتعلٌ

فلما آيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره، شقَّ عليه ذلك، وثقل عليه مكانه، لما كان يعرف من حرمة وبأسه، ولم تنجع حيلة فيه تكاده من قبل عليّ فقال لأهل الشام: إن قيساً قد تابعكم فادعوا الله له ولا تسبوه ولا تدعوا إلى غزوه فإنه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرّاً ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل (خربتا) يجري عليهم عطاياهم وأرزاقهم ويحسن إليهم. واختلق كتاباً ونسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام وهو:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم . للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد: سلامٌ عليك، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنني لما نظرت لنفسي وديني فلم أرى سعي مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برّاً تقيّاً فنستغفر الله عز وجلّ لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا، ألا وإنني قد ألقيت إليكم بالسلم، وإنني أجبتك إلى قتال قتلة عثمان رضي الله عنه إمام الهدى المظلوم، فعول عليّ فيما أحببت من الأموال والرجال أعجل عليك. والسلام^(١).

إن شئنة التقول والإفتعال غريزة ثابتة في سجايا معاوية، ومنذ عهده شاعت الأحاديث المزورة فيما يعنيه من فضل بني امية والوقية في بني هاشم عترة الوحي وأنصاره يوم كان يهبُ القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لأهل الجباه السود فيضعون له في ذلك روايات معزوة إلى صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله، فإنه بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم ليروي أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾. نزل في ابن ملجم أشقى مراد. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ الآية. نزل في عليّ أمير المؤمنين. فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٩، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٤.

فقبل^(١)، وله نظائر هذا شيء كثير.

فليس من البدع اختلاقه على قيس وهو يفتعل على سيده النبي الأطهر ما لم يقله، وعلى أمير المؤمنين ما لم يكن، وعلى سروات المجد من بني هاشم الأطيبين ما هم عنه بُعداء. فهو مبتدع هذه الخزايات العائدة عليه وعلى لفيته في عهد ملوكيته المظلم، وعلى هذا كان دينه ودينه، ثم تمرنت رواة السوء من بعده على رواية الموضوعات وشاعت وكثرت إلى أن ألفت العلماء وحفظت الحديث في جهود متعبة بالتأليف في تمييز الموضوع من غيره، والخبيث من الطيب.

لم يزل معاوية دائماً على ذلك متهاكاً فيه حتى كبر عليه الصغير، وشاخ الكهل وهرم الكبير، فتداخل بغض أهل البيت عليهم السلام، في قلوب ران عليها ذلك التمويه، فتسنى له لعن أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه في أعقاب الصلوات في الجمعة والجماعات وعلى صهوات المنابر في شرق الأرض وغربها حتى في مهبط وحي الله (المدينة المنورة) قال الحموي في معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨: لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب ولم يُلعن على منبر سجستان إلا مرة وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم: وأن لا يُلعن على منبرهم أحد. وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم وهو يُلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة. اهـ.

لما مات الحسن بن علي عليهما السلام، حج معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقبل له: إن ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد فلما مات لعنه على المنبر وكتب إلى عماله: أن يلعنوه على

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦١.

المنابر. ففعلوا فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله. فلم يلتفت إلى كلامها^(١).

قال الجاحظ في كتاب الرد على الإمامية: إن معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك. وصد عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الأفاق فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز. وإن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أمّلت فلو كفت عن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً.

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٥٦.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار على ما يعلق بالخاطر، والحافظ السيوطي: أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول العلامة الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي: إنه	قد كان فيما جعلوه سنة
سبعون ألف منبر وعشرة	من فوقهن يلعنون حيدرته
وهذه في جنبها العظام	تصغر بل تُوجّه اللوائم
فهل ترى من سنّها يُعادي؟	أم لا وهل يُستر أو يهادي؟؟
أو عالمٌ يقول: عنه نسكت؟	أجب فإنّي للجواب منصت
وليت شعري هل يقال: إجتهدا	كقولهم في بغية أم أُلحدا
أليس ذا يُؤذيه أم لا؟؟ فاسمعن	إن الذي يُؤذيه من ومن ومن؟؟؟
بل جاء في حديث أم سلمة	: هل فيكم الله يُسبّ مة لِمَه؟
عاون أنحا العرفان بالجواب	وعاد من عادي أبا تراب

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٠.

وكان أمير المؤمنين يخبر بذلك كله ويقول: أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم، مندحق البطن^(١) يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وأنه سيأمركم بسبي والبرائة مني. (نهج البلاغة).

ونحن لو بسطنا القول في المقام لخرج الكتاب عن وضعه إذ صحائف تاريخ معاوية السوداء ومن لف لفه من بني أمية إنما تعدّ بالآلاف لا بالعشرات والمئات.

الصلح بين قيس، ومعوية

أمرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم (وكان يُعرف بصاحب شرطة الخميس كما في الكشي ص ٧٢) وتعاهد هو معهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليٍّ ولمن كان أتبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فأرسل معاوية إلى قيس يقول: على طاعة من تقاتل؟ وقد بايعني الذي أعطيت طاعتك. فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل إليه معاوية بسجلاً قد ختم عليه في أسفله وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله. فقال معاوية: على رسلك فإننا لا نخلص إلى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنني والله لا اقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدءاً. فلما بعث إليه معاوية ذلك السجل إشتراط قيس له ولشيعة عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل في سجله ذلك مالأً، وأعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته^(٢).

قال أبو الفرج: فأرسل معاوية إليه يدعوه إلى البيعة، فلما أرادوا إدخاله إليه قال: إنني حلفت أن لا ألقاه إلا بيني وبينه الرمح أو السيف. فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينهما ليبراً يمينه، فلما دخل قيس ليباع وقد بايع الحسن عليه السلام فأقبل على الحسن عليه السلام فقال: أفي حل أنا من بيعتك؟

(١) مندحق البطن: واسعها. كان معاوية موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل.

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٦٣.

فقال: نعم. فألقي له كرسي^١ وجلس معاوية على سرير والحسن معه فقال له معاوية: أتبايع يا قيس؟ قال: نعم. ووضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية، فجاء معاوية من سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده وما رفع إليه قيس يده^(١).

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٢: بويع معاوية بالكوفة في ذي القعدة سنة ٤٠، وأحضر الناس لبيعته، وكان الرجل يحضر فيقول: والله يا معاوية إنني لأبأبعك وإنني لكاره لك. فيقول: بايع فإن الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً، ويأتي الآخر فيقول: أعوذ بالله من نفسك. وأتاه قيس بن سعد بن عبادة، فقال: بايع قيس. قال: إنني كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية! فقال له: مه رحمك الله. فقال: لقد حرصت أن أفرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا بن أبي سفيان إلا ما أحب. قال: فلا يُردّ أمر الله. قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال:

يا معشر الناس! لقد اعتضتم الشر من الخير، واستبدلتم الذل من العز، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وابن عم رسول رب العالمين، وقد وليكم الطليق ابن الطليق، يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون؟.

فجثا معاوية على ركبته ثم أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثم صفق على كفه ونادى الناس: بايع قيس. فقال: كذبتم والله ما بايعت. ولم يبايع لمعاوية أحد إلا أخذ عليه الإيمان، فكان أول من استحلف على بيعته.

أخرج الحافظ عبد الرزاق عن ابن عيينة قال: قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية: وأنت يا قيس؟ تلجم علي مع من ألجم؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتيني هذا اليوم إلا وقد ظفرك بظفر من أظفري موجه. فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٧.

فقال له معاوية: ولِمَ؟ وهل أنتَ حبرٌ من أحبار اليهود؟! . فقال له قيس: وأنت يا معاوية! كنت صنماً من أصنام الجاهلية، دخلت في الإسلام كارهاً، وخرجت منه طائعاً. فقال معاوية: اللهم غفراً مَدُّ يدك. فقال له قيس: إن شئت زدت وزدت (تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٩).

قيس، ومعاوية في المدينة بعد الصلح بينهما

دخل قيس بن سعد بعد وقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار! بِمَ تطلبون ما قبلي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ، ولفللتهم حدّي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظّي في أسنتكم، وهجوتموني في أسلافي بأشدّ من وقع الأسنّة، حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله، قلت: ارع وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله. هيهات يأبى الحقين العذرة.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله لا بما نمت به إليك الأحزاب، وأما عداوتنا لك فلو شئت كفتها عنك، وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطنه ويثبت حقه، وأما استقامة الأمر فعلى كرهه كان منا، وأما فللنا حدّك يوم صفين فإننا كنا مع رجل نرى طاعة الله طاعته، وأما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده، وأما قولك: يأبى الحقين العذرة، فليس دون الله يدٌ تحجزك منا يا معاوية! فدونك أمرك يا معاوية! فإنما مثلك كما قال الشاعر:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجوّ فيضي واصفري

فقال معاوية يمّوه: إرفعوا حوائجكم.

العقد الفريد ج ٢ ص ١٢١، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣، الإمتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٧٠.

بيان

قول معاوية: يأبى الحقين العذرة. مثلٌ سائر، أصله: أن رجلاً نزل بقوم فاستسقاهم لبناً فاعتلّوا عليه وزعموا أن لا لبن عندهم، وكان اللبن محقوناً في وطاب عندهم، يُضرب به للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له، يعني: أن اللبن

المحققون لديكم يكذبكم في عذركم. فما في مروج الذهب من: يابى الحقير العذرة. وفي العقد الفريد أبى الخبير العذر. فهو تصحيف.

قيس ومعاوية في المدينة

روى التابعي الكبير أبو صادق سليم بن قيس الهلالي في كتابه قال: قدم معاوية حاجاً في أيام خلافته بعد مامات الحسن بن عليّ عليهما السلام، فاستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذين استقبلوه عامهم قريش فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال: ما فعلت الأنصار: وما بالها ما تستقبلني؟! فقل: إنهم محتاجون ليس لهم دواب فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد: أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون. فقال معاوية: اللهم اغفر. فقال قيس: أما إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سترون بعدي أثره. فقال معاوية: فما أمركم به؟ قال أمرنا أن نصبر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه.

ثم قال يا معاوية! تعيرنا بنواضحنا؟ والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله، وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا؛ ثم دخلت أنت وأبوك كرهاً في الإسلام الذي ضربناكم عليه. فقال معاوية: كأنك تمنّ علينا بنصرتكم إيانا فله ولقريش بذلك المنّ والطول. أستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله؟ وهو من قريش وهو ابن عمنا ومنا، فلنا المنّ والطول إن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهذاكم بنا. فقال قيس:

إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله، رحمةً للعالمين فبعثه إلى الناس كافة، وإلى الجنّ والإنس والأحمر والأسود والأبيض اختاره لنبوته، واختصه برسالته، فكان أول من صدّقه وآمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبو طالب يذبُّ عنه ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه وأمره أن يبلغ رسالة ربّه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتى مات عمّه أبو طالب، وأمر ابنه بمؤازرته فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كل شديدة وكل ضيق

وكلُّ خوف، واختصَّ الله بذلك علياً عليه السلام من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم، فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع بني عبد المطلب فيهم أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وخادمه عليّ عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله في حجر عمّه أبي طالب فقال: أيكم يتدب أن يكون أخي ووزير ووصيي وخليفتي في أمّتي ووليّ كل مؤمن بعدي. فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال عليّ عليه السلام: أنا يا رسول الله صلى الله عليك. فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهم املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثم قال لأبي طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنك وأطع فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هرون من موسى. وأخى صلى الله عليه وآله بين عليّ وبين نفسه فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلا ذكره واحتجّ به.

وقال: منهم: جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنّة بجناحين اختصّه الله بذلك من الناس. ومنهم: حمزة سيّد الشهداء. ومنهم: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة. فإذا وضعت من قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيّبين فنحن والله خير منكم يا معشر قريش وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم، لقد قبض رسول الله فاجتمعت الأنصار إلى أبي ثم قالوا: نُبأيع سعداً فجاءت قريش فخاصمونا بحجة عليّ وأهل بيته، وخاصمونا بحقه وقرابته، فما يعدو قريش أن يكونوا ظلّموا الأنصار وظلموا آل محمّد، ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حقٌّ مع عليّ بن أبي طالب وولده من بعده.

فغضب معاوية وقال: يا بن سعد! عمّن أخذت هذا؟ وعمّن رويته؟ وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟! فقال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خير من أبي وأعظم عليّ حقاً من أبي. قال: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب عالم هذه الأمة، وصدّيقها الذي أنزل الله فيه: ﴿وقل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾. فلم يدع آية نزلت في عليّ إلا ذكرها. قال معاوية: فإنّ صدّيقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام. قال

قيس: أحقّ هذه الأسماء وأولى بها الذي أنزل الله فيه: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدًا منه﴾ والذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ فقال: مَنْ كنت مولاه وأولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه، وقال في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي.

كلّ ما ذكره قيس في هذه المناظرة من الآيات النازلة في أمير المؤمنين، والأحاديث النبويّة الماثورة في فضله، أخرجها الحفاظ والعلماء في المسانيد والصحاح نذكر كلّاً منها في محله إن شاء الله كما مرّ بعضها.

قيس في خلقته

إنّ للأشكال والهيئات دخلاً في مواقع الأبهة والإكبار، فإنّها هي التي تملأ العيون بادىء بدء، وهي أوّل ما يقع عليه النظر من الإنسان قبل كل ما انحنت عليه أضالعه، من جاشٍ رابط، وبطولة وبسالة، ودهاء وحزم، ولذلك قيل: إنّ للهيئة قسطاً من الثمن، وهذا في الملوك والأمراء، وذوي الشئون الكبيرة أكد، فإنّ الرعيّة تتفرّس في العظيم في جثته عظماً في معنويّاته، وترسّم منه كبر نفسيّاته، وشدّة أمره، ونفوذ عزائمّه، وترضخ له قبل الضئيل الذي يحسب أنّه لا حول له ولا طول، وأنّه يضعف دون إدارة الشئون طوقه وأوقه، ولذلك إنّ الله سبحانه لَمَّا عرّف طالوت لبني إسرائيل ملكاً عرفه بأنّه أوتي بسطةً في العلم والجسم، فبعلمه يُدير شئون الشعب الدينيّة والمدنيّة، ويكون ما أوتي من البسطة في الجسم من مؤكّدات الأبهة والهيبة التي هي كقوّة تنفيذيّة لموادّ العلم وشئونه.

إنّ سيد الأنصار «قيس» لَمَّا لم يدع الله سبحانه شيئاً من صفات الفضيلة ظاهرةً وباطنةً إلاّ وجمعه فيه من علم، وعمل، وهدى وورع، وحزم، وسداد، وعقل، ورأي ودهاء، وذكاء، وإمارة، وحكومة، ورياسة، وسياسة، وبسالة، وشهامة، وسخاء، وكرم، وعدل، وصلاح، لم يشأ أن يخليه عن هذه الخاصّة المربية بمقام العظماء.

فقال شيخنا الديلمي في إرشاده ج ٢ ص ٣٢٥: إنه كان رجلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار، وكان أشد الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين. وقال أبو الفرج: وكان قيس رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطان في الأرض. ومرّ ص ٩٨ عن المنذر بن الجارود أنه رآه في الزاوية على فرس أشقر تخطّ رجلاه في الأرض وقال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ٧٣: كان قيس من العشرة الذين لحقهم النبي ﷺ من العصر الأول ممن كان طولهم عشرة أشبار بأشبار أنفسهم، وكان قيس وأبوه سعد طولهما عشرة أشبار بأشبارهم. وعن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي أنه قال: كان قيس طويلاً أطول الناس وأمدّهم قامه، وكان سناطاً أصلع شيخاً شجاعاً مجرباً مناصحاً لعلّي ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

عدّ الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٤٨٠ من الأمثال الدائرة والمضافات المعروفة والمنسوب السائر: سراويل قيس. وقال: إنه يُضرب مثلاً لثوب الرجل الضخم الطويل، وكان قيصر بعث إلى معاوية بعلاج من علوج الروم طويل جسيم، معجباً بكمال خلقته وامتداد قامته، فعلم معاوية أنه ليس لمطاولته ومقاومته إلا قيس بن سعد بن عبادة فإنه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوماً وعنده العلاج: إذا أتيت رحلك فابعث إليّ بسراويلك. فعلم قيس مراده فترعها ورمى بها إلى العلاج والناس ينظرون فلبسها العلاج فطالت إلى صدره، فعجب الناس وأطرق الرومي مغلوباً، وليم قيس على ما فعل بحضرة معاوية فأنشد يقول:

أردتُ لكيما يعلم الناس أنها	سراويل قيس والوفود شهودُ.
وأن لا يقولوا: غاب قيسٌ وهذه	سراويل عادٍ قد نمته ثمودُ
ولائي من القوم اليمانيين سيّدُ	وما الناس إلا سيّدٌ ومسودُ
وبزّ جميع الناس أصلي ومنصبي	وجسمٌ به أعلو الرجال مديدُ

ورواها ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٨ ص ١٠٣ بتغيير فيها ثم قال: وفي رواية: أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم والآخر أطول الروم: فانظر هل في قومك من يفوقهما في قوة هذا

وطول هذا؟؟ فإن كان في قومك من يفوقهما بعثت إليك من الاسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادني ثلاث سنين. فلما حضروا عند معاوية قال: من لهذا القوي؟ فقالوا: ما له إلا أحد رجلين إما محمد بن الحنفية أو عبدالله بن الزبير، فجيء بمحمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية: أتعلم فيم أرسلت إليك؟ قال: لا. فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه فقال للرومي: إما أن تجلس لي أو اجلس لك، وتناولني يدك أو أناولك يدي فأينا قدر على أن يُقيم الآخر من مكانه غلبه وإلا فقد غلب. فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو اجلس؟ فقال له الرومي: بل اجلس أنت. فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يُزيه من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ولا وجد إليه سبيلاً، فغلب الرومي عند ذلك وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومي: اجلس لي. فجلس وأعطى محمداً يده فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفع في الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسرت بذلك معاوية سروراً عظيماً؛ ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهما لذلك الرومي الطويل فبلغت إلى ثديه وأطرافها تخط بالأرض، فاعترف الرومي بالغلب وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية.

يستفيد القارىء من أمثال هذه الموارد من التاريخ أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم كانوا هم المرجع لحل المشكلات من كل الوجوه كما أن مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام كان هو المرجع الفذ فيها لدى الصدر الأول.

وفاته

قال الواقدي، وخليفة بن خياط، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ١٧٩ وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٠٢ وغيرهم بكثير: أنه توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية فإن عُدَّت سنة وفاة معاوية من سني خلافته فالمرجم له توفي في سنة ستين، وإلا ففي تسع وخمسين، ولعل هذا منشأ ترديد ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الأثير في اسد الغابة في تاريخ وفاته بين الستين، ففي

الأول: أنه توفي سنة ستين. وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وفي الثاني بالعكس، وذكر ابن الجوزي سنة ٥٩ وتبعه ابن كثير في تاريخه، وهناك قول لابن حبان متروك قال: إنه هرب من معاوية ومات سنة ٨٥ في خلافة عبد الملك. ذكره ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، وأستصوب قول خليفة ومن وافقه.

بيت قيس

كان في العصور المتقدمة آل قيس من أشرف بيوتات الأنصار، وما زال منبثق أنوار العلم والمجد في أدواره، بين زعيم، وحافظ، وعالم، ومحدث، ومشفوع بالصالح والقداسة، منهم:

أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عمار بن يحيى بن العباس بن عبد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري: ترجم له السمعاني في «الأنساب» وقال: من أشرف بيت في الأنصار، ومن أوحد مشايخ نيسابور في الثروة والعدالة والورع والقبول والإتقان من الرواية، وأكثرهم طلباً للحديث والفهم والمعرفة، سمع بنيسابور محمد بن رافع، وإسحاق بن منصور، وعبد الرحمن بن بشير بن الحكم، وبالعراق عمر بن شبة النميري، والحسن بن محمد بن الصباح، ومحمد بن إسماعيل الأحمسي، وأحمد بن سنان القطان، وبالحجاز بحر بن نصر الخولاني، وبالري أبا زرعة، ومحمد بن مسلم بن داره، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن عبدوس، ومحمد بن شريك الإسفرايني، وأبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريا، مات في جمادى الآخر سنة ٣١٧ بنيسابور.

ومنهم: أبو بكر محمد بن أبي نصر أحمد بن العباس بن الحسن بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى بن قيس بن سعد الأنصاري الشهير بالعياضي [بكسر العين] ذكره السمعاني في «الأنساب» وقال: من أهل سمرقند كان فقيهاً جليلاً من رؤساء البلدة والمنظورين إليهم، روى عن أبي علي محمد بن محمد بن الحرث الحافظ السمرقندي لقيه أبو سعد الإدريسي^(١) ولم

(١) أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الأسترابادي نزيل سمرقند والمتوفى بها في سلخ ذي الحجة سنة

يكتب عنه شيئاً^(١).

ومنهم: أبو أحمد بن أبي نصر العياضي أخو أبي بكر العياضي المذكور.
ومنهم: ابن المطري أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عسّاس بن يوسف بن بدر بن عثمان الأنصاري الخزرجي العبادي المدني. قال أبو المعالي السلامي في «المختار» كما في منتخبه ص ٧٢: إنه من ولد قيس بن سعد بن عبادة.

كان حافظ وقته، حسن الأخلاق، كثير العبادة، جميل العشرة مع العلماء ورواد العلم، ارتحل في سماع الحديث إلى الشام ومصر والعراق، ورأى في حياته كوارث، نهبت داره سنة ٧٤٢ وحبس مدة ثم أطلق، له كتاب [الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام] سمع الحديث بالمدينة المشرفة من أبي حفص عمر بن أحمد السوداني، وبالقاهرة من أبي الحسن علي بن عمر الواني، ويوسف بن عمر الختني، ويوسف بن محمد الدبايسي، وبالإسكندرية من عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة، وبدمشق من أحمد بن أبي طالب بن الشحنة، والقاسم بن عساكر، وأبي نصر ابن الشيرازي، وببغداد من محمد بن عبد المحسن الدواليبي. توفي بالمدينة المشرفة في ربيع الأول سنة ٧٦٥^(٢).

ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي بن مكّي بن طرد بن حسين بن مخلوف بن أبي الفوارس بن سيف الإسلام^(٣) بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري المكّي المالكي النحوي، المولود سنة ٧٠٩ والمتوفى في المحرم سنة ٨٠٨، ترجم له السيوطي في «بغية الوعاة» ص ١٦١.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾

سورة النمل: الآية: ٥٩

(١) وذكره وأخاه محيي الدين ابن أبي الوفاء في «الجواهر المضيئة» ص ١٣.
(٢) أخذناها من «منتخب المختار» ص ٧٢، «الدرر الكامنة» ص ٢٨٤.
(٣) أحسب هنا سقطاً في النسب كما لا يخفى.



معاويةُ الحال لا تجهلِ
 نسيت احتيالي في جُلُقِ
 وقد أقبلوا زمراً يهرعون
 وقولي لهم: إن فرض الصلاة
 فولّوا ولم يعبأوا بالصلاة
 ولمّا عصيت إمام الهدى
 أبا البقر البكم أهل الشام
 فقلت: نعم، قم فإني أرى
 في حاربوا سيّد الأوصياء
 وكدتُ لهم أن أقاموا الرّماح
 وعلمتهم كشف سوءاتهم
 فقام البغاة على حيدرِ
 نسيت محاورة الأشعري
 ألين فيطمع في جانبي
 خلعتُ الخلافة من حيدرِ

وعن سُبُل الحقِّ لا تعدلِ
 على أهلها يوم لبس الحلبي؟
 مهاليع كالبقر الجفّل (١)
 بغير وجودك لم تُقبلِ
 ورمت النفار إلى القسطلِ
 وفي جيشه كلُّ مُستفحلِ
 لأهل التقى والحجى ابتلي؟
 قتال المفضل بالفضلِ
 بقولي: دمٌ طُلٌّ من نعثلِ (٢)
 عليها المصاحف في القسطلِ
 لردِّ الغضنفرة المقبلِ
 وكفّوا عن المشعل المصطلي
 ونحن على دومة الجندلِ؟
 وسهمي قد خاض في المقتلِ
 كخلع النعال من الأرجلِ

(١) أهرع: أسرع. الهلع: الجزع. الجفّل: النفر والشرد.
 (٢) طل الدم: هدر أو لم يُثار له فهو طليل ومطلول ومطل.

وألبستها فيك بعد الأياس
 ورقيتك المنبر المشمخر
 ولو لم تكن أنت من أهله
 وسيّرت جيش نفاق العراق
 وسيّرتُ ذكرك في الخافقين
 وجهلك بي يا بن آكلة الـ
 فلولا موازرتي لم تُطع
 ولولاي كنت كمثل النساء
 نصرناك من جهلنا يا بن هند
 وحيث رفعناك فوق الرؤوس
 وكم قد سمعنا من المصطفى
 وفي يوم «خم» رقى منبراً
 وفي كفه كفه معلناً
 ألسن بكم منكم في النفوس
 فأنحله إمرة المؤمنين
 وقال: فمن كنت مولى له
 فوال مواليه يا ذا الجلا
 ولا تنقضوا العهد من عترتي
 فبخبخ شيخك لَمَا رأى
 فقال: وليكم فاحفظوه
 وإننا وما كان من فعلنا
 وما دم عثمان منج لنا
 وإن علينا غداً خصمنا

كلبس الخواتيم بالأنمل
 بلا حدّ سيف ولا منصل
 وربّ المقام ولم تكمل
 كسير الجنوب مع الشمال
 كسير الحمير مع المحمل
 كبود لأعظم ما أتلي
 ولولا وجودي لم تُقبل
 تعاف الخروج من المنزل
 على النبا الأعظم الأفضل
 نزلنا إلى أسفل الأسفل
 وصايا مخصّصة في علي؟
 يُبلغ والركب لم يرحل^(١)
 يُنادي بأمر العزيز العلي
 بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل
 من الله مُستخلف المنحل
 فهذا له اليوم نعم الولي
 ل وعاد معادي أخ المرسل
 فقاطعهم بي لم يوصل
 عُرى عقد حيدر لم تُحلل
 فمدخله فيكم مدخلي
 لفي النار في الدرك الأسفل
 من الله في الموقف المُخجل
 ويعتزُّ بالله والمرسل^(٢)

(١) في بعض النسخ: وبلغ والصحب لم ترحل.

(٢) في رواية الخطيب التبريزي: سيحتج بالله والمرسل.

ونحن عن الحق في معزل
 لك الويل منه غداً ثم لي
 بعهد عهدت ولم توف لي
 يسير الحطام من الأجزل
 لك الملك من ملك محول
 تذود الظماء عن المنهل
 بصفين مع هولها المهول
 حذاراً من البطل المقبل
 ل وافاك كالأسد المبسل
 وصار بك الرحب كالفلل^(٢)
 من الفارس القصور المسبل
 فإن فؤادي في عسعل
 من الملك دهرك لم يكمل
 وأكشف عن سواتي أذيلي
 حياة وروعك لم يعقل
 هناك ملأت من الأفكل^(٣)
 ونالت عصاك يد الأول
 ولم تُعطني زنة الخردل
 وأنت عن الغي لم تعدل
 تخلي القطا من يد الأجدل
 فلإني لحوبكم مُصطلي

يُحاسبنا عن أمور جرت
 فما عذرنا يوم كشف الغطاء؟
 ألا يا بن هند أبعث الجنان
 وأخسرت أخراك كيما تنال
 وأصبحت بالناس حتى استقام
 وكنت كمقتنص في الشراك^(١)
 كأنك أنسيت ليل الهرير
 وقد بت تذرُق ذرُق النعام
 وحين أزاح جيوش الضلا
 وقد ضاق منك عليك الخناق
 وقولك: يا عمرو! أين المفر
 عسى حيلة منك عن ثنيه
 وشاطرتي كلما يستقيم
 فقامت على عجلتي رافعا
 فستر عن وجهه وانثنى
 وأنت لخوفك من بأسه
 ولما ملكت حماة الأنام
 منحت لغيري وزن الجبال
 وأنحلت مصرأ لعبد الملك^(٤)
 وإن كنت تطمع فيها فقد
 وإن لم تسامح إلى ردها

(١) اقتنص الطير أو الظبي: اصطاده.

(٢) الفلّل: القرب بين الخطوات.

(٣) الأفكل: الرعدة من الخوف.

(٤) عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين.

بخيلٍ جِيادٍ وشَمَّ الأنوفِ وبالمرهفات وبالذُّبُلِ
وأكشف عنك حجاب الغرور وأيقظ نائمة الأثكلِ
فإنَّك من إمرة المؤمنين ودعوى الخلافة في معزلِ
وما لك فيها ولا ذرَّة ولا لجدودك بالأولِ
فإن كان بينكما نسبة فأين الحسام من المنجلِ؟
وأين الحصا من نجوم السما؟ وأين معاوية من علي؟
فإن كنت فيها بلغت المنى ففي عنقي علق الجلجلِ^(١)

ما يتبع الشعر

هذه القصيدة المسمّاة بالجلجلية، كتبها عمرو بن العاص، إلى معاوية بن أبي سفيان، في جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر ويُعاتبه على امتناعه عنه، توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبة الخديوية بمصر كما في فهرستها المطبوع سنة ١٣٠٧ ج ٤ ص ٣١٤ وروى جملةً منها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٢٢ وقال: رأيتها بخط أبي زكريا يحيى^(٢) بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢.

وقال الإسحاق في «لطائف أخبار الدول» ص ٤١: كتب معاوية، إلى عمرو بن العاص: أنه قد تردّد كتابي إليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتُدافع ولم تسيّره فسيّره إليّ قولاً واحداً وطلباً جازماً، والسلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً وهي القصيدة الجلجلية المشهورة التي أولها:

معاوية الفضل لا تنس لي وعن نهج الحق لا تعدلِ

(١) مثل يضرب راجع مجمع الأمثال للميداني ص ١٩٥.

(٢) أحد أئمة اللغة والنحو قال ابن ناصر: كان ثقة في النقل وله المصنفات الكثيرة. كذا ترجم له ابن

كثير في تاريخه ج ١٢ ص ١٧١.

نسيتَ احتيالي في جلقٍ على أهلها يوم لبس الحلبي؟
وقد أقبلوا زمراً يهرعون ويأتون كالبقر المهلِّ
ومنها أيضاً:

ولولاي كنتَ كمثل النساءِ تُعاف الخروج من المنزلِ
نسيتَ محاورَةَ الأشعري ونحن على دومة الجندلِ؟
وألعقتَه عسلاً بارداً وأمزجت ذلك بالحنظلِ (١)
ألين فيطمع في جانبي وسهمي قد غاب في المفصلِ
وأخلعتها منه عن خدعة كخلع النعال من الأرجلِ
وألبتها فيك لَمَّا عجزت كلبس الخواتيم في الأملِ
ومنها أيضاً:

ولم تك والله من أهلها وربُّ المقام ولم تكملِ
وسيرتُ ذكرك في الخافقين كسير الجنوب مع الشمالِ
نصرناك من جهلنا يا بن هند على البطل الأعظم الأفضلِ
وكنتَ ولن ترها في المنام فزُفَّت إليك ولا مهر لي
وحيث تركنا أعالي النفوس نزلنا إلى أسفل الأرجلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصّصة في علي
ومنها أيضاً:

وإن كان بينكما نسبةٌ فأين الحسام من المنجلِ؟
وأين الثريّاً وأين الثرى؟ وأين معاويةٌ من علي؟
فلَمَّا سمع معاوية هذه الأبيات لم يتعرّض له بعد ذلك. اهـ.

(١) في رواية الخطيب التبريزي:

فالمظه علاً بارداً وأخبأ من تحته حنظلي

وذكر الشيخ محمد الأزهرى، وفي شرح مغني اللبيب ج ١ ص ٨٢ هذه الأبيات برمتها حرفياً نقلاً عن تاريخ الإسحاقى غير أنه حذف قوله:

وحيث تركنا أعالي النفوس نزلنا إلى أسفل الأرجل.

وذكر منها ثلاث عشر بيتاً ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٣ ص ١٠٦.

وأخذ منها السيد الجزائرى في «الأنوار النعمانية» ص ٤٣ عشرين بيتاً.

وذكر برمتها الزنوزى في الروضة الثانية من رياض الجنة وقال: هذه القصيدة تسمى بالجلجلة لما في آخرها: وفي عنقي علق الجلجل.

وخمسها بطولها الشاعر المفلح الشيخ عباس الزيورى البغدادي، وقفت عليه في ديوانه المخطوط المصحح بقلمه، ويوجد التخميس في إحدى نسختي المكتبة الخديوية بمصر.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

سورة آل عمران: آية ١٦٧

الشاعر

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد (بالتصغير) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي القرشي أبو محمد وأبو عبد الله.

أحد ذممة العرب الخمس، منه بدئت الفتن وإليه تعود، وتقحمه في البوائق والمخاريق ثابت مشهور تضمته طيات الكتب، وتناقلته الآثار والسير، وإذا استرسلت في الكلام عن الجور والفجور فحدث عنه ولا حرج، كما تجده في كلمات الصحابة الأولين، فالبغل نغل وهو لذلك أهل^(١). ويقع الكلام في ترجمته عن نواحي شتى.

(١) مثل يضرب لمن لؤم أصله فخبث فعله.

نسبه

أبوه هو الأبتَر بنصُّ الذكر الحميد (إنَّ شائكَ هو الأبتَر) وعليه أكثر أقوال المفسِّرين والعلماء^(١) وفي بعض التفاسير وإن جاء ترديدٌ بينه وبين أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم إلا أنَّ القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي من: أنَّ كُلاً من أولئك كانوا يشتُّون رسول الله ﷺ إلا أنَّ ألَّهجم به وأشدُّهم شنةُ العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، ويخصُّ اللعين بخزي. أكد، ولذلك اشتهر بين المفسِّرين أنه هو المراد.

قال الرازي في تفسيره ج ٨ ص ٥٠٣، رُوي أنَّ العاص بن وائل كان يقول: إنَّ محمداً أبتَر لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة، وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعمامة أهل التفسير. وقال ص ٥٠٤ بعد نقل الأقوال الأخر: ولعلَّ العاص بن وائل كان أكثرهم مواظبةً على هذا القول، فلذلك اشتهرت الروايات بأنَّ الآية نزلت فيه.

وروى التابعيُّ الكبيرُ سليم بن قيس الهلالي في كتابه: أنَّ الآية نزلت في المترجم نفسه، كان أحد شائتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا مات ولده إبراهيم فقال: إنَّ محمداً قد صار أبتَر لا عقب له. وذكره بذلك أمير المؤمنين في أبيات له تأتي فقال:

إن يقرنوا وصيِّه والأبترا شاني الرسول واللعين الأخررا

وذكره بذلك عمَّار بن ياسر يوم صفين، وعبدالله بن جعفر في حديثيهما الآتين. فالمترجم له هو (الأبتَر ابن الأبتَر) وبذلك خاطبه أمير المؤمنين

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١١٥، والمعارف لابن قتيبة ص ١٢٤، وتاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٢٣٠.

عليه السلام في كتاب له يأتي بقوله: من عبدالله أمير المؤمنين، إلى الأبر بن الأبر عمرو بن العاص شانيء محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام.

تُعرفنا الآية الكريمة المذكورة أن كل معزٍ إلى العاص من الولد من ذكر أو أنثى من المترجم له أو غيره ليسوا لرشدة، فمن هنا تعرف فضيلة عمرو من ناحية النسب، أضف إلى ذلك حديث أمه ليلي العنزية الجلانية.

كانت أمه ليلي أشهر بغي بمكة وأرخصهن أجرة، ولما وضعت ادعاه خمسة كلهم أتوها غير أن ليلي ألحقته بالعاص لكونه أقرب شياً به، وأكثر نفقة عليها، ذكرت ذلك أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لما وفدت إلى معاوية فقال لها: مرحباً بك يا عمّة! فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: يا بن أخي! لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصعبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فاتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود، حتى ردّ الله الحق إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله هو المنصور على من ناواه ولو كره المشركون، فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدرًا حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً عند الله مرضياً، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يُذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وصار ابن عمّ سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: يا بن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، ولم يجمع بعد رسول الله لنا شمل، ولم يسهل لنا وعراً، وغايتنا الجنة، وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: أيها العجوز الضالّة؟ اقصري من قولك، وغضبي من طرفك. قالت: ومن أنت؟ لا أم لك. قال: عمرو بن العاص. قالت: يا بن اللخناء النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة بمكة وأخذت من لأجرة، إربع على

ظلمك^(١) وأعن بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها، ولقد ادّعاك ستّة^(٢) نفر من قريش كلّهم يزعم أنّه أبوك فسألت أمّك عنهم فقالت: كلّهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به، ولقد رأيت أمّك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر، فأتّم بهم فإنك بهم أشبه^(٣).

وقال الإمام السبط الحسن الزكيّ سلام الله عليه، بمحضر من معاوية وجمع آخر: أمّا أنت يا بن العاص فإنّ أمرك مشترك، وضعتك أمّك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة^(٤) من قريش فغلب عليك جزّارها، الأهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شائني محمّد الأبر فأنزل الله فيه ما أنزل^(٥).

وعده الكلبى أبو المنذر هشام المتوفى سنة ٢٠٦ / ٤ في كتابه «مثالب العرب» الموجود عندنا، ممّن يدين بسفاح الجاهليّة، وقال في باب تسمية ذوات الرايات: وأمّا النابغة أمّ عمرو بن العاص: فإنّها كانت بغياً من طوائف مكة فقدمت مكة ومعها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل في الجاهليّة في عدّة من قريش منهم: أبو لهب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن

(١) مثل يضرب لمن يتوعد. ربع في المكان أي أقام به. الظلم: العرج. يقال: ظلم البعير أي غمز في مشيته فالمعنى: لا تجاوز حدك في وعيدك، وأبصر نقصك وعجزك عنه.

(٢) في العقد الفريد، وروض المناظر: خمسة.

(٣) بلاغات النساء ص ٢٧، العقد الفريد ج ١ ص ١٦٤، روض المناظر ج ٨ ص ٤، ثمرات الأوراق ج ١ ص ١٣٢، دائرة المعارف لفريد وجددي ج ١ ص ٢١٥، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤) في لفظ الكلبى وسبط ابن الجوزي: خمسة.

(٥) أخذنا هذه الجملة من حديث المهاجرة الطويلة الواقعة بين الإمام الحسن بن علي وبين عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، في مجلس معاوية رواه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٠١ نقلاً عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١١٤.

حرب، في طهر واحد فولدت عمراً فاختصم القوم جميعاً فيه كل يزعم أنه ابنه، ثم إنه أضرب عنه ثلاثة وأكب عليه إثنان: العاص بن وائل، وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان: أنا والله وضعت في حر أمه. فقال العاص: ليس هو كما تقول هو ابني فحكما أمه فيه فقالت للعاص. فقيل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعت وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إن العاص كان ينفق على بناتي، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق علي العاص شيئاً ونخفت الضيعة، وزعم ابنها عمرو بن العاص أن أمه امرأة من غنزة بن أسد بن ربيعة.

وكان الزناة الذين اشتهروا بمكة جماعة منهم هؤلاء المذكورون وأميه بن عبد شمس، وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعقبة بن أبي معيط^(١).

وعده الكلبي من الأدياء في باب - أدياء الجاهلية - وقال: قال الهيثم: ومن الأدياء عمرو بن العاص، وأمّه النابغة حبشية، وأخته لأمه أرينب (بضم الألف) وكانت تُدعى لعفيف بن أبي العاص، وفيها قال عثمان لعمر بن العاص: لمن كانت تُدعى أختك أرينب يا عمرو؟ فقال: لعفيف بن أبي العاص. قال عثمان: صدقت. انتهى.

وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ / ١١ في كتاب «الأنساب»: إن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان، والعاص، فقيل: لتحكم أمه فقالت: إنه من العاص بن وائل. فقال أبو سفيان. أما إني لا أشك إني وضعت في رحم أمه فأبت إلا العاص فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً. فقالت: إن العاص بن وائل كثير النفقة علي وأبو سفيان شحيح. ففي ذلك يقول حسبان بن ثابت، لعمر بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) وإلى هنا ذكره سبط ابن الجوزي في تذكروته ص ١١٧ عن المثالب.

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت
ففاخر به إماً فخرت ولا تكن
وإن التي في ذاك يا عمرو حكمت
من العاص عمرو وتخبر الناس كلما
لنا فيك منه بينات الدلائل
تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
فقلت رجاءً عند ذاك لنائل
تجمعت الأقوام عند المحامل (١)

وقال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة (بالتحريك) فسببت فاشتراها عبد الله بن جذعان التيمي بمكة فكانت بغياً. ثم ذكر نظير الجملة الأولى من كلام الكلبي ونسب الأبيات المذكورة إلى أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب. وقال: جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن بمنصب مرضي فأتاه بمصر أميراً عليها فقال: أردت أن أعرف أم الأمير. فقال: نعم، كانت امرأة من عنزة، ثم من بني جلالن تسمى ليلي وتلقب النابغة، اذهب وخذ ما جعل لك (٢).

وقال الحلبي في سيرته ج ١ ص ٤٦ في نكاح البغايا. ونكاح الجمع من أقسام نكاح الجاهلية: الأول أن يطأ البغي جماعة متفرقين واحداً بعد واحد فإذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم. الثاني: أن تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤوها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان. تسمى من أحببت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منهم الرجل إن لم يغلب شبهه عليه، وحيث ياحتمل أن تكون أم عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني فإنه يقال: إنه وطئها أربعة

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠١.

(٢) ورواه المبرد في الكامل، ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٨٤، ابن عبد البر في الاستيعاب، وذكر في شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٠، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٩.

وهم: العاص، وأبو لهب، وأمّية، وأبو سفيان، وأدعى كلهم عمراً فألحقته بالعاص لإنفاقه على بناتها. ويُحتمل أن يكون من القسم الأول ويدل عليه ما قيل: إنه ألحق بالعاص لغلبة شبهه عليه، وكان عمرو يُعير بذلك غيره عليّ وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وسيأتي ذلك في قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة^(١).

عبدالله وعمرو

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٧ ص ٣٣٠: إن عمرو بن العاص قال لعبدالله بن جعفر الطيار ذي الجناحين، في مجلس معاوية: يا ابن جعفر اريد تصغيره. فقال له: لئن نسبتني إلى جعفر فليست بدعي ولا أبتري ثم ولي وهو يقول:

تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفرت اختياراً آمنت خيفة وبغضك إيانا شهيداً بذلكا

* * *

أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٤٣٨: إن عبدالله بن أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي قدم على معاوية وعنده عمرو فجاء الأذن فقال: هذا عبدالله وهو بالباب. فقال: إئذن له. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتلهي، والطربات للتغني، صدوف عن السنان، محب للقيان، كثير مزاحه، شديد طماحه، ظاهر الطيش، لئب العيش، أخاذ للسلف، صفاق للشرف. فقال عبدالله: كذبت يا عمرو وأنت أهله ليس كما وصفت ولكنه: لله ذكور، ولبلاته شكور، وعن الخنا زجور، سيّد كريم، ماجد

(١) ذكر قتل عثمان عند الكلام على بناء المسجد ج ٢ ص ٧٢، ٨٨ ولم يوجد هناك شيء مما أوعز إليه.

صميمٌ، جوادٌ حلِيمٌ، إن ابتداءً أصاب، وإن سُئل أجاب، غير حصر ولا هيأب، ولا فاحش عيَّاب، كذلك قضى الله في الكتاب، فهو كالليث الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعيٍّ ولا دنيٍّ كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها، فأصبح ينوء بالدليل، ويأوي فيها إلى القليل، قد بدت بين حيين، كالساقط بين المهدين، لا المعتزي إليهم قبلوه ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري بأيِّ حسب تُنازل للنضال؟ أم بأيِّ قديم تُعرض للرجال؟ أبنفسك؟ فانت الخوار الوغد الزنيم. أم بمن تنتمي إليه؟ فانت أهل السفه والطيش والدناءة في قريش، لا بشرف في الجاهلية شهر، ولا بقديم في الإسلام ذكر، غير أنك تنطق بغير لسانك، وتنهض بغير أركانك، وأيم الله إن كان لأسهل للوعث^(١) وألم للشعث^(٢) أن يكعمك^(٣) معاوية على ولوعك بأعراض قريش كعام الضبع في وجاره^(٤) فانت لست لها بكفي، ولا لأعراضها بوفي. قال: فتهياً عمرو للجواب فقال له معاوية: نشدتك الله إلا ما كفت. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين دعني أنتصر فإنه لم يدع شيئاً. فقال معاوية: أما في مجلسك هذا فدع الإنتصار وعليك بالإصطبار. وأشار إلى هذه القصة ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٢٠.

إسلامه

إن الذي حدانا إليه يقينٌ لا يُخالجه شكٌ بعد الأخذ بمجامع ما يُؤثر عن الرجل في شئونه وأطواره: أنه لم يعتق الدين إعتاقاً، وإنما انتحله انتحالاً وهو في الحبشة، نزل بها مع عمارة بن الوليد لإغتيال جعفر وأصحابه رُسل النبي الأعظم تنتهي إليه الأنباء عن أمر الرسالة، ويبلغه التقدُّم والنشور له، وسمع من النجاشي

(١) الوعث بالفتح: العسر الغليظ.

(٢) يقال: لم الله شعثهم. أي جمع أمرهم.

(٣) يقال: كعم البعير. أي شد فمه لئلا يعض أو يأكل.

(٤) الوجار بكسر الواو وفتحها: جحر الضبع وغيرها.

قوله : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ فقال : أيها الملك ! أكذلك هو؟ فقال : ويحك أيا عمرو أطعني وأتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده^(١) .

فراقه التزلف إلى صاحب الرسالة بالتسليم له فلم ينكفىء إلى الحجاز إلا طمعاً في رتبة، أو وقوفاً على لُمَاظَة العيش، أو فرقا من البطش الإلهي بالسلطة النبوية. فنحن لا نعرفه في غضون هاتيك الممدد التي كان يُداهن فيها المسلمين ويُصانعهم إبقاءً لحياته، واستدراراً لمعاشه، إلا كما نعرفه يوم كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله بقصيدة ذات سبعين بيتاً فلعهن صلى الله عليه وآله عدد أبياته. وهو كما قال أمير المؤمنين : متى ما كان للفاسقين ولياً، وللمسلمين عدواً؟ وهل يشبه إلا أمه التي دفعت به^(٢). وكان كما يأتي عن أمير المؤمنين من قوله : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منا.

قال ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ١٣٧ : قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى : قول عمرو بن العاص لمعاوية لما قال له معاوية : يا أبا عبد الله ! إني لأكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا : دعنا عنك . كناية عن الإلحاد بل تصريح به، أي : دع هذا الكلام لا أصل له، فإن اعتقاد الآخرة وأنها لا تُباع بعرض الدنيا من الخرافات، وما زال عمرو بن العاص ملحداً ما تردّد قط في الإلحاد والزندقة وكان معاوية مثله .

وقال في ج ٢ ص ١١٣ : نقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكمية تُنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها وأوردتها لأنني لا أجحد لفاضل فضله وإن كان دينه عندي غير مرضي . وقال في ص ١١٤ : قال شيخنا أبو عبد الله : أول من قال بالإرجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنه لا يضرّ مع الإيمان

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣١٩ وغير واحد من كتب السيرة النبوية والتاريخ .

(٢) تذكرة خواص الامة ص ٥٦ ، السيرة الحلبية وغيرهما .

معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال: حاربت من تعلم وارتكبت ما تعلم. فقال: وثقت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِر الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾.

وقال في ج ٢ ص ١٧٩: وأما معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص ومن تبعهما من طعام أهل الشام وأجلافهم وجهال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم.

وهناك كلمات ذكرت في مصادر وثيقة تمثل الرجل بين يدي القارئ بروحيّاته وحقيقته، وتخبره بعُجره وبُجره^(١) وإليك نماذج منها:

١ كلمة النبي الأعظم

دخل زيد بن أرقم على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما فقال له عمرو بن العاص أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غزا غزوة وأنتم معه فراكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ثم راكما اليوم الثاني واليوم الثالث كل ذلك يُديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير.

كذا أخرجه ابن مزاحم في كتاب «صفين» ص ١١٢ ورواه ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ج ٢ ص ٢٩٠ عن عبادة بن الصامت وفيه: إنه صلى الله عليه وآله قاله في غزوة تبوك ولفظه: إذا رأيتموهما اجتماعاً ففرقوا بينهما فإنهما لا يجتمعان على خير.

(١) العجر: العروق المتعقدة. البجر: العروق المتعقدة في البطن. مثل يضرب لمن يخبر بجميع عيوبه.

٢ كلمة أمير المؤمنين

روى أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» ج ٣ ص ١٨٣ قال: قال الشعبي: ذكر عمرو بن العاص علياً فقال: فيه دُعاة فبلغ ذلك علياً فقال: زعم ابن النابغة أنني تلعب، تمراحة، ذو دُعاة، أعافس، وأمارس. هيهات يمنع من العفاس والمراس^(١) ذكر الموت وخوف البعث والحساب، ومن كان له قلبٌ ففي هذا من هذا له واعظٌ وزاجرٌ، أما وشرُّ القول الكذب، إنه ليعد فيُخلف، ويُحدث فيكذب، فإذا كان يوم الباس فإنه زاجرٌ وأمرٌ ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال، فإذا كان ذاك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم إسته.

ورواه بهذا اللفظ شيخ الطائفة في أماليه ص ٨٢ من طريق الحافظ ابن عقدة.

صورة أخرى على رواية الشريف الرضي

عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دُعاة، وأني امرؤ تلعب، أعافس وأمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً، أما وشرُّ القول الكذب، إنه ليقول فيكذب، ويعد فيُخلف، ويسأل فيُلحف، ويسئل فيُخلف، ويخون العهد، ويقطع الإل، فإذا كان عند الحرب فأني زاجرٌ وأمرٌ هو؟ ١١؟ ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبته، أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، وإنه لم يُبايع معاوية حتى شرط له أن يُؤتية أتيّة، ويرضخ له على ترك الدين رضىخة^(٢).

«نهج البلاغة» ج ١ ص ١٤٥.

(١) العفاس بالكسر: الفساد. المراس: العبث واللعب.

(٢) يقال: رضخ له من ماله رضىخة. أي: قليلاً من كثير.

صورة اخرى على رواية ابن قتيبة

قال زيد بن وهب: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عجباً لابن النابغة يزعم أنني تلعباة، أعافس وأمارس، أما وشرُّ القول أكذبه، إنه يسأل فيلحف، ويسئل فيبخل، فإذا كان عند البأس فإنه امرؤ زاجرٌ ما لم تؤخذ السيوف مأخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همّه أن يُبرِقط ويمنع الناس إسته، قبّحه الله وترحه. (عيون الأخبار ج ١ ص ١٦٤).

صورة اخرى على رواية ابن عبد ربّه

ذكر عمرو بن العاص عند علي بن أبي طالب فقال فيه علي: عجباً لابن الباغية يزعم أنني بلقائه أعافس وأمارس، ألا وشرُّ القول أكذبه، إنه يسأل فيلحف، ويسئل فيبخل، فإذا احمرُّ البأس، وحمي الوطيس، وأخذت السيوف مأخذها من هام الرجال لم يكن له همٌّ إلا غرقة ثيابه، ويمنع الناس إسته، فضّه الله وترحه. (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٧).

٣ كلمة اخرى له عليه السلام

لَمَّا رَفَعَ أَهْلَ الشَّامِ المصاحفَ على الرِّمَاحِ يَوْمَ صَفِّينَ يَدْعُونَ إِلَى حَكْمِ القُرْآنِ قالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِبَادَ اللهِ! أَنَا أَحَقُّ مَنْ أَجَابَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَكِنْ مَعَاوِيَةَ، وَعَمْرُو بْنُ العَاصِ، وَابْنُ أَبِي مَعِيْطٍ، وَحَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَابْنُ أَبِي سَرْحٍ، لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ، إِنِّي أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، صَحْبَتَهُمْ أَطْفَالًا، وَصَحْبَتَهُمْ رِجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ أَطْفَالٍ، وَشَرَّ رِجَالٍ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ حَقٌّ يَرَادُ بِهَا البَاطِلُ، إِنَّهُمْ وَاللهِ مَا رَفَعُوهَا، إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَا، وَمَا رَفَعُوهَا لَكُمْ إِلَّا خُدَيْعَةً وَمَكِيدَةً.

«كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٤».

٤ كلمة أُخرى له عليه السلام

قال أبو عبد الرحمن المسعودي: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَرْقَمِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ بِصَفِيِّنَ فَرَفَعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ شِقَّةَ خَمِيصَةٍ فِي رَأْسِ رِمْحٍ فَقَالَ نَاسٌ: هَذَا لَوَاءٌ عَقَدَهُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ عَلِيًّا فَقَالَ عَلِيٌّ: هَلْ تَدْرُونَ مَا أَمْرُ هَذَا اللَّوَاءِ؟ إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ أَخْرَجَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذِهِ الشَّقَّةَ فَقَالَ: مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا؟ فَقَالَ عَمْرُو: وَمَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فِيهَا أَنْ لَا تُقَاتِلَ بِهِ مُسْلِمًا، وَلَا تَقْرُبَهُ مِنْ كَافِرٍ. فَأَخَذَهَا، فَقَدَّ وَاللَّهِ قُرْبَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَاتَلَ بِهِ الْيَوْمَ الْمُسْلِمِينَ، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا رَجَعُوا إِلَى عِدَاوتِهِمْ مِنَّا إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا الصَّلَاةَ.

«كتاب صفين لابن مزاحم ص ١١٠».

٥ كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى الأبرار ابن الأبرار عمرو بن العاص بن واثل شانيء محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام. سلامٌ علي من أتبع الهدى - أما بعد - فإنك تركت مروءتك لأمرىء فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل: وافق شنُّ طبقة^(١) فسلبك دينك وأمانتك ودينك وأخرتك، وكان علم الله بالغاً فيك، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا، أو أتى الصبح يلتمس فاضل سوره، وحوايا فريسته، ولكن لا نجاة من القدر، ولو بالحق أخذت لأدركت ما رجوت، وقد رشد من كان الحق قائده، فإن يمكن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد

(١) مثل سائرله قصة يستفاد منها. شن: اسم رجل. طبقة: اسم امرأة. راجع مجمع الأمثال للميداني

ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن تعجزا^(١) وتبقيا بعدي فالله حسبكما، وكفى بانتقامه انتقاما، وبعقابه عقابا. والسلام.

فائدة

هذا الكتاب بهذه الصورة ذكرها ابن أبي الحديد^(٢) في شرحه ج ٤ ص ٦١ نقلاً عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم ولم نجده فيه فمن أمعن النظر في جل ما نقله ابن أبي الحديد عن هذا الكتاب يعلم بأن المطبوع منه هو مختصره لا أصله وهو أكبر من الموجود بكثير.

صورة أخرى له

فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتّبعته أثره، وطلبت فضله، اتّباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه، ويتنظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فأذهب دنياك وأخرتك، ولو بالحق أخذت، أدركت ما طلبت، فإن يمكن الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما، وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شرٌ لكما. والسلام. « نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٤ ».

٦ خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم

لما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة وردّ عليّ عليه السلام ابن عباس إلى البصرة قام في الكوفة خطيباً فقال: الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله - أما بعد :-

(١) عجز الشيء: مؤخره.

(٢) وذكره عنه الدكتور أحمد زكي صفوت في جمهرة الرسائل ج ١ ص ٤٨٦.

فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونحلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير أمر^(١) فأبستم عليّ إباء المخالفين الجفأة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضمن الزند بقدحه، فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هارون^(٢):

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين: (عمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري) اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، وأماتا ما أحيى القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بيّنة، ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشدا^(٣)، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، واستعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام.

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٩، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٥، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥، نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٦.

ذكر ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٨٦ هذه الخطبة ولمّا لم يُعجبه ذكر أهل العيث والفساد بما هم عليه، أو لم يره صادراً من أهله في محله، أو لم يرض أن تطلع الأمة الإسلامية على حقيقة عمرو بن العاص وصُويحبه فبتر الخطبة وذكرها إلى آخر البيت فقال: ثم تكلم فيما فعله الحكمان فردّ عليهما ما حكما به وأنبهما، وقال ما فيه حطّ عليهما. اهـ.

(١) قصير هو مولى جذيمة الأبرش، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة، وقد دعتة إليها ليزوجها، فخالفه وقصد إليها فقتلته فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر. فذهب مثلاً.

(٢) دريد بن الصمة.

(٣) في الإمامة والسياسة: لم يرشدهما الله.

وهناك لأمير المؤمنين عليه السلام في خطبه كلمات كثيرة حول الرجل مثل قوله: قد سار إلى مصر ابن النابغة عدو الله وولي من عادى الله. وقوله: إن مصراً افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً^(١). نضرب عنها صفحاً روماً للإختصار.

٧ قنوت أمير المؤمنين بلعن عمرو

أخرج أبو يوسف القاضي في «الأثار» ص ٧١ من طريق إبراهيم قال: إن علياً رضي الله عنه قنت يدعو على معاوية رضي الله عنه حين حاربه فأخذ أهل الكوفة عنه، وقنت معاوية يدعو على عليّ فأخذ أهل الشام عنه.

وروى الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٤٠ قال: كان عليّ إذا صلى الغداة يقنت فيقول: اللهم العن معاوية، وعمراً، وأبا الأعور السلمي، وحبيباً، وعبد الرحمن بن خالد، والضحاك بن قيس، والوليد. فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن علياً، وابن عباس، والأشتر، وحسناً، وحسيناً.

ورواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٣٠٢ وفي ط مصر ص ٦٣٦ وفيه: كان عليّ إذا صلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة يقول: اللهم العن معاوية، وعمراً، وأبا موسى، وحبيب بن سلمة. إلى آخر الحديث باللفظ المذكور، غير أن فيه: قيس بن سعد مكان الأشتر.

وقال ابن حزم في المحلى ج ٤ ص ١٤٥ كان عليّ يقنت في الصلوات كلهن، وكان معاوية يقنت أيضاً، يدعو كل واحد منهما على صاحبه.

ورواه الوطواط في «الخصائص» ص ٣٣٠ وزاد فيه: ولم يزل الأمر على ذلك برهة من ملك بني أمية إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك. وذكره ابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٣ ص ١٤٤ بلفظ الطبري.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب» في الكنى في ترجمة أبي الأعور السلمي:

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦١ و٦٢.

كان هو وعمرو بن العاص مع معاوية بصفين، وكان من أشد من عنده على علي رضي الله عنه، وكان علي رضي الله عنه يذكره في القنوت في صلاة الغداة يقول: اللهم عليك به. مع قوم يدعو عليهم في قنوته. وذكره علي لفظ الطبري أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٧٩.

وقال الزيلعي في نصب الراية ج ٢ ص ١٣١: قال إبراهيم: وأهل الكوفة إنما أخذوا القنوت عن علي، قنت يدعو علي معاوية حين حاربه، وأهل الشام أخذوا القنوت عن معاوية قنت يدعو علي.

ورواه أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ٥٩ بلفظ الطبري حرفياً إلى قنوت معاوية وزاد فيه: محمد بن الحنفية، وشريح بن هاني. وذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٠ نقلاً عن كتابي صفين لابن ديزيل (المترجم له ج ١ ص ٩٣) ونصر بن مزاحم. وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١١٠.

٨ دعاء عائشة على عمرو

لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةُ قَتْلَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ جَزَعَتْ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا وَجَعَلَتْ تَقْنَتُ وَتَدْعُو فِي دُبْرِ الصَّلَاةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ.

رواه الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٦٠، ابن الأثير في «الكامل» ج ٣ ص ١٥٥، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١٤، ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٣٣.

٩ الإمام الحسن الزكي وعمرو

روى الزبير بن بكار في كتاب «المفاخرات» قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليه السلام

قوارص^(١) وبلغه عنهم مثل ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصدّق، وأمر فأطيع، وخفقت له النعال، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا قال معاوية: فما تريدون؟ قالوا: إبعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيه ونوبّخه ونُخبه أن أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يُغيّر علينا شيئاً من ذلك. قال معاوية: إنّي لا أرى ذلك ولا أفعله. قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين، لتفعلن. فقال: ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قطّ جالساً عندي إلا خفتُ مقامه وعيبه لي. قالوا: إبعث إليه على كلّ حال. قال: إن بعثتُ إليه لأنصفنّه منكم. فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا؟ أو يربى قوله على قولنا؟ قال معاوية: أما إنّي إن بعثتُ إليه لأمرنّه أن يتكلّم بلسانه كلّه. قالوا: مره بذلك. قال: أمّا إذا عصيتُموني وبعثتم إليه وأبيتُم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول واعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن إقذفوه بحجره تقولون له: إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك. قال: من عنده؟ فسّماه، فقال الحسن عليه السلام: ما لهم خرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثمّ قال: يا جارية، أبغيني ثيابي، اللهم إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدراً بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين. ثمّ قام فدخل على معاوية. إلى أن قال: فتكلّم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلّى على رسوله ثمّ ذكر عليّاً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله، وقال: إنّه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثمّ بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلماً، وأدعى من الخلافة ما ليس له. ثمّ ذكر الفتنة يعيّر بها وأضاف إليه مساوي.

(١) الكلمة القارصة: التي تنغص وتؤلم. ج قوارص.

وقال: إنكم يا بني عبد المطلب، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل، ثم إنك يا حسن، تحدثت نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه، كيف ترى الله سبحانه، سلبك عقلك، وتركك أحق قريش يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبك وأباك، فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا؟؟ فإن كنت ترى أننا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان.

فتكلم الحسن بن عليّ عليهما السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (إلى أن قال لعمر وبعد جمل ذكرت ص ١٤٥): وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة، وكذته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوةً، ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت، ورجعك الله خائباً، وأكذبك وأشيأ، جعلت حسدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب من حليلته ففضحك الله وفضح صاحبك، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون: أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة. فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت: أنا عبدالله إذا نكأت (أي: قشرت) قرحة أدميتها. ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعثت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حياً، ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا بن العاص! ألسنت القائل؟ في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي : أين هذا الرحيل ؟
 فقلت : ذريني فإنني امرؤ
 لأكويته عنده كئيبه
 وشاني . أحمد من بينهم
 وأجري إلى عتبة جاهداً
 ولا أنثني عن بني هاشم
 فإن قبل العتب مني له
 وما السير مني بمستنكر
 أريد النجاشي في جعفر
 أقيم بها نخوة الأصعر
 وأقولهم فيه بالمنكر
 ولو كان كالذهب الأحمر
 وما سطعت في الغيب والمحضر
 وإلا لويت له مشفري^(١)

تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣ ،
 جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢ .

بيان قوله عليه السلام : لتأتي بجعفر وأصحابه إلى مكة . يُشير إلى هجرته
 الثانية إلى الحبشة وقد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانين
 عشرة امرأة . وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ، ولما رأت قريش ذلك
 أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة الوليد بهدايا إلى النجاشي وبطارقته
 ليسلم المسلمين ، فرجعا خائبين ، وأبى النجاشي أن يخفر ذمته .

قوله عليه السلام : لما ارتكب من حليلته . ذلك : إن عمراً وعمارة ركبا
 البحر إلى الحبشة ، وكان عمارة جميلاً وسيماً تهواه النساء ، وكان مع عمرو بن
 العاص إمرأته ، فلما صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معها فانتشى عمارة
 فقال لإمرأة عمرو : قبّلي . فقال لها عمرو : قبّلي ابن عمك . فقبّلته ، فهواها
 عمارة وجعل يُراودها عن نفسها ، فامتنعت منه ، ثم إن عمراً أجلس على
 منجاف^(٢) السفينة يبول ، فدفعه عمارة في البحر ، فلما وقع عمرو وسبح حتى
 أخذ بمنجاف السفينة ، وضغن على عمارة في نفسه ، وعلم أنه كان أراد قتله ،

(١) لوى الحبل : قتله . لوت الناقة بذنبها والوت : حركته . المشفر : الشدة والمنعة .

(٢) منجاف السفينة : سكانها الذي تعدل به .

ومضيا حتى نزلا الحبشة، فلما اطمأنا بها لم يلبث عمارة أن دب لإمرأة النجاشي فادخلته فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمراً بما كان من أمره فيقول عمرو: لا أصدّقك أنك قدرت على هذا، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك، فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره ورأى عمرو من حاله وهيئته ومببته عندها حتى يأتي إليه من السحر ما عرف به ذلك قال له: إن كنت صادقاً فقل لها: فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره، فإني أعرفه وآتني بشيء منه حتى أصدّقك. قال: أفعل. فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئاً في قارورة، فقال عمرو: أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله قط: إمرأة الملك. ما سمعنا بمثل هذا، ثم سكت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشي فأعلمه شأن عمارة وقدم إليه الدهن. فلما أثبت أمره دعا بعمارة ودعا نسوة اخر فجردوه من ثيابه، ثم أمرهنّ ينفخن في إحليله حتى نحلى سبيله فخرج هارباً. عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٧، الأغاني ج ٩ ص ٥٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٧، قصص العرب ج ١ ص ٨٩.

١٠ كتاب ابن عباس إلى عمرو

كتب ابن عباس مجيباً إلى عمرو بن العاص: أما بعد: فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياءً منك، أنه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت بالناس في عشوة طمعاً في الملك، فلما لم تر شيئاً، أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب وأظهرت فيها نزهة أهل الورع، لا تريد بذلك إلا تمهيد الحرب، وكسر أهل الدين، فإن كنت تريد الله بذلك فدع مصر، وارجع إلى بيتك، فإن هذه الحرب ليس فيها معاوية كعليّ بدأها عليّ بالحق، وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالغي، وانتهى فيها إلى السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليّاً وهو خيرٌ منهم، وبايع أهل الشام معاوية وهم خيرٌ منه، ولست أنا وأنت فيها بسواء، أردت الله، وأردت أنت مصر، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني، وأعرف الشيء الذي قربك من

معاوية، فإن تُرد شراً لا نسبك به، وإن تُرد خيراً لا تسبقنا إليه، ثم دعا الفضل بن عباس فقال له: يا بن أمّ، أجب عمراً. فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواسٍ
إلا تواتر طعن في نحوركُم
هذا الدواء الذي يشفي جماعتكم
أما عليٌّ فإن الله فضله
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة^(٢)
قد كان منا ومنكم في عجاجتها
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبةً
لا بارك الله في مصر لقد جلبت
يا عمرو إنك عار من مغانمها
فاذهب فليس لداء الجهل من أس^(١)
يشجي النفوس ويشفي نخوة الراسِ
حتى تُطيعوا علياً وابن عباس
بفضل ذي شرف عالٍ على الناسِ
أو تبعثوها فإننا غير أنكاسِ
ما لا يُردّ وكلُّ عُرصة الباسِ
هذا بهذا وما بالحق من باسِ
شراً وحظك منها حسوة الكاسِ^(٣)
والراقصات ومن يوم الجزا كاسِ

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٥، كتاب صفين ص ٢١٩، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٨.

وهناك أبياتٌ تعزى إلى حبر الأمة ابن عباس في كتاب «صفين» لابن مزاحم ص ٣٠٠ ذكر فيها عمراً بكل قولٍ شائني.

١١ ابن عباس وعمرو

حجّ عمرو بن العاص فمرّ بعبدالله بن عباس فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له، وموقعه من قلوبهم، فقال له: يا بن عباس! ما لك إذا رأيتني وليتني قصرة^(٤) كأن بين عينيك دبّرة^(٥) وإذا كنت في ملأ من الناس كنت

(١) أسا أسواً وأسا الجرح: داواه.

(٢) خيس: ذلل. يقال: خيس الجمل: راضه وذلله بالركوب.

(٣) الحسوة المرة من حساء: الجرعة الواحدة ج حسوات.

(٤) القصر والقصرة بفتح الصاد: الكسل.

(٥) الدبر بفتح المهملة والموحدة: قرحة الدابة تحدث من الرحل ونحوه ج دبر وأدبار.

الهُوَاهُة^(١) الهمزة^(٢)؟ فقال ابن عباس: لأنك من اللثام الفجرة، وقريش من الكرام البررة، لا ينطقون بباطل جهلوه، ولا يكتمون حقاً علموه، وهم أعظم الناس أحلاماً، وأرفع الناس أعلاماً، دخلت في قريش ولست منها، فأنت الساقط بين فراشين، لا في بني هاشم رحلك، ولا في بني عبد شمس راحلتك، فأنت الأثيم الزنيم، الضال المضل، حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحمله، وتسعو بكرمه. فقال عمرو: أما والله إنني لمسرورك بك فهل ينفعني عندك؟ قال ابن عباس: حيث مال الحق ملنا، وحيث سلك قصدنا.

«العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦».

١٢ ابن عباس وعمرو

حضر عبدالله بن جعفر، مجلس معاوية وفيه عبدالله بن عباس، وعمرو بن العاص، فقال عمرو: قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني، والطربات بالتغني، محب للقيان، كثير مزاحه، شديد طماحه، صدود عن الشبان، ظاهر الطيش، رخي العيش، أخاذ بالسلف، منفاق بالسرف، فقال ابن عباس: كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنك: لله ذكور ولنعمائه شكور، وعن الخنا زجور، جواد كريم، سيد حلیم، إذا رمى أصاب، وإذا سئل أجاب، غير حصر ولا هباب، ولا عيابة مغتاب، حل من قريش في كريم النصاب، كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعي ولا دنيء لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب عليه جزارها، فأصبح الأمها حسباً، وأدناها منصباً، ينوء منها بالذليل، ويأوي منها إلى القليل، مذبذب بين الحيين، كالساقط بين المهدين، لا المضطر فيهم عرفوه، ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال؟ وبأي حسب تعتد به تبارز عند النضال؟ أبفسك؟ وأنت: الوغد اللثيم، والنكد الذميم، والوضيع الزنيم، أم بمن تنمي

(١) الهوَاهُة: ضعيف القلب. أحقق.

(٢) همز الشيطان الإنسان: همس في قلبه وسواساً.

إليهم؟ وهم: أهل السفه والطيش، والدناءة في قريش، ولا بشرف في الجاهلية شهروا، ولا بتقديم في الإسلام ذكروا، جعلت تتكلم بغير لسانك، وتنطق بالزور في غير أقرانك، والله لكان أبين للفضل، وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق، فإنه طالما سلس داؤك، وطمح بك رجاؤك إلى الغاية القصوى التي لم يخضر فيها رعيك، ولم يورق فيها غصنك. فقال عبدالله بن جعفر: أقسمت عليك لَمَا أمسكتَ فإِنَّكَ عَنِّي ناضلتَ، ولي فاضت. فقال ابن عباس: دعني والعبد، فإنه قد يهدر خالياً إذ لا يجد مرامياً، وقد أتيح له ضيغم شرس، للأقران مفترس، وللأرواح مختلس، فقال عمرو بن العاص: دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئاً. قال ابن عباس: دعه فلا يبقي المبقي إلا على نفسه، فوالله إن قلبي لشديد، وإن جوابي لعتيد، وبالله الثقة، واني لكما قال نابغة بني ذبيان:

وقدماً قد قرعتُ وقارعوني فما نزر الكلام ولا شجاني
يصدُّ الشاعر العرَّاف عني صدود البكر عن قرمٍ هجاني

هذا الحديث أخرجه الجاحظ في (المحاسن والأضداد) ص ١٠١، والبيهقي في (المحاسن والمساوي) ج ١ ص ٦٨، وقد مرَّ ص ١٢٥ عن ابن عساكر لعبدالله بن أبي سفيان نحوه، وفي بعض ألفاظه تصحيفٌ يُصحح بهذا.

١٣ معاوية وعمرو

لَمَا علم معاوية أن الأمر لم يتم له إن لم يبايعه عمرو فقال له: يا عمرو أتبعني. قال: لِمَ إذا؟ للآخرة؟ فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا؟ فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها. قال: فأنت شريكي فيها. قال: فاكتب لي مصر وكورها. فكتب له مصر وكورها، وكتب في آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: واكتب: أن السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً. قال معاوية: لا ينظر الناس إلى هذا. قال عمرو: حتى تكتب. قال: فكتب، ووالله ما يجد بدأً من كتابتها، ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يُكلم عمراً في مصر

وعمر و يقول له : إنما أبايعك بها ديني . فقال عتبة : إئتمن الرجل بدينه فإنه صاحب من أصحاب محمد . وكتب عمرو إلى معاوية :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنياً فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء وإنما لأخذ ما تُعطي ورأسى مقنع
فإن تُعطني مصراً فأربح صفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع

«العقد الفريد ج ٢ ص ٢٩١» .

١٤ معاوية وعمرو بصورة مفصلة

كتب أمير المؤمنين عليه السلام ، إلى معاوية بن أبي سفيان يدعوه إلى بيعته ، فاستشار معاوية بأخيه عتبة بن أبي سفيان فقال له : استعن بعمر وبن العاص ، فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه ، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته ، وهو لأمرك أشدُّ إلا أن تثمن له بدينه فسيبيعك ، فإنه صاحب دنيا ، فكتب إليه معاوية وهو بالسبع من فلسطين : - أما بعد - : فإنه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة^(١) أهل البصرة ، وقدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة عليّ ، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني ، أقبل أذاكرك أمراً . فلما قرأ الكتاب استشار ابنه عبدالله ومحمداً فقال لهما : ما تريان؟ فقال عبدالله : أرى أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض وهو عنك راضٍ والخليفتان من بعده ، وقتل عثمان وأنت عنه غائب ، فقر في منزلك فلست مجعولاً خليفة ، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنياً قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها . وقال محمد : أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها ، وأن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خاملٌ تصاغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان ، فإنك قد استلمت فيه إلى بني

(١) الرافضة : كل جند تركوا قائدهم

امية . فقال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خيرٌ لي في ديني، وأمّا أنت يا محمد فأمرتني بما هو خيرٌ لي في دنياي، وأنا ناظرٌ فيه، فلما جنه الليل رفع صوته وأهله ينظرون إليه:

تطاوَلَ ليلي للهموم الطوارقِ	وخوفَ التي تجلو وجوه العوائقِ
وإنّ ابن هند سائلي أن أزوره	وتلك التي فيها بنات البوائقِ
أتاه جريراً من عليّ بخطة	أمرت عليه العيش ذات مضائقِ
فإن نال مني ما يؤمل رده	وإن لم ينله ذلٌّ ذلُّ المطابقِ
فوالله ما أدري وما كنت هكذا	أكون ومهما قادني فهو سائقي
أخادعه، إنّ الخداع دنيئة	أم أعطيه من نفسي نصيحة وامقِ
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة	لشيخ يخاف الموت في كلِّ شارقِ
وقد قال عبدالله قولاً تعلقت	به النفس إن لم تقتطعني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمد	وإنّي لصلب العود عند الحقائقِ

فقال عبدالله: رحل الشيخ. وفي لفظ اليعقوبي: بال الشيخ عليّ عقبه وباع دينه بدنياه. فلما أصبح دعا عمرو غلامه «وردان» وكان داهياً مارداً فقال: ارحل يا وردان، ثمّ قال: حطّ يا وردان، ثمّ قال: ارحل يا وردان، حطّ يا وردان، فقال له وردان: خلطت أبا عبدالله؟ أما إنك إن شئت أنباتك بما في نفسك. قال: هات ويحك: قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت: عليّ مع الآخرة في غير دنيا وفي الآخرة عوضٌ من الدنيا. ومعاوية مع الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض الآخرة، فأنت واقفٌ بينهما. قال: فإنك والله ما أخطأت فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. قال: الآن لَمّا شهدت العرب مسيري إلى معاوية، فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله ورداناً وفطنته	أبدى لعمرك ما في النفس وردانُ
لَمّا تعرّضت الدنيا عرضت لها	بحرص نفسي وفي الأطباع إدهانُ

نفسٌ تعفّ واخرى الحرص يقلبها^(١) والمرء يأكل تيناً وهو غرثان^(٢)
 أما عليٌّ فدينٌ ليس يشركه دنياً وذاك له دنياً وسلطانٌ
 فاخترت من طمعي دنياً على بصيرٍ وما معي بالذي اختار برهانٌ
 إنني لأعرف ما فيها وأبصره وفي أيضاً لما أهواه ألوانٌ
 لكن نفسي تُحب العيش في شرف وليس يرضى بذلّ العيش إنسانٌ
 عمرو لعمر أبيه غير مُشْتَبِه والمرء يعطس والوسنان وسنانٌ

فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه
 وكأيد كل واحد منهما صاحبه، فلما دخل عليه قال: يا أبا عبدالله، طرقتنا في
 ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها وردٌ ولا صدرٌ. قال: وما ذاك؟ قال ذاك: أن
 محمد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات
 هذا الدين. ومنها: أن قيصر زحف بجماعة الروم إليّ ليغلب على الشام.
 ومنها: أن علياً نزل الكوفة متهيئاً للمسير إلينا. قال: ليس كل ما ذكرت عظيماً،
 أما ابن أبي حذيفة فما يتعاطمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه خيلاً
 تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرُّك؟^(٣) وأما قيصر فاهد له من وصفاء^(٣) الروم
 ووصائفها وآنية الذهب والفضة وسله الموادعة فإنه إليها سريع. وأما عليٌّ فلا
 والله يا معاوية ما تستوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء إن له في الحرب
 لحظاً ما هو لأحد من قريش، وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه.

وفي رواية اخرى قال معاوية يا أبا عبدالله! إنني أدعوك إلى جهاد هذا
 الرجل الذي عصى ربه وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع
 الرحم. قال عمرو: إلى من؟ قال: إلى جهاد عليّ. فقال عمرو: والله يا
 معاوية، ما أنت وعليٌّ بعكمي^(٤) بعير، ما لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا

(١) في شرح ابن أبي الحديد: يغلبها.

(٢) غرث غرثاً: جاع. فهو غرثان ج غرثى وغرث وغرثى.

(٣) الوصفاء الغلام دون المراهق ج وصفاء. مؤنثه الوصفاء ج ووصائف.

(٤) العكم بالكسر: العدل بالكسر.

جهاده ولا فقهه ولا علمه، والله إن له مع ذلك حدّاً وحدوداً وحظّاً وحظوةً وبلاءً من الله حسناً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربته؟ وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر. قال: حكمت. قال: مصر طعمة فتلكاً عليه^(١).

وفي حديث: قال له معاوية: إنني أكره لك أن يتحدث العرب عنك، أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال: دعني عنك^(٢) قال معاوية: إنني لو شئت أن أمنيك وأخذعك لفعلت. قال عمر: لا لعمر الله ما مثلي يُخدع لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: ادن مني برأسك أسارك. قال: فدنا منه عمرو يساره فعرض معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة، هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك؟ فأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل	بذلك دنياً فانظرن كيف تصنع
فإن تُعطني مصراً فأربح بصفقة	أخذت بها شيخاً يضر وينفع ^(٣)
وما الدين والدنيا سواء وإنني	لأخذ ما تُعطي ورأسي مقنع
ولكنني أغضي الجفون وإنني	لأخدع نفسي والمخادع يُخدع
وأعطيك أمراً فيه للملك قوة	وإنني به إن زلت النعل أصرع
وتمنعني مصراً وليست برغبة ^(٤)	وإنني بذا الممنوع قدماً لمولع

قال: أبا عبد الله! ألم تعلم أن مصراً مثل العراق؟ قال: بلى ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، وإنما تكون لك إذا غلبت علياً على العراق، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلي علياً قال: فدخل عتبة بن أبي سفيان فقال لمعاوية: أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر إن هي صفت لك؟ ليتك لا تغلب على الشام.

(١) تلكاً عن الأمر. أبطاً وتوقف.

(٢) مر تحليل هذه الكلمة في ص ١٤٩ .

(٣) البيتان يوجدان في عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٨١ .

(٤) الرغبة بكسر المهملة وفتحها: العطاء الكثير.

فقال معاوية : يا عتبة ، بت عندنا الليلة فلما جن على عتبة الليل رفع
صوته لسمع معاوية وقال :

أيها المانع سيفاً لم يهز	إنما ملت على خبزٍ وقرزٍ
إنما أنت خروفٌ مائلٌ	بين ضرعين و صوف لم يُجز
أعط عمراً إن عمراً تاركٌ	دينه اليوم لدينياً لم تُحز
يا لك الخير فخذ من درّه	شخبه الأولى وأبعد ما غرز ^(١)
واسحب الذيل وبادر فوتها	وانتهزها إن عمراً يُتهز ^(٢)
أعطه مصرأً وزده مثلها	إنما مصر لمن عز فبز ^(٣)
واترك الحرص عليها ضلّة	واشبه النار لمغرور يكرز
إن مصرأً لعليّ ولنا	تغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصرأً فقال له عمرو:
لي الله عليك بذلك شاهدٌ. قال له معاوية: نعم لك الله عليّ بذلك لئن فتح الله
علينا الكوفة قال عمرو: والله على ما نقول وكيل. فخرج عمرو من عنده فقال له
ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. قالوا: وما مصر في ملك العرب؟! قال:
لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر، وكتب معاوية على أن لا ينقض شرط
طاعة. وكتب عمرو على أن لا ينقض طاعة شرطاً. فكايد كل واحد منهما
صاحبه.

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٠ - ٢٤ ، كامل المبرد ج ١ ص ٢٢١ ،
شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٨ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦١ -
١٦٣ ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ج ٣ ص ١٠٨ ، قصص العرب ج ٢
ص ٣٦٢ .

(١) الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب. الشخبة: الدفعة منه ج: شخاب. غرز الغنم: ترك حلبها
لتسمن.

(٢) يقال: جاء يسحب ذيله: أي يمشي متبخترأ. انتهز: ابتدر واغتنم.

(٣) بزه غلبه. بز الشيء منه: أخذه بجفاء وقهر.

١٥ عمار بن ياسر وعمرو

اجتمع عمار بن ياسر، مع عمرو بن العاص، في المعسكر يوم صفين، فنزل عمار والذين معه فاحتبوا بحمائل سيوفهم فتشهد عمرو بن العاص (يعني قال: أشهد أن لا إله إلا الله) فقال عمار: أسكت فقد تركتها في حياة محمد ومن بعده، ونحن أحقُّ بها منك، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني. قال عمرو: يا أبا اليقظان، ليس لهذا جئت إنما جئت لأنني رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم، أذكرك الله إلا كفت سلاحهم، وحقنت دماهم وحرضت على ذلك فعلام تقاتلنا؟! أو لسنا نعبد إلهاً واحداً؟ ونصلي قبلكم؟ وندعو دعوتكم؟ ونقرأ كتابكم؟ ونؤمن برسولكم؟ قال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك إنها لي ولأصحابي القبلة، والدين وعبادة الرحمن، والنبى والكتاب، من دونك ودون أصحابك، الحمد لله الذي قررك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالاً مضلاً لا تعلم هادٍ أنت أم ضال، وجعلك أعمى، وسأخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك، أمرني رسول الله أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأما المارقين فما أدري أدركهم أم لا.

أيها الأبترا ألسنت تعلم أن رسول الله قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟! وأنا مولى الله ورسوله وعلي من بعده وليس لك مولى. قال له عمرو: لم تشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك؟ قال عمار: وبم تشتمني؟ أتستطيع أن تقول: إنني عصيت الله ورسوله يوماً قط؟ قال له عمرو: إن فيك لمسبات سوى ذلك. قال عمار: إن الكريم من أكرمه الله، كنتُ وضعياً فرفعني الله، ومملوكاً فأعتقني الله، وضعيفاً فقوانني الله، وفقيراً فأغناني الله. وقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال فتح لكم باب

كل سوء. قال عمرو: فعليُّ قتله. قال عمار: بل الله ربُّ عليٍّ قتله^(١).

وروى نصر في كتابه ص ١٦٥ في حديث: فلما دنا عمار بن ياسر رحمه الله بصفيين من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو! بعث دينك بمصر، تباً لك، وطال ما بغيت الإسلام عوجاً. ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٥٣ وزاد: والله ما قصدك وقصد عدو الله ابن عدو الله بالتعلل بدم عثمان إلا الدنيا.

١٦ - أبو نوح الحميري وعمرو

أتى أبو نوح الحميري الكلاعي، يوم صفيين مع ذي الكلاع إلى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس، وعبدالله بن عمر يحرض الناس على الحرب، فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا أبا عبدالله! هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبك؟ قال عمرو: ومن هو؟ قال ذو الكلاع: ابن عمي هذا وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو: إنني لأرى عليك سيما أبي تراب. قال أبو نوح: عليٌّ سيما محمد صلى الله عليه وأصحابه وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون.

كتاب صفيين ص ١٧٤، شرح النهج لابن أبي الحديد.

١٧ - أبو الأسود الدؤلي وعمرو

قدم أبو الأسود^(٢) الدؤلي على معاوية بعد مقتل عليٍّ رضي الله عنه وقد استقامت لمعاوية البلاد، فأدنى مجلسه، وأعظم جائزته، فحسده عمرو بن العاص فقدم على معاوية فاستأذن عليه في غير وقت الإذن فأذن له فقال له معاوية: يا أبا عبدالله! ما أعجلك قبل وقت الإذن فقال: يا أمير المؤمنين؟ أتيتك لأمر قد أوجعني وأرقني وغازني، وهو من بعد ذلك نصيحةٌ لأمر المؤمنين. قال

(١) كتاب صفيين لنصر بن مزاحم ص ١٧٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٧٣.

(٢) ظالم بن عمرو التابعي الكبير المتوفى سنة ٦٩ وهو ابن خمس وثمانين سنة.

وما ذاك يا عمرو؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أبا الأسود رجل مفوه له عقل وأدب، من مثله للكلام يُذكر؟ وقد أذاع بمصر من الذكر لعلّي، والبغض لعدوه وقد خشيت عليك أن يترى^(١) في ذلك حتى يُؤخذ لعنقك، وقد رأيت أن تُرسل إليه، وتُرهبه، وترغبه، وتسبره، وتُخبره، فإنك من مسألته على إحدى خبرتين، إمّا أن يُبدي لك صفحته فتعرف مقالته، وإمّا أن يستقبلك فيقول ما ليس من رأيه، فيحتمل ذلك عنه فيكون لك في ذلك عاقبة صلاح إن شاء الله تعالى. فقال له معاوية: إنني امرؤ والله لقل ما تركت رأياً لرأي امرئ قط إلا كنت فيه بين أن أرى ما أكره وبين بين، ولكن إن أرسلت إليه فسألته فخرج من مساءلتي بأمر لا أجد عليه مقدماً ويملاًني غيظاً لمعرفتي بما يُريد، وإن الأمر فيه أن يُقبل ما أبدى من لفظه فليس لنا أن نشرح عن صدره وندع ما وراء ذلك يذهب جانباً. فقال عمرو: أنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفين، وقد عرفت رأيي ولست أرى خلافي وما آلوك خيراً، فأرسل إليه ولا تفرش مهاد العجز فتتخذهُ وطياً.

فأرسل معاوية إلى أبي الأسود فجاء حتى دخل عليه فكان ثالثاً فرحّب به معاوية وقال: يا أبا الأسود! خلوتُ أنا وعمرو فتناجزنا^(٢) في أصحاب محمد ﷺ وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين. قال: سل يا أمير المؤمنين! عما بدا لك فقال: يا أبا الأسود! أيهم كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقال: أشدّهم حباً لرسول الله ﷺ وأوقاهم له بنفسه، فنظر معاوية إلى عمرو وحرك رأسه، ثمّ تمادى في مسألته فقال: يا أبا الأسود! أيهم كان أفضلهم عنده؟ قال أتقاهم لرّبّه وأشدّهم خوفاً لدينه. فاغتاظ معاوية على عمرو، ثمّ قال: يا أبا الأسود! أيهم كان أعلم؟ قال: أقولهم للصواب وأفضلهم للخطاب. قال: يا أبا الأسود! أيهم كان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاءً، وأحسنهم عناءً، وأصبرهم على اللقاء. قال: أيهم كان أوثق عنده؟ قال من أوصى إليه فيما بعده. قال: أيهم كان

(١) ترى تريباً في الأمر: تراخى فيه.

(٢) ناجزه: خاصمه. والمناجزة في الحرب المبارزة.

للنبي ﷺ صديقاً؟ قال: أولهم به تصديقاً. فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا جزاك الله خيراً، هل تستطيع أن تردّ مما قال شيئاً؟ فقال أبو الأسود: إني قد عرفت من أين أتيت، فهل تآذن لي فيه؟ فقال: نعم. فقل ما بدا لك فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الذي ترى هجا رسول الله ﷺ بأبيات من الشعر فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني لا أحسن أن أقول الشعر فالعن عمرأ بكل بيت لعنة. أفتراه بعد هذا نائلاً فلاحاً؟ أو مدركاً رباحاً؟ وأيم الله إن امرأ لم يُعرف إلاّ بسهم أُجبل عليه فجال لحقيق أن يكون كليل اللسان ضعيف الجنان، مستشعراً للإستكانة، مقارناً للذلّ والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكرام أقمى (١) متعيصاً لدينه لعظيم دينه، غير ناظر في أبهة الكرام ولا منازع لهم، ثم لم يزل في دجة ظلماء مع قلة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، والمكر والخداع في النار. فقال عمرو: يا أبا بني الدؤل! والله إنك لأنت الدليل القليل، ولولا ما تمت به من حسب. كنانة لا تختطفك من حولك اختطاف الأجدل الحديدية (٢) غير أنك بهم تطول، وبهم تصول، فلقد استطبت مع هذا لساناً قووالاً، سيصير عليك وبالاً، وأيم الله أنك لأعدى الناس لأمير المؤمنين قديماً وحديثاً، وما كنت قط بأشدّ عداوة له منك الساعة، وأنت لتوالي عدوه، وتعادي وليه، وتبغيه الغوائل، ولئن أطاعني ليقطعن عنه لسانك، وليخرجن من رأسك شيطانك، فأنت العدو المطرق له إطراق الأفعوان (٣) في أصل الشجرة.

فتكلم معاوية فقال: يا أبا الأسود، أغرقت في النزح ولم تدع رجعة لصلحك. وقال لعمر: فلم تغرق كما أغرقت ولم تبلغ ما بلغت، غير أنه كان منه الإبتداء والإعتداء، والباغي أظلم، والثالث أحلم، فانصرفا عن هذا القول

(١) أقمى الكلب: جلس على إسته.

(٢) الأجدل: الصقر. والحداة بكسر الحاء: طائر من الجوارح. والعامّة تسميه الحديدية.

(٣) الأفعوان بضم الأول: ذكر الأفعى.

إلى غيره وقوما غير مطرودين، فقام عمرو وهو يقول:

لعمري لقد أعيى القرون التي مضت لغشّ ثوى بين الفؤاد كمين

وقام أبو الأسود وهو يقول:

ألا إن عمراً رام ليث خفية^(١) وكيف ينال اللثب ليث عرين

«تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٠٤-١٠٦».

١٨ - حديث أبي جعفر وزيد

قال أبو جعفر وزيد بن الحسن: طلب معاوية إلى عمرو بن العاص يوم صفين أن يسوي صفوف أهل الشام فقال له عمرو: على أن لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب واستوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمتك في مصر؟ قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة؟ وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي لا يُفتر عنهم وهم فيه مبلسون؟ فقال معاوية: إن لك حكمتك أبا عبد الله، إن قتل ابن أبي طالب، رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك. فقال لهم عمرو: يا معشر أهل الشام سوّوا صفوفكم، أعيروا ربكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدو الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأدبارهم، واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

كتاب صفين لابن مزاحم ص ١٢٣، شرح ابن أبي الحديد.

هذه أكبر كلمة تدل على ضئولة الرجل في دينه لأنها تنم عن عرفانه بحق أمير المؤمنين عليه السلام ومغبة أمر من ناواه ومع ذلك فهو يحرض الناس على قتاله ويموه عليهم، وهي ترد قول من يبرر عمله بإجتهاده أو بعدله.

١٩ - عمرو وابن أخيه

كان لعمرو بن العاص ابن أخ^(٢) أريب من بني سهم جاءه من مصر، فقال

(١) الخفية: الغيضة الملتفة.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ابن عم.

له : ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي تعيش في قريش؟ أعطيت دينك، وتمنيت دنيا غيرك، أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حي؟ وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب (١) فقال عمرو: يا بن أخي إن الأمر لله دون علي ومعاوية. فقال الفتى:

ألا يا هندُ أخت بني زياد	رُمي عمروُ بداهية البلادِ
رُين عمروُ بأعور عبشمي	بعيد القعر محشي الكبادِ (٢)
له خدعٌ يحار العقل فيها	مزخرفةٌ صوائد للفؤادِ
فشرط في الكتاب عليه حرف	يُناديه بخدعته المنادي
وأثبت مثله عمرو عليه	كلا المرأين حية بطن وادي
ألا يا عمرو ما أحرزت مصرًا	وما ملت الغداة إلى الرُشادِ
وبعت الدين بالدنيا خسارًا	فأنت بذاك من شر العبادِ
فلو كنت الغداة أخذت مصرًا	ولكن دونها خرط القتادِ
وفدت إلى معاوية بن حرب	فكنت بها كوافد قوم عادِ
وأعطيت الذي أعطيت منها	بطرس فيه نضح من مدادِ
ألم تعرف أبا حسن عليًا	وما نالت يده من الأعادي؟؟!!
عدلت به معاوية بن حرب	فيا بُعد البياض من السوادِ
ويا بُعد الأصابع من سهيل	ويا بُعد الصلاح من الفسادِ
أتأمن أن تراه على خدب	يحث الخيل بالاسل الخدادِ (٣)
ينادي بالنزال وأنت منه	قريبٌ فانظرن من ذا تُعادي

فقال عمرو: يا بن أخي، لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكن الآن مع معاوية. فقال له الفتى: إنك إن لم تُرد معاوية لم يُردك. ولكنك تُريد دنياه ويُريد

(١) يعني كتاباً كتبه معاوية لعمرو بمصر وجعلها طعمة له.

(٢) يعني معاوية: يقال ي النسبة إلى عبد شمس: عبشمي. حشا حشواً: ملا. احتشى: امتلأ.

(٣) خدب بالكسر وتشديد الموحدة: سنام البعير الضخم. الاسل: الرماح.

دينك . وبلغ معاوية قول الفتى ، فطلبه فلحق بعليّ فحدثه بأمر عمرو ومعاوية . قال فسرّ ذلك عليّاً وقرّبه قال : وغضب مروان وقال : ما بالي لا أشتري كما اشترى عمرو؟ فقال معاوية : إنما يشتري الرجال لك . قال : فلما بلغ عليّاً ما صنع معاوية وعمرو قال :

يا عجباً لقد سمعت منكرا	كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا	ما كان يرضى أحمد لو أخبرا
أن يقرنوا وصيه والأبترا	شاني الرسول واللعين الأخررا ^(١)
كلاهما في جنده قد عسكرا	قد باع هذا دينه فأفجرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا	بملك مصر إن أصاب الظفرا
إنني إذا الموت دنا وحضرا	شمّرت ثوبي ودعوتُ قنبرا
قدّم لوائي لا تؤخر حدرا	لن ينفع الحذار ممّا قدّرا
لما رأيت الموت موتاً أحمررا	عبأت همدان وعبّوا جميرا
حيّ يمانٍ يعظمون الخطرا	قرنٌ إذا ناطح قرنًا كسرا
قل لابن حرب لا تدبّ الحمرا	أرود قليلاً أبد منك الضجرا ^(٢)
لا تحسبني يابن حرب عمرا	وسل بنا بدرأ معاً وخيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا	إذ وردوا الأمر فذمّوا الصّدرا ^(٣)
لو أن عندي يابن حرب جعفرا	أو حمزة القرم الهمام الأزهرا

رأت قريشٌ نجم ليل ظهرا

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٤ ، كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٤ ، شرح

ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٨ .

(١) الخزر: ضيق العين . الخزرة بالضم : انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول .

(٢) أدب الصبي : سيرة . أرود في السير : رفق وتمهل . الضجر بفتح الفاء والعين : القلق من غم وضيق نفس .

(٣) الجزيرة . الشاة التي تذبح ج جزر . بالفتح وقد تكسر . الصدر ، بالتحريك : رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد .

٢٠ - غانمة بنت غانم وعمرو

بلغ غانمة بنت غانم، سب معاوية، وعمرو بن العاص، بني هاشم وهي بمكة قالت: يا معشر قريش، والله ما معاوية بأمر المؤمنين ولا هو كما يزعم، هو والله شانيء رسول الله ﷺ إني آتية معاوية وقائلة له بما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله. فكتب عامل معاوية إليه بذلك فلما بلغه أن غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقي فيها فرش، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد: إن أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته وكان لا تعرفه فقالت: من أنت؟ كلاك الله. قال: يزيد بن معاوية. قالت: فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد. فتغير لون يزيد فأتى أباه فأخبره فقال: هي أسن قريش وأعظمهم. فقال يزيد: كم تعد لها يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت تعد على عهد رسول الله ﷺ أربعمائة عام وهي من بقية الكرام، فلما كان من الغد أتتها معاوية فسلم عليها فقالت: على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان. ثم قالت: من منكم ابن العاص؟^(١) قال عمرو: ها أنا ذا. فقالت: وأنت تسب قريشاً وبني هاشم؟ وأنت أهل السب وفيك السب وإليك يعود السب يا عمرو؟ إني والله لعارفة بعيوبك وعيوب أمك وإني أذكر لك ذلك عيباً عيباً: ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء، تبول من قيام، وتعلوها اللثام، إذا لامسها الفحل كانت نطفها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً، وأما أنت فقد رأيتك غاوباً غير راشد، ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت، وأما أنت يا معاوية! فما كنت في خير ولا ربيت في خير، فما لك ولبني هاشم؟ أنساء بني أمية كنسائهم؟ الحديث. وهو طويل وقد حذفنا من أوله مقدار ما ذكر، راجع [المحاسن والأضداد] للجاحظ ص ١٠٢ - ١٠٤، وفي ط ١١٨ - ١٢١ و[المحاسن والمساوي] للبيهقي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ .

(١) في لفظ الجاحظ: أفیکم عمرو بن العاص؟

هذه حقيقة الرجل ونفسيّاته وروحيّاته منذ العهد الجاهليّ وفي دور النبوة وبعده إلى ما أثاره من فتن إلتقت بها حلقتا البطان في أيام أمير المؤمنين عليه السّلام يوم تحيّزه إلى ابن آكلة الأكباد لدحض الحقّ وأهله، وما كان يتحرّى فيها من الغوائل وبعدها إلى أن اصطلمه القدر الحاتم، واخترمته منيته يوم خابت امنيّته فطفق يتغلّل بين أطباق الجحيم وتضربه زبانيّتها بمقامع من حديد، ولعلّنا ألمسناك هذه الحقيقة باليد فلن تجد في تضاعيف هاتيك الأعوام له مآثرة يتبجّح بها ابن انثى خلا ما تقوله زبائنه من أعداء أهل البيت عليهم السّلام، وما عسى أن يكون مقيلاً من ظلّ الحقّ؟ بعدما أثبتناه من الحقيقة الراهنة، ووقفنا عليه من أحوال رواة السوء وشناشئهم في افتعال المدائح للزعانفة المؤتلفة معهم في النزعات الباطلة.

وأما تأميره في غزوة ذات السلاسل فلا يُجديه نفعاً بعد ما علمناه من أنّه كان يتظاهر بالإسلام ويبطن النفاق في طيلة حياته، وما كان الصالح العامّ والحكمة الإلهية يحدوان رسول الله صلّى الله عليه وآله على العمل بالبواطن، وإنّما يجاري القوم مجاري ظواهرهم لأنّهم حديثو عهد بالجاهليّة، والإسلام لما يتحكّم في أفئدتهم، فلو كاشفهم على السرائر لا تنكصوا على أعقابهم، وتقهقروا إلى جاهليّتهم الأولى، فكان يُسايروهم على هذا الظاهر لعلّهم يتمرّنوا باعتناق الدين، ويأخذ من قلوبهم محلّه، ولذلك انه صلّى الله عليه وآله كان يعلم بنفاق كثير من أصحابه كما أخبره الله تعالى بقوله ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النُّفَاقِ﴾. إلى غيرها من الآيات الكريمة، لكنّه يستر عليهم رعاية لما أبرمه حذار الإنتكاث، فكان تأمير عمرو مع علمه بنفاقه لتلك الحكمة البالغة غير ملازم لحسن حاله على ما عرفته من كلام مولانا أمير المؤمنين من أنّه صلّى الله عليه وآله لمّا عقد له الراية شرط عليه شرطاً قد أخلفه.

ويُعرب عن حقيقة ما نرتأيه قولُ أبي عمرو وغيره: إنّ عمرو بن العاص إدعى على أهل الإسكندرية أنّهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدهم، فعهد إليها فحارب أهلها وافتتحها، وقتل المقاتلة، وسبى الذرية، فنقم ذلك عليه

عثمان، ولم يصحّ عنده نقضهم العهد، فأمر بردّ السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم، وعزل عمراً عن مصر وولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري مصرأً بدله، فكان ذلك بدؤ الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان، فلما بدا بينهما من الشر ما بدا اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله، وكان يأتي المدينة أحياناً ويطعن على عثمان (١) وولى عمر عمرو بن العاص على مصر وبقي والياً عليها إلى أول خلافة عثمان، سحر عليه الدنيا ناراً، ولما أتاه قتله قال: أنا أبو عبدالله إذا نكأت (٢) قرحة أدميتها. ثم إن عثمان عزله عن الخراج واستعمله على الصلاة، واستعمل على الخراج عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم جمعهما لعبدالله بن سعد وعزل عمراً، فلما قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به. فقال: يا ابن النابغة؟ ما أسرع ما قمل جربان (٣) جُبَّتْك! إنما عهدك بالعمل عام أول، أتطعن علي وتأتيني بوجه وتذهب عني بالآخر؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك. فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى وولاتهم باطل، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك؟ فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعك (٤) وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض. فقال عثمان: وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت، ولكني لنت لك فاجترأت علي. فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان. ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان. ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان. ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان.

ولما قصد الثوار إلى المدينة أخرج لهم عثمان علياً فكلّمهم فرجعوا عنه وخطب عثمان الناس فقال: إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٢.

(٢) نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ.

(٣) جربان الجبة بضم الميم والراء وكسرهما وتشديد الباء جيها.

(٤) أي على ما فيك من عيب وميل. والظلع في الأصل غمز البعير في مشيه.

أمر فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم، فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: إئتق الله يا عثمان! فإنك قد ركبت نهاير^(١) وركبناها معك، فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان فقال: وإنك هناك يابن النابغة؟ قملت والله جببتك منذ تركتك من العمل. وفي لفظ البلاذري في الأنساب: يابن النابغة! وإنك ممن تؤلب علي الطغام لأنني عزلتك عن مصر.

فلما كان حصر عثمان الأول خرج عمرو من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبع. فنزل بها، وكان يقول: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها، والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه عليه. وفي لفظ البلاذري: وجعل يحرض الناس على عثمان حتى رعاة الغنم. فبينما هو بقصره بفلسطين إذ مر به راكب من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال: تركته محصوراً. قال عمرو: أنا أبو عبدالله قد يضطرب العير والمكواة في النار، فلما بلغه مقتل عثمان قال عمرو: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق^(٢) وهو أكره من يليه إلي.

فلما بلغه أن علياً قد بويع له، فاشتد عليه وتربص لينظر ما يصنع الناس، ثم نمي إليه معاوية بالشام يأبى أن يبايع علياً، وأنه يُعظم قتل عثمان ويحرض على الطلب بدمه، فاستشار ابنه عبدالله ومحمداً في الأمر، وقال: ما تريان؟ أما علي فلا خير عنده وهو رجل يدل^(٣) بسابقتة، وهو غير مشركي في شيء من أمره. فقال عبدالله بن عمرو: توفي النبي ﷺ وهو عنك راض، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وهو عنك راض، وتوفي عمر رضي الله عنه وهو عنك راض، أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعه. وقال محمد بن عمرو: أنت ناب من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس

(١) جمع نهيرة بالضم: المهلكة.

(٢) استنظف الشيء. أخذ كله.

(٣) أدل وتدلل: انبسط واجترا.

لك فيه صوتٌ ولا ذكرٌ. قال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله؟ فأمرتني بالذي هو خيرٌ لي في آخرتي، وأسلم في ديني، وأمّا أنت يا محمد فأمرتني بالذي أنبه لي في دنياي، وأشر لي في آخرتي. ثم خرج عمرو بن العاص ومعه إبناه حتى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم. ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو، فقال إبناه عمرو وعمرو: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك؟! إنصرف إلى غيره. فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لعجب لك إنني أرفدك بما أرفدك وأنت معرضٌ عني، أمّا والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقربته، ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا. فصالحه معاوية وعطف عليه.

أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٧٤، ٨٧، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٨ - ١١١ و ٢٢٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٦٨، تذكرة السبط ص ٤٩، جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٨٨.

وكان بعد تلك المساومة المشؤومة يحضّ الناس على قتل الإمام أمير المؤمنين كما فعله على عثمان حتى قتله وافتخر به بقوله: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع. ثم جعل قميصه وسيلة النيل إلى الرتبة والراتب وقام بطلب دمه قائلاً: إن في النفس من ذلك ما فيها. وممن حث على أمير المؤمنين وألبه حريث مولى معاوية بن أبي سفيان قال ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١١٣: قال معاوية لحريث: إتق علياً ثم ضع رمحك حيث شئت، فقال له عمرو بن العاص: إنك والله يا حريث، لو كنت قرشياً لأحبّ معاوية أن تقتل علياً ولكن كره أن يكون لها حظها، فإن رأيت منه فرصة فاقتحم عليه.

ولما قُتل أمير المؤمنين عليه السلام إستبشر بذلك وبشّره به سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص قال ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ١٨١: لَمَّا طَعَن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب سفيان يبشّر معاوية وعمرو بن

العاص بقتله فكتب معاوية إلى عمرو وهو يقول:

وقتك وأسباب المنون كثيرة	منية شيخ من لوي بن غالب
فيا عمرو مهلاً إنما أنت عمه	وصاحبه دون الرجال الأقارب
نجوت وقد بل المرادي سيفه	من ابن أبي شيخ الأباطح طالب
ويضربني بالسيف آخر مثله	فكانت عليه تلك ضربة لازب
وأنت تناغي كل يوم وليلة	بمصرك بيضاً كالظباء الشواذب

هذه نفسية الرجل وتتمام حقيقته اللائحة على تجارته البائرة، وصفقته الخاسرة، وبضاعته المزجاة من الدين المبطن بالإلحاد، والمكتنف بالنفاق، ولو لم يكن كذلك لما اقتنع بتلك المساومة، وهو يعرف الثمن والمثمن، ويعلم سابقة أمير المؤمنين وفضله وقرابته ويقول: إن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق. ومع ذلك يظهر بغضه وعداه بقوله: وهو أكره من يليه إلي. ويعترف بالحق ويتحيز إلى خلافه، ويعرف الموضع الصالح للخلافة ثم يميل مع الهوى ويقول: إنما أردنا هذه الدنيا. فيبيع دينه لمعاوية بثمن بخس (مصر وكورها) ويؤلب الناس على الإمام الطاهر بنص الكتاب العزيز، ويسر بقتله، ولقد صارح بكل ذلك صراحة لا تقبل التأويل وهي مستفادة من نصوصه ونصوص الصحابة الأولين، وبها عرّف في التاريخ الصحيح كما سمعت من دون أي استنباط أو تحوير، فلا بارك الله في صفقة يمينه، ولا غار له بخير.

حديث شجاعته

لم نعهد لابن النابغة موقفاً مشهوداً في المغازي والحروب سواءً في ذلك العهد الجاهلي، ودور النبوة، وأما وقعة صفين فلم يؤثر عنه سوى مخزاة سوته مع أمير المؤمنين، وفراره من الأشر، وقد بقي عليه عار الأولى مدى الحقب والأعوام، وجرى بها المثل وغنى بها أهل الحجاز وجاء شعر عتبة بن أبي سفيان:

سوى عمرو وقته خصيته
نجى ولقلبه منه وجيب

وفي شعر معاوية بن أبي سفيان يذكر عمراً وموقفه كما يأتي :
 فلو لم يُبد عورته للاقى به ليشاً يُدلل كلُّ غازي
 فقد لاقى أباحسنٍ علياً فأب الوائلِ فأب غازي

وفي شعر الحارث بن نصر السهمي :
 فقولا لعمرو وابن أرمطة أبصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
 ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما هما كانتا للنفس والله واقية

وفي شعر الأمير أبي فراس :
 ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوئته عمرو

وفي شعر الزاهي البغدادي :
 وصدُّ عن عمرو وبُسر كرما إذ لقيا بالسواتين من شخص

وقال آخر :
 ولا خير في صون الحياة بذلة كما صانها يوماً بذلته عمرو

وقال عبد الباقي الفاروقي العمري :
 وليلة الهرير قد تكشفت عن سوء ابن العاص لَمَّا غلبا
 فحاد عنه مغضباً حيدرُهُ وعفُّ والعفو شعار النجبا
 ولو يشأ ركب فيه زجةً تركيب مزجي كعمدي كربا

وكان قد تكرر منه هذا العمل المخزي كما سيأتي، ولو كان للرجل شيء من البسالة لجبه معيَّره بتعداد مشاهدته، وسلقهم بلسان حديد، وهو ذلك الصلف المفوه، وفيما أمر من الحروب كان الزحف للجيش الباسل دونه، فلم يسط أمامه، وإنما كان رثياً في أمرهم يُدير وجه الحيلة فيه، كما أنه كان في

صفتين كذلك لم يُبارح سراقق معاوية وطفق يُبديه دهائه إلا في موقفين سيوافيك تفصيلهما، ولذلك كله اشتهر بدهاء دون الشجاعة. قال البيهقي في [المحاسن والمساوي] ج ١ ص ٣٩: قال عمرو بن العاص لابنه عبدالله يوم صفتين: تبين لي هل ترى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قال عبدالله: فنظرت إليه فرأيتته فقلت: يا أباها هو ذاك على بغلة شهباء عليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء. قال فاسترجع وقال: والله ما هذا بيوم ذات السلاسل ولا بيوم اليرموك ولا بيوم أجنادين، وددت أن بيني وبين موقفي بعد المشرقين.

هذا هو الذي عرفه منه معاصروه، وستقف على أحاديثهم، نعم جاء ابن عبد البر بعد لأي من عمر الدهر فتهجس في «الإستيعاب» فعده من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم. ولعل ابن منير^(١) المولود بعد ابن عبد البر بعشر سنين وقف على كلامه في «الإستيعاب» وحكمه ببطولة الرجل فقال في قصيدته الترية:

وأقول إن أخطأ معاويةً فما أخطأ القدرُ
هذا ولم يغدر معاويةً ولا عمرو مكرُ
بطلٌ بسوءته يُقاتل لا بصارمه الذكُرُ

فإليك ما يؤثر في مواقفه حتى ترى عيه عن القحوم إلى الفوارس في مضمار النضال والدنو من نقع الحومة، وتقف على حقيقته من هذه الناحية أيضاً، وتعرف قيمة كلام ابن حجر في «الإصابة» ج ٣ ص ٢ من: أن النبي ﷺ كان يُقرِّبه ويُدنيه لمعرفة وشجاعته، ولا نساؤه متى قرَّبه وأدناه.

(١) أحد شعراء الغدير في القرن السادس تأتي هناك قصيدته الترية وترجمته.

أمير المؤمنين وعمرو في معترك القتال بصفين

كان عمرو بن العاص عدوًّا للحرث بن نصر الخثعمي ، وكان من أصحاب عليٍّ عليه السَّلام ، وكان عليٌّ قد تهيَّبه فرسان الشام وملاً قلوبهم بشجاعته وامتنع كلُّ منهم من الإقدام عليه وكان عمرو ما جلس مجلساً إلا ذكر فيه الحرث بن نصر الخثعمي وعابه فقال الحرث :

ليس عمرو بتارك ذكره الحرث	مدى الدهر أو يُلاقي عليًّا
واضع السيف فوق منكبه الأيد	من لا يحسب الفوارس شيئاً
ليت عمراً يلقاه في حومة النقع	وقد أمست السيوف عصياً
حيث يدعو البراز حامية القوم	إذا كان بالبراز مليًّا
فوق شهب مثل السحوق ^(١) من	النخل يُنادي المبارزين : إليًّا
ثم يا عمرو تستريح من الفخر	وتلقى به فتى هاشميًّا
فالقهِ إن أردت مكرمة الدهر	أو الموت كلَّ ذاك عليًّا

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً فأقسم بالله ليلقين عليًّا ولو مات ألف موة . فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم عليٌّ وهو مخترط سيفاً ، معتقلٌ رمحاً ، فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه ، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه ، كاشفاً عورته ، فانصرف عنه عليٌّ لافتاً وجهه ، مستدبراً له ، فعدَّ الناس ذلك من مكارم عليٍّ وسؤدده ، وضرب بها المثل .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٠ .

وقال ابن قتيبة - في الإمامة والسياسة - ج ١ ص ٩١ : ذكروا أن عمراً قال

(١) سحقت النخلة . طالت . فهي سحوق بالفتح ج سحوق . بالضم .

لمعاوية: أتجبن عن عليٍّ وتتهمني في نصيحتي إليك؟؟!! والله لأبارزن علياً ولو مت ألف موة في أول لقائه، فبارزه عمرو فطعنه عليٌّ فصرعه، فأتقاه بعورته فانصرف عنه عليٌّ وولّى بوجهه دونه، وكان عليٌّ رضي الله عنه لم ينظر قط إلى عورة أحد حياةً وتكرماً وتنزهاً عما لا يحلُّ، ولا يجلُّ بمثله كرم الله وجهه.

وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥: إن معاوية أقسم علي عمرو لَمَّا أشار عليه بالبراز إلى أن يبرز إلى عليٍّ فلم يجد عمرو من ذلك بدءاً فبرز، فلَمَّا التقيا عرفه عليٌّ وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال: مُكرهٌ أخوك لا بطل. فحوّل عليٌّ وجهه وقال: قبحت. ورجع عمرو إلى مصافه.

اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صيفين عمرو بن العاص، وعُتْبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعي، فقال عُتْبة: إن أمرنا وأمر عليٍّ بن أبي طالب لعجيب، ما فينا إلا موتورٌ مُجتاحٌ، أما أنا فقتل جدِّي عتبة بن ربيعة وأخي حنظلة وشرك في دم عمِّي شيبة يوم بدر، وأما أنت يا وليد فقتل أباك صبراً، وأما أنت يا ابن عامر فصرع أباك وسلب عمك، وأما أنت يا ابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل، وأبتم إخوتك، وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر^(١):

وأفلتهنَّ علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب^(٢)

فقال معاوية: هذا الإقرار فأبي غير غيرت؟ قال مروان: وأبي غير تُريد؟! قال: أريد أن تشجروه بالرماح. قال: والله يا معاوية ما أرك إلا هاذياً أو هاذئاً وما أرانا إلا ثقلنا عليك. فقال ابن عقبة:

يفول لنا معاوية بن حرب : أما فيكم لو اترككم طلبوب؟

(١) البيت لامرئ القيس، قوله: صفر الوطاب. مثل يضرب لمن مات أو قتل.

(٢) أفنته حلصه وأطلمه. أفلت: تحلص. علباء من علب اللحم: تغيرت رائحته بعد اشتداده،

الحرصي المشرف على الهلاك. الصفر بالحركات الثلاث: الخالي. الوطاب: سقاء اللبن ج

يشدُّ على أبي حسنٍ عليٍّ
 فيهتك مجمع اللّبات منه
 فقلت له: أتلعب يا بن هند؟
 أتغرّينا بحية بطن وادٍ
 وما ضبعٌ يدبُّ بطن وادٍ
 بأضعف حيلة منّا إذا ما
 دعا لِقاه في الهيجاء لاقٍ
 سوى عمرو وقته خصيتاهُ
 كأنّ القوم لَمّا عاينوهُ
 كعمرو أي معاوية بن حرب
 لقد ناداه في الهيجا عليُّ
 فغضب عمرو وقال: إن كان الوليد صادقاً فليلق عليّاً، أو فليقف حيث
 يسمع صوته وقال عمرو:

يُذكّرني الوليد دعا عليٍّ
 متى يذكر مشاهده قريش
 فأما في اللقاء فأين منه
 وعير في الوليد لقاء ليث
 لقيتُ ولست أجهله عليّاً
 فأطعنه ويطعني خلاساً^(٥)
 فرمها أنت يا بن أبي معيط
 وبطن المرء يملأه الوعيدُ
 يطر من خوفه القلب الشديدُ
 معاوية بن حرب والوليدُ
 إذا ما زار^(٣) هابته الاسودُ
 وقد بلّت من العلق اللبؤدُ^(٤)
 وماذا بعد طعنته أريدُ؟
 وأنت الفارس البطل النجيدُ^(٦)

(١) هجته الأمر: قبحه وعابه. العكوب بالفتح: الغبار.

(٢) تاح تيحاً وتوحاً: قدر وتهاياً. رجل متيح: أي لا يزال يقع في بلية.

(٣) من الزئير: صوت الأسد.

(٤) اللبد بالكسر: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد. ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج ج لبود ولباد.

(٥) يقال: الرجلان يتخالسان: أي يروم كل منهما قتل صاحبه.

(٦) النجيد: الشجاع الماضي فيما يعجز غيره.

وأقسم لو سمعت ندا عليّ
لطار القلب وانتفخ الوريدُ
ولو لاقيته شئتُ جيوبُ
عليك ولطمت فيك الخدودُ (١)

وفي رواية سبط ابن الجوزي:

ثم التفت الوليد إلى عمرو بن العاص وقال: إن لم تصدّقوني وإلا فسلوا. أراد تبكيت عمرو، قال هشام بن محمد: ومعنى هذا الكلام: إن علياً خرج يوماً من أيام صفين فرأى عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يعرفه فطعنه، فوقع، فبدت عورته، فاستقبل علياً فأعرض عنه ثم عرفه فقال: يا ابن النابغة! أنت طليق دبرك أيام عمرك، وكان قد تكرر منه هذا الفعل.

رواية ابن عباس:

روى نصر بإسناده عن ابن عباس قال: تعرّض عمرو بن العاص لعليّ يوماً من أيام صفين، وظنّ أنه يطمع منه في غيرة (أي: في غفلة) فيصيبه، فحمل عليه عليّ عليه السلام فلما كاد أن يُخالطه أذرى (أي: ألقى) نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه، وشغراً (٢) برجله فبدت عورته، فصرف عليه السلام وجهه عنه، وقام معفراً بالتراب، هارباً على رجله، معتصماً بصفوفه، فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين؟ أفلت الرجل. فقال: أتدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: إنه عمرو بن العاص تلقاني بسواته فذكرني بالرحم (لفظ ابن كثير) فصرفت وجهي عنه، ورجع عمرو إلى معاوية فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقيني عليّ فصرعني. قال: أحمد الله وعورتك - وفي لفظ ابن كثير: أحمد الله وأحمد إستك - والله إنني لأظنك لو عرفته لما اقتحمت عليه. وقال معاوية في ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو يُعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسن عليّاً فأب الوائلي مآب خازي

(١) كتاب صفين ص ٢٢٢، شرح ابن أبي الحديد ص ١١٠، تذكرة السبط ص ٥١.

(٢) شجر الكلب: رفع إحدى رجله فبال.

فلو لم يُبد عورته للاقى به ليشاً يُذلل كلُّ غازي
له كفٌّ كأنُّ براحتيها منايا القوم يخطف خطف بازٍ
فإن تكن المنية أخطأته فقد غنى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو وقال: ما أشدَّ تعظيمك علياً في كسري هذا - وفي لفظ ابن أبي الحديد: ما أشدُّ تغليطك أبا تراب في أمري - هل أنا إلا رجلٌ لقيه ابن عمه فصرعه؟ . أفترى السماء قاطرةً لذلك دماً؟! قال: لا ولكنها مُعقبة لك خزيًا. كتاب صفين ص ٢١٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٣ .

معاوية وعمرو

إستأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان فلما دخل عليه استضحك معاوية فقال عمرو: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ أدام الله سرورك. قال: ذكرتُ ابن أبي طالب وقد غشيك بسيفه فاتقته ووليت. فقال: أتشمتُ بي يا معاوية؟ وأعجب من هذا يوم دعاك إلى البراز فالتمع لونك، وأطت^(١) أضالعك، وانتفخ منخرك، والله لو بارزته لأوجع قذالك^(٢) وأيتم عيالك، وبزك سلطانك، وأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا تشمت بفارس بهمة لقي فارساً لا تعتريه الفوارسُ
معاوي إن أبصرت في الخيل مقبلاً أبا حسن يهوي دهتك الوسائسُ
وأيقنت أن الموت حقٌّ وأنه لنفسك إن لم تمض في الركن حابسُ
فإنك لو لاقيته كنت بومة^(٣) أتيح لها صقرٌ من الجور ريسُ^(٤)
وماذا بقاء القوم بعد اختباطه؟ وإن امرؤ يلقى علياً لا يس

(١) أط: صوت. الإبل: حنت.

(٢) القذال: بين الاذنين من مؤخر الرأس ج قدل وأقلدة.

(٣) البوم والبومة: طائر يسكن الخراب. يضرب به المثل في الشؤم.

(٤) من راس يريس. مشى متبخترًا. يقال راس القوم. اعتلى عليهم وغلبهم.

دعاك فصمت دونه الاذن هارباً
وأيقنت أن الموت أقرب موعد
وتشمت بي إن نالني حد رمحه
أبى الله إلا أنه ليث غابة
وأى امرىء لاقاه لم يلف شلوه
فإن كنت في شك فأوهج عجاجه
ففسك قد ضاقت عليها الأمالس^(١)
وأن الذي ناداك فيها الدهارس^(٢)
وعضضني ناب من الحرب ناهس^(٣)
أبو أشبل تهدي إليه الفرايس
بمعترك تسفي عليه الروامس^(٤)
وإلا فتلك الترهات البسابس^(٥)

فقال معاوية: مهلاً يا أبا عبدالله! ولا كل هذا. قال: أنت استدعيتيه.

وفي لفظ ابن قتيبة في «عيون الأخبار» ج ١ ص ١٦٩: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: مِمَّ تضحك يا أمير المؤمنين؟ أضحك الله سنك. قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب، أما والله لقد وافقته مناناً كريماً ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين! أما والله إنني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك، وربما سحرك^(٦) وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أو دع.

وفي لفظ البيهقي في [المحاسن والمساوي] ج ١ ص ٣٨: دخل عمرو بن العاص، على معاوية وعنده ناس فلما رآه مقبلاً استضحك فقال: يا أمير المؤمنين! أضحك الله سنك وأدام سرورك وأقر عينك ما كل ما أرى يوجب الضحك. فقال معاوية: خطر بيالي يوم صفين يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما غشيك طرحت نفسك عن دأبتك وأبديت عورتك، كيف حضرك ذهنك في تلك الحال؟ أما والله لقد واقفت

(١) الأمالس والاماليس ج امليس: الفلاة التي ليس فيها نبات.

(٢) الدهرس: الشدة والبلىة.

(٣) نهس اللحم نهساً بفتح العين وكسره: أخذه واتفه ومدته بالفم.

(٤) الرسم: الستر والتغطية. ويقال لما يحثى على القبر من التراب: رسم.

(٥) كتاب صفين ٢٥٣، أمالي الشيخ ص ٨٤، تذكرة السبط ص ٥٢.

(٦) ربا ربواً: انتفخ. السحر بفتح السين وضمه: الرثة.

هاشمياً منافياً ولو شاء أن يقتلك لقتلك . فقال عمرو: يا معاوية إن كان أضحكك شأني فمن نفسك فاضحك، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذي بدا له من صفحتي لأوجع قذالك، وأيتم عيالك، وأنهب مالك، وعزل سلطانك، غير أنك تحرّزت منه بالرجال في أيديها العوالي، أما أني قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولت عينك، وأربد شداك، وتنشّر منخراك، وعرق جبينك، وبدا من أسفلك ما أكره ذكره . فقال معاوية: حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا .

وفي لفظ الواقدي: قال معاوية يوماً لعمر بن العاص: يا أبا عبدالله، لا أراك إلا ويغلبني الضحك قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأذريت نفسك فرقاً من شبا سنانه، وكشفت سواتك له . فقال عمرو: أنا منك أشدّ ضحكاً إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك، وربا لسانك في فمك، وعصب ريقك، وإرتدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك . فقال معاوية: لم يكن هذا كله، وكيف يكون؟ ودوني عك والأشعريون . قال: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون، فكيف كانت حالك لو جمعكما ماقط الحرب؟ قال: يا أبا عبدالله، خض بنا الهزل إلى الجدّ: إن الجبن والفرار من عليّ لا عار على أحد .
فيهما . شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١١ .

قال نصر في كتابه ص ٢٢٩ : وكان معاوية لم يزل يشمت عمراً ويذكر يومه المعهود ويضحك، وعمرو يعتذر بشدة موقفه بين يدي أمير المؤمنين، فشمت به معاوية يوماً وقال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس وفررتم وإنك لجبان، فغضب عمرو ثم قال: والله لو كان علياً ما قحمت عليه يا معاوية! فهلاً برزت إلى عليّ إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم؟ وقال عمرو في ذلك:

وتترك في العجاجة من دعاكا	تسير إلى ابن ذي يزن سعيد
لعلّ الله يُمكن من قفاكا	فهل لك في أبي حسن عليّ؟
ولو نازلته تربت يداكا	دعاك إلى النزال فلم تُجبه
وكان سكوته عنه مناكا	وكنت أصمّ إذ ناداك عنه

فآب الكبش قد طحنت رحاه بنجدته ولم تطحن رحاكا
فما أنصفت صحبتك يا بن هند أتفرقه وتغضب من كفاكا؟؟
فلا والله ما أضمرت خيراً ولا أظهرت لي إلا هواكا

أشار عمرو بن العاص، في هذه الأبيات إلى ما رواه نصر في كتاب صفين ص ١٤٠ وغيره من المؤرخين من: أن علياً عليه السلام قام يوم صفين بين الصفين ثم نادى يا معاوية! يكررها فقال معاوية: إسألوه ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة. فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلما قاربا لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية: ويحك على م يقتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً؟؟!! أبرز إلي فأينا قتل صاحبه فالأمر له. فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبدالله فيما ههنا؟ أبارزه؟؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل واعلم أنه إن نكلت عنه لم تزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي. فقال معاوية: يا عمرو ليس مثلي يُخدع عن نفسه. والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قط إلا سقى الأرض من دمه. ثم انصرف معاوية راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه.

خرج علي عليه السلام ذات يوم في صفين منقطعاً من خيله ومعه الأشر
يتسايران رويداً يطلبان التل ليقفا عليه وعلي يقول:

إني علي فسلوا لتخبروا ثم ابرزوا إلى الوغا أو ادبروا
سيفي حسام وسناني أزهر من النبي الطيب المطهر
وحمزة الخير ومننا جعفر له جناح في الجنان أخضر
ذا أسد الله وفيه مفخر هذا بهذا وابن هند محجر

مذبذب مطرد مؤخر

إذ برز له بسر بن أرطاة مقنعاً في الحديد لا يعرف فناداه: ابرز إلي أبا

حسن! فأنحدر إليه على تؤدة^(١) غير مكترث به حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فآلقاه على الأرض. ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه عليه السلام مستدبراً له فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين! هذا بسر بن أرطاة هذا عدو الله وعدوك. فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعد أن فعلها؟ فحمل ابن عم لبسر شاب علي وهو يقول:

أرديتُ بسرًا والغلام ثايرةً أرديتُ شيخاً غاب عنه ناصرةً
وكلنا حام لبسر واطرةً

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

أكلُ يوم رجل شيخ شاغرةً وعورةٌ تحت العجاج ظاهرةً
تبرزها طعنة كف واطرةً عمرو وبسر رُميا بالفاقرة

فطعنه الأشتر فكسر صلبه، وقام بسر من طعنة علي وولت خيله، وناداه علي يا بسرا معاوية كان أحق بهذا منك. فرجع بسر إلى معاوية فقال له معاوية: إرفع طرفك قد أدال^(٢) الله عمراً منك. فقال في ذلك الحارث بن نضر السهمي:

أفي كل يوم فارسٌ تندبونه له عورةٌ تحت العجاجة بادية
يكفُّ بها عنه عليُّ سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه وعورةٌ بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما هما كانتا للنفس والله واقية
فلولاهما لم تنجوا من سنانه

(١) أي تأنى وتمهل.

(٢) أدال الشيء. جعله متداولاً. يقال أدال الله زيداً من عمرو، أي نزع الدولة من عمرو وحولها إلى زيد.

متى تلقيا الخيل المشيخة صبيحة وفيها عليٌّ فآركا الخيل ناحية
 وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا ونار الوغى إن التجارب كافية
 وإن كان منه بعدُ في النفس حاجة فعودوا إلى ما شئتما هي ماهية

كتاب صفين ص ٢٤٦ ، الإستيعاب ج ١ ص ٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد
 ج ٢ ص ٣٠٠ ، مطالب السئول ص ٤٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٣٠ ، نور
 الأبصار ص ٩٥ .

يُنبئنا التاريخ أن عمرو ليس بأول رجل كشف عن سوءته من بأس أمير
 المؤمنين وإنما قلّد طلحة بن أبي طلحة فإنه لما حمل عليه أمير المؤمنين يوم
 أحد ورأى أنه مقتولٌ لا محالة ، فاستقبله بعورته وكشف عنها . راجع تاريخ ابن
 كثير ج ٤ ص ٢٠ وذكره الحلبي في سيرته ج ٢ ص ٢٤٧ ثم قال : وقع لسيدنا
 عليٌّ كرم الله وجهه مثل ذلك في يوم صفين مرتين : الأولى : حمل على بسر بن
 أرطاة والثانية : حمل على عمرو بن العاص فلما رأى أنه مقتولٌ كشف عن
 عورته ، فانصرف عنه عليٌّ كرم الله وجهه .

الأشتر ، وعمرو بن العاص في معترك القتال بصفين

إن معاوية دعا يوماً بصفين مروان بن الحكم فقال : إن الأشتر قد غمّني
 وأقلقني ، فاخرج بهذه الخيل في يحصب والكلاعيين فالحقه فقاتل بها . فقال
 مروان : أدع لها عمراً فإنه شعارك دون دثارك . قال : وأنت نفسي دون وريدي .
 قال : لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء أو ألحقته بي في الحرمان ، ولكنك
 أعطيته ما في يدك ، ومنيته ما في يد غيرك ، فإن غلبت طاب له المقام ، وإن
 غلبت خفّ عليه الهرب . فقال معاوية : سيغني الله عنك . قال : أما إلى اليوم
 فلن يغني ، فدعا معاوية عمراً وأمره بالخروج إلى الأشتر . فقال : أما إنني لا أقول
 لك ما قال مروان . قال : فكيف تقول ؟ وقد قدّمتك وأخرته ، وأدخلتك
 وأخرجته . قال : أما والله إن كنت فعلت لقد قدّمتني كافياً ، وأدخلتني ناصحاً ،

وقد أكثر القوم عليك في أمر مصر وإن كان لا يُرضيهم إلا أخذها فخذها، ثم قام فخرج في تلك الخيل فلقية الأشتر أمام القوم وهو يقول:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو؟ ذاك الذي أوجبتُ فيه نذري
 ذاك الذي أطلبه بوتي ذاك الذي فيه شفاء صدري
 ذاك الذي إن ألقه بعمري تغلي به عند اللقاء قِدي
 أجعله فيه طعام النسر أولافري عاذري بعذري

فلما سمع عمرو هذا الرجز وعرف أنه الأشتر فشل وجبن واستحى أن يرجع وأقبل نحو الصوت وقال:

يا ليت شعري كيف لي بمالك كم جاهل خبيته وحوارك^(١)
 وفارس قتلته وفاتك ومقدم أب بوجه حالك^(٢)

ما زلت دهري عُرضة المهالك

فغشيه الأشتر بالرمح فزاغ عنه عمرو فلم يصنع الرمح شيئاً، ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على وجهه وجعل يرجع راکضاً نحو عسكره، فنادى غلاماً من يحصب: يا عمرو! عليك العفا ما هبت الصبا.

كتاب صفين ص ٢٣٣، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٥.

يُنبتك صدر هذا الحديث عن نفسيات أولئك المناضلين عن معاوية الدعاة إلى إمامته، ويُعرب عن غايات تلك الفئة الباغية بنص النبي الأطهر إماماً ومأموماً في تلك الحرب الزبون، فما ينبغي لي أن أكتب عن إمام يكون مثل عمرو بن العاص شعاره، ومثل مروان بن الحكم نفسه؟! وما يحقُّ لك أن تعتقد في مأموم هذه محاوراته في معترك القتال مع إمامه المفترضة عليه طاعته - إن صحت الأحلام - ومشاغبته دون الرتبة والراتب؟!.

(١) حرك. امتنع من الحق الذي عليه. غلام حرك: خفيف ذكي.

(٢) حلك. اشتد سواده فهو حالك وحلك.

ابن عباس وعمرو

حجَّ عمرو بن العاص، وقام بالموسم فأطرى معاوية وبني أمية وتناول بني هاشم ثم ذكر مشاهدته بصفين، فقال ابن عباس: يا عمرو! إنك بعثت دينك من معاوية فأعطيته ما في يدك ومناك ما في يد غيره، فكان الذي أخذ منك فوق الذي أعطاك، وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته، وكل راض بما أخذ وأعطى، فلما صارت مصر في يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقص، حتى لو أن نفسك في يدك لألقيتها إليه، وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلا بالغدر، ولا منيت إلا بالفجور والغش، وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، ولا نكتنا فيها حربك، ولقد كنت فيها طويل اللسان، قصير السنان، آخر الحرب إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير، ويد لا تقبضها عن شر، ووجهان: وجه مونس ووجه موحش، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحري أن يطول حزنه على ما باع واشترى، لك بيان وفك خطل، ولك رأي وفك نكد ولك قدر وفك حسد، فأصغر عيب فيك أعظم عيب غيرك. فقال عمرو: أما والله ما في قريش أحد أثقل وطأة علي منك، ولا لأحد من قريش قدر عندي مثل قدرك.

البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣٩، العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٦ نقلاً عن البلاذري.

ابن عباس، وعمرو

في حفلة اخرى

روى المدائني قال: وفد عبدالله بن عباس على معاوية مرة وعنده ابنه يزيد، وزيايد بن سمية، وعتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن أم الحكم فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر، وأفول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادته فبادره بالحملة، وانتهاز منه الفرصة، واردع

بالتنكيل به غيره، وشرد به من خلفه، فقال ابن عباس: يا ابن النابغة! ضلُّ اللهُ عقلك، وسفه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك، هلاً توليت ذلك بنفسك يوم صفين حين دُعيت نزال^(١) وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح، وتقصفت^(٢) الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولاً، فانكفاً نحوك بالسيف حاملاً، فلما رأيت الكواثر من الموت، أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، والإنكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتك، وكشفت له خوف بأسه سوءتك، حذراً أن يبطلمك بسطوته، أو يلتهمك^(٣) بحملته، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته، وحسنت له التعرض لمكافحته، رجاء أن تكتفي مؤنته، وتعدم صورته، فعلم غلُّ صدرك، وما انحنت عليه من النفاق أضلعك، وعرف مقرُّ سهمك في غرضك، فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فإنك بين أسدٍ خادر، وبحر زاجر، إن تبرزت للأسد إفرسك، وإن عُمت في البحر قمسك - أي: غمسك وأغرقك - . شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٥، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٩٣.

عبدالله المرقال وعمرو

كان في نفس معاوية من يوم صفين إحنٌ على هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال وولده عبدالله، فلما استعمل معاوية زياداً على العراق كتب إليه: أما بعد: فانظر عبدالله بن هاشم فشدَّ يده إلى عنقه ثم ابعث به إليّ، فحملة زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق، وقد كان زياد طرقة بالليل في منزله بالبصرة فأدخل إلى معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا الذي يقول أبوه يوم صفين:

إني شريت النفس لما اعتلأ وأكثر اللوم وما أقلأ

(١) نزال: اسم فعل بمعنى: انزل. أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض: انزل.

(٢) تقصفت: تكسرت.

(٣) التهم الشيء: ابتلعه بمرّة.

أعور يبغي أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملاً
لا بدُّ أن يفلَّ أو يُفلاً أسلهمُ بذِي الكعوب سلاً

لا خير عندي في كريم ولى

فقال عمرو متمثلاً:

وقد نبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وإنه لهو، دونك يا أمير المؤمنين الضبُّ المضبُّ^(١) فأشخب أوداجه على أسباجه (أثباجه) ولا تُرجعه إلى أهل العراق فإنهم أهل فتنة ونفاق، وله مع ذلك هوى يُرديه وبطانة تغويه، فوالذي نفسي بيده لئن أفلتت من حبائك ليجهزني إليك جيشاً تكثر صواهله لشر يوم لك، فقال عبدالله وهو المقيّد: يا ابن الأبترا هلاً كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين؟ ونحن ندعوك إلى البراز، وأنت تلوذ بشمائل الخيل كالأمة السوداء والنعجة القوداء، أما أنه إن قتلني قتل رجلاً كريم المخبرة، حميد المقدرة، ليس بالحبس المنكوس، ولا الثلب^(٢) المركوس^(٣). فقال عمرو: دع كيت وكيت، فقد وقعت بين لحيي لهزم^(٤) فروس للأعداء، يسعطك إسعاط^(٥) الكودن^(٦) الملجم. قال عبدالله: أكثر إكثارك، فإني أعلمك بطراً في الرُخاء جباناً في اللقاء، عيابة عند كفاح الأعداء، ترى أن تقي مهجتك بأن تبدي سواتك، أنسيت صفين وأنت تُدعى إلى النزال؟ فتعيد عن القتال خوفاً أن يغمرك رجال لهم أبدان شداد، وأسنة حداد، ينهبون السرح، ويدلّون العزيز. فقال عمرو: لقد علم معاوية أنني شهدت تلك المواطن، فكنت فيها كمدرة الشوك، ولقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن، تخفق أحشاؤه، وتنق

(١) من أضب يضب: أي صاح وتكلم وغازى وحقد.

(٢) الثلب: المعيب المهان.

(٣) المركوس: الضعيف.

(٤) اللهزم: الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب.

(٥) الأسعاط: إدخال الدواء في الأنف. يقال: اسعطه الرمح أي طعنه به في أنفه.

(٦) الكودن: البرذون الهجين. الفيلج كوادن.

أما والله لو لقيك أبي في ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك ولم تسلم منه مهجتك، ولكنه قاتل غيرك، فقتل دونك. فقال معاوية: ألا تسكت لا أم لك؟ فقال: يا بن هند! أتقول لي هذا؟ والله لئن شئت لأغرقن جبينك، ولأقيمناك وبين عينيك وسم يلين له خدعاك، أبأكثر من الموت تخوفني؟ فقال معاوية: أو تكفت يا ابن أخي؟ وأمر بإطلاق عبدالله، فقال عمرو لمعاوية:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني
أليس أبوه يا معاوية الذي
فلم ينثني حتى جرت من دماننا
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه^(٣)

وكان من التوفيق قتل ابن هاشم.
أعان علياً يوم حز الغلاضم^(١)؟
بصفين أمثال البحور الخضارم^(٢)
ويوشك أن تفرع به سن نادم.

فقال عبدالله يُجيبه:

معاوي إن المرء عمراً أبت له
يرى لك قتلي يا بن هند وإنما
على أنهم لا يقتلون أسيرهم
وقد كان منا يوم صفين نقرة
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
فإن تعف عني تعف عن ذي قرابة

ضعينة صدر غشها غير نائم
يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم
إذا كان منه بيعة للمسالمة
عليك جناها هاشم وابن هاشم
ولا ما جرى إلا كأضغاث حالم
وإن تر قتلي تستحل محارمي

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بل العفو عنه بعدما بان جرمه

إلى الله في اليوم العصيب القماطر^(٤)
بإدراك ثاري في لوي وعامر
وزلت به إحدى الجدود العواثر

(١) جمع غلضة: اللحم بين الرأس والعنق: يعني: أيام الحرب.

(٢) الخضرم بالكسر: البحر العظيم الماء.

(٣) في كامل المبرد: عيصه. يعني: أصله.

(٤) القماطر بالضم: الشديد.

فكان أبوه يوم صُفِين جمرَةً علينا فأردته رماح النهابِر^(١)
 كتاب صُفِين لابن مزاحم ص ١٨٢ ، كامل المبرّد ج ١ ص ١٨١ ، مروج
 الذهب ج ٢ ص ٥٧ - ٥٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧٦ .

درس دين وأخلاق

لعلّ الباحث لا يخفى عليه أنّ كلَّ سوءة وعورة ذُكر بها المترجم له في
 التاريخ الصحيح ، وما يُعزى إليه وعُرّف به من المساوي في طيّات تلكم
 الكلمات الصادقة المذكورة من الوضاعة والغواية والغدر والمكر والحيلة
 والخدعة والخيانة والفجور ونقض العهد وكذب القول وخلف الوعد وقطع الإلّ
 والحقد والوقاحة والحسد والرياء والشحّ والبذاء والسفه والوغد والجور والظلم
 والمراء والدناءة واللثم والملق والجلافة والبخل والطمع واللدد وعدم الغيرة على
 حليلته . إلى غير ذلك من المعايير النفسية وأضداد مكارم الأخلاق ، ليست هذه
 كلّها إلّا من علائم النُّفاق ، ومن رشحات عدم الإسلام المستقرّ ، وانتفاء الإيمان
 بالله وبما جاء به النبيُّ الأقدس ، إذ الإسلام الصحيح هو المصلح الوحيد للبشر ،
 ومهذّب النفس بمكارم الأخلاق ، ومجتمع الفضائل ، وأساس كلّ فضل
 وفضيلة ، وأصل كلّ مَحَمدة ومَكْرمة ، وبه يتأتّى الصلاح في النفوس مهما سرى
 الإيمان من عاصمة مملكة البدن (القلب) إلى سائر الأعضاء والجوارح واحتلّها
 واستقرّ بها .

وذلك أنّ مثل الإيمان في المملكة البدنية الجامعة لشتات آحاد الجوارح
 والأعضاء ، كمثّل دستور الحكومات في الممالك الجامعة لأفراد الأشخاص ،
 فكما أنّ القوانين المقرّرة في الحكومات والدول مبثوثة في الأفراد ، وكلُّ فرد من
 المجتمع له تكليفٌ يخصُّ به ، وواجبٌ يحقُّ عليه أن يقوم به ، وحدٌ محدودٌ
 يجب عليه رعايته ، وبصلاح الأفراد وقيام كلّ فرد منهم بواجبه يتمُّ صلاح

(١) النهابِر والنهابير: المهالك. الواحدة: نهيرة. نهبور. نهيرة.

المجتمع، ويحصل التقدّم والرقى في الحكومات، كذلك الإيمان في المملكة البدنية فإنه قوانين مبثوثة في الأعضاء والجوارح العاملة فيها، ولكل منها بنصر الذكر الحكيم تكليف يخص به، وحد معين في السنة يجب عليه رعايته والتحفّظ به، وأخذ كل بما وجب عليه هو إيمانه وبه يحصل صلاحه، فواجب القلب غير فريضة اللسان، وفريضته غير واجب الاذن، وواجبها غير ما كلف به البصر، وفرضه غير واجب اليدين، وواجبهما غير تكليف الرجلين وهكذا وهكذا، وإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً، وهذا البيان يُستفاد من قول النبي صلى الله عليه وآله فيما أخرجه الحافظ ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٣٥، الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان^(١) وقوله صلى الله عليه وآله: الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان^(٢) ومن هنا يقبل الإيمان ضعفاً وقوةً وزيادةً ونقصاً، ويتّصف الإنسان في آن واحد بطرفي السلب والإيجاب باعتبارين، فيثبت له الإيمان من جهة وينفى عنه بأخرى، ومن هنا يُعلم معنى قوله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن^(٣) فلا يتأتى صلاح الحكمة البدنية إلا بالسلم العام وقيام جميع أجزائها بواجبها، وامثال كل فرد منها فيما فرض عليه، ولا يكمل الإيمان إلا بتحقيق شعبه.

وكما أنّ انتفاء الإيمان عن كل عضو وجارحة مكلفة يكشف عن ضعف إيمان القلب، وتضعف حكومة الإسلام فيه، إذ هو أمير البدن ولا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، كذلك الصفات النفسية فإن منها ما هو الكاشف عن قوة الإيمان القلبي وضعفه كما ورد في الحديث النبوي الشريف فيما أخرجه الحافظ

(١) وبهذا اللفظ يروى عن أمير المؤمنين كما في «نهج البلاغة».

(٢) أخرجه البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.

(٣) أخرجه مسلم وغيره.

المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٧١ : إن المرء ليكون مؤمناً وإن في خلقه شيء فينقص ذلك من إيمانه . ومنها ما يلزم النفاق ولا يفارقه ولا يجتمع مع شيء من الإيمان وإن صلى صاحبه وصام وبه عُرف المنافق في القرآن العزيز . فإليك ما ورد عن النبي الأقدس في كثير من الصفات المذكورة المعزوة إلى المترجم له ، حتى تكون على بصيرة من الأمر ، فلا يغرنك تقلب الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد .

١ - آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . أخرجه البخاري ومسلم ، وفي رواية مسلم : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم .

٢ - أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان . وإذا حدث كذب . وإذا عهد غدر . وإذا خاصم فجر ، أخرجه البخاري . مسلم . أبو داود . الترمذي . النسائي .

٣ - لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له . أخرجه أحمد . البزار الطبراني . ابن حبان . أبو يعلى . البيهقي .

٤ - المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه . متفقٌ عليه .

٥ - الكذب مُجانبٌ للإيمان . ابن عدي ، البيهقي .

٦ - المكر والخديعة في النار . الديلمي . القضاعي .

٧ - المؤمن ليس بحقود . الغزالي . ابن الدبيع .

٨ - لا إيمان لمن لا حياء له . ابن حبان . ابن الدبيع .

٩ - الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . الديلمي . ابن

الدبيع .

١٠ - الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق ، الديلمي . القضاعي . ابن

الدبيع .

١١ - اليسير من الرياء شركٌ ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله

بالمحاربة . ابن ماجة . الحاكم . البيهقي .

- ١٢ - من أرضى سلطاناً بما يُسخط به ربه خرج من دين الله . الحاكم .
- ١٣ - الحياء من الإيمان . البخاري . مسلم . أبو داود . الترمذي .
النسائي . ابن ماجة .
- ١٤ - أسباب المسلم فسوقاً وقتاله كفرٌ . البخاري . مسلم . الترمذي .
النسائي . ابن ماجة .
- ١٥ - لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد . ابن حبان . البيهقي .
- ١٦ - الشحُّ والعجز والبذاء من النفاق . الطبراني . أبو الشيخ .
- ١٧ - لا يجتمع شحٌ وإيمانٌ في قلب عبد أبداً . النسائي . ابن حبان .
الحاكم .
- ١٨ - خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق . البخاري .
الترمذي وغيرهما .
- ١٩ - المؤمن غرٌّ كريمٌ والفاجر خبٌّ^(١) لثيم . أبو داود . الترمذي .
أحمد .
- ٢٠ - إنَّ الرجل لا يكون مؤمناً حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ، ويكون
لسانه مع قلبه سواء ، ولا يُخالف قوله عمله . الإصبهاني .
- ٢١ - الحياء والإيمان قرناء جميعاً ، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر .
الحاكم . الطبراني .
- ٢٢ - إنَّ الله عزُّ وجلٌّ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه
الحياء لم تلقه إلا مقيتاً مُمقِئاً ، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً مُمقِئاً نزعته من الأمانة ، فإذا
نزعته من الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً ، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزعته من
الرَّحمة ، فإذا نزعته من الرَّحمة لم تلقه إلا رجيماً مُلعناً ، فإذا لم تلقه إلا رجيماً
مُلعناً نزعته من ربة الإسلام . ابن ماجة . المنذري .

وفاته

توفي ليلة الفطر سنة ٤٣ على ما هو الأصح عند المؤرخين وقيل غير ذلك، وعاش نحو تسعين سنة وقال العجلي: عاش تسعاً وتسعين سنة. قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٨: لَمَّا حضرت عمراً الوفاة قال لابنه: لو دُ ابوك أنه كان مات في غزاة ذات السلاسل، إني قد دخلت في امور لا أدري ما حجّتي عند الله فيها. ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: يا ليته كان بعراً، يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني، أثرت دنياي وتركت آخرتي، عمي عليّ رشدي حتى حضرني أجلي، كأنني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان يُنجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنخوق بين السماء والأرض، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا بن أخي. فقال له ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله! صار ابن أخيك أخاك، ولا تشاء أن تبكي إلا بكيت، كيف يؤمن برحيل من هو مقيم؟. فقال عمرو: وعلى حينها^(١) حين ابن بضع وثمانين سنة تقنطني من رحمة ربي؟ اللهم إن ابن عباس تقنطني من رحمتك، فخذ مني حتى ترضى. قال ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله! أخذت جديداً وتُعطي خلقاً. فقال عمرو: ما لي ولك يا بن عباس؟ ما أرسلت كلمة إلا أرسلت نقيضها.

قال عبد الرحمن بن شماسه: لَمَّا حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله: لِمَ تبكي أجزعاً من الموت؟! قال: لا والله ولكن لِمَا

(١) يعني حين الوفاة.

بعده . فقال له : قد كنت على خير . فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام ، فقال له عمرو : تركت أفضل من ذلك : شهادة أن لا إله إلا الله . إني كنت على ثلاث أطباق ليس منها طبقٌ إلا عرفت نفسي فيه ، كنت أول شيء كافرًا فكنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ فلومت يومئذٍ وجبت لي النار . فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشدَّ الناس حياءً منه فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ حياءً منه ، فلومت يومئذٍ قال الناس : هنيئًا لعمر وأسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فترجى له الجنة . ثم بُليت بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلي أم لي ؟!! فإذا مت فلا تبكين علي باكيةً ، ولا يتبعني مادح ولا نار ، وشدوا علي إزارِي فإني مخاصم ، وشنوا علي التراب فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر . الحديث .

فائدة

يوجد اسم والد المترجم له في كثير من كلمات الأصحاب (العاصي) بالياء وكذا ورد في شعر أمير المؤمنين :

لا وردن العاصي بن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي

وفي رجز الأشر:

ويحك يا ابن العاصي تمنح في السقواصي

ويذكر بالياء في كتب غير واحد من الحفاظ، وقال الحافظ النووي في تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٠ : وعليه الجمهور وهو الفصيح عند أهل العربية . ثم قال : ويقع في كثير من كتب الحديث والفقهاء أو أكثرها بحذف الياء وهي لغة وقد قرئ في السبع نحوه كالكبير المتعال والداع .

مهمات مصادر ترجمة عمرو بن العاص

أعلام المؤلفين	أسماء الكتب	أعلام المؤلفين	أسماء الكتب
المسعودي	مروج الذهب	البخاري	الصحيح
الحاكم النيسابوري	المستدرک	مسلم	الصحيح
البيهقي	المحاسن والمساوي	أبو داود	السنن
ابن عبد البر	الإستيعاب	الترمذي	السنن
الطبري	تاريخ الأمم	النسائي	السنن
ابن عساکر	تاريخ الشام	سليم بن قيس	كتاب التاريخ
الزنجشري	ربيع الأبرار	ابن هشام	السيرة النبوية
الوطواط	الخصائص	ابن قتيبة	عيون الأخبار
الفخر الرازي	التفسير الكبير	ابن قتيبة	المعارف
المنذري	الترغيب والترهيب	ابن قتيبة	الإمامة والسياسة
ابن أبي الحديد	شرح النهج	الجاحظ	المحاسن والأضداد
ابن الأثير	الكامل	الجاحظ	البيان والتبيين
ابن كثير	البداية والنهاية	أبو عبيدة	الأنساب
ابن الديبع	تميز الخبيث	البلاذري	أنساب الأشراف
سبط ابن الجوزي	التذكرة	ابن أبي طاهر	بلاغات النساء
ابن حجة	ثمرات الأوراق	المبرد	الكامل
الحلي	السيرة النبوية	الكلبي	المثالب
ابن شحنة	روض المناظر	اليعقوبي	التاريخ
الشبلنجي	نور الأبصار	أبو حيان	الإمتاع والمؤانسة
أحمد زكي	جمهرة الخطب	أبو الفرج	الأغاني
أحمد زكي	جمهرة الرسائل	ابن سعد	الطبقات
فريد وجدي	دائرة المعارف	ابن عبد ربه	العقد الفريد

٥ - مُحَمَّدُ الْحَمِيرِي

فإن الإفك من شيم اللثامِ
رسول الله ذي الشرف التهامي
وأشرف عند تحصيل الأنام؟
فذرني من أباطيل الكلامِ
شفاءً للقلوب من السُّقامِ
أبو الحسن المطهر من حرامِ
به عُرف الحلال من الحرامِ
له ما كان فيها من أثمِ
وإن صلُّوا وصاموا ألف عامِ
بغير ولاية العدل الإمامِ
وبالغُرِّ الميامين اعتصامي
إلى لقياك ياربي كلامي
وحاربه من أولاد الطغامِ
من الباري ومن خير الأنامِ
عليُّ فضله كالبحر طامي
وكان هو المقدم بالمقامِ
رأوا في كفه برق الحسامِ

بحقِّ مُحَمَّدٍ قولوا بحقِّ
أبعد مُحَمَّدٍ بأبي وأمي
أليس عليُّ أفضل خلق ربي
ولايته هي الإيمان حقاً
وطاعة ربنا فيها وفيها
عليُّ إمامنا بأبي وأمي
إمام هدى أتاه الله علماً
ولو أني قتلت النفس النفس حياً
يحل النار قوم أبغضوه
ولا والله لا تزكو صلاةُ
أمير المؤمنين بك اعتمادي
فهذا القول لي دينٌ وهذا
برأت من الذي عادى علياً
تناسوا نصيبه في يوم «خم»
برغم الأنف من يشنا كلامي
وأبراً من أناس أخروه
عليُّ هزم الأبطال لَمَّا

ما يتبع الشعر

هذه القصيدة رواها شيخ الإسلام الحموي في الباب الثامن والستين من «فرائد السمطين» بإسناده عن الحافظ الكبير أبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم النطنزي مصنف كتاب - الخصائص العلوية على سائر البرية - قال: أنبأنا أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمد بن محمود الثقفي بقرائتي عليه قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم قال: أنبأنا الشيخ قال: حدثنا محمد بن أحمد بن معدان: حدثنا محمد بن زكريا: حدثنا عبدالله بن الضحّاك: حدثنا هشام بن محمد عن أبيه قال: إجتمع الطرمّاح الطائي، وهشام المرادي، ومحمد بن عبدالله الحميري عند معاوية بن أبي سفيان فأخرج بكرة فوضعها بين يديه وقال: يا معشر شعراء العرب! قولوا قولكم في علي بن أبي طالب ولا تقولوا إلا الحق وأنا نفي من صخر بن حرب إن أعطيت هذه البكرة إلا من قال الحق في علي. فقام الطرمّاح وتكلم في علي ووقع فيه فقال له معاوية: إجلس فقد عرف الله نيتك ورأى مكانك. ثم قام هشام المرادي فقال أيضاً ووقع فيه فقال له معاوية: إجلس مع صاحبك فقد عرف الله مكانكما. فقال عمرو بن العاص لمحمد بن عبدالله الحميري وكان خاصاً به: تكلم ولا تقل إلا الحق ثم قال: يا معاوية قد آليت أن لا تُعطي هذه البكرة إلا من قال الحق في علي قال: نعم أنا نفي من صخر بن حرب إن أعطيتها منهم إلا من قال الحق في علي. فقام محمد بن عبدالله فتكلم ثم قال:

بحقّ محمد قولوا بحقّ. القصيدة.

فقال معاوية: أنت أصدقهم قولاً فخذ هذه البكرة.

ورواها شيخنا الفقيه الكبير عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن محمد الطبري الأملي في الجزء الأول من (بشارة المصطفى لشيعته المرتضى) قال: أخبرنا الشيخ أبو عبدالله أحمد بن محمد بن شهريار الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في سؤال سنة إثنتي عشرة وخمسمائة قال: حدثني

الشيخ أبو عبد الله محمد بن محسن الخزاعي قال: حدثنا أبو الطيب علي بن محمد بن بنان قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السكري من كتابه قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق ببغداد من كتابه قال: حدثنا محمد بن دينار الضبي قال: حدثنا عبدالله بن الضحّاك إلى آخر السند والتمتن.

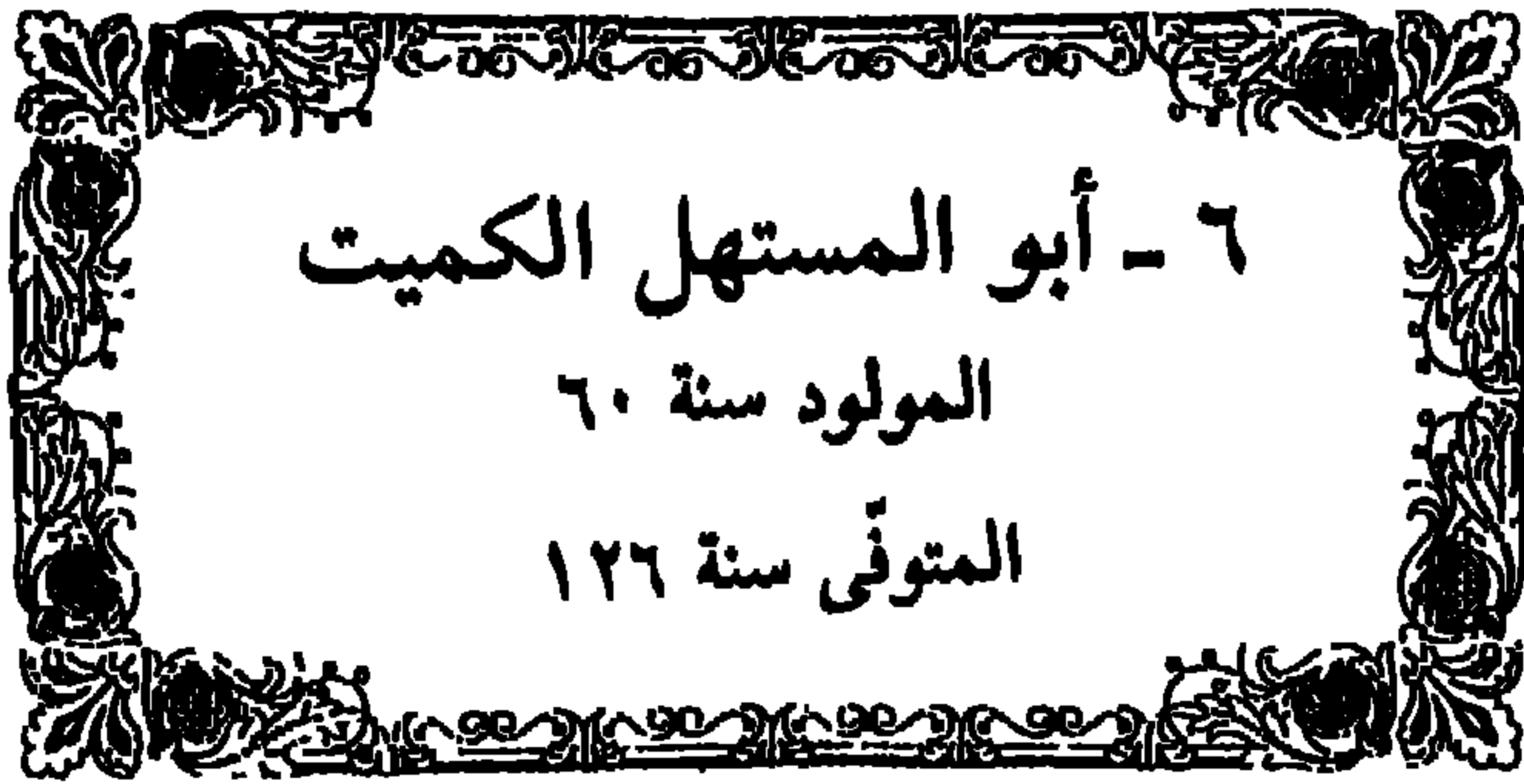
وذكرها صاحب «رياض العلماء» في ترجمة الشريف المرتضى نقلاً عن شيخ الإسلام الحموي.

(الشاعر)

محمد بن عبدالله الحميري، زميل عمرو بن العاص، أحسبه ابن القاضي عبدالله بن محمد الحميري الذي قلده معاوية بن أبي سفيان ديوان الخاتم، وكان قاضياً كما ذكره الجهشياري في كتاب «الوزراء والكتّاب» ص ١٥ قال: كان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم، وكان سبب ذلك: أنه كتب لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم إلى زياد وهو عامله على العراق ففرض عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم، فلما رفع زياد حسابه قال معاوية: ما كتبت له إلا بمائة ألف. وكتب إلى زياد بذلك وأمره أن يأخذ المائة ألف منه، فحبسه بها فاتخذ معاوية ديوان الخاتم وقلده عبدالله بن محمد الحميري، وكان قاضياً اهـ. ويحتمل قوياً أن يكون صاحب الشعر هو القاضي عبدالله نفسه ووقع الإشتباه بتقديم الوالد على الولد.

وأما ديوان الخاتم فقد اخترعه معاوية، قال ابن الطقطقي في «الآداب السلطانية» ص ٧٨: ومما اخترع معاوية من أمور الملك «ديوان الخاتم» وهذا ديوانٌ معتبرٌ من أكابر الدواوين، لم تزل السنة جارية به إلى أواسط دولة بني العباس فأسقط، ومعناه: أن يكون ديوانٌ وبه نوابٌ فإذا صدر توقيعٌ من الخليفة بأمر من الأمور أحضر التوقيع إلى ذلك الديوان وأثبتت نسخته فيه وحُزم بخيط وختم بشمع كما يفعل في هذا الزمان بكتب القضاة وختم بختم صاحب ذلك الديوان.

شعراء الفطير
في القرن الثاني



نفى عن عينك الأرق الهجوعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقماً
وتوكاف الدموع على اكتئاب
ترقرق أسحماً درراً وسكباً
لفقدان الخضارم من قریش
لدى الرحمن يصدع بالمثاني
حطوطاً في مسرته ومولى
وأصفاه النبي على اختيار
ويوم الدوح دوح غدير خم
ولكن الرجال تباعوها
فلم أبلغ بها لعناً ولكن
فصار بذاك أقربهم لعدل
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا

وهم يمتري منها الدموعا
وحزناً كان من جذل^(١) منوعا
أحل الدهر موجعه الضلوعا
يشبه سحها غرباً هموعا^(٢)
وخير الشافعين معاً شفيعا
وكان له أبو حسن قريعاً^(٣)
إلى مرضاة خالقه سريعاً
بما أعىى الرّفوض له المذيعا
أبان له الولاية لو أطيعا
فلم أر مثلها خطراً مبيعا
أساء بذاك أولهم صنيعا
إلى جور وأحفظهم مضيعا
وأقومهم لدى الحدثنان ريعا

(١) الجذل: الفرع.

(٢) رقرقت العين: أجرت دمعها. الأسحم: السحاب. يقال: اسحمت السماء. صبت ماءها. السج:

الصب. الغرب: الدلو العظيمة. الهموع: السيال.

(٣) القريع: السيد. الرئيس.

تناسوا حقه وبلغوا عليه
فقل لبني أمية حيث حلوا
ألا أف لدهر كنت فيه
أجاع الله من أشبعموه
ويلعن فذ أمته جهاراً
بمرضئ السياسة هاشمي
وليثاً في المشاهد غير نكس
يقيم امورها ويذب عنها
بلا ترة وكان لهم قريعا
وإن خفت المهند والقطيحا
هداناً طائعا لكم مطيحا
وأشبع من بجورككم أجيحا
إذا ساس البرية والخليعا
يكون حيا لأمته ربيعا
لتقويم البرية مستطيحا
ويترك جذبها أبداً مريعا

ما يتبع الشعر

هذه من غرر قصائد الكميت (الهاشميات) المقدرة بخمسمائة وثمانية وسبعين بيتاً كما نص به صاحب [الحدائق الوردية] غير أنه عاثت في طبعها يد النشر الأمينة على ودائع العلم فنقصت منها شيئاً كثيراً لا يُستهان به مثل ما اجترحت في طبع ديوان حسّان والفرزدق وأبي نواس وغيرها كما مرّ ص ٥٩، وقد آن ليد التنقيب أن تميظ الستار عن تلكم الجنايات المخبئة، فالمطبوع منها في ايدن سنة ١٩٠٤ يتضمّن ٥٣٦ بيتاً. والمشروحة بقلم الأستاذ محمد شاكر الخياط ٥٦٠ بيتاً، والمشروحة بقلم الأستاذ الرافي ٤٥٨ بيتاً على هذا الترتيب.

من لقلب متيم مستهام غير ما صبوة ولا أحلام؟
ط ليدن والخياط ١٠٣ بيتاً، ومشروحة الرافي ١٠٢.
طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب؟
ط ليدن والخياط ١٤٠، ومشروحة الرافي ١٣٨.
أنى ومن أين أبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب؟
ط ليدن ١٣٣. مشروحة الخياط ١٣٢. مشروحة الرافي ٦٧ بيتاً.

ألا هل عم في رأيه متأملٌ وهل مدبرٌ بعد الإسائة مقبلٌ!!؟؟
ط ليدن والخياط ١١١ ، مشروحة الرافي ٨٩ بيتاً.

طربتٌ وهل بك من مطربٍ ولم تتصاب ولم تلعب!!؟؟
ط ليدن والخياط ٣٣ . مشروحة الرافي ٢٨ بيتاً.

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهمٌ يمتری منها الدموعا
ط ليدن ٢٠ ، ومشروحة الخياط ٢١ ، والرافي ١٩ بيتاً.

سل الهموم لقلب غير متبول ولا رهين لدى بيضاء عطبول^(١)
ط ليدن والخياط ٧ أبيات ، وذكر الرافي منها ٥ أبيات .

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا
ط ليدن والخياط ٧ أبيات ، وحذف الرافي منها بيتاً.

ستة أبيات فائبة وقافية ونونية ولم يذكر الرافي البيتين النونيتين .

فلما كانت العينية التي أثبتناها من (الهاشميات) نذكر أولاً ما يخص بها
ثم نورد ما يرجع إلى (الهاشميات) جملة واحدة، ونردفه بما ورد في بعض
قصائدها غير العينية .

العينية من الهاشميات

قال شيخنا المفيد في رسالته في معنى المولى : الكميت ممن استشهد
بشعره في كتاب الله ، وأجمع أهل العلم على فصاحته ومعرفته باللغة ورياسته في
النظم وجلالته في العرب حيث يقول :

ويوم الدُّوح دوح غدِيرِ حَمِّ أبان له الولاية لو أطيعا

(١) تبه الحب أو الدهر فهو متبول : أسقمه . العطبول : المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق .

أوجب له الإمامة بخبر الغدير ووصفه بالرياسة من جهة المولى ، وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة والعربية وضع عبارة على معنى لم توضع عليه قط في اللغة ، ولا استعملها قبله أحد من أهل العربية ، ولا عرفها بشيء كما وصف أحد منهم لأنه لو جاز على غيره ممن هو مثله وفوقه ودونه حتى تفسد اللغة بأسرها ، ولا يكون لنا طريق إلى معرفة لغة العرب على الحقيقة وينغلق الباب في ذلك . اهـ .

وروى الكراجكي في كنز الفوائد ص ١٥٤ بإسناده عن هناد^(١) بن السري قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في المنام فقال لي : يا هنادا قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال انشدني قول الكميت :

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا

قال : فأنشدته فقال لي : خذ إليك يا هنادا فقلت : هات يا سيدي ! فقال عليه السلام :

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعا

وقال الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٢ ص ١٩٣ : روي عن الكميت قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقال : أنشدني قصيدتك العينية فأنشدته حتى إنتهيت إلى قولي فيها :

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا

فقال صلوات الله عليه : صدقت . ثم أنشد عليه السلام .

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعا

ورواه السيد في [الدرجات الرفيعة] ، والعقيلي نقلاً عن (منهاج

(١) يروي عنه البخاري وجمع كثير ، وثقه النسائي وغيره ، وصدقه أبو حاتم ولد سنة ١٥٢ ، وتوفي سنة ٢٤٣ ، راجع تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٧١ .

الفاضلين) للحمويني و (مرآة الزمان) لابن الجوزي، ورواه سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ٢٠ عن شيخه عمرو بن صافي الموصللي عن بعض.

وقال المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٤٨: مذهب الكميت في التشيع ومدح أهل البيت عليهم السلام في أيام بني أمية مشهور ومن قوله فيهم:

فقل لبني أمية حيث حلوا | وإن خفت المهند والقطيعة
: أجاج الله من أشبتموه | وأشبع من بجوركُم أجيعة

ويروى: إن أبا جعفر محمد بن عليّ (الإمام الطاهر) رضي الله عنه لما أنشده الكميت هذه القصيدة دعا له. اهـ.

وفي «الصراط المستقيم» للبياضي العاملي: أنه روى ابن الكميت: أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله في النوم فقال: أنشدني قصيدة أبيك العينية فلما وصل إلى قوله:

ويوم الدُّوح دُوح غدِير خَمٍّ أبان له الولاية لو أطيعا
بكي شديداً وقال: صدق أبوك رحمه الله، أي والله لم أر مثله حقاً أضيعا.

الهاشميات

ذكرها له المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ١٩٤. وقال أبو الفرج^(١) والسيد العباسي^(٢) قصائد الكميت (الهاشميات) من جيد شعره ومختاره. وقال الأمدى^(٣) وابن عمر البغدادي^(٤): لكميت بن زيد في أهل البيت الأشعار المشهورة وهي أجود شعره. وقال السندوبي^(٥): كان الكميت من خيرة شعراء الدولة الأموية، وكان عالماً بلغات العرب وأيامهم، ومن خير شعره

(١) في الأغاني ج ٣ ص ١١٣.

(٢) في معاهد التنصيص ج ٢ ص ٢٦.

(٣) في المؤلف والمختلف ص ١٧٠.

(٤) في خزانة الأدب ص ٦٩.

(٥) في تعليقه على البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٤.

وأفضله (الهاشميات) وهي القصائد التي ذكر فيها آل بيت الرسول بالخير.

روى أبو الفرج في الأغاني ج ١٥ ص ١٢٤ بإسناده عن محمد بن عليّ النوفلي قال: سمعت أبي يقول: لَمَّا قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال (الهاشميات) فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس، إنك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني فقلت شعراً فأحبيت أن أعرضه عليك فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى من ستره عليّ. فقال له الفرزدق: أمّا عقلك فحسنٌ وإنّي لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت فأنشده:

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ.

قال فقال لي: فيم تطرب يا ابن أخي؟! فقال:

ولالعباً مني. وذو الشيب يلعب؟!!

فقال: بلى يا بن أخي! فالعب فإنك في أوان اللعب. فقال:

ولم يُلهنّي دارٌ ولا رسم منزل ولم يطرّبني بنانٌ مخضّبٌ

فقال: ما يُطربك يا بن أخي؟! فقال:

ولا السانحات البارحات عشيةً أمرٌ سليم القرن أم مرّ أغضبٌ

فقال: أجل لا تتطير. فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى وخير بني حواء والخير يُطلبُ

فقال: ومن هؤلاء؟! ويحك. قال:

إلى نفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقربُ

قال: أرحني ويحك من هؤلاء؟! قال:

بني هاشم رهط النبيّ فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ

خفضت لهم مني جناحي مودةً إلى كنف عطفاه أهلٌ ومرحبُ

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء محباً على أني أذم وأغضب
وأرمني وأرمني بالعداوة أهلها وإنني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق: يا بن أخي؟ أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى
وأشعر من بقي ورواه المسعودي في مروجه ج ٢ ص ١٩٤ ، والعباسي في
«المعاهد» ج ٢ ص ٢٦ .

روى الكشي في رجاله ص ١٣٤ بإسناده عن أبي المسيح عبدالله بن
مروان الجواني قال: كان عندنا رجلٌ من عباد الله الصالحين وكان راوية شعر
الكميت يعني (الهاشميات) وكان يُسمع ذلك منه وكان عالماً بها فتركه خمساً
وعشرين سنة لا يستحلُّ روايته وإنشاده ثم عاد فيه فقيل له: ألم تكن زهدت فيه
وتركتها؟! قال: نعم ولكنني رأيت رؤياً دعيتني إلى العود لها، فقيل له: وما
رأيت؟ قال: رأيت كأن القيامة قد قامت وكأنما أنا في المحشر فدفعت إليّ مجلة
قال أبو محمد: فقلت لأبي المسيح: وما المجلة؟ قال: الصحيفة. قال: نشرتها
فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. أسماء من يدخل الجنة من محبي علي بن
أبي طالب قال: فنظرت في السطر الأول فإذا أسماء قوم لم أعرفهم، ونظرت في
السطر الثاني فإذا هو كذلك، ونظرت في السطر الثالث والرابع فإذا فيها:
والكميت بن زيد الأسدي. قال: فذلك دعاني إلى العود فيه.

قال البغدادي في «خزانة الأدب» ج ١ ص ٨٧: بلغ خالد القسري خبر
هذه القصيدة.

(يعني قصيدة الكميت المسماة بالمذهبة التي أولها: ألا حييت عنا يا
مدينا).

فقال: والله لأقتلنه ثم اشترى ثلاثين جارية في نهاية الحسن فرواهن
القصائد (الهاشميات) للكميت ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك
فاشتراهن فأنشدنه يوماً القصائد المذكورة فكتب إلى خالد وكان يومئذ عاملاً
بالعراق: أن ابعث إليّ برأس الكميت. فأخذه خالد وحبسه فوجه الكميت إلى
امراته ولبس ثيابها وتركها في موضعه وهرب من الحبس، فلما علم خالد أراد

أن ينكل بالمرأة فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة لنا خُذعت فخافهم ونحلى سبيلها^(١).

قال الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ١٧١: عهدي بالخوارزمي يقول: من روى حوليات زهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيثة، وهاشميات الكميت، ونقائض جرير، والفرزدق، وخمريات أبي نواس، وزهريات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتز، وروضيات الصنوبري، ولطائف كشاجم وقلائد المتنبي، ولم يتخرج في الشعر فلا أشب الله تعالى قرنه.

خمس الهاشميات غير واحد من الشعراء منهم: الشيخ ملا عباس الزيوري البغدادي، والعلامة الشيخ محمد السماوي، والسيد محمد صادق آل صدر الدين الكاظمي، وشرحها الأستاذ محمد محمود الرافعي المصري وأحسن فيه وفي مقدمته وترجمة الكميت وأجاد وقال: الهاشميات هي من مختار الكلام، ومن رائق الشعر وشيقه، وجيد القول وطريفه، أحسن فيه كل الإحسان، وأجاد كل الإجادة. وشرحها الأستاذ محمد شاعر الخياط النابلسي.

الميمية من الهاشميات

مَنْ لِقَلْبٍ مُتِيْمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبُوَّةٍ وَلَا أَحْلَامٍ!؟

قال صاعد مولى الكميت: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فأنشده الكميت قصيدته هذه فقال: اللهم اغفر للكميت. اللهم اغفر للكميت. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣.

قال نصر بن مزاحم المنقري: أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله في النوم وبين يديه رجل يُنشده:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتِيْمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبُوَّةٍ وَلَا أَحْلَامٍ!؟

(١) سيايتك عن الأغاني تفصيل القصة إن شاء الله تعالى.

قال: فسألت عنه فقيل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي قال: فجعل النبي ﷺ يقول: جزاك الله خيراً، وأثنى عليه. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤، «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧.

روى الكشي في رجاله ص ١٣٦ بإسناده عن زرارة قال: دخل الكميت على أبي جعفر عليه السلام وأنا عنده فأنشده:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتِيْمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبْوَةٌ وَلَا أَحْلَامُ!؟

فلما فرغ منها قال للكميت: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول

فيها.

وروى في ص ١٣٥ بإسناده عن يونس بن يعقوب قال: أنشد الكميت أبا

عبدالله عليه السلام شعره:

أَخْلَصَ اللَّهُ فِي هَوَايَ فَمَا أَعْرَقَ نَزْعاً وَمَا تَطِيْشَ سَهَامِي

فقال أبو عبدالله عليه السلام: لا تقل هكذا ولكن قل: قد أغرق نزعاً.

ورواه ابن شهر آشوب في «المناقب» وفي لفظه: فقلت يا مولاي أنت أشعر مني

بهذا المعنى وروى الحديثين الطبرسي في [إعلام الوري] ص ١٥٨.

قال المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ١٩٥: قدم الكميت المدينة

فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فأذن له ليلاً

وأنشده فلما بلغ الميمية قوله:

وَقَتِيْلٌ بِالطَّفِّ غَوْدَرُ مِنْهُمْ بَيْنَ غَوْغَاءِ أُمَّةٍ وَطَغَامِ

بكى أبو جعفر ثم قال: يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك ولكن لك ما

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس

ما ذبيت عنا أهل البيت. فخرج من عنده فأتى عبدالله بن الحسن بن علي

فأنشده فقال: يا أبا المستهل إن لي ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا

كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهوداً. وناوله إياه، فقال: بابي أنت وامي إنني

كنت أقول الشعر في غيركم أريد بذلك الدنيا ولا والله ما قلت فيكم إلا الله، وما

كنت لأخذ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً. فألحَّ عبد الله عليه وأبى من إعفائه، فأخذ الكميت الكتاب، ومضى، فمكث أياماً ثم جاء إلى عبد الله فقال: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، إن لي حاجة قال: وما هي؟ وكلُّ حاجة لك مقضية. قال: وكأنته ما كانت؟ قال: نعم. قال: هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة. ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبد الله، ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوباً جلدأ فدفعه إلى أربعة من غلمانه، ثم جعل يدخل دور بني هاشم ويقول: يا بني هاشم، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم، وعرض دمه لبني أمية فأثيبوه بما قدرتم. فيطرح الرجل في الثوب ما قدر عليه من دنائير ودراهم. وأعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى أنها لتخلع الحلبي عن جسدها، فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم، فجاء بها إلى الكميت فقال: يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقلِّ ونحن في دولة عدونا وقد جمعنا هذا المال وفيه حلبي النساء كما ترى، فاستعن به على دهرك فقال: بأبي أنت وأمي قد أكثرتم وأطيتتم وما أردت بمدحي إياكم إلا الله ورسوله ولم أك لأخذ لكم ثمناً من الدنيا فارده إلى أهله. فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة فأبى فقال: إن أبيت أن تقبل فإنني رأيت أن تقول شيئاً تُغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب. فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعه بن نزار وأياد وأنمار ابني نزار ويكثر فيها من تفضيلهم ويطنب في وصفهم وأنهم أفضل من قحطان فغضب بها بين اليمانية والنزارية فيما ذكرناه وهي قصيدته التي أولها:

ألا حيت عنا يا مدينا وهل ناسٌ تقول مسلمينا؟

قال ابن شهر اشوب في «المناقب» ج ٥ ص ١٢: بلغنا أن الكميت أنشد الباقر عليه السلام:

من لقلبٍ مُتيمٍ مُستهامٍ غير ما صبوةٍ ولا أحلامٍ؟
فتوجه الباقر عليه السلام إلى الكعبة فقال: اللهم ارحم الكميت واغفر

له . ثلاث مرّات . ثمّ قال : يا كميّت هذه مائة ألف قد جمعتها لك من أهل بيتي . فقال الكميّت : لا والله لا يعلم أحدٌ أنّي آخذ منها حتّى يكون الله عزّ وجلّ الذي يكافيني ولكن تكرمني بقميص من قمصك فأعطاه . وذكره العباس في «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧ وفيه : فأمر له (أبو جعفر) بمالٍ وثيابٍ فقال الكميّت : والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه ، ولكنني أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله فرده وقبل الثياب .

قال البغدادي في (خزانة الأدب) ج ١ ص ٦٩ : حكى صاعد مولى الكميّت قال : دخلت مع الكميّت على عليّ بن الحسين رضي الله عنه فقال : إنّي قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله ﷺ ثمّ أنشده قصيدته التي أولها :

مَنْ لِقَلْبٍ مُتِيْمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبُوَةٌ وَلَا أَحْلَامِ؟!

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنّ الله لا يعجز عن مكافأتك . اللهم اغفر للكميّت . ثمّ قسّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ يا أبا المستهلّ فقال له : لو وصلتني بدانق لكان شرفاً لي ولكن إن أحببت أن تحسن إليّ فادفع إليّ بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرك بها . فقام فنزع ثيابه ودفعا إليه كلّها ثمّ قال : اللهم إنّ الكميّت جاد في آل رسولك وذريّة نبيك بنفسه حين ضنّ الناس ، وأظهر ما كتّمه غيره من الحقّ ، فأحبه سعيداً ، وأمه شهيداً ، وأره الجزاء عاجلاً ، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً ، فإنّنا قد عجزنا عن مكافاته . قال الكميّت : ما زلت أعرف بركة دعائه .

قال محمّد بن كناسة : لمّا أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميّت :

فبهم صرّت للبعيد ابن عمّ واتهمت القريب أيّ اتهام^(١)

(١) هو البيت الثمانون من القصيدة .

مُبدياً صفحتي على الموقف المعلم بالله قوتي واعتصامي^(١)

قال: استقتل المرثي. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٧.

البائية من الهاشميات

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعبُ؟

روى أبو الفرج «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤ بإسناده عن إبراهيم بن سعد الأسدي قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: من أي الناس أنت؟ قلت: من العرب قال: أعلم فمن أي العرب؟ قلت: من بني أسد. قال: من أسد بن خزيمة. قلت: نعم. قال: أهلا لي أنت؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الكميث بن زيد؟ قلت: يا رسول الله عمي ومن قبيلتي. قال: أتحفظ من شعره؟ قلت: نعم قال أنشدني.

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعبُ؟

قال؛ فأنشده، حتى بلغت إلى قوله:

فما لي إلا آل أحمد شيعةً وما لي إلا مشعب الحق مشعبُ

فقال لي: إذا أصبحت فاقراً عليه السلام وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة وذكره العباسي في [معاهد التنصيص] ج ٢ ص ٢٧ وغيره.

وفي «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤: عن دعبل بن علي الخزاعي قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله ما بيني وبينه إلا كما بين الشعراء. فقال: لا تفعل، أليس هو القائل؟

فلا زلتُ فيهم حيث يتهمونني ولا زلتُ في أشياعكم أتقلبُ

فإن الله قد غفر له بهذا البيت قال. فانتهيت عن الكميث بعدها.

(١) هو البيت الخامس والثمانون من القصيدة.

هذا البيت

من أبيات حُرِّفَتْها يد النشر المصرية عن القصيدة بعد قوله:

وقالوا تُرابيُّ هواه ورأيه بذلك أدعى فيهم وألقبُ

قال السيوطي في [شرح شواهد المغني] ص ١٣: أخرج ابن عساكر بإسناده عن محمد بن عقير^(١) كانت بنو أسد تقول: فينا فضيلة ليست في العالم، ليس منزل منّا إلا وفيه بركة وراثة الكمية لأنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: أنشدني:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعبُ؟

فأنشده فقال له: بورك وبورك قومك.

وفي «شرح الشواهد» أيضاً ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن أبي عكرمة الضبي عن أبيه قال: أدركت الناس بالكوفة من لم يرو:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني وذو الشيب يلعبُ؟

فليس بهاشمي. ورواه السيد في [الدرجات الرفيعة] وفيها: فليس بشيعي.

وقال السيوطي في «الشرح» ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن محمد بن سهل قال قال الكمي: رأيت في النوم وأنا مخنف رسول الله ﷺ فقال: مِمُّ خوفك؟ قلت: يا رسول الله! من بني أمية وأنشدته:

ألم ترني من حب آل محمد أروح وأغدو خائفاً أترقبُ^(٢)

فقال: إظهار فإن الله قد أمّنك في الدنيا والآخرة.

(١) في غير شرح الشواهد: عقبة.

(٢) هو البيت الخامس والسبعين من القصيدة.

وقال في ص ١٤ : أخرج ابن عساكر عن الجاحظ قال : ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت بقوله :

فإن هي لم تصلح لحي سواهم فإن ذوي القربى أحق وأوجب
يقولون : لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيها بكيل وأرحب

وذكر كلام الجاحظ الشيخ المفيد كما في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٨٤ ، ولعل الجاحظ لم يقف على مواقف احتجاج الشيعة بنفس هذه الحجّة وغيرها المتكثرة منذ عهدهم المتقادم المتصل بالعهد النبوي . أو أنه يرمي بكلمته إلى إنكار سلف الشيعة في الصدر الأول ، لكن فضحه تاريخهم المجيد والمأثورات في فضلهم عن صاحب الرسالة وهلمّ جرّاً ، وإنك تجد الاحتجاج بما ذكر وغيره في كثير من شعر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي كلماتهم المشورة قبل أن تنعقد نطفة الكميت كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين . وعبدالله بن عباس ، والفضل بن عباس ، وعمّار بن ياسر ، وأبي ذر الغفاري وقيس بن سعد الأنصاري ، وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وزفر بن زيد بن حذيفة ، والنجاشي بن الحرث بن كعب ، وجريير بن عبدالله البجلي ، وعبد الرحمن بن حنبل حليف بني جُمع ، وآخرين كثيرين .

وقد فتح لهم هذا الباب بمصراعيه أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه في كتبه وخطبه الطافحة بذلك ، المبتوثة في طيات الكتب ومعاجم الخطب والرسائل ، قال شيخنا المفيد كما في «الفصول» ج ٢ ص ٨٥ : إنما نظم الكميت معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في منشور كلامه في الحجّة على معاوية ، فلم يزل آل محمّد عليهم السلام بعد أمير المؤمنين يحتجون بذلك ومتكلمو الشيعة قبل الكميت وفي زمانه وبعده وذلك موجود في الأخبار المأثورة والرّوايات المشهورة ، ومن بلغ إلى الحدّ الذي بلغه الجاحظ في البهت سقط كلامه .

اللامية من الهاشميات

ألا هل عم في رأيه مُتأملٌ وهل مدبرٌ بعد الإسائة مُقبلٌ!!؟!

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٦ بالإسناد عن أبي بكر الحضرمي قال: إستأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في أيام التشريق بمنى فأذن له فقال له الكميت: جعلت فداك إنني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدك فقال: يا كميته أذكر الله في هذه الأيام المعلومات وفي هذه الأيام المعدودات. فأعاد عليه الكميت القول فرقاً له أبو جعفر عليه السلام فقال: هات. فأنشده قصيدته حتى بلغ:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرُ أسدى له الغيُّ أوّلُ

فرفع أبو جعفر عليه السلام يديه إلى السماء وقال. اللهم اغفر للكميت.

وعن محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: جعلت فداك ألا انشدك؟ قال: إنها أيامٌ عظامٌ. قال: إنها فيكم. قال: هات. وبعث أبو عبد الله عليه السلام إلى بعض أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرُ أسدى له الغيُّ أوّلُ

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر، وما أسرُّ وما أعلن، واعطه حتى يرضى. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣ «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧.

ورواه البغدادي في «خزانة الأدب» ج ١ ص ٧٠ وفيه بعد قوله: فكثر البكاء وارتفعت الأصوات فلما مرَّ على قوله في الحسين رضي الله عنه:

كأنَّ حسيناً والبهاليل حوله	لأسيافهم ما يختلي المتبتلُ
وغاب نبيُّ الله عنهم وفقده	على الناس رزءٌ ما هناك مُجللُ
فلم أر مخذولاً لأجل مصيبة	وأوجب منه نصرةٌ حين يخذلُ

فرفع جعفر الصادق رضي الله عنه يديه وقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وأخر، وما أسر وأعلن، وأعطه حتى يرضى. ثم أعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه، ولكنني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فإني أقبلها لبركتها، وأما المال فلا أقبله.

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١١٩ عن علي بن محمد بن سليمان عن أبيه قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله وكان يُقال: إنه يريد خلعك فوجد بباب هشام يوماً رقعةً فيها شعرٌ فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي:

تألق برقٌ عندنا وتقابلت	أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قدر الحرب وهي مقرّة	لكفيك واجعل دون قدر جمالها
ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حدّه	فإنها برسلي قبل أن لا تنالها
فتجشم منها ما جشمت من التي	بسورٍ أهرت نحو حالك حالها
تلاف أمور الناس قبل تفاقم	بعقدة حزم لا يخاف انحلالها
فما أبرم الأقوام يوماً لحيلة	من الأمر إلا قلّدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرّها	وإن لم يبح من لا يريد سؤالها

فأمر هشام أن يجتمع له من بحضرته من الرواة فجمعوا فأمر بالأبيات فقرئت عليهم فقال: شعر من تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدي. فقال هشام: نعم: هذا الكميت يُذرني بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد يُخبره وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذ بواسط فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه: إن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية فأتوني من شعر هذا بشيء فأتني بقصيدته اللامية التي أولها:

ألا هل عم في رأيه مُتأملٌ وهل مدبرٌ بعد الإسائة مقبلٌ!؟!

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول: هذا شعر الكميت فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذلك. فلما قرئت على هشام إغتاظ فلما سمع قوله:

فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمرى ذو أفانين مقول

اشتد غيظه فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها. فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته وأعلن الأمر رجاء أن يتخلص الكميت فقال: كتب إلي أمير المؤمنين وإني لأكره أن أستفسد عشيرته. وسماه فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال: إن أنت وردت الكوفة فأندرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس فأنت حر لوجه الله والبغلة لك ولك علي بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك. فركب البغلة فسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً فخبّر الكميت بالقصة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمه يأمرها: أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفان. ففعلت فقال: ألبسني لبسة النساء. ففعلت، ثم قالت له: أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقالت: ما أدري إلا يبساً في منكبيك إذهب في حفظ الله. فمر بالسجان فظن أنه المرأة فلم يعرض له فنجا وأنشأ يقول:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوايح والمشلي
علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت سلّة النصل

وورد كتاب خالد إلى والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فينفذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت فكلّمته المرأة وخبّرتهم: إنها في البيت، وإن الكميت قد خرج. فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حرّة كريمة أفدت ابن عمها بنفسها. وأمر بتخليتها فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الحبس ويقول:

أسودينا واحمرينا

فهاج الكميت ذلك حتى قال:

ألا حيت عنا يا مدينا (وهي ثلاثمائة بيت)

وقال في ص ١١٤: إن خالد بن عبدالله القسري روى جارية حسناء قصائد الكميت (الهاشميات) وأعدّها ليهديها إلى هشام وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني امية وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيا ربّ هل إلّا بك النصر يُبتغى ويا ربّ هل إلّا عليك المعوّل

وهي طويلة يرثي فيها زيد بن عليّ وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني هاشم، فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه واستنكرها وكتب إلى خالد: يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده. فلم يشعر الكميت إلّا والخيل محدقةً بداره فأخذ وحبس في المحبس، وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بسلام على بغل وقال له: أنت حرّ - إلى آخر ما يأتي إن شاء الله تعالى.

وللكميت في حديث الغدير من قصيدة قوله:

عليّ أمير المؤمنين وحقّه	من الله مفروض على كلّ مسلم
وإن رسول الله أوصى بحقّه	وأشركه في كلّ حقّ مقسّم
وزوجه صديقة لم يكن لها	معادلة غير البتولة مريم
وردّم أبواب الذين بنى لهم	بيوتاً سوى أبوابه لم يردّم
وأوجب يوماً بالغدير ولاية	على كلّ برّ من فصيح وأعجم

[تفسير أبي الفتوح ج ٢ ص ١٩٣]

الشاعر

أبو المستهلّ الكميت بن زيد بن نخيس بن مخالداً^(١) بن وهيب بن

(١) وقيل: مخالداً بن ذؤيب بن قيس بن عمرو.

عمرو بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

قال أبو الفرج: شاعرٌ مقدّمٌ عالمٌ بلغات العرب، خبيرٌ بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها والمتعصّبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعراءهم، العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها، وكان في أيام بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها، وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك.

سُئل معاذ الهراء: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليين أم من الإسلاميين؟؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: امرؤ القيس، وزهير، وعبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين قال: الفرزدق، وجري، والأنخل، والراعي. قال فقيل له: يا أبا محمد! ما رأيك ذكرت الكميت فيمن ذكرت؟ قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين^(١).

وقد مرّ ص ٢١٩ قول الفرزدق له: أنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي. وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً على ما في الأغاني، والمعاهد ج ٢ ص ٣١، أو أكثر من خمسة آلاف قصيدة كما في كشف الظنون نقلاً عن عيون الأخبار لابن شاكرج ١ ص ٣٩٧. وقد جمع شعره الأصمعي وزاد فيه ابن السكيت، ورواه جماعة عن أبي محمد عبدالله بن يحيى المعروف بابن كناسه الأسدي المتوفى سنة ٢٠٧، ورواه ابن كناسه عن الجزبي، وأبي الموصّل، وأبي صدقة الأسديين، وألف كتاباً أسماه (سركات الكميت من القرآن وغيره)^(٢).

ورواه ابن السكيت عن أستاذه نصران وقال نصران: قرأت شعر الكميت على أبي حفص عمر ابن بكير. وعمل شعره السكّري أبو سعيد الحسن بن

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١١٥ و١٢٧.

(٢) التعبير بالسرقة لا يخلو من مسامحة فإنها ليست إلا أخذاً بالمعنى أو تضميناً لكلم من القرآن، وحسب الكميت (وأي شاعر) أن يقتص أثر الكتاب الكريم.

الحسين المتوفى سنة ٢٧٥، كما في فهرست ابن النديم ص ١٠٧ و ٢٢٥. وصاحب شعره محمد بن أنس كما في تاريخ ابن عساکر ج ٤ ص ٤٢٩.

وحكى ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ٤١٠ عن ابن نجار عن أبي عبدالله أحمد بن الحسن الكوفي النسابة أنه قال: قال ابن عبدة النسابة: ما عرف النسابة أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت (النزاريات) فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها، فلما سمعت هذا أجمعت شعره فكان عوني على التصنيف لأيام العرب.

وقال بعضهم: كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب أسد، فقيه الشيعة، حافظ القرآن العظيم، ثبت الجنان، كاتباً حسن الخط، نسابة جديلاً، وهو أول من ناظر^(١) في التشيع، رامياً لم يكن في أسد أرمى منه، فارساً شجاعاً، سخياً دينياً. خزانة الأدب ج ٢ ص ٦٩، شرح الشواهد ص ١٣.

ولم تزل عصبية للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته، وفي إثرها ناقض دعبل وابن عيينة قصيدته المذهبة بعد وفاته وأجابهما أبو الزلفاء البصري مولى بني هاشم، وكان بينه وبين حكيم الأعور الكلبي مفاخرة ومناظرة تامة.

فائدة

حكيم الأعور المذكور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أمية بدمشق، ثم انتقل إلى الكوفة، جاء رجل إلى عبدالله بن جعفر فقال له: يا بن رسول الله! هذا حكيم الأعور ينشد الناس هجاكم بالكوفة. فقال: هل حفظت شيئاً؟ قال: نعم وأنشد.

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجزع يُصلبُ

(١) مرفساد هذه النسبة إلى المترجم له ص ٢٢٦.

وقستم بعثمان علياً سفاهةً وعثمان خيراً من عليٍّ وأطيبُ

فرفع عبدالله يديه إلى السماء وهما تنتفضان رعدة فقال: اللهم إن كان كاذباً فسَلِّطْ عليه كلباً. فخرج حكيم من الكوفة فأدلج^(١) فافترسه الأسد.

«معجم الأدباء ج ٤ ص ١٣٢».

الكميت وحياته المذهبية

يجد الباحث في خلال السَّيرِ وزبر الحديث شواهد واضحة على أن الرجل لم يتخذ شاعريته وما كان يتظاهر به من التهالك في ولاء أهل البيت عليهم السلام، وسيلةً لما يقتضيه النهمة، وموجبات الشره من التلمظ بما يستفیده من الصَّلَاتِ والجوائز، أو تحريّ مُسانحات وجرايات، أو الحصول على رُتبهٍ أو راتب، أنى؟ وآل رسول الله كما يقول عنهم دعبل الخزاعي:

أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفراتُ

وهم سلام الله عليهم فضلاً عن شيعتهم:

مشرّدون نفوا عن عُقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفرُ

وقد انهالت الدنيا قضاها بقضيضها على أضداد هم يوم ذلك من طغمة الأمويين ولو كان المتطلب شيئاً من حطام الدنيا، أو حصولاً على مرتبة، أو زلفةً تربي به لطلبها من أولئك المتغلبين على عرش الخلافة الإسلامية، فرجلٌ يلوي بوجهه عنهم إلى أناس مضطهدين مقهورين، ويقاسي من جرّاء ذلك الخوف والاختفاء تتقاذف به المفاوز والحزون، مفترعاً ربوة طوراً ومسفاً إلى الأحضة تارة، وورائه الطلب الحثيث، وبمطلع الاكمة النطح والسيف، ليس من الممكن أن يكون ما يتحرّاه إلا خاصّة فيمن يتولا هم، لا توجد عند غيرهم، وهذا هو شأن

(١) أدلج القوم: ساروا الليل كله أو في آخره.

الكميت مع أئمة الدين عليهم السّلام فقد كان يعتقد فيهم أنّهم وسائله إلى المولى سبحانه، وواسطة نجاحه في عقباه، وأنّ مودّتهم أجر الرسالة الكبرى.

روى الشيخ الأكبر الصفّار في «بصائر الدرجات» بإسناده عن جابر قال: دخلت على الباقر عليه السّلام فشكوت إليه الحاجة فقال: ما عندنا درهم. فدخل الكميّ فقال: جعلت فداك أنشدك؟ فقال: أنشد فأنشده قصيدة فقال: يا غلام! أخرج من ذلك البيت بكرة فادفعها إلى الكميّ. فقال: جعلت فداك أنشدك أخرى؟ فأنشده فقال: يا غلام! أخرج بكرة فادفعها إليه. فقال: جعلت فداك أنشدك أخرى؟ فأنشده فقال: يا غلام! أخرج بكرة فادفعها إليه. فقال: جعلت فداك والله ما أحبكم لعرض الدنيا وما أردت بذلك إلا صلة رسول الله وما أوجب الله عليّ من الحقّ. فدعا له الباقر عليه السّلام فقال: يا غلام رُدّها إلى مكانها. فقلت: جعلت فداك قلت لي: ليس عندي درهم وأمرت للكميّ بثلاثين ألفاً^(١) فقال: أدخل ذلك البيت. فدخلت فلم أجد شيئاً، فقال: ما سترنا عنكم أكثر ممّا أظهرنا. الحديث.

قال صاعد: دخلنا مع الكميّ على فاطمة بنت الحسين عليه السّلام فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقُدح فيه سويقٌ فحرّكته بيدها وسقت الكميّ فشربه ثمّ أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها إنّي لم أحبكم للدنيا. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣.

وللكميّ في رده الصّلات الطائفة على سروات المجد من بني هاشم مكرمة ومحمدة عظيمة أبقت له ذكرى خالدة وكلّ من تلکم المواقف شاهد صدق على خالص ولائه وقوة إيمانه، وصفاء نيّته، وحسن عقيدته ورسوخ دينه، وإباء نفسه، وعلو همّته، وثباته في مبدئه (العلويّ) المقدّس، وصدق مقاله للإمام السّجاد زين العابدين عليه السّلام: إنّي قد مدحتك أن يكون لي وسيلة عند رسول الله ويُعرب عن ذلك كلّ صريح قوله للإمام الباقر محمّد بن عليّ عليهما

(١) في مناقب ابن شهر آشوب ج ٥ ص ٧: خمسين ألف درهم.

السّلام: والله ما أحبكم لعرّض الدنيا وما أردت بذلك إلا صلة رسول الله وما أوجب الله عليّ من الحقّ. وقوله الآخر عليه السّلام: ألا والله لا يعلم أحدٌ أنّي منها حتى يكون الله عزّ وجلّ الذي يكافيني. وقوله للإمامين الصادقين عليهما السّلام: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه ولكني أحببتكم للآخرة. وقوله لعبدالله بن الحسن بن عليّ عليه السّلام: والله ما قلت فيكم إلا لله وما كنت لأخذ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً. وقوله لعبدالله الجعفري: ما أردت بمدحي إياكم إلا الله ورسوله، ولم أك لأخذ لكم ثمناً من الدنيا. وقوله لفاطمة بنت الإمام السبط: والله إنّني لم أحبكم للدنيا. وهذا شأن الشيعة سلفاً وخلفاً، وشيمة كلّ شيعة صميم، وأدب كلّ متضلع بالنزعات العلوية، وروح كلّ علويّ جعفريّ، وهذا شعار التشيع ليس إلا. وبمثل هذا فليعمل العاملون.

وكان أئمة الدين ورجالات بني هاشم يُلحّون في أخذ الكميت صلاتهم، وقبوله عطاياهم، مع إكبارهم محلّه من ولائه، واعتنائهم البالغ بشأنه، والإحتفاء والتبجيل له، والإعتذار عنه بمثل قوم الإمام السّجاد صلوات الله عليه له: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنّ الله لا يعجز عن مكافاتك. وهو مع ذلك كلّه كان على قدّم وساق من إباته واستعفائه إظهاراً لولائه المحض لآل الله، وقد مرّ أنّه ردّ على الإمام السّجاد عليه السّلام أربعمائة ألف درهم وطلب من ثيابه التي تلي جسده ليتبرك بها. وردّ على الإمام الباقر مائة ألف مرّة، وخمسين ألف أخرى وطلب قميصاً من قمصه. وردّ على الإمام الصادق ألف دينار وكسوة واستدعى منه أن يكرمه بالثوب الذي مسّ جلده. وردّ على عبدالله بن الحسن ضيعته التي أعطى له كتابها وكانت تسوى بأربعة آلاف دينار. وردّ على عبدالله الجعفري ما جمع له من بني هاشم ما كان يقدر بمائة ألف درهم.

فكلّ من هذه خبرٌ يصدّق الخبر بأنّ مدح الكميت عترة نبيّه الطاهر وولائه لهم، وتهالكه بكّله في حبّهم، وبذله النفس والنفيس دونهم، ونيله من مناوئتهم، ونصبه العداة لمخالفهم، لم يكن إلاّ لله ولرسوله فحسب، وما كان

له غرضٌ من حطام الدنيا وزخرفها، ولا مرمى من الثواب العاجل دون الأجل، وكلُّ واقف على شعره يراه كالباحث بظلفه عن حتفه، ويجدهُ مستقتلاً بلسانه، قد عرض لبني امية دمه، مُستقبلاً صوارمهم كما نصر عليه الإمام زين العابدين عليه السلام وقال: اللهم إنَّ الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك نفسه حين صنَّ الناس، وأظهر ما كتبه غيره. وقال عبدالله الجعفري لبني هاشم: هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس من فضلكم وعرض دمه لبني امية. وخالد القسري لما أراد قتله رأى في شعره غنى وكفاية عن أي حيلة وسعاية عليه، فاشترى جاريةً وعلمها الهاشميات وبعثها إلى هشام بن عبد الملك وهو لما سمعها منها قال: استقتل المرثي. وكتب إلى خالد بقتله وقطع لسانه ويده.

فكان الكميت، منذ غضاضة من شبيبته التي نظم فيها «الهاشميات» خائفاً يترقب طيلة عمره مختفياً في زوايا الخمول إلى أن أقام بقريضه الحجَّة، وأوضح به المحجَّة، وأظهر به الحق، وأتم به البرهنة، وبلغ ضالته المنشودة من بث الدعاية إلى العترة الطاهرة، فلما دوخ صيت شعره الأقطار، وقرطت به الأذان، ودارت على الألسن استجاز الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام أن يمدح بني امية صوناً لدمه فأجاز له، رواه أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٦ بإسناده عن ورد بن زيد أخي الكميت قال: أرسلني الكميت إلى أبي جعفر عليه السلام فقلت له: إنَّ الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني امية؟ قال: نعم هو في حل فليقل ما شاء. فنظم قصيدته الرائية التي يقول فيها.

فالآن صرتُ إلى اميِّة والامور إلى المصائر

ودخل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: يا كميته أنت القائل:

فالآن صرتُ إلى اميِّة والامور إلى المصائر

قال: نعم، قد قلت ولا والله ما أردت به^(١) إلا الدنيا ولقد عرفت فضلكم

(١) أي أراد بقوله: صرت. مصير الدنيا إليهم لا الخلافة.

قال: أما إن قلت ذلك إن التقيّة لتحلّ.

وروى الكشي في رجاله ص ١٣٥ بإسناده عن درست بن أبي منصور قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السّلام وعنده الكميت بن زيد فقال للكميت: أنت الذي تقول:

فالآن صرتُ إلى اميِّة والامور إلى المصائرُ

قال: قد قلت ذلك فوالله ما رجعت عن إيماني، وإنّي لكم لمُوال، ولعدوكم لقال، ولكنّي قلته على التقيّة. قال: أما لئن قلت ذلك إن التقيّة تجوز في شرب الخمر.

لفت نظر

أحسب أنّ الإمام المذكور في حديث الكشي هو أبو عبد الله الصادق عليه السّلام ولا يتم ما فيه من أبي الحسن موسى عليه السّلام، إذ الكميت توفي بلا اختلاف أبده سنة ١٢٦ قبل ولادة أبي الحسن موسى بستين أو ثلاث. كما لا يتم القول باتّحاده مع حديث أبي الفرج المرويّ عن الإمام أبي جعفر إذ درست بن أبي منصور لا يروي عنه عليه السّلام وليس من تلك الطبقة.

الكميت ودعاء الأئمة له

من الواضح أنّ أدعية ذوي النفوس القدسيّة، والألسنة الناطقة بالمشيئة الإلهيّة المعبرة عن الله، من الذين يوحى إليهم ربّهم، ولا يتكلّمون إلاّ بإذنه، وما ينطقون عن الهوى، ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى، ليست مجرد شفاعة لأيّ أحد، ومسئلة خير من المولى لكلّ إنسان كائناً من كان، بل فيها إيعاز بأنّ المدعوّ له من رجال الدين، وحلفاء الخير والصلاح، ودعاة الأئمة إليهما، وممن قيّضه المولى للدعوة إليه، والأخذ بناصر الهدى، رغماً على أباطيل الحياة وأهوائها الضالّة، إلى فضائل لا تُحصى على اختلاف المدعوّين لهم فيها.

وقل ما دُعي لأحد مثل ما دُعي للكُميت وقد أكثر النبيُّ الأعظم والأئمة من أولاده صلوات الله عليه وعليهم دعائهم له، فاسترحم له النبيُّ صلى الله عليه وآله مرة كما مرّ في حديث البياضي، واستجزي له بالخير وأثنى عليه أخرى كما في منام نصر بن مزاحم، وقال له ثالثة: بوركت وبورك قومك. كما في حديث السيوطي، ودعا له الإمام السّجاد زين العابدين عليه السّلام بقوله: اللهمّ أحيه سعيداً وأمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً، ودعا له أبو جعفر الباقر عليه السلام في مواقف شتى في مثل أيام التشريق بمنى وغيرها، متوجّهاً إلى الكعبة بالإسترحام والإستغفار له غير مرة، ويقول: لا تزال مؤيداً بروح القدس تارة أخرى، ومن دعائه عليه السّلام له في أيام البيض ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزاز القمي في [كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر] بإسناده عن الكُميت أنه قال: دخلت على سيدي أبي جعفر محمّد بن علي الباقر فقلت: يا بن رسول الله! إنّي قد قلت فيكم أبياتاً أفأذن لي في إنشادها؟ فقال: أيام البيض. قلت: فهو فيكم خاصّة. قال: هات فأنشأت أقول:

أضحكني الدُّهرُ وأبكاني والدُّهرُ ذو صرفٍ وألوانٍ
لتسعةٍ بالطفِّ قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفانٍ

فبكى عليه السّلام، وبكى أبو عبد الله عليه السّلام، وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء، فلما بلغت إلى قولي:

وستةٌ لا يُتجارى بهم بنو عقيل خير فرسانٍ
ثمّ عليُّ الخير مولاهم ذكرهم هيج أحزاني

فبكى ثمّ قال عليه السلام: ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده يخرج من عينيه ماءً ولو مثل جناح البعوضة إلّا بنى الله له بيتاً في الجنّة، وجعل ذلك الدمع حجاباً بينه وبين النار. فلما بلغت إلى قولي:

مَنْ كان مسروراً بما مسّكم أو شامتاً يوماً من الآنِ

فقد ذلتم بعد عزّ فما أَدفع ضيماً حين يغشاني
أخذ بيدي ثم قال: اللهم اغفر للكميت ما تقدّم من ذنبه وما تأخر. فلما
بلغت إلى قولي:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني!!؟

قال: سريعاً إن شاء الله سريعاً. ثم قال: يا أبا المستهل! إن قائمنا هو
التاسع من ولد الحسين لأن الأئمة بعد رسول الله إثني عشر الثاني عشر هو القائم. قلت:
يا سيدي! فمن هؤلاء الإثني عشر؟ قال: أولهم علي بن أبي طالب وبعده الحسن
والحسين وبعده الحسين علي بن الحسين وبعده أنا ثم بعدي هذا ووضع يده
على كتف جعفر قلت: فمن بعد هذا؟ قال: ابنه موسى وبعده موسى ابنه علي
وبعده علي ابنه محمد وبعده محمد ابنه علي وبعده علي ابنه الحسن وهو أبو
القاسم الذي يخرج فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويشفي
صدور شيعتنا. قلت: فمتى يخرج يا بن رسول الله؟ قال: لقد سئل رسول الله
صلّى الله عليه وآله عن ذلك فقال: إنما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة.

وناهيك به فضلاً دعاء الإمام الصادق عليه السلام له في مواقفه المشهودة
في أشرف الأيام رافعاً يديه قائلاً: اللهم اغفر للكميت ما قدّم وأخر، وما أسرّ
وأعلن، وأعطه حتى يرضى. وينم عن إجابة تلك الأدعية الصالحة الصادرة من
النفوس الطاهرة بالألسنة الصادقة أمر النبي صلّى الله عليه وآله أبا إبراهيم سعد
الأسدي في منامه بقراءة سلامه عليه، وإنبأه بأن الله قد غفر له. وكذلك نهيه
صلّى الله عليه وآله دعبل الخزاعي في الطيف عن معارضة الكميت وقوله له: إن
الله قد غفر له. وكان بنو أسد (قبيلة الكميت) يحسون بركة دعاء النبي له ولهم
بقوله: بوركت وبورك قومك. ويُشاهدون آثار الإجابة فيهم، ويجدون في
أنفسهم نفحاتها، وكانوا يقولون: إن فينا فضيلة ليست في العالم، ليس منا إلا
وفيه بركة وراثته الكميت^(١).

ومن تلك الأدعية المستجابة التي شوهدت آثارها، وأبقت للكميت فضيلة مع الأبد ما رواه شيخنا قطب الدين الراوندي في [الخرائج والجرائح] أن محمّد بن علي الباقر عليه السّلام دعا للكميت لما أراد أعداء آل محمّد أخذه وهلاكه وكان متوارياً فخرج في ظلمة الليل هارباً وقد أقعدوا على كلّ طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج في خفية، فلما وصل الكميت إلى الفضاء وأراد أن يسلك طريقاً فجاء أسدٌ يمنعه من أن يسري منها فسلك جانباً آخر فمنعه منه أيضاً، كأنه أشار إلى الكميت أن يسلك خلفه ومضى الأسد في جانب الكميت إلى أن أمن وتخلص من الأعداء.

وفي «معاهد التنصيص» ج ٢ ص ٢٨ قال المستهلّ: أقام الكميت مدّة متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه «صاعد» غلامه وأخذ الطريق على «القطقطانة» وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها فلما صار سحيراً صاح بنا هوّموا^(١) يا فتيان فهوّمنا وقام فصلّى، قال المستهلّ: فرأينا شخصاً فتضعضت له فقال: ما لك؟ قلت: أرى شخصاً مقبلاً فنظر إليه فقال: هذا ذئبٌ قد جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرّفها ثمّ أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه فارتحلنا وجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ما له ويله ألم نطعمه ونسقه؟؟ وما أعرفني بما يريد هو يدلّنا أنا لسنا على الطريق تيامنوا يا فتيان! فتيامننا فسكن عواؤه فلم نزل نسير حتى جئنا الشام فتواري في بني أسد، وبني تميم.

وهذا جانبٌ عظيمٌ من نواحي مكرمات الكميت وفضائله لو أضيف إلى ما يظهر من كلماته المعربة عن نفسيّاته، ومواقفه الكاشفة عن خلائقه الكريمة، وما قيل فيه وفي مآثره الجمة يُمثله بين يدي القارئ بمظاهر روحانيّته، ونصب عينيه مجالي نفسيّاته، وأمثلة مكارم أخلاقه وما كان يحمله بين جنبيه من العلم، والفقه، والأدب، والإباء، والشمم، والحماسة، والهمة، واللباقة، والفصاحة،

(١) هوّم تهويماً: نام قليلاً.

والبلاغة، والخلق الكامل، وقوة القلب، والدين الخالص، والتشيع الصحيح، والصلاح المحض، والرشد والسداد، إلى فضائل تكسبه فوز النشأتين لا تُحصى.

الكميت وهشام بن عبد الملك

كان خالد بن عبدالله القسري، قد أنشد قصيدة الكميت التي يهجو فيها اليمن وهي التي أولها.

ألا حييت عنا يا مدينا وهل ناسٌ تقول مسلمينا

فقال: والله لأقتلنه ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهايةً في الحسن والكمال والأدب فرواهن (الهاشميات) ودسهن مع «نخاس» إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهن جميعاً فلما أنس به واستنطقهن رأى منهن فصاحةً وأدباً فاستقراهن القرآن فقرأن واستنشدهن الشعر فأنشدن قصائد الكميت (الهاشميات) فقال هشام: ويلكن من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدي. قال: في أي بلد هو؟ قلن بالعراق ثم بالكوفة فكتب إلى خالد عامله في العراق إبعث إلي برأس الكميت بن زيد. فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدةً بداره فأخذ وحبس في الحبس وكان أبان بن الوليد، عاملاً على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بسلام على بغل وقال له: أنت حر إن لحقته والبغل لك. وكتب له: أما بعد. فقد بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل، وأرى لك أن تبعث إلي حبي - يعني زوجة الكميت وكانت ممن تشيع أيضاً - فإذا دخلت عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإني أرجو الأوبة لك. قال: فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً وأخبر الكميت بالقصة فبعث إلى امرأته وقص عليها القصة وقال لها: أي ابنة عم إن الوالي لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ولو خفت عليك ما عرضتك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له: أقبل وأدبر ففعل فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً في كتفيك، فاخرج على اسم الله تعالى. وأخرجت معه جاريتين لها فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح

حبيب بن بدير ومعه فتیان من أسد فلم يُؤبه له، ومشى الفتیان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناس فمر بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم: رجل ورب الكعبة وأمر غلامه فأتبعه فصاح به أبو الوضاح يا كذا وكذا! أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومى إليه بنعله فولى العبد مدبراً وأدخله أبو الوضاح منزله، ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة، وراءك لا أم لك. فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد فأخبر الخبر فأحضر المرأة فقال لها: يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين لأنك لن بك ولأصنعن ولأفعلن. فاجتمعت بنو أسد عليه وقالوا له: ما سبيلك على امرأة منا خدعت. فخافهم فخلى سبيلها وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لأبي الوضاح: إني لما خوذ وإن حائطك لساقط. فقال: سبحان الله هذا ما لا يكون إن شاء الله تعالى، وكان الكميت خبيراً بالزجر (الكهانة) فقال له: لا بد أن تحولني. فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيعون فأقام فيهم، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

قال المستهل: وأقام الكميت مدة متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب خف عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد وبني تميم وأرسل إلى أشرف قريش وكان سيدهم يومئذ عنبة بن سعيد بن العاص فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض وأتوا عنبة، فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى، هذا الكميت بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجا حتى تخلص إليك وإلينا. قال: فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء. فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره، ومضى عنبة فأتى مسلمة بن هشام فقال: يا أبا شاعر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر وقال: إنه قد مدحك عامة وإياك خاصة بما لم يُسمع بمثله. فقال: علي خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول فقال له هشام: أجبث لحاجة؟ قال: نعم. قال: هي مقضية إلا أن تكون الكميت. فقال: ما أحب أن تستثني علي في حاجتي وما أنا

والكميت. فقالت أمه: والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها. قال: يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولاً لم يُقل مثله. قال: قد أمّنته وأجزت أمانك له، فأجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا. فعقد مجلساً وعنده الأبرش الكلبي فتكلم بخطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قط، وامتدحه بقصيدته الرائية ويقال: إنه قالها ارتجالاً وهي قوله:

قف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ماذا عليك من الوقو ف بها وإنك غير صاغر؟
درجت عليك الغاديا ت الرابحات من الأعاصر

ويقول فيها:

فالآن صرت إلى امي ة والامور إلى المصائر

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول: إسمع إسمع. ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فيها فأنشده قوله:

سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شلت
أدامت عليكم بالسّلام تحية ملائكة الله الكرام وصلّت

فبكى هشام بكاءً شديداً فوثب الحاجب فسكته، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً فحشدت له المضرية بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم. قال: وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيراً، ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها فألف وسئل عنها فقال: ما أحفظ منها شيئاً إنما هو كلام ارتجلته.

وفي رواية: إنه لما أجاره مسلمة بن هشام وبلغ ذلك هشاماً دعا به وقال

له: أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟ فقال: كلاً ولكني انتظرت سكون غضبه. قال: أحضرنيه الساعة فإنه لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل، إن أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك. قال أتسلمني يا أبا شاكراً؟ قال: كلاً ولكني أحتال لك. ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً وقد جزع عليه جزعاً شديداً فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويتولون: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق بإجارته. فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال: ما هذا؟ فقالوا: لعنه مستجيرٌ بالقبر. فقال: يُجار مَنْ كان إلا الكميت فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الكميت. فقال: يُحضر أعنف إحضار. فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلما نظر هشام إليهم إغرو رقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبةً له ولنا ولا تفضحنا في مَنْ استجار به. فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كميت! أنت القائل: وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تُروى بنا وهي شُزب^(١)

فقال: لا والله أتان من أتن الحجاز وحشية. فقال الكميت: الحمد لله. قال هشام: نعم الحمد لله. ما هذا؟ قال الكميت: مبتدئ الحمد ومبتدعه، الذي خصَّ بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنَّته، أحمد حمد مَنْ علم يقيناً، وأبصر مُستبيناً، وأشهد له بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده العربي، ورسوله الأمي، أرسله والناس في هفوات حيرة، ومُدلهمات ظلمة، عند استمرار ابهة الضلال، فبلغ عن الله ما أمر به، ونصح لامته، وجاهد في سبيله، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم. ثم تكلم واعتذر عن هجائه

(١) تروى: أي ترمى. تشازب القوم على الأمر. أي كان لكل واحد منهم حظ ينتظره يقال: هم متشازبون.

بني امية وأنشد أبياتاً من رائيته في مدحهم فقال له هشام: ويلك يا كميت من زين لك الغوايه ودلاك في العماية؟ قال: الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزماً. فقال له: إيه يا كميت! ألسنت القائل؟:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ

فقال: بل أنا القائل:

إلى آل بيت أبي مالك مناخ هو الأرحب الأسهلُ
نمتُ بأرحامنا الداخلا ت من حيث لا يُنكر المدخلُ
بمرّة والنضر والمالكين رهط هم الأنبل الأنبلُ
وجدنا قريشاً قريش البطاح على ما بنى الأول الأولُ
بهم صلح الله بعد الفساد وحيص من الفتق ما رعبلوا^(١)

قال له: وأنت القائل:

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعدُ أو كهشامِ
من يمت لا يمت فقيداً ومن يح ي فلا ذو إلّ ولا ذو ذمامِ

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة. فقال: بل أنا

القائل يا أمير المؤمنين:

فالآن صرت إلى اميِّ ة والامور إلى المصائرُ
والآن صرت بها إلى المصيد ب كمهتدٍ بالأمس حائرُ
فقل لبني امية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبتموه وأشبع من بجوركُم أجيعا
بمرضئ السياسة هاشميِّ يكون حياً لأمته ربيعا

(١) حاص حيصاً: عدل وحاد. رعبلوا: مزقوا.

فقال: لا تثرīb يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب.
قال: بما ذا؟ قال بقولي الصادق:

أورثته الحصان أم هشام	حسباً ثاقباً ووجهاً نضيراً
وتعاطى به ابن عائشة البد	ر فأمسى له رقيباً نظيراً
وكساه أبو الخلائف مروا	ن سناء المكارم المأثورا
لم تجهم ^(١) له البطاح ولكن	وجدتها له معاناً ^(٢) ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال: هكذا فليكن الشعر. يقولها لسالم ابن عبدالله بن عمر وكان إلى جانبه ثم قال: قد رضيت عنك يا كميت فقبل يده وقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تزيدني في تشريفي فلا تجعل لخالد عليّ إمارة. قال: قد فعلت. وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويُعطيهما عشرين ألف درهم وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك.

الأغاني ج ١٥ ص ١١٥-١١٩، العقد الفريد ج ١ ص ١٨٩.

كان هشام بن عبد الملك مشغوباً بجارية له يقال لها (صدوف) مدنية اشترت له بمال جزيل فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغموماً بذلك فقال: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين لا غمك الله. فأخبره هشام بالقصة فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول:

أعتبت أم عتبت عليك (صدوف)	وعتابٌ مثلك مثلها تشریفٌ
لا تقعدن تلوم نفسك دائماً	فيها وأنت بحبها مشغوفٌ
إن الصريمة لا يقوم بثقلها	إلا القوي بها وأنت ضعيفٌ

(١) تجهم له: استقبله بوجه عبوس كربه.

(٢) المعان بفتح الميم: المنزل. يقال: هم منك بمعان. أي: بحيث تراهم بعينك.

فقال هشام: صدقت والله ونهض من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته، وانصرف الكميث فبعث إليه هشام بألف دينار وبعثت إليه بمثلها.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٢]

الكميت ويزيد بن عبد الملك

حدّث حُبَيْش بن الكميث قال: وفد الكميث على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سلامة القس فأدخلت إليه والكميت حاضر فقال له: يا أبا المستهلّ هذه جارية تُباع أفترى أن نبتاعها؟ فقال، أي والله يا أمير المؤمنين، وما أرى أن لها مثيلاً فلا تفوتك. قال فصفها لي في شعرحتي أقبل رأيك. فقال الكميث:

هي شمس النهار في الحسن إلا	أنها فُضِّلَتْ بفتك الأطراف
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخِيمٌ لَعُوبٌ	وعثة المثن ثخنة الأطراف ^(١)
زانها دلها وثغرٌ نقي	وحديثٌ مرتلٌ غير جاف
خُلقت فوق مُنية المتمني	فاقبل النصح يا بن عبد مناف

قال: فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهلّ. فأمر له بجائزة

سنية.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٢]

(وللكميث مع خالد) بن عبد الله القسري أخبارٌ عند قدومه الكوفة منها: أنه مرّ وقد تحدّث الناس بعزله عن العراق فلما جاز تمثّل الكميث وقال:

أراها وإن كانت تحبُّ كأنها سحابة صيف عن قليل تُنقشع

فسمعه خالد فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب

(١) الغض: الطريء الناعم. يقال: شباب غض. أي: ناضر. البضة: رقيقة الجلد ناعمة في السمن. الرخيم من رخم الجارية: صارت سهلة المنطق فهي رخيمة ورخيم. الوعث: الهزال: ثخن: غلظ.

برد، ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط، ثم خلى عنه ومضى (رواه ابن حبيب).

[الأغاني ج ١٥ ص ١١٩]

(ومن ملح الكميت): إن الفرزدق مرُّ به وهو ينشد والكميت يومئذ صبيُّ فقال له الفرزدق أيسرك أني أبوك فقال: لا، ولكن يسرنني أن تكون أمي فحصر الفرزدق فأقبل على جلسائه وقال: ما مرُّ بي مثل هذا قط.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٣]

ولادته وشهادته

وُلد الكميت في سنة الستين، عام شهادة الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه وعاش عيشة مرضية سعيداً في دنياه، باذلاً كلّه في سبيل ما اختاره له ربّه، داعياً إلى سنن الهدى حتى أُتيحت له الشهادة ببركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام له بها، وبعين الله ما هُريق من دمه الطاهر وذلك بالكوفة في خلافة مروان بن محمد سنة ١٢٦.

وكان سبب موته ما حكاه حجر بن عبد الجبار قال: خرجت الجعفرية^(١) على خالد القسري وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم فخرجوا في التباين ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم ما يقول فزعاً فقال: أطعموني ماءً ثم خرج الناس إليهم فأخذوا فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طنُّ قصب فيطلى بالنفط ويُقال للرجل منهم: احتضنه. ويضرب حتى يفعل ثم يحرق فحرقهم جميعاً، فلما عُزل خالد عن العراق ووليه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي فأنشده قوله فيه:

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرتاج المضبب
وما خالدٌ يستطعم الماء فاغراً بعدلك والداعي إلى الموت ينبب

(١) هم المغيرة بن سعيد وبيان وأصحابهما الست وكانوا يسمون: الوصفاء.

قال والجنند قياماً على رأس يوسف بن عمر وهم ثمانية فتعصبوا لخالد فوضعوا نعال سيوفهم في بطن الكميت فوجئوه بها وقالوا: أتشد الأمير ولم تستأمره؟ فلم يزل ينزف الدم حتى مات.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢١]

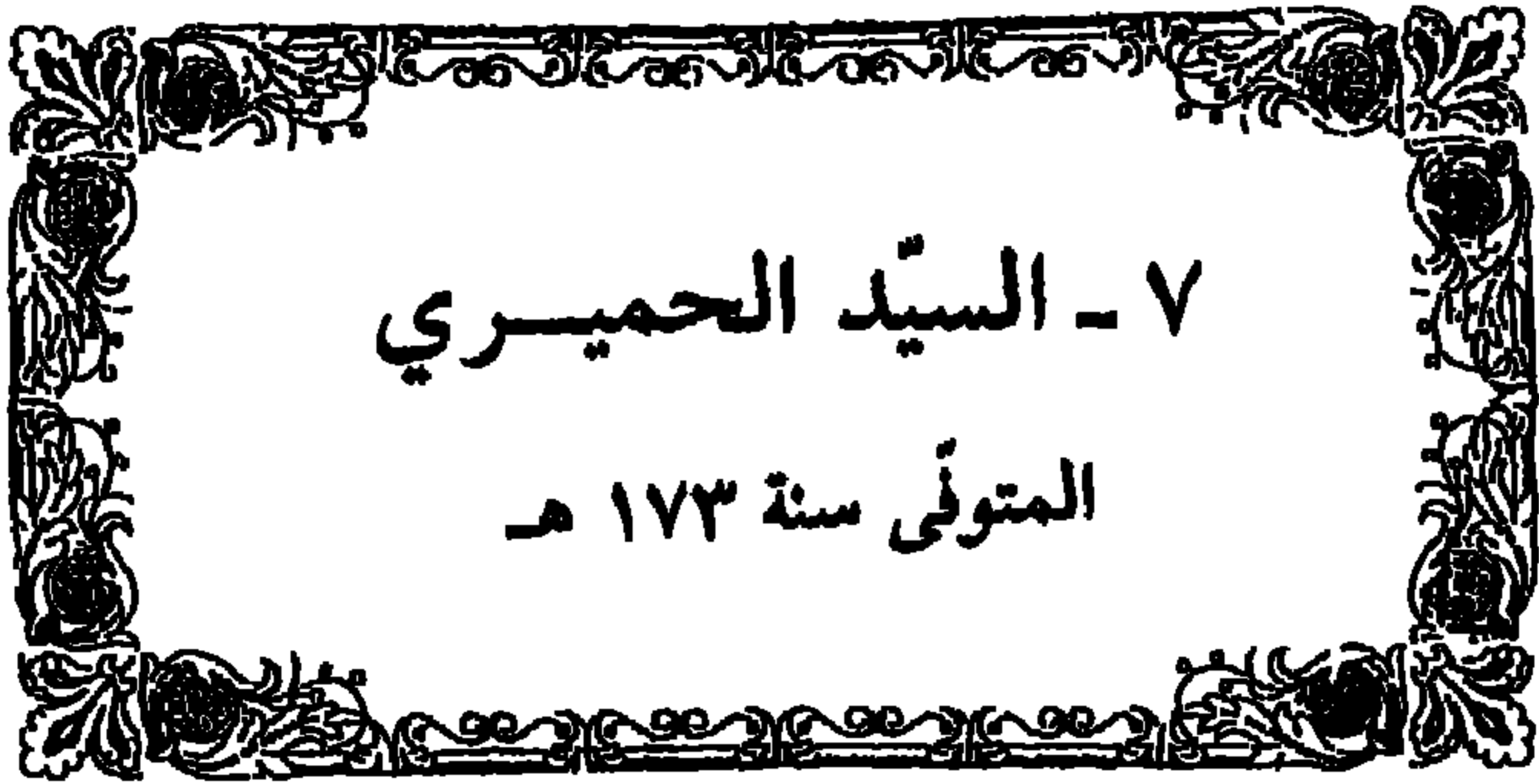
وحدث المستهل^(١) بن الكميت قال حضرت أبي عند الموت وهو يوجد بنفسه وأغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد. ثلاثاً ثم قال: يا بني وددت أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت بهذا البيت وهو:

مع العسروط والعسفاء ألقوا برادعهن غير محصنيننا

فعممتهن قذفاً بالفجور، والله ما خرجت ليلاً قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك. ثم قال: يا بني إنه بلغني في الروايات: إنه يُحفر بظهر الكوفة خندقاً، ويُخرج فيه الموتى من قبورهم، ويُنبشون منها فيُحولون إلى قبور غير قبورهم. فلا تدفني في الظهر ولكن إذا مت فامض بي إلى موضع يقال له: «مكران» فادفني فيه. فدفن في ذلك الموضع وكان أول من دُفن فيه وهو مقبرة بني أسد إلى الساعة.

«الأغاني» ج ١٥ ص ١٣٠، «المعاهد» ج ٢ ص ١٣١.

(١) كان المستهل من الشعراء المعروفين وله ديوان كما في فهرست ابن النديم ص ٢٣٣.



١

ليس بهذا أمر الله
وأحمد قد كان يرضاه
يوم «غدير الخم» ناداه؟
وهم حواليه فسمّاه
مولى لمن قد كنت مولاه
وعاد من قد كان عاداه

يا بائع الدين بدنياه
من أين أبغضت عليّ الوصي؟
من الذي أحمد في بينهم
أقامه من بين أصحابه
: هذا علي بن أبي طالب
فوال من والآه يا ذا العلا

٢

بين الطويلع فاللوى من ككبك

هلاً وقفت على المكان المعشب

ويقول فيها:

قم يا محمد في البرية فاخطب
هادٍ وما بلغت إن لم تنصب
لهم فيبين مصدق ومكذب
ما كان يجعلها لغير مهذب
ساع تناول بعضها بتذبذب
ديناً ومن يحبهم يستوجب
بدلاً بآل محمد لا يحب
حوض الرسول وإن يرده يضرب

ويختم إذ قال الإله بعزمه:
وانصب أبا حسن لقومك إنه
فدعاه ثم دعاهم فأقامه
جعل الولاية بعده لمهذب
وله مناقب لا تُرام متى يُرد
إننا ندين بحب آل محمد
منا المودة والولاء ومن يُرد
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد

ضرب المحاذر أن تعر ركابه
وكأن قلبي حين يذكر أحماً
بذرى القوادم من جناح مصعد
حتى يكاد من النزاع إليهما
هبة وما يهب الإله لعبده
يمحو ويثبت ما يشاء وعنده
بالسوط سالفه البعير الأجر
ووصي أحمد نيط من ذي مخلب
في الجؤ أو بذرى جناح مصوب
يفري الحجاب عن الضلوع القلب
يزدد ومهما لا يهب لا يوهب
علم الكتاب وعلم ما لم يكتب

هذه القصيدة ذات ١١٢ بيتاً تسمى بالمدحبة شرحها سيّد الطائفة الشريف المرتضى علم الهدى وطبع بمصر سنة ١٣١٣ وقال في شرح قوله:
وانصب أبا حسن لقومك إنه هادٍ وما بلغت إن لم تنصب

هذا اللفظ يعني (النصب) لا يليق إلا بالإمامة والخلافة دون المحبة والنصرة، وقوله: جعل الولاية بعده لمهدب: صريح في الإمامة لأن الإمامة هي التي جعلت له بعده والمحبة والنصرة حاصلتان في الحال وغير مختصين بعد الوفاة.

وشرحها أيضاً الحافظ النسابة الأشرف بن الأغر المعروف بتاج العلى الحسيني المتوفى سنة ٦١٠.

٣

خف يا محمد فالتق الإصباح
أتسب صنو محمد ووصيه؟
هيهات قد بعدا عليك وقرباً
أوصى النبي له بخير وصية
من كنت مولاه فهذا واعلموا
قاضي الديون ومرشدكم كما
أغويت أمي وهي جد ضعيفة
بالشتم للعلم الإمام ومن له
وأزل فساد الدين بالإصلاح
ترجو بذاك الفوز بالإنجاح
منك العذاب وقابض الأرواح
يوم «الغدير» بأبين الإفصاح
مولاه قول إشاعة وصراح
قد كنت أرشد من هدى وفلاح
فجرت بقاع الغي جري جماح
إرث النبي بأوكد الإيضاح

إني أخاف عليكما سخط الذي أرسى الجبال بسبب صحصاح
أبوي فأتقيا الإله وأذعنا للحق^(١)

هذه الأبيات رواها المرزباني ، كتبها السيد إلى والديه يدعوهم إلى التشيع
وولاء أمير المؤمنين وبنهاهما عن سبه وكانا أباضييين .

٤

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد ولا عهده يوم «الغدير» مؤكدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهدى تنصّر من بعد الهدى أو تهودا
ومالي وتيماً أو عدياً وإنما أولو نعمتي في الله من آل أحمدا
تمّ صلاتي بالصلاة عليهم وليست صلاتي بعد أن أتشهدا
بكاملة إن لم أصلّ عليهم وأدعو لهم ربّاً كريماً ممجّدا
بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي مدى الدهر ما سميت يا صاح سيّدا
وإنّ امرأ يلحى على صدق ودهم أحقّ وأولى فيهم أن يُفندنا
فإن شئت فاختر عاجل الغمّ ظلّة وإلا فأمسك كي تُصان وتُحمدا

هذه القصيدة يوجد منها ٢٥ بيتاً . روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧
ص ٢٦٢ : إنّ أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيد عنده وقد أمر
له بجائزة وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها فقال له : أيها الأمير ، أتعطي
هذه العطايا رجلاً ما يفتقر عن سبّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عقبة : ما علمت ذلك
ولا أعطيته إلا على العشرة والموثّة القديمة وما يوجبه حقه وجواره مع ما هو عليه
من موالة قوم يلزمنا حقهم ورعايتهم . فقال له أبو الخلال : فمره ان كان صادقاً
أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما يُنسب إليه من الرفض . فقال : قد
سمعتك فإن شاء فعل . فقال السيد :
إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد .

(١) هكذا وجدناه بياضاً في الأصل .

إلى آخر الأبيات، ثم نهض مغضباً فقام أبو الخلال إلى عقبه فقال: أعذني من شره أعاذك الله من سوء أيها الأمير، قال: قد فعلت على أن لا تعرض له بعدها.

٥

قد أطلتم في العذل والتنقيد
بهوى السيد الإمام السديد
يقول فيها:

يوم قام النبي في ظل دوح
رافعاً كفه بيمينه يديه
أيها المسلمون هذا خليلي
وابن عمي ألا فمن كنت مولاه
وعلي مني بمنزلة هارون
بن عمران من أخيه الودود
والورى في وديقة صيخود^(١)
بايحاً باسمه بصوت مديد
ووزيري ووارثي وعقيدي
فهذا مولاه فارعوا عهودي
بن عمران من أخيه الودود

٦

أجد بآل فاطمة البكور
فدمع العين منهل غزير
يقول فيها:

لقد سمعوا مقالته بخم
فمن أولى بكم منكم فقالوا
جميعاً: أنت مولانا وأولى
فإن وليكم بعدي علي
وزيري في الحياة وعند موتي
فوال الله من والاه منكم
وعاد الله من عاداه منكم
غداة يضمهم وهو الغدير
مقالة واحد وهم الكثير
بنا منا وأنت لنا نذير
ومولاكم هو الهادي الوزير
ومن بعدي الخليفة والأمير
وقابله لدى الموت السرور
وحل به لدى الموت النشور

(١) الوديقة: شدة الحر. والصيخود: شديد الحر. يقال: يوم صيخود وصيخدان.

٧

وليُّ المحامد ربّاً غفوراً
وأخلصت توحيدَه المستئيراً

ألا الحمد لله حمداً كثيراً
هداني إليه فوحدته

ويقول فيها:

لخير الأنام وصياً ظهيراً
وحطّ الرحال وعاف المسيراً
على منبر كان رحلاً وكوراً
فجاؤا إليه صغيراً كبيراً
يليح إليه مُبيناً مُشيراً
فمولاه هذا قضا لن يجورا
فقال: اشهدوا غيباً أو حضوراً
وأشهد ربّي السميع البصيراً
يبايعه كلُّ عليه أميراً
أكفأ فأوجس منهم نكيراً
وعاد العدو له والكفورا
وكن للأولى ينصرون نصيراً
مُجاباً بها أو هباءً نثيراً!!؟؟
ومن أشهد الناس فيه الغديراً
بلغ فيك نداءً جهيراً
يُصلون ناراً وساءت مصيراً

لذلك ما اختاره ربّه
فقام بخمّ بحيث «الغدير»
وقمّ له الدوح ثم ارتقى
ونادى ضحىً باجتماع الحجيج
فقال وفي كفه حيدرُ
ألا إن من أنا مولى له
فهل أنا بلغت؟ قالوا: نعم
يبلغ حاضرکم غائباً
فقوموا بأمر ملك السما
فقاموا لبيعته صافقين
فقال: إلهي وال الولي
وكن خاذلاً للأولى يخذلون
فكيف ترى دعوة المصطفى
أحبك يا ثاني المصطفى
وأشهد أن النبي الأمين
وإن الذين تعادوا عليك

٨

واسق الرسوم المدمع المدرارا
فرعى إلهي زينباً ونوارا
وأبان لي عن لفظه إنكارا

قف بالديار وحيهنّ ديارا
كانت تحلُّ بها النوار وزينب
قل للذي عادى وصي محمد

يقول فيها:

مَنْ خَاصَفَ نَعْلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَيَقُولُ فِيهِ مَعْلَنًا خَيْرَ الْوَرَى
هَذَا وَصِيِّي فِيكُمْ وَخَلِيفَتِي
وَلَهُ يَوْمَ «الدُّوْح» أَعْظَمَ خُطْبَةٍ

يُرْضِي بِذَاكَ الْوَاحِدَ الْغَفَّارَا
جَهْرًا وَمَا نَاجِي بِهِ إِسْرَارَا
لَا تَجْهَلُوهُ فَتَرْجِعُوا كَفَّارَا
أَدَى بِهَا وَحْيَ الْإِلَهِ جَهَارَا

٩

بلغ سوار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة قول شاعرنا السيد الحميري في حديث الطائر المشوي المتفق عليه:

لَمَّا أَتَى بِالْخَبْرِ الْأَنْبَلِ
فِي خَبْرٍ جَاءَ أَبَانَ بِهِ
هَذَا وَقَيْسَ الْحَبْرَ يَرُويهِ عَنْ
سَفِينَةٍ يُمْكِنُ مِنْ رَشْدِهِ
فِي رَدِّهِ سَيِّدَ كُلِّ الْوَرَى
فَصَدَّه ذُو الْعَرْشِ عَنْ رَشْدِهِ

فِي طَائِرٍ أَهْدِي إِلَى الْمُرْسَلِ
عَنْ أَنَسٍ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ
سَفِينَةَ ذِي الْقَلْبِ الْحَوْلِ
وَأَنَسُ خَانَ وَلَمْ يَعْدِلِ
مَوْلَاهُمْ فِي الْمَحْكَمِ الْمَنْزَلِ
وَشَانَهُ بِالْبَرْصِ الْأَنْكَلِ

فقال سوار: ما يدع هذا أحداً من الصحابة إلا رماه بشعر يظهر عواره. وأمر بحبسه فاجتمع بنو هاشم والشعبة وقالوا له: والله لئن لم تُخرجه وإلا كسرنا الحبس وأخرجناه أيمتدحك شاعرٌ فتثيبه، ويمتدح أهل البيت شاعرٌ فتحبسه؟! فإطلقه على مضض فقال يهجوه:

قولا لسوار أبي شملة
ما قلت في الطير خلاف الذي
ونخبر المسجد إذ خصه
إن جنباً كان وإن طاهراً
وأخرج الباقيين منه معاً
حبا علياً وحسيناً معاً

: يا واحداً في النوك والعار
رويته أنت بأثار
محللاً من عرصه الدار
في كل إعلان وإسرار
بالوحي من إنزال جبار
والحسن الطهر لأطهار

خصّصوا بإكرام وإيثار
يصير للخزي وللنار
وسم يراه العائب الزاري
في كل خزي طالب الثار
من بين أطهار وأخيار
ما لم يلقوه بإنكار
مولى فكونوا غير كفار
تبغوا سراب المهمة الجاري

وفاطماً أهل الكساء الأولى
فمبغض الله يرى بغضهم
عليه من ذي العرش في فعله
وأنت يا سوار رأس لهم
تعيب من آخاه خير الوري
وقال في «خم» له معلناً
من كنت مولاه فهذا له
فعولوا بعدي عليه ولا

وقال يهجو سوار القاضي بعد موته:

من داره ظاعناً منها إلى النار
لقد مضت بعظيم الخزي والعار
وجسمه في كنيف بين أقدار
فيه وأحكامه تجري بمقدار
يا شرّحي يراه الواحد الباري
قال النبي له من دون إنكار
من كنت مولاه في سر وإجهار
يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
وأصله في جحيم ذات إسعار
فيا جحيم ألا هبي لسوار

يا من غدا حاملاً جثمان سوار
لا قدس الله روحاً كان هيكلها
حتى هوت قعر بيروت معدبة
لقد رأيت من الرحمن معجبة
فاذهب عليك من الرحمن بهلته
يا مبغضاً لأمير المؤمنين وقد
يوم الغدير وكل الناس قد حضروا
هذا أخي ووصيي في الأمور ومن
يا رب عاد الذي عاداه من بشر
وأنت لا شك عاديت الإله به

١٠

طامسة أعلامها بلقع
والوحش من خيفته تفزع
والسم في أنيابها منقع
إلا صلال في الثرى وقع
والعين من عرفانه تدمع

لأم عمرو باللوى مربع
تروع عنها الطير وحشية
رقش يخاف الموت من نقشها
برسم دار ما بها مونس
لما وقفت العيس في رسمها

ذَكَرْتُ مَنْ قَدْ كُنْتَ أَلْهَوْ بِهِ
 كَأَنَّ بِالنَّارِ لَمَّا شَفَّنِي
 عَجِبْتَ مِنْ قَوْمِ أَتَوْا أَحْمَدًا
 قَالُوا لَهُ: لَوْ شِئْتَ أَعْلَمْتَنَا
 إِذَا تَوَفَّيْتَ وَفَارَقْتَنَا
 فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمْتَكُمْ مَفْزَعًا
 صَنِيعِ أَهْلِ الْعَجَلِ إِذْ فَارَقُوا
 وَفِي الَّذِي قَالَ بَيَانٌ لِمَنْ
 ثُمَّ أَتَتْهُ بَعْدَ ذَا عَزْمَةٌ
 بَلَغَ وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مَبْلَغًا
 فَعِنْدَهَا قَامَ النَّبِيُّ الَّذِي
 يَخْطُبُ مَأْمُورًا وَفِي كَفِّهِ
 رَافِعَهَا أَكْرَمَ بِكَفِّ الَّذِي
 يَقُولُ وَالْأَمْلَاكُ مِنْ حَوْلِهِ
 مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا لَهُ
 فَاتَّهَمُوهُ وَحَنَّتْ فِيهِمْ
 وَضَلَّ قَوْمٌ غَاظَهُمْ فَعَلَهُ
 حَتَّى إِذَا وَارَوْهُ فِي لِحْدِهِ
 مَا قَالَ بِالْأَمْسِ وَأَوْصَى بِهِ

فَبِتُّ وَالْقَلْبُ شَجٌّ مَوْجِعٌ
 مِنْ حَبِّ أَرَوَى كَبِدِي لُدُّعٌ
 بِخَطَّةٍ لَيْسَ لَهَا مَوْضِعٌ
 إِلَى مَنْ الْغَايَةُ وَالْمَفْزَعُ
 وَفِيهِمْ فِي الْمَلِكِ مَنْ يَطْمَعُ
 كُنْتُمْ عَسَيْتُمْ فِيهِ أَنْ تَصْنَعُوا
 هَارُونَ فَالْتَرِكْ لَهُ أَوْسَعُ
 كَانَ إِذَا يَعْقِلُ أَوْ يَسْمَعُ
 مِنْ رَبِّهِ لَيْسَ لَهَا مَدْفَعُ
 وَاللَّهُ مِنْهُمْ عَاصِمٌ يَمْنَعُ
 كَانَ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ يَصْدَعُ
 كَفُّ عَلِيٍّ ظَاهِرٌ تَلْمَعُ
 يَرْفَعُ وَالْكَفُّ الَّذِي تُرْفَعُ
 وَاللَّهُ فِيهِمْ شَاهِدٌ يَسْمَعُ
 مَوْلَى فَلَمْ يَرْضُوا وَلَمْ يَقْنَعُ
 عَلَى خِلَافِ الصَّادِقِ الْأَضْلَعُ
 كَأَنَّمَا آنَافَهُمْ تُجْدَعُ
 وَانصَرَفُوا عَنْ دَفْنِهِ ضَيِّعُوا
 وَاشْتَرَوْا الضَّرَّ بِمَا يَنْفَعُ

القصيدة ٥٤ بيتاً

ما يتبع الشعر

عن فضيل الرِّسَّانِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أُعْزِيهِ
 عَنْ عَمِّهِ زَيْدٍ ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا أَنْشُدُكَ شِعْرَ السَّيِّدِ؟ فَقَالَ: أَنْشُدْ. فَأَنْشُدْتَهُ قَصِيدَةً
 يَقُولُ فِيهَا:

فَالنَّاسُ يَوْمَ الْبَعْثِ رَايَاتِهِمْ خَمْسٌ فَمِنْهَا هَالِكٌ أَرْبَعٌ

قائدها العجل وفرعونهم وسامريُّ الأُمَّة المفظعُ
ومارقٌ من دينه مخرجُ أسود عبد لكع أوكعُ
ورايةٌ قائدها وجهه كأنه الشمس إذا تطلعُ

فسمعت نحيباً من وراء الستور فقال: مَنْ قائل هذا الشعر؟ فقلت:
السيد. فقال: رحمه الله فقلت: جعلت فداك إنِّي رأيتَه يشرب الخمر. فقال:
رحمه الله فما ذنب على الله أن يغفره لآل عليّ، إن محبُّ عليّ لا تزلُّ له قدمٌ إلا
ثبتت له أخرى.

الأغاني ج ٧ ص ٢٥١.

ورواه أيضاً في الأغاني ج ٧ ص ٢٤١ وفيه: فسألني لمن هي؟ فأخبرته
أنها للسيد وسألني عنه فعرفته وفاته^(١) فقال: رحمه الله. قلت: إنِّي رأيتَه يشرب
النبذ في الرستاق قال: أتعني الخمر؟ قلت: نعم. قال: وما خطر ذنب عند الله
أن يغفره لمحِبِّ عليٍّ عليه السَّلام؟!

وروى الحافظ المرزباني في «أخبار السيد» عن فضيل قال: دخلت على
أبي عبد الله عليه السَّلام بعد قتل زيد فجعل يبكي ويقول: رحم الله زيدا إنه
للعالم الصدوق، ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه. فقلت: انشدك شعر السيد؟
فقال: أمهل قليلاً. وأمر بستور فسدلت وفتحت أبواب غير الأولى ثم قال: هات
ما عندك. فأنشدته:

لام عمرو باللوى مربع

وذكر ١٣ بيتاً

فسمعت نحيباً من وراء الستور ونساء تبكين فجعل يقول: شكراً لك يا
إسماعيل قولك. فقلت له: يا مولاي انه يشرب نبذ الرساتيق. فقال: يلحق مثله
التوبة ولا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحِبِّنا ومادحنا.

(١) هذه الكلمة دخيلة لا تتم إذ الحميري توفي بعد وفاة الصادق عليه السلام بستين سنة. ولا توجد هي
في رواية المرزباني والكشي.

ورواه الكشي في رجاله ص ١٨٤ بتغيير يسير في بعض ألفاظه .

وروى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥١ عن زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وقد أمه رجلٌ جالسٌ عليه ثياب بيض فنظرت عليه فلم أعرفه إذ التفت إليه رسول الله فقال: يا سيداً أنشدني قولك:

لامٌ عمرو باللوى مربعٌ طامسةٌ أعلامها بلقعٌ

فأنشده إياها كلها ما غادر منها بيتاً واحداً فحفظتها عنه كلها في النوم، قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحانة رديء الإنشاد فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتبع فيها ولم يلحن. وهذا الحديث رواه الحافظ المرزباني في أخبار السيد.

وفي «الأغاني» ج ٧ ص ٢٧٩ عن أبي داود المسترق عن السيد أنه رأى النبي ﷺ في النوم فاستنشده فأنشده قوله:

لامٌ عمرو باللوى مربعٌ طامسةٌ أعلامها بلقعٌ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا إلى من الغاية والمفزعُ

فقال: حسبك. ثم نفص يده وقال: قد والله أعلمتهم.

وقال الشريف الرضي في [خصائص الأئمة]: حُكي أن زيد بن موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام رأى رسول الله ﷺ في المنام كأنه جالسٌ مع أمير المؤمنين عليه السلام في موضع عالٍ شبيه بالمسناة وعليها مراقٍ فإذا منشد ينشد قصيدة السيد ابن محمد الحميري هذه وأولها:

لامٌ عمرو باللوى مربعٌ طامسةٌ أعلامها بلقعٌ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا إلى من الغاية والمفزعُ

قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وتبسم وقال: أولم أعلمهم؟ أولم أعلمهم؟ أولم أعلمهم؟ ثم قال لزيد: إنك تعيش بعدد كل مرقاة رقيتها سنة واحدة. قال: فعددت المراقي وكان نيفاً وتسعين مرقاة، فعاش زيد نيفاً وتسعين سنة، وهو الملقب بزيد النار.

قال العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» ج ١١ ص ١٥٠: وجدت في بعض تأليفات أصحابنا أنه روى بإسناده عن سهل بن ذبيان قال: دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بعض الأيام قبل أن يدخل عليه أحد من الناس فقال لي: مرحباً بك يا بن ذبيان! الساعة أراد رسولنا أن يأتيك لتحضر عندنا. فقلت: لماذا؟ يا بن رسول الله؟ فقال: لمنام رأيت البارحة وقد أزعجني وأرقتني. فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى. فقال: يا بن ذبيان! رأيت كأنني قد نصب لي سلم في مائة مرقاة فصعدت إلى أعلاه. فقلت: يا مولاي! أهنيك بطول العمر وربما تعيش مائة سنة. فقال عليه السلام ما شاء الله كان. ثم قال: يا بن ذبيان! فلما صعدت إلى أعلا السلم رأيت كأنني دخلت في قبة خضراء يرى ظاهرها من باطنها ورأيت جدي رسول الله جالساً وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجههما، ورأيت امرأة بهية الخلقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهي الخلقة جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ:

لأم عمرو باللوى مربع طامسة أعلامها بلقع

فلما رأني النبي قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا علي بن موسى الرضا! سلم على أبيك علي. فسلمت عليه، ثم قال لي: سلم على أمك فاطمة الزهراء عليها السلام فسلمت عليها، فقال لي: سلم على أبويك الحسن والحسين. فسلمت عليهما، ثم قال لي: وسلم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيد إسماعيل الحميري. فسلمت عليه وجلست فالتفت النبي إلى السيد إسماعيل وقال له: عد إلى ما كنا فيه من إنشاد القصيدة فأنشد يقول:

لأم عمرو باللوى مربع طامسة أعلامها بلقع

فبكى النبي صلى الله عليه وآله فلما بلغ إلى قوله:

ووجهه كالشمس إذ تطلع

بكى النبي، وفاطمة ومن معه، ولما بلغ إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا إلى من الغاية والمفزع

رفع النبي صلى الله عليه وآله يديه وقال: إلهي أنت الشاهد علي وعليهم
أنني أعلمتهم: أن الغاية والمفزع علي بن أبي طالب. وأشار بيده إليه وهو جالس
بين يديه، قال علي بن موسى الرضا: فلما فرغ السيد إسماعيل الحميري من
إنشاد القصيدة التفت النبي إلي وقال لي: يا علي بن موسى! احفظ هذه القصيدة
ومر شيعتنا بحفظها وأعلمهم أن من حفظها وأدمن قرائتها ضمنت له الجنة على
الله تعالى. قال الرضا: ولم يزل يكررها علي حتى حفظتها منه والقصيدة هذه.
ثم ذكرها برمتها.

(قال الأمين): هذا المنام ذكره القاضي الشهيد المرعشي في «مجالس
المؤمنين» ص ٤٣٦ نقلاً عن رجال الكشي ولم يوجد في المطبوع منه، ولعل
القاضي وقف على أصل النسخة الكاملة ووجده فيه، ونقله الشيخ أبو علي في
رجاله (متهى المقال) ص ١٤٣ «عن عيون الأخبار» لشيخنا الصدوق، وتبعه
الشيخ المعاصر في «تنقيح المقال» ج ١ ص ٥٩، والسيد الأمين في «أعيان
الشيعة» ج ١٣ ص ١٧٠، ولم نجده في نسخ العيون المخطوطة والمطبوعة.

ورواه شيخنا المولى محمد قاسم الهزار جريبي في شرح القصيدة،
والسيد الزنوزي في الروضة الأولى من كتابه الضخم الفخم «رياض الجنة».
والسيد محمد مهدي في آخر كتابه «رياض المصائب».

شرح القصيدة

شرح هذه العينية جمع من أعلام الطائفة منهم:

- ١ - الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانساري المتوفى سنة ١٠٩٩ .
- ٢ - ميرزا علي خان الكلپايگاني تلميذ العلامة المجلسي .
- ٣ - المولى محمد قاسم الهزار جريبي المتوفى بعد سنة ١١١٢ وقد صنّف فيها كتابه (التحفة الأحمدية) يوجد هذا الشرح في النجف الأشرف .
- ٤ - بهاء الدين محمد بن تاج الدين الإصبهاني الشهير بالفاضل الهندي المولود سنة ١٠٦٢ والمتوفى سنة ١١٣٥ .
- ٥ - الحاج المولى محمد حسين القزويني المتوفى في القرن الثاني عشر .
- ٦ - الحاج المولى صالح بن محمد البرغاني .
- ٧ - الحاج ميرزا محمد رضا القراجه داغي التبريزي فرغ منه سنة ١٢٨٩ وطبع في تبريز سنة ١٣٠١ .
- ٨ - السيد محمد عباس ابن السيد علي أكبر الموسوي المتوفى سنة ١٣٠٦ ، أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر يأتي هناك شعره وترجمته .
- ٩ - الحاج المولى حسن بن الحاج محمد إبراهيم ابن الحاج محتشم الأردكاني المتوفى سنة ١٣١٥ .
- ١٠ - الشيخ بخشعلي اليزدي الحائري المتوفى سنة ١٣٢٠ .
- ١١ - ميرزا فضعلي ابن المولى عبد الكريم الإرواني التبريزي المتوفى سنة نيف و١٣٣٠ مؤلف «حدائق العارفين» .
- ١٢ - الشيخ علي بن علي رضا الخوئي المتوفى سنة ١٣٥٠ .
- ١٣ - السيد أنور حسين الهندي المتوفى سنة ١٣٥٠ .

١٤ - السيد علي أكبر ابن السيد رضي الرضوي القمي المولود سنة

١٣١٧ .

١٥ - الحاج المولى علي التبريزي مؤلف (وقائع الأيام) المطبوع^(١).

وخمسة جمع من العلماء والأدباء منهم: شيخنا الحر العاملي صاحب «الوسائل» وحفيده الشيخ عبد الغني العاملي نزيل البصرة والمتوفى بها ومطلع تخميسه:

جواً به كأس الأسي أجرعُ صرفاً وأجفاني حياً تدمعُ
فاسمع حديثاً بالآسي مسمعُ لأمّ عمرو باللوى مربعُ

ومنهم: الشيخ حسن بن مجلي الخطي وأول تخميسه:

لا تنكروا إن جيرتي أزمعوا هجراً وحبل الوصل قد قطعوا
كم دمنةٌ خاويةٌ تجزعُ لأمّ عمرو باللوى مربعُ
كانت بأهل الودّ إنسيّة تزهو بزهر الروض موشية
فأصبحت بالرغم منسيّة تروع عنها . . .

ومنهم: سيدنا السيد علي النقي النقوي الهندي الآتي شعره وترجمته في القرن الرابع عشر ومستهل تخميسه:

أتنطوي فوق الأسي الأضلعُ صبراً وترقى مني الأدمعُ!!؟
وذاك حيث الظعن قد أزمعوا لأمّ عمرو باللوى مربعُ
قد ذاكرته السحب وسميةٌ ولاعبته الريح شرقيةٌ
لأرسم أصبحن منسيّة تروع عنها . . .

(١) هذه الشروح وقفت على بعضها ونقلت جملة منها عن «الذريعة» لشيخنا الرازي.

ومن غديريات السيد الحميري

١١

هَبْ عَلِيٌّ بِالْمَلَامِ وَالْعَدْلُ
 كَفَّ عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ: لَا تَقُلْ
 إِنِّي أَحَبُّ حَيْدَرًا مُنَاصِحًا
 أَحَبُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَلَمْ
 وَمَنْ غَدَا نَفْسَ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
 وَثَانِي النَّبِيِّ فِي يَوْمِ الْكَسَا
 وَقَالَ: خَلَفْتُ لَكُمْ كِتَابَهُ
 فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تَخْلَفُونَنِي
 وَجَاءَ مِنْ مَكَّةَ وَالْحَجِيجِ قَدْ
 حَتَّى إِذَا صَارَ بِخَمٍّ جَاءَهُ
 وَقَمَّ ذَاكَ الدَّوْحَ فَاسْتَوَى عَلَيَّ
 وَقَالَ: هَذَا فِيكُمْ خَلِيفَتِي
 نَحْنُ كَهَاتَيْنِ وَأَوْمًا بِأَصْبَعِ
 لَا تَبْتَغُوا بِالطَّهْرِ عَنْهُ بَدَلًا
 ثُمَّ أَدَارَ كَفَّهُ لِكَفِّهِ
 فَقَالَ: بَايَعُوا لَهُ وَسَلَّمُوا إِلَيْ
 أَلَسْتُ مَوْلَاكُمْ؟ فَمَا مَوْلَى لَكُمْ
 يَا رَبَّ وَال مَنْ يُوَالِي حَيْدَرًا
 يَا شَاهِدِي بَلَّغْتَ مَا أَنْزَلَهُ
 فَبَايَعُوا وَهَنَشُوا وَبِخَبَخُوا
 فَقُلْ لِمَنْ يَنْقُمُ مِنْهُ: مَا رَأَى؟

وقال: كم تذكر بالشعر الأول؟
 ولا تخل أكف عن خير العمل
 لمن قفا مؤثبا لمن نكل
 يشرك به طرفة عين في الأزل
 صلى عليه الله عند المبتهل
 إذ طهر الله به من اشتمل
 وعترتي وكل هذين ثقل
 في ذا وذا إذا أردت المرتحل؟
 صاحبه من كل سهل وجبل
 جبريل بالتبليغ فيهم فنزل
 رحل ونادى بعلي فارتحل
 ومن عليه في الأمور المتكل
 من كف عن إصبع لم تنفصل
 فليس فيكم لعلي من بدل
 يرفعها منه إلى أعلا محل
 أمر إليه واسلموا من الزل
 والله شاهد بذا عز وجل
 وعاد من عاداه واخذل من خذل
 إلي جبريل وعنه لم أحل
 والصدر مطوي له على دغل
 وقل لمن يعدل عنه: لم عدل؟

١٢

أعلماني أي برهان جلي فتقولان بتفضيل علي؟

يوم «ختم» باجتماع المحفل
بمقال منه لم يفتعل
في معارض الكتاب المنزل
بعلي بعد أن لم يكمل
يتولى غير مولاه السولي
ونصيري أبداً لم يزل
حبه في الحشر خير العمل
وهو بي متصل لم يفصل
ويل من بدل عهد البدل
فليطعه فيه وليمثل
حان موتي ودنا مرتحلي
ومجيب في الرعيل الأول
ماء صبر بنقيع الحنظل
بينهم فيه بأمر معضل

١٣

والمرء عما قاله يُسأل
خليفة الله الذي يعدل
كمثل هارون ولا مُرسَل
علم من الله به يعمل
بوجهه للناس يستقبل
فذا له مولى لكم موئل
أن لا يُوالوه وأن يخذلوا

١٤

بجانب الدوحات أو حياها
مولاه ربي اشهد مراراً قالها

بعد ما قام خطيباً معلناً
أحمد الخير ونادى جاهراً
قال: إن الله قد أخبرني
إنه أكمل ديناً قيماً
وهو مولاكم فويل للذي
وهو سيفي ولساني ويدي
وهو صنوي ووصفي والذي
نوره نوري ونوري نوره
وهو فيكم من مقامي بدل
قوله قولي فمن يأمره
إنما مولاكم بعدي إذا
ابن عمي ووصيي وأخي
وهو باب لعلومي فسقوا
فطبوا في وجهه واثمروا

أشهد بالله وآلائه
أن علي بن أبي طالب
وأنه قد كان من أحمد
لكن وصي خازن عنده
قد قام يوم «الدوح» خير الوري
وقال: من قد كنت مولى له
لكن تواصوا بعلي الهدى

قام النبي يوم خاتم خاطباً
فقال: من كنت له مولى فذا

قالوا: سمعنا وأطعنا كلنا
وجاءهم مشيخةً يقدمهم
قال له: بخ بخ من مثلكا
يا عجباً وللزمان عجبُ
إن رجلاً بايعته إنما
وكيف لم تشهد رجالاً عندما
وناشد الشيخ فقال: إنني
فقال: والكاذبُ يرمى بالتي
وأسرعوا بالألسن اشتغالها
شيخٌ يُهني حيدراً مثالها
أصبحت مولى المؤمنين يا لها
تلقى ذوو الفكر به ضلالها
بايعت الله، فما بدا لها؟!
استشهد في خطبته رجالها؟!
كبرت حتى لم أجد أمثالها
ليس تواري عمّة تنالها

أشار في الأبيات الأخيرة إلى ما مرجح ١ ص ٢٠٧ - ٢٢٨ و ٢٣٤ - ٢٣٨
من حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة بحديث الغدير، كما
نوزع في خلافته وكتمان أنس بن مالك شهادته له، وإصابة دعوته عليه السلام
عليه.

١٥

لمن طلل كالوشم لم يتكلم
الأيها العاني الذي ليس في الأذى
ستأتيك مني في علي مقالة
علي له عندي على من يعيبه
متى ما يرد عندي معاديه عيبه
علي أحب الناس إلا محمداً
علي وصي المصطفى وابن عمه
علي هو الهادي الإمام الذي به
علي ولي الحوض والذائد الذي
علي قسيم النار من قوله لها:
خذي بالشوى ممن يصيبك منهم
علي غداً يدعا فيكسوه ربّه
ونؤي وآثار كترقيش معجم؟؟
ولا اللوم عندي في علي بمحجم
تسوؤك فاستأخر لها أو تقدّم
من الناس نصر باليدين وبالضم
يجد ناصراً من دونه غير مفحم
إلي فدعني من ملامك أو لم
وأول من صلي ووجد فاعلم
أنار لنا من ديننا كل مظلم
يذّب عن أرجاءه كل مجرم
ذري ذا وهذا فاشربي منه واطعمي
ولا تقربي من كان حزني فتظلمي
ويدينه حقاً من رفيق مكرم

فإن كنت منه يوم يُدنيه راغماً
فإنك تلقاه لدى الحوض قائماً
يُجيزان مَنْ والاهما في حياته
عليّ أمير المؤمنين وحقّه
لأن رسول الله أوصى بحقه
وزوجته صديقةً لم يكن لها
وكان كهارون بن عمران عنده
وأوجب يوماً بالغدير ولاءه
لدى دوح «ختم» أخذاً بيمينه
أما والذي يهوي إلى ركن بيته
يُوافين بالركبان من كل بلدة
وأوصى إليه يوم ولى بأمره
وتبدي الرضا عنه من الآن فارغماً
مع المصطفى الهادي النبي المعظم
إلى الروح والظل الظليل المكمم
من الله مفروض على كل مسلم
وأشركه في كل فيء ومغرم
مقارنةً غير البتولة مريم
من المصطفى موسى النجيب المكلّم
على كل برّ من فصيح وأعجم
يُنادي مبيناً باسمه لم يُجمجم
بشعث النواصي كل وجناء عيهم
لقد ضلّ يوم «الدوح» من لم يسلم
وميراث علم من عرى الدين محكم

(القصيدة يوجد منها ٤٢ بيتاً)

قال الحافظ المرزباني في «أخبار السيد»: إن السيد الحميري كتب بهذه
القصيدة إلى عبدالله بن أباض رأس الأباضية لما بلغه أنه يعيب عليّ
عليه السلام ويتهدّد السيد بذكره عند المنصور بما يوجب قتله، فلما وصلت إلى
ابن أباض امتعض منها جداً وأجلب في أصحابه وسعى به إلى الفقهاء والقراء
فاجتمعوا وصاروا إلى المنصور وهو بدجلة البصرة فرفعوا قصته فأحضرهم
وأحضر السيد فسألهم عن دعواهم، فقالوا: إنه يشتم السلف، ويقول بالرجعة،
ولا يرى لك ولا لأهلك إمامة فقال لهم: دعوني أنا واقصدوا لما في أنفسكم.
ثم أقبل عليّ السيد فقال: ما تقول فيما يقولون؟ فقال: ما أشتم أحداً وإنني
لأترحم عليّ أصحاب رسول الله ﷺ وهذا ابن أباض قل له: يترحم عليّ عليّ،
وعثمان، وطلحة، والزبير. فقال له: ترحم علي هؤلاء. فتلوى (تثاقل) ساعة
فحذفه المنصور بعود كان بين يديه وأمر بحبسه فمات في الحبس وأمر بمن كان
معه فضربوا بالمقارع وأمر للسيد بخمسة آلاف درهم.

١٦

يا لقومي للنبي المصطفى
 جحدوا ما قال في صنوه
 أيها الناس فمن كنت له
 فعلي هو مولاه لمن
 أفلا ينفذ فيهم حكمه؟
 ولما قد نال من خير الأمم
 ويوم خم بين دوح منتظم
 واليا يوجب حقي في القدم
 كنت مولاه قضاء قد حتم
 عجباً يولع في القلب الضرم

١٧

ألا إن الوصية دون شك
 وقال محمد بغدير خم
 يصيح وقد أشار إليه فيكم
 ألا من كنت مولاه فهذا
 فقال الشيخ يقدمهم إليه
 ينادي: أنت مولاي ومولى ال
 وقد ورث النبي رداه يوماً
 لخير الخلق من سام وحام
 عن الرحمن ينطق باعتزام
 إشارة غير مُصغٍ للكلام
 أخي مولاه فاستمعوا كلامي
 وقد حصدت يداه من الزحام
 أنام. فلم عصي مولى الأنام؟!
 وبردته ولائكة اللجام

١٨

على آل الرسول وأقريبه
 أليسوا في السماء وهم نجوم
 فيا من قد تحير في ضلال
 رسول الله يوم «غدير خم»
 سلام كلما سجع الحمام
 وهم أعلام عز لا يُرام!!
 أمير المؤمنين هو الإمام
 أناف به وقد حضر الأنام

تأتي القصيدة بتمامها في ترجمته. قال المعتر في طبقاته ص ٨: حكوا
 عن بعضهم أنه قال: رأيت حملاً عليه حملٌ ثقيلٌ وقد جهده، فقلت: ما هذا؟
 فقال: ميميات السيد.

١٩

نفسى فداء رسول الله يوم أتى
 جبريل يأمر بالتبليغ إعلانا

النبيُّ ممثلاً أمراً لمن دانا
يوم الغدير؟ فقالوا: أنت مولانا
أن قد نصحت وقد بينت تبيانا
حتماً فكونوا له حزباً وأعوانا
علماء وأولكم بالله إيماناً
كانت لهارون من موسى بن عمراناً

إن لم تُبلِّغ فما بلِّغت فانتصب
وقال للناس: مَنْ مولاكُمْ قبلاً
أنت الرسول ونحن الشاهدون على
هذا وليكم بعدي أمرت به
هذا أبرُّكُمْ برّاً وأكثركم
هذا له قرْبَةٌ منِّي ومنزلةٌ

٢٠

فقال: أقم والناس في الوحد تمحنُ
فحطَّ وحطَّ الناس ثم ووطنوا
فقام على رحل ينادي ويعلنُ
فمولاه من بعدي عليٌّ فأذعنوا
وكم من شقيٍّ يستزلُّ ويفتنُ
لِما بالذي لم يُؤته لَمزِينُ
فيا عجباً أنى ومن أين يُؤمن؟؟!

أتى جبرئيلُ والنبيُّ بضحوة
وبلِّغ وإلا لم تُبلِّغ رسالة
على شجرات في الغدير تقادمت
وقال: ألا من كنت مولاه منكمُ
فقال شقيٌّ منهم لقرينه
يمدُّ بضعبيه عليّاً وإنه
كان لم يكن في قلبه ثقةٌ به

٢١

ولا أمنح الودَّ إلا عليّاً
إلى حُبِّه فأجبت النبيُّا
وكنت لمولاه فيه وليّاً
فقال فأسمع صوتاً نديّاً
فأفهمه العُرب والأعجميّا

منحت الهوى المحض مني الوصيّا
دعاني النبيُّ عليه السَّلام
فعاذيتُ فيه وواليتُه
أقام بخمِّ بحيث الغدير
ألا إذا متُّ مولاكمُ

٢٢

جميع الناس لو حفظوا النبيّا
عباد الله فاستمعوا إليّا
بنا منّا فضمُّ له عليّا

به وصيُّ النبيُّ غداة «خُمِّ»
وناداهم: ألسن لكم بمولى؟
فقالوا: أنت مولانا وأولى

وقال لهم بصوت جهوري
فمن أنا كنت مولاه فإني
فعاد الله من عاداه منكم
وأسمع صوته من كان حياً
جعلت له أبا حسن ولياً
وكان بمن تولاه حفيماً

٢٣

وقام محمداً بغدير خم
لمن وافاه من عرب وعجم
ألا من كنت مولاه فهذا
إلهي عاد من عادى علياً
فنادى معلناً صوتاً ندياً
وحفوا حول دوحته حنياً
له مولى وكان به حفيماً
وكن لوليّه ربي ولياً

الشاعر

أبو هاشم وأبو عامر إسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميري الملقب بالسيد «نسبه» ذكر أبو الفرج الإصبهاني وكثير من المؤرخين: أنه حفيد يزيد بن ربيعة مفرغ أو ابن مفرغ الحميري الشاعر المشهور الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبسه عبدالله بن زياد لذلك وعدبه ثم أطلقه معاوية، لكن المرزباني نسبه إلى يزيد بن وداع وقال في كتاب «أخبار الحميري»: أمه من حدان^(١) تزوج بها أبوه لأنه كان نازلاً فيهم، وأم هذه المرأة بنت يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري الشاعر المعروف، وليس ليزيد بن مفرغ عقب من ولد ذكر، ولقد غلط الأصمعي في نسبة السيد إلى يزيد بن مفرغ من جهة أبيه لأنه جدّه من جهة أمّه. اهـ. وذكر المرزباني له في «معجم الشعراء»:

إني امرؤ حميري حين تنسبني
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به
جدي رعين وأنخوالي ذوو يزن
يوم القيامة للهادي أبي الحسن^(٢)

(١) حدان بضم المهملة إحدى محال البصرة القديمة يقال لها: بنو حدان. سميت باسم قبيلة أبوها حدان بن شمس بن عمرو من الأزد.
(٢) البيتان من أبيات له تأتي قصتها.

يُكنى بأبي هاشم وقال شيخ الطائفة : بأبي عامر، وكان يلقب منذ صغر سنه بالسيد قال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ١٨٦ : روي أن أبا عبد الله عليه السلام لقي السيد بن محمد الحميري وقال : سميتك أمك سيِّداً، وفقت في ذلك، وأنت سيِّد الشعراء. ثم أنشد السيد في ذلك :

ولقد عجبت لقائل لي مرة	علامة فهم من الفقهاء
سماك قومك سيِّداً صدقوا به	أنت الموفق سيِّد الشعراء
ما أنت حين تخص آل محمد	بالمدح منك وشاعر بسوء
مدح المملوك ذوي الغنى لعطائهم	والمدح منك لهم بغير عطاء
فابشر فإنك فائز في حُبهم	لو قد وردت عليهم بجزاء
ما يعدل الدنيا جميعاً كلها	من حوض أحمد شربة من ماء

أبواه وقصته معهما

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٣٠ بإسناده عن سليمان بن أبي شيخ : إن أبوي السيد كانا إباضيَّين^(١) وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبة، وكان السيد يقول : طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة، فإذا سُئل عن التشيع من أين وقع له؟ قال : غاصت عليُّ الرحمة غوصاً، وروى عن السيد : أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله فأتى عقبة بن مسلم الهنائي فأخبره بذلك فأجاره وبوأه منزلاً وهبه له فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

وروى المرزباني في [أخبار السيد] بإسناده عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد قال : كنت أتغدى مع السيد في منزله فقال لي : طال والله ما شتم أمير المؤمنين عليه السلام ولعن في هذا البيت. قلت : ومن فعل ذلك؟ قال : أبواي كانا إباضيَّين. قلت : فكيف صرت شيعياً؟ قال غاصت عليُّ الرحمة فاستنقذتني.

(١) الإباضية بكسر الهمزة أصحاب عبد الله بن اباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد وهم قوم من الحرورية زعموا أن مخالفهم كافر، وكفروا علياً أمير المؤمنين عليه السلام، وأكثر الصحابة.

وروى المرزباني أيضاً عن حودان الحفار ابن أبي حودان عن أبيه وكان أصدق الناس أنه قال: شكى إلي السيد: أن أمه توقظه بالليل وتقول: إني أخاف أن تموت على مذهبك فتدخل النار، فقد لهجت بعلي وولده فلا دنيا ولا آخرة. ولقد نغصت علي مطعمي ومشربي، وقد تركت الدخول إليها وقلت أنشد قصيدة منها:

إلى أهل بيت ما لمن كان مؤمناً	من الناس عنهم في الولاية مذهبٌ
وكم من شقيق لآمني في هواهم	وعاذلة هبت بليل تُؤنّبُ
تقول ولم تقصد وتعتب ضلة	وأفة أخلاق النساء التعتبُ
وفارقت جيراناً وأهل موّدة	ومن أنت منه حين تُدعى وتُنسبُ
فأنت غريبٌ فيهم متباعداً	كأنك مما يتقونك أجربُ
تعيّبهم في دينهم وهم بما	تدين به أزرى عليك وأعيبُ
فقلت: دعيني لن أحبر مدحة	لغيرهم ما حجّ لله أركبُ
أتهينني عن حبّ آل محمّد؟!	وحبّهم ممّا به أتقربُ
وحبّهم مثل الصّلاة وإنه	على الناس من بعد الصّلاة لأوجب ^(١)

وقال المرزباني أخبرني محمّد بن عبيدالله البصري عن محمّد بن زكريا العلائي، قال: حدّثني (العبّاسة) بنت السيد قالت: قال لي أبي: كنت وأنا صبيّ أسمع أبوي يثلبان أمير المؤمنين عليه السّلام فأخرج عنهما وأبقى جائعاً وأوثر ذلك على الرجوع إليهما فأبيت في المساجد جائعاً لحبي فراقهما وبغضي إياهما حتى إذا أجهدني الجوع رجعت فأكلت ثم خرجت، فلما كبرت قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر قلت لأبوي: إن لي عليكما حقاً يصغر عند حقكما عليّ فجنّباني إذا حضرتكما ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام بسوء، فإن ذلك يزعجني وأكره عقوقكما بمقابلتكما، فتماديا في غيّهما فانتقلت عنهما، وكتبت إليهما شعراً وهو:

خف يا محمّد فالق الأصباح وأزل فساد الدين بالإصلاح

(١) في بعض النسخ: من بعض الصّلاة لأوجب. وحق المقام أن يقول: من قبل الصّلاة.

أتسبُّ صنو محمد ووصيه ترجو بذلك فوزة الإنجاح !!؟؟
 هيهات قد بعدا عليك وقرباً منك العذاب وقابض الأرواح
 أوصى النبي له بخير وصية يوم «الغدير» بأبين الإفصاح

إلى آخر الأبيات المذكورة في غديرآته. فتواعدني بالقتل فأتيت الأمير
 عقبة بن مسلم فأخبرته خبري فقال لي: لا تقربهما وأعد لي منزلاً أمر لي فيه بما
 أحتاج إليه وأجرى عليّ جراية تفضل على مؤونتي.

وقال: كان أبواه يُبغضان علياً عليه السلام فسمعهما يسبانه بعد صلاة
 الفجر فقال:

لعن الله والدي جميعاً ثم أصلاهما عذاب الجحيم
 حمكما غدوةً كما صلّيا الفجر بر بلعن الوصي باب العلوم
 لعنا خير من مشى فوق ظهر الـ بأرض أو طاف محرماً بالحطيم
 كفرا عند شتم آل رسول الـ له نسل المهذب المعصوم
 والوصي الذي به ثبت الأـ رض ولولاه دكدكت كالريم
 وكذا آله اولو العلم والفـ هم هداة إلى الصراط القويم
 خلفاء الإله في الخلق بالعدـ ل وبالقسط عند ظلم الظلوم
 صلوات الإله تترى عليهم مقرنات بالرحب والتسليم

ورواها ابن شاکر في «الفوات» ج ١ ص ١٩

عظمته والمؤلفون في أخباره

لم تفتء الشيعة تُبجّل كلُّ متهاك في ولاء أئمة أهل البيت، وتقدر له
 مكانة عظيمة، وتكبر منه ما أكبره الله سبحانه ورسوله من منصّة العظمة أضف
 إلي ذلك ما كان بمرأى منهم ومسمع في حقّ السيّد خاصّة، من تكريم أئمة
 الحقّ صلوات الله عليهم مشواه، وتقريبهم لمحله منهم، وإزلافهم إياه،
 وتقديرهم لسعيه المشكور في الإشادة بذكرهم والذبّ عنهم، والبثّ لفضائلهم،
 وتظاهرة بموالاتهم، وإكثاره من مدائحهم مع ردّه الصّلات تجاه هاتيك العقود

الذهبية لأن ما كان يصدر منه من تلکم المظاهر لم تكن إلا تزلفاً منه إلى المولى سبحانه، وأداءً لأجر الرسالة، وصلةً للصادق بها صلى الله عليه وآله، ولقد كاشف في ذلك كله أبويه الناصبيين الخارجيين، فكان معجزة وقته في التلّفح بهذه المآثر كلها، والتظاهر بهذا المظهر الطاهر، ومنبته ذلك المنبت الخبيث، فما كان الشيعي يوم ذاك وهلمّ جرّاً يجد من واجبه الدينيّ إلا إكباره وخفض الجناح عند عظمته.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩: السيد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقي له وسادة بمسجد الكوفة، وفي حديث شيخ الطائفة الآتي: قال جعفر بن عفان الطائي للسيد: يا أبا هاشم؟ أنت الرأس ونحن الأذنان.

وليس ذلك ببدع من الشيعة بعدما أزلفه الإمام الصادق عليه السلام، وأراه من دلائل الإمامة ما أبقي له مكرمة خالدة حفظها له التاريخ كحديث انقلاب الخمر لبناً. والقبر وإطلاق لسانه في مرضه وغيرهما، واستفاض الحديث بترحمه عليه السلام إياه والدعاء له والشكر لمساعيه، وبلغهم قوله عليه السلام لعدّاله فيه: لو زلت له قدمٌ فقد ثبتت الاخرى، وقد أخبره بالجنة.

وكان يستنشد الإمام عليه السلام شعره ويحتفل به وقد أنشده إياه فضيل الرّسان، وأبو هارون المكفوف، والسيد نفسه، روى أبو الفرج عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام إذ استأذن آذنه السيد فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلم وجلس فاستنشده فأنشد قوله:

أمر على جدث الحسيب	من فقل لأعظمه الزكيه
يا أعظماً لا زلت من	وطفاء ^(١) ساكبة رويه
فإذا مررت بقبره	فأطل به وقف المطيه

(١) وطف المطر: انهمر. يقال: سحابة وطفاء. أي مسترخية لكثرة مائها.

وابك المطهر للمطهر ر والمطهرة النقيه
كبكاء معلية أتت يوماً لواحدتها المنية (١)

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك قال: فحدثت أبي بذلك لما انصرفت فقال لي: ويلي على الكيسانى الفاعل ابن الفاعل يقول:

فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه

فقلت: يا أبت؟ وماذا يصنع؟ قال: أو لا ينحر؟ أو لا يقتل نفسه؟
فشكلته أمه.

[الأغاني ج ٧ ص ٢٤٠]

وهذه القصيدة أنشدها أبو هارون المكفوف، الإمام الصادق عليه السلام، روى شيخنا ابن قولويه في «الكامل» ص ٣٣ و ٤٤ عن أبي هارون قال: قال أبو عبدالله عليه السلام يا أبا هارون! أنشدني في الحسين عليه السلام قال: فأنشدته فبكى فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرقه قال: فأنشدته:

أمر على جدث الحسيه من فقل لأعظمه الزكيه

ثم قال: زدني. قال: فأنشدته القصيدة الأخرى. وفي لفظه الآخر: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فأسعدي ببكائك

قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر. الحديث. ورواه شيخنا الصدوق في «ثواب الأعمال». وهناك منامات صادقة تنم عن تزلف السيد عند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله مرت جملة منها ص ٢٥٩ - ٢٦٣، وروى أبو الفرج عن إبراهيم بن هاشم العبدي إنه قال: رأيت النبي ﷺ وبين يديه السيد الشاعر وهو ينشد:

أجد بال فاطمة البكور فدمع العين منهمر غزير

(١) يوجد من القصيدة ٢٣ بيتاً.

حتى أنشده إياها على آخرها وهو يسمع: قال: فحدثت هذا الحديث رجلاً جمعني وإياه طوس عند قبر علي بن موسى الرضا فقال لي: والله لقد كنت على خلاف فرأيت النبي ﷺ في المنام وبين يديه رجل ينشد:

أجدُ بآل فاطمة البكورُ
إلى آخرها

فاستيقظت من نومي وقد رسخ في قلبي من حبِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنت أعتقده.

[الأغاني ج ٧ ص ٢٤٦]

هذه مكرمةٌ للسيد تشفُّ عن عظمة محلِّه، وحسن عقيدته، وخلوص نيَّته، وسلامة مذهبه، وطهارة ضميره، وصدق موقفه، ومهما عرف أعلام الأمة مسيس حاجة المجتمع إلى سرد تاريخ مثل السيد من رجالات الفضيلة سلفاً وخلفاً، أفرد جمعٌ منهم تأليف في أخبار السيد وشعره فمنهم:

١ - أبو أحمد عبد العزيز الجلودي الأزدي البصري المتوفى سنة ٣٠٢.

٢ - الشيخ صالح بن محمد الصراي شيخ أبي الحسن الجندي.

٣ - أبو بكر محمد بن يحيى الكاتب الصولي المتوفى سنة ٣٣٥.

٤ - أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمي البصري، ذكر له شيخ الطائفة في فهرسته ص ٣٠: كتاب أخبار السيد وشعره، وفي معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٢٦: كتاب أخبار السيد، ويظهر من رجال النجاشي ص ٧٠ ومعالم العلماء أنه ألف كتاباً في أخباره وكتاباً في شعره.

٥ - أبو عبد الله أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن عبدون شيخ

النجاشي.

٦ - أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٧٨، له كتاب

«أخبار السيد» وقفنا على بعض أجزاءه وهو جزء من كتابه «أخبار الشعراء» المشهورين الكثيرين في عشرة آلاف ورقة كما في فهرست ابن النديم.

٧ - أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عيَّاش الجوهري المتوفى سنة ٤٠١ .

٨ - إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي .

٩ - المستشرق الفرنسي [بريه دي مينار] جمع أخباره في مائة صحيفة

طبعت في باريس .

فهرست النجاشي ص ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ١٤١ ، ١٧١ ، فهرست ابن النديم

ص ٢١٥ ، فهرست شيخ الطائفة ص ٣٠ ، معالم العلماء ص ١٦ ، الأعلام ج ١

ص ١٢٢ .

الثناء على أدبه وشعره

كان السيد في مقدمي الكثيرين المجيدين وأحد الشعراء الثلاثة الذين عدوا أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام وهم: السيد، وبشار وأبو العتاهية. قال أبو الفرج: لا يعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. وقال المرزباني: لم يُسمع أن أحداً عمل شعراً جيداً وأكثر غير السيد، وزوي عن عبد الله بن إسحاق الهاشمي قال: جمعت للسيد ألفي قصيدة وظننت أنه ما بقي عليّ شيء فكنت لا أزال أرى من ينشدني ما ليس عندي فكتبت حتى ضجرت ثم تركت. وقال: سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشار. ونقل عن الحسين بن الضحّاك أنه قال: ذاكرني مروان بن أبي حفصة أمر السيد بعد موته وأنا أحفظ الناس بشعر بشار والسيد فأنشدته قصيدته المذهبة التي أولها^(١):

أين التطرب بالولاء وبالهوى إلى الكواذب من بروق الخلب؟!
إلى أمية أم إلى شيع التي جاءت على الجمل الخدب الشوقب؟!
حتى أتى على آخرها، فقال لي مروان: ما سمعت قطُّ شعراً أكثر معاني

(١) مر أول القصيد ص ٢٥١ والبيتان هما البيت الخامس عشر والسادس عشر منها.

والخص منه وعدد ما فيه من الفصاحة. وكان يقول لكل بيت منها: سبحان الله، ما أعجب هذا الكلام! وروى عن التوزي أنه قال: لو أن شعراً يستحق أن لا يُنشد إلا في المساجد لحسنه لكان هذا، ولو خطب به خاطب على المنبر في يوم الجمعة لآتى حسناً ولحاز أجراً.

وقال أبو الفرج: كان شاعراً متقدماً مطبوعاً؛ وله طراز من الشعر ومذهب قَلما يلحق فيه أو يُقاربه. وروى عن ليطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي فقال: إن هاهنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء. فسألناه من هما؟ فقال: السيد الحميري، وعمران بن حطان السدوسي، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه.

الأغاني ج ٧ ص ٢٣١.

وعن التوزي قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد فقال لمن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم علي أن أخبره فأخبرته فقال: أنشدني قصيدة منه فأنشدته قصيدة ثم أخرى وهو يستزيدني ثم قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقته. وفي لفظه الآخر: لما تقدّمه من طبقته أحد. وعن أبي عبيدة أنه قال: أشعر المحدثين: السيد الحميري وبشار (الأغاني ج ٦ ص ٢٣٢، ٢٣٦)

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أيها المادح العباد يُعطى	إن لله ما بأيدي العباد
فاسئَل الله ما طلبت إليهم	وارجُ نفع المنزَل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه	وتسمي البخيل باسم الجواد

قال بشار. من هذا؟ فعرفه. فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لاتعبنا.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٧)

وعن غانم الوراق قال: خرجتُ إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن نعيم فجلسوا إليّ فأنشدتهم للسيد:

أُتِعرف رسماً بالثويين قد دثر؟	عفته أهاضيب السحاب والمطر
وجرت به الأذيال ريحان خلفه	صباً ودبوراً بالعشيات والبكر
منازل قد كانت تكون بجوها	هضيم الحشاريا الشوى سحرها النظر
قطوف الخطا خمصانةً بخترية	كان مُحياها سنا دارة القمر
رمتني ببعد بعد قرب بها النوى	فبانت ولما أقض من عندها الوطر
ولما رأني خشية البين موجعاً	أكفك مني أدمعاً يبضها دُرر
أشارت بأطراف إليّ ودمعها	كنظم جمان خانه السلك فانتثر
وقد كنت ممّا أحدث البين حاذراً	فلم يُغن عني منه خوفاً والحذر

قال: فجعلوا يُمرقون لإنشادي ويطربون وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٨)

عن الزبير بن بكار قال: سمعت عمي يقول: لو أن قصيدة السيد التي يقول فيها:

إن يوم التطهير يومٌ عظيمٌ
نُحِصُّ بالفضل فيه أهل الكساء

قرئت على منبر ما كان فيها بأس، ولو أن شعره كله كان مثله لرويناه وما عبناه، وروى عن الحسين بن ثابت قال: قدم علينا رجلٌ بدويٌّ وكان أروى الناس لجريراً، فكان ينشدني الشيء من شعره فأنشد في معناه للسيد حتى أكثرت فقال لي: ويحك من هذا: هو والله أشعر من صاحبنا.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٩)

ويروى عن إسحاق بن محمد قال: سمعت العتبي^(١) يقول: ليس في

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله الأموي الشاعر البصري المتوفى سنة ٢٢٨ ينسب إلى جده عتبة بن أبي سفيان.

عصرنا هذا أحسن مذهباً في شعره، ولا أنقى ألفاظاً من السيد، ثم قال لبعض من حضر: أنشدنا قصيدته اللامية التي أنشدتناها اليوم فأنشده قوله:

هل عند من أحببت تنويل	أم لا؟ فإن اللوم تضليل
أم في الحشى منك جوى باطن	١٢ ليس تداويه الأباطيل
علقت يا مغرور خداعة	بالوعد منها لك تخيل
رياً رداح النوم خمصانة	كأنها إدماء عطبول
يشفيك منها حين تخلو بها	ضم إلى النحر وتقبيل
وذوق ريق طيب طعمه	كأنه بالمسك معلول
في نسوة مثل المها خردي	تضيق عنهن الخلاخيل

يقول فيها:

أقسم بالله وآله	والمرء عما قال مسؤل
إن علي بن أبي طالب	على التقى والبر مجبول ^(١)

فقال العتبي: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب [الأغاني ج ٧ ص ٢٤٧].

وقبل هذه كلها حسبه ثناءً عليه قول الإمام الصادق عليه السلام: أنت سيد الشعراء. فینم عن مكاتته الرفیعة في الأدب، يقصر الوصف عن إستكناها ولا يدرك البيان مداها فكان يعد من شعرائه عليه السلام وولده الطاهر الكاظم كما في «نور الأبصار» للشبلنجي.

إكثاره في آل الله

كان السيد بعيد المنزعة، ولعاً بإعادة السهم إلى النزعة، وقد أشف وفاق كثيرين من الشعراء بالجد والإجتهاد في الدعاية إلى مبدئه القويم، والإكثار في

(١) تأتي بقية القصيدة في ذكر أخبار المترجم له وملحه.

مدح العترة الطاهرة، وساد الشعراء ببذل النفس والنفيس في تقوية روح الإيمان في المجتمع وإحياء ميت القلوب بيت فضائل آل الله، ونشر مثالب مناوئهم ومساوي أعدائهم قائلًا:

أيا ربّ إنّي لم أرد بالذي به مدحتُ عليًّا غير وجهك فارحم.

وصدّق بشعره رؤياه التي رواها عنه أبو الفرج والمرزباني في أخباره أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم وكأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ليس فيها شيء فقال: أتدري لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول الله! قال: لامرئ القيس بن حجر فاقلعها واغرسها في هذه الأرض. ففعلت. وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه. فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا. قال: أما أنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس إلا أنك تقوله في قوم بررة أطهار.

وكان كما قال أبو الفرج لا يخلو شعره من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم. وروى عن الموصلي عن عمه قال: جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة فخلت أن قد استوعبت شعره حتى جلس إلي يوماً رجل ذو أطمار رثة فسمعتني أنشد شيئاً من شعره فأنشدني به ثلاث قصائد لم تكن عندي فقلت في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره، وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يُدرك ولا يمكن جمعه كله. الأغاني ج ٧ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

قال أبو الفرج كان السيد يأتي الأعمش سليمان بن مهران - الكوفي المتوفى سنة ١٤٨ - فيكتب عنه فضائل عليّ أمير المؤمنين سلام الله عليه، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثم قال: يا معشر الكوفيين! من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يحدثونه وينشدهم حتى أتاه رجل منهم وقال: إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه عزم على الركوب فلبس ثيابه

وأراد لبس الخف فلبس أحد خفيه ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود وإنساب فدخل جحراً فلبس علي عليه السلام الخف. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً ففكر هنيهة ثم قال:

ألا يا قوم للعجب العجائب	لخف أبي الحسين وللحباب
عدو من عداة الجن وغد	بعيد في المرادة من صواب
أتى خفاً له وإنساب فيه	لينهش رجله منه بناب
لينهش خير من ركب المطايا	أمير المؤمنين أبا تراب
فخر من السماء له عقاب	من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فحلق ثم أهوى	به للأرض من دون السحاب
فصك بخفه وإنساب منه	وولى هارباً حذر الحصاب
إلى جحر له فأنساب فيه	بعيد القعر لم يرتج يباب
كريه الوجه أسود ذو بصيص	حديد الناب أزرق ذو لعاب
يهل له الجري إذا رآه	حيث الشد محذور الوثاب
تأخر حينه ولقد رماه	فأخطاه بأحجار صلاب
ودفع عن أبي حسن علي	نقيع ساممه بعد انسياب ^(١)

قال المرزباني: ثم حرك فرسه وثناها وأعطى ما كان معه من المال والفرس للذي روى له الخبر وقال: إنني لم أكن قلت في هذا شيئاً. وذكر المرزباني عن تشبيها أحد عشر بيتاً لم يرو أبو الفرج منه إلا مستهلها:

صبت إلى سليمى والرباب وما لأخي المشيب وللتصابي

قال أبو الفرج: أما العقاب الذي انقض على خف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحدثني بخبره أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثني جعفر بن علي بن نجيج، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٥٧ غير أن الأبيات المرموزة أخذناها عن أخبار السيد للمرزباني.

الطهوي عن أبي الزغل المرادي قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهر للصلاة ثم نزع خفه فانساب فيه أفعى فلما عاد ليلبسه انقضت عقاب فأخذته فحلقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد روي مثل هذا لرسول الله ﷺ.

وقال ابن المعتز في طبقاته ص ٧: كان السيد أحنق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر لم يترك لعلي بن أبي طالب فضيلة معروفة إلا نقلها إلى الشعر، وكان يملأه الحضور في محتشد لا يذكر فيه آل محمد صلوات الله عليهم، ولم يأنس بحفلة تخلو عن ذكرهم روى أبو الفرج عن الحسن بن علي بن حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: كنا جلوساً عند أبي عمرو ابن العلاء فتذاكرنا السيد فجاء فجلس ونحضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا: يا أبا هاشم مِمَّ القيام؟ فقال:

إني لأكره أن أطيل بمجلس	لا ذكر فيه لفضل آل محمد
لا ذكر فيه لأحمد ووصيه	وبنيه ذلك مجلس نطف ردي ^(١)
إن الذي ينسأهم في مجلس	حتى يفارقه لغير مسدد
وكان إذا استشهد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلا بقوله:	
أجدُّ بآل فاطمة البكور	فدمع العين منهمر غزير

الأغاني ج ٧ ص ٢٤٦ ، ٢٦٦

رواة شعره وحفاظه

١ - أبو داود سليمان بن سفيان المسترق الكوفي المنشد المتوفى سنة ٢٣٠ عن ٧٠ عاماً، كان راوية شعره كما في «الأغاني» و«فهرست» الكشي ص ٢٠٥.

٢ - إسماعيل بن الساحر كان روايته كما في «الأغاني» في غير موضع.

(١) النطف: النجس.

- ٣ - أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ / ٢١١ ، كان يروي شعره كما في «الأغاني» و«لسان الميزان» ج ١ ص ٤٣٧ .
- ٤ - السدري كان راويته كما في طبقات ابن المعتز ص ٧ .
- ٥ - محمد بن زكريا الغلابي الجوهري البصري المتوفى سنة ٢٩٨ ، كان يحفظ شعر السيد ويقراه على العباسة بنت السيد ويصححها عليها كما في «أخبار السيد» للمرزباني .
- ٦ - جعفر بن سليمان الضبي البصري المتوفى سنة ١٧٨ ، كان ينشد شعر السيد كثيراً فمن أنكره عليه لم يحدثه كما في «الأغاني» و«لسان الميزان» ج ١ ص ٤٣٧ .
- ٧ - يزيد بن محمد بن عمر بن مذعور التميمي كان يروي للسيد ويعاشره كما في «أخبار السيد» للمرزباني وقال أبو الفرج: كان يحفظ شعر السيد وينشده لأبي بجير الأسدي .
- ٨ - فضيل بن الزبير الرسان الكوفي ، كان ينشد شعر السيد وقد أنشده للإمام الصادق عليه السلام وقد مرّ بعض حديثه .
- ٩ - الحسين بن الضحاك قال المرزباني: كان أحفظ الناس بشعره .
- ١٠ - الحسين بن ثابت كان يروي كثيراً من شعره .
- ١١ - العباسة بنت السيد ، كانت حافظة لشعر أبيها وكانت الرواة يقرأون عليها شعر السيد وتصححها لهم كما ذكره المرزباني في «أخبار السيد» .
وكانت للسيد كريمتان أخريان تحفظان شعره وفي بعض المعاجم كانت كلّ واحدة تحفظ ثلاثمائة قصيدة وقال ابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ٨ :
حكى عن السدري أنه قال: كان له أربع بنات ، وأنه كان حفظ كلّ واحدة منهن أربعمئة قصيدة من شعره .
- ١٢ - عبدالله بن إسحاق الهاشمي ، جمع شعره كما مرّ عن المرزباني .

- ١٣ - عمُّ الموصلي جمع شعره في بني هاشم كما مرَّ عن الأغاني .
 ١٤ - الحافظ أبو الحسن الدارقطني عليُّ بن عمر المتوفى سنة ٣٨٥ كان يحفظ ديوان السيّد كما في تاريخي الخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٥ ، وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٠٠ .

مذهبه وكلمات الاعلام حوله

عاش السيّد ردحاً من الزمن على الكيسانية^(١) يقول بإمامة محمد بن الحنفية وغيبته وله في ذلك شعر ثم أدركته سعادة بركة الإمام الصادق صلوات الله عليه وشاهد منه حججه القويّة وعرف الحقّ ونبذ ما كان عليه من سفاسف الكيسانية عندما نزل الإمام عليه السلام الكوفة عند منصرفه من عند المنصور أو ملاقاته إياه في الحجّ .

ولعبدالله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ ، وشيخ الامة الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ ، والحافظ المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ ، وشيخنا المفيد المتوفى سنة ٤١٢ ، وأبي عمرو الكشي ، والسروي المتوفى سنة ٥٨٨ ، والإربلي المتوفى سنة ٦٩٢ وغيرهم حول مذهبهم كلمات ضافية يُكتفى بواحدة منها في إثبات الحقّ فضلاً عن جميعها . فإليك نصوصها .

١ - كلمة المعتز: قال في «طبقات الشعراء» ص ٧ : حدّثني محمد بن عبدالله قال: قال السدري راوية السيّد كان السيّد أوّل زمانه كيسانياً يقول برجعة محمد بن الحنفية وأنشدني في ذلك:

حتّى متى؟ وإلى متى؟ ومتى المدى يا بن الوصي وأنت حيّ ترزق؟!

(١) هم أصحاب مختار بن أبي عبيد يقال في تسميتهم بذلك: أن المختار كان يلقب بكيسان مأخوذاً مما رواه الكشي في رجاله ص ٨٤ من قول أمير المؤمنين عليه السلام له: يا كيس يا كيس وقيل: ان كيسان اسم صاحب شرطته ويكنى بأبي عمرة كما في رجال الكشي والفصل لابن حزم . وقيل: ان كيسان هو مولى أمير المؤمنين وهو الذي حمل المختار على الطلب بدم الحسين السبط عليه السلام ودل على قتله وكان صاحب سره والغالب على أمره كما ذكره الكشي .

والقصيدة مشهورةٌ وحديثي محمد بن عبدالله قال: قال السدري: ما زال السيد يقول بذلك حتى لقي الصادق عليه السلام بمكة أيام الحج فناظره وألزمه الحجّة فرجع عن ذلك فذلك قوله في تركه المقالة ورجوعه عما كان عليه ويذكر الصادق:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ
ويثبت مهما شاء ربي بأمره ويمحو ويقضي في الأمور ويقدرُ

٢ - كلمة الصدوق: قال في «كمال الدين» ص ٢٠: فلم يزل السيد ضالاً في أمر الغيبة يعتقدونها في محمد بن الحنفية حتى لقي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد منه دلالات الوصية فسأله عن الغيبة فذكر له أنها حق ولكنها تقع بالثاني عشر من الأئمة عليهم السلام وأخبره بموت محمد بن الحنفية وأن أباه محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام شاهد دفنه فرجع السيد عن مقالته، واستغفر من اعتقاده، ورجع إلى الحق عند توضّحه له ودان بالإمامة.

حدثنا عبد الواحد بن محمد العطار رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري قال: حدثنا حمدان بن سليمان عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن حيان السراج قال: سمعت السيد ابن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن علي الملقب بابن الحنفية قد ضللت في ذلك زماناً فمن الله علي بالصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط فسألته بعد ما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها^(١) منه أنه حجّة الله علي وعلى جميع أهل زمانه، وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته، وأوجب الإقتداء به فقلت له: يا بن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن

(١) ستقف على بعض تلكم الدلائل.

تقع؟ فقال عليه السلام: إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قال السيد: فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدتي التي أولها:

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا وناديت باسم الله والله أكبر ودنت بدين غير ما كنت دابناً فقلت: فهبني قد تهودت برهة واني إلى الرحمن من ذاك تائب فلمست بغال ما حييت وراجع ولا قائلاً حي برضوى محمداً ^(١) ولكنه مما مضى لسبيله مع الطيبين الطاهرين الأولي لهم	تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا وأيقنتُ أن الله يعضو ويغفرُ به ونهاني سيّدُ الناس جعفرُ وإلا فديني دين من يتنصّرُ واني قد أسلمت والله أكبر إلى ما عليه كنت أخفي وأضمّر وإن عاب جهالٌ مقالِي فاكثروا على أفضل الحالات يُقضى ويخبرُ من المصطفى فرغ زكي وعنصرُ
---	--

إلى آخر القصيدة وهي طويلة وقلت بعد ذلك قصيدة اخرى:

أيا راكباً نحو المدينة جسر إذا ما هداك الله عاينت جعفر ألا يا أمين الله وابن أمينه إليك من الأمر الذي كنت مطنباً وما كان قولي في ابن خولة مبطناً ولكن رونا عن وصي محمد	عذافةً يطوى بها كل سبب ^(٢) فقل لولي الله وابن المهذب أتوب إلى الرحمن ثم تأوبي أحارب فيه جاهداً كل معرب معاندةً مني لنسل المطيب وما كان فيما قال بالمتكذب
---	--

(١) في لفظ ابن شهر آشوب: ولا قائلاً قولاً بكيسان بعدها.

(٢) الجسر: العظيمة من الإبل. والعذافة: الشديدة منها.

بأن وليّ الأمر يفقد لا يرى
 فيقسم أموال الفقيد كأنما
 فيمكث حيناً ثم ينبع نبعة
 يسير بنصر الله من بيت ربّه
 يسير إلى أعدائه بلوائه
 فلما روي أن ابن خولة غائب
 وقلنا هو المهدي والقائم الذي
 فإن قلت لا فالحق قولك والذي
 وأشهد ربّي أن قولك حجة
 بأن وليّ الأمر والقائم الذي
 له غيبة لا بدّ من أن يغيبها
 فيمكث حيناً ثم يظهر حينه
 بذاك أمين الله سرّاً وجهرة

ستيراً^(١) كفعل الخائف المترقّب
 تعيّه بين الصفيح المنصب
 كنبعة جدى من الافق كوكب^(٢)
 على سودد منه وأمرٍ مسبّ
 فيقتلهم قتلاً كحران مغضب
 صرفنا إليه قولنا لم نكذب
 يعيش به من عدله كل مجذب^(٣)
 أمرت فحتم غير ما متعصب
 على الخلق طراً من مطيع ومذنب
 تطلع نفسي نحوه بتطرب
 فصلّى عليه الله من متغيّب
 فيملاً عدلاً كل شرق ومغرب
 ولست وإن عوتبت فيه بمعتب

وكان حيّان السراج الراوي لهذا الحديث من الكيسانية، ورواه الإربلي في كشف الغمّة.

٣ - كلمة المرزباني: قال في أخبار السيد: كان السيد ابن محمد رحمه الله بلا شك كيسانياً يذهب أن محمد بن الحنفية رضي الله عنه هو القائم المهدي وأنه مقيم في جبال رضوى وشعره في ذلك يدل على أنه كان كما ذكرنا كيسانياً فمن قوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وينا إليه من الصباية أولق^(٤)

(١) في لفظ المرزباني والمفيد: سنين.

(٢) وفي رواية المرزباني:

ويمكث حيناً ثم يشرق شخصه مضياً بنور العدل إشراق كوكب

(٣) في رواية الحافظ المرزباني: يعيش بجدوى عدله كل مجذب.

(٤) الأولق: الجنون أو مس منه.

حتى متى وإلى متى؟ وكم المدى يا بن الوصي وأنت حي تُرزق؟
إني لآمل أن أراك وإنني من أن أموت ولا أراك لأفرق

غير أنه رحمه الله رجع عن ذلك وذهب إلى إمامة الصادق عليه السلام

وقال:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ

ومن زعم أن السيد أقام على الكيسانية فهو بذلك كاذبٌ عليه، وطاعنٌ فيه
ومن أوضح ما دلَّ على بطلان ذلك دعاء الصادق له عليه السلام وثناؤه عليه فمن
ذلك ما أخبرنا به محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو العينا قال: حدثني علي بن
الحسين بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله
عليه قال: قيل لأبي عبدالله عليه السلام وذكر عنده السيد: بأنه ينال من
الشراب. فقال عليه السلام: إن كان السيد زلت به قدمٌ فقد ثبتت له أخرى.

(بإسناده) عن عباد بن صهيب قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن
محمد عليهما السلام فذكر السيد فدعا له فقال له: يا بن رسول الله أتدعو له وهو
يشرب الخمر، ويشتم أبا بكر وعمر، ويوقن بالرجعة؟! فقال: حدثني أبي عن
أبيه علي بن الحسين أن محبي آل محمد صلى الله عليه وآله لا يموتون إلا
تائبين. وإنه قد تاب ثم رفع رأسه وأخرج من مصلى عليه كتاباً من السيد يتوب
فيه مما كان عليه^(١) وفي آخر الكتاب.

يا راكباً نحو المدينة جسرةً

(إلى آخر الأبيات كما مرّت)

(روى بإسناده) عن خلف الحادي قال: قدم السيد من الأهواز بمال
ورقيق وكراع فجثته مهنتاً له فقال: إن أبا بجير^(٢) إمامي وكان يُعيرني بمذهبي

(١) في الأغاني ج ٧ ص ٢٧٧: أخرج كتاباً من السيد يعرفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له.

(٢) هو أبو بجير عبدالله بن النجاشي الأسدي والي الأهواز للمنصور.

ويأمل منّي تحوُّلاً إلى مذهبه فكتبت أقول له : قد انتقلت إليه ، وقلت :

أيا راكباً نحو المدينة جسرًا

وذكر الأبيات إلى آخرها كما مرّت

ثمّ قال : فقال له أبو بجير يوماً : لو كان مذهبك الإمامة لقلت فيها شعراً .
فأنشدته هذه القصيدة فسجد وقال : الحمد لله الذي لم يذهب حبيّ لك باطلاً .
ثمّ أمر لي بما ترى . وروى بإسناده عن خلف الحادي قال : قلت للسيّد : ما
معنى قولك ؟

عجبت لكرّ صروف الزمان	وأمر أبي خالد ذي البيان
ومن رده الأمر لا ينشني	إلى الطيّب الطهر نور الجنان
عليّ وما كان من عمّه	برد الإمامة عطف العنان
وتحكيمه حجراً أسوداً	وما كان من نطقه المستبان
بتسليم عمّ بغير امتراء	إلى ابن أخٍ منطوقاً باللسان
شهدتُ بذلك صدقاً كما	شهدت بتصديق آي القرآن
عليّ إمامي لا أمّ تري	ونخلت قولي بكان وكان

قال لي : كان حدّثني عليّ بن شجرة عن أبي بجير عن الصادق أبي
عبدالله عليه السلام : إنّ أبا خالد الكابلي كان يقول بإمامة ابن الحنفية فقدم من
كابل شاه إلى المدينة فسمع محمّداً يخاطب عليّ بن الحسين فيقول : يا سيّدي !
فقال أبو خالد : أتخاطب ابن أخيك بما لا يخاطبك بمثله ؟ فقال : إنّ حاكمي
إلى الحجر الأسود وزعم أنّه ينطقه فصرت معه إليه فسمعت الحجر يقول : يا
محمّدا سلّم الأمر إلى ابن أخيك فإنّه أحقّ منك . فقلت شعري هذا ، قال :
وصار أبو خالد الكابلي إمامياً . قال : فسألت بعض الإمامية عن هذا ، فقال لي :
ليس بإمامي من لا يعرف هذا . فقلت للسيّد : فأنت على هذا المذهب أو على ما
أعرف ؟ ! ؟ ! فأنشدني بيت عقيل بن علفة :

خذوا جنب هرشي (١) أوقفاه فإنّه
كلا جانبي هرشي لهنّ طريق

(١) ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة وله طريقان يفضيان إلى موضع واحد .

ومما رواه المرزباني له في مذهبه قوله:
 صحُّ قولي بالإمامه وتعجلت السَّلامه
 وأزال الله عني إذ تجعفتُ الملامه
 قلت من بعد حسين بعليُّ ذي العلامه
 أصبح السَّجاد ليد إسلام والدين دعامه
 قد أراني الله أمراً أسأل الله تمامه
 كي ألقيه به في وقت أهوال القيامه

٤ - كلمة المفيد: قال في «الفصول المختارة» ص ٩٣: وكان من الكيسانية أبو هاشم إسماعيل بن محمد الحميري الشاعر رحمه الله وله في مذهبهم أشعار كثيرة ثم رجع عن القول بالكيسانية وتبرأ منه ودان بالحق، لأن أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام دعاه إلى إمامته، وأبان له عن فرض طاعته، فاستجاب له فقال بنظام الإمامة وفارق ما كان عليه من الضلالة، وله في ذلك أيضاً شعر معروف ومن بعض قوله في إمامة محمد رضوان الله عليه، ومذهب الكيسانية قوله:

ألا حيُّ مقيمٌ شعب رضوى وأهد له بمنزله السَّلاما

إلى أن قال: وله عند رجوعه إلى الحق وفراقه الكيسانية:

تجعفتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ
 ودنت بدين غير ما كنت دايماً [إلى آخر ما مر باختلاف يسير]

وقال في «الإرشاد»: فصل وفيه (يعني الإمام الصادق) يقول السيد إسماعيل بن محمد الحميري رحمه الله وقد رجع عن قوله بمذهب الكيسانية لما بلغه إنكار أبي عبد الله عليه السلام مقاله ودعاؤه له إلى القول بنظام الإمامة:

أيا راكباً نحو المدينة جسرَةً عذافرةً يطوى بها كلُّ سببٍ

وذكر منها ١٣ بيتاً ثم قال: وفي هذا الشعر دليلٌ على رجوع السيد عن مذهب الكيسانية وقوله بإمامة الصادق عليه السلام، ووجوه الدعوة ظاهرة من

الشيعة في أيام أبي عبدالله إلى إمامته والقول بغيبة صاحب الزمان وأنها إحدى علاماته، وهو صريح قول الإمامية الإثني عشرية.

٥ - كلمة ابن شهر آشوب: روى في «المناقب» ج ٢ ص ٣٢٣ عن داود الرقي قال: بلغ السيد الحميري: إنه ذكر عند الصادق عليه السلام فقال: السيد كافر. فأتاه وسأل يا سيدي! أنا كافر مع شدة حبي لكم ومعاداتي الناس فيكم؟ قال: وما ينفعك ذلك وأنت كافر بحجة الدهر والزمان؟ ثم أخذ بيده وأدخله بيتاً فإذا في البيت قبرٌ فصلّى ركعتين ثم ضرب بيده على القبر فصار القبر قطعاً فخرج شخصٌ من قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق: من أنت؟ قال: أنا محمد بن علي المسمى بابن الحنفية. فقال: فمن أنا؟ فقال جعفر بن محمد حجة الدهر والزمان^(١) فخرج السيد يقول:

تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفرا

وفي (أخبار السيد): إنه ناظر معه مؤمن الطاق في ابن الحنفية فغلبه عليه

فقال:

تركتُ ابن خولة لا عن قلى	وإني لكالكلف الوامق
وإني له حافظٌ في المغيب	أدين بما دان في الصادق
هو الحبر حبر بني هاشم	ونورٌ من الملك الرّازق
به ينعش الله جمع العباد	ويجري البلاغة في الناطق
أتاني برهانه معلناً	فدنت ولم أك كالمائق
كمن صدُّ بعد بيان الهدى	إلى حبتر وأبي حامق

فقال الطائي: أحسنت الآن أتيت رشداً. وبلغت أشدك. وتبوات من

الخير موضعاً ومن الجنة مقعداً. وأنشأ السيد يقول:

تجعفرت باسم الله والله أكبر

(١) هذه من علامات الإمامة التي مرّ الإيعاز إليها في كلمة الصدوق.

ذكر منها خمسة أبيات ثم ذكر من بائياته المذكورة ستة أبيات فقال: وأنشد فيه (يعني الصادق عليه السلام):

أمدح أبا عبد الإله	فتى البرية في احتماله
سبط النبي محمداً	حبل تفرع من جباله
تغشى العيون الناظرات	إذا سمون إلى جلاله
عذب الموارد بحره	يروى الخلائق من سجاله
بحر أطل على البحور	يمدهن ندى بلاله ^(١)
سقت العباد يمينه	وسقى البلاد ندى شماله
يحكي السحاب يمينه	والودق يخرج من خلاله
الأرض ميراث له	والناس طراً في عياله
يا حجّة الله الجليل	وعينه وزعيم آله
وابن الوصي المصطفى	وشبيه أحمد في كماله
أنت ابن بنت محمد	حذوا خلقت على مثاله
فضياء نورك نوره	وظلال روحك من ظلاله
فيك الخلاص عن الردى	وبك الهداية من ضلاله
أثني ولست ببالغ	عشر الفريدة من خصاله

٦ - كلمة الإربلي: قال في «كشف الغمة» ص ١٢٤: السيد الحميري رحمه الله كان كيسانياً يقول برجة أبي القاسم محمد بن الحنفية فلما عرفه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام الحق والقول بمذهب الإمامية الإثني عشرية ترك ما كان عليه ورجع إلى الحق وقال به، وشعره رحمه الله في مذهبه مشهوراً لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره.

وئبئك عن مذهبه الحق الصحيح قوله:

على آل الرسول وأقربيه سلاماً كلما سجع الحمام

(١) كذا في النسخة وأحسبه: نواله.

أليسوا في السماء هم نجوم؟
 فيا من قد تحير في ضلال
 رسول الله يوم [غدير خم]
 وثاني أمره الحسن المرجى
 وثالثه الحسين فليس يخفى
 ورابعهم عليُّ ذو المساعي
 وخامسهم محمدُ ارتضاه
 وجعفر سادس النجباء بدرُ
 وموسى سابعُ وله مقامُ
 عليُّ ثامنٌ والقبر منه
 وتاسعهم طريد بني البغايا
 وعاشرهم عليُّ وهو حصنُ
 وحادي العشر مصباح المعالي
 وثاني العشر حان له القيام
 أولئك في الجنان بهم مساعي

وهم أعلام عز لا يُرامُ
 أمير المؤمنين هو الإمامُ
 أناف به وقد حضر الأنامُ
 له بيتُ المشاعر والمقامُ
 سنا بدر إذا اختلط الظلامُ
 به للدين والدنيا قوامُ
 له في المآثرات إذن مقامُ
 يبهجته زها البدر التمامُ
 تقاصر عن أدانيه الكرامُ
 بأرض الطوس إن قحطوا رهامُ^(١)
 محمدُ الزكيُّ له حسامُ
 يجنُّ لفقده البلد الحرامُ
 منير الضوء الحسن الهمامُ
 محمدُ الزكيُّ به اعتصامُ
 وجيرتي الخوامس والسَّلامُ

نقد أو إصحار بالحقيقة:

قال الدكتور طه حسين المصري في - ذكرى أبي العلاء - ص ٣٥٨:
 التناسخ معروفٌ عند العرب منذ أواخر القرن الأول، والشيعنة تدين به وبعض
 المذاهب التي تقرب منه كالحلول والرجعة، وليس بين أهل الأدب من يجهل ما
 كان من سخافات الحميري وكثير في ذلك. اهـ.

كنت لا أعجب لو كان هذا العزو المخلتق صادراً ممن تقدّم طه حسين من
 بسطاء الأعصر الخرافية الذين قالوا وهم لا يشعرون، وجمعوا من غير تمييز،

(١) الرهمة: المطر الخفيف الدائم ج رهم ورهام.

وألقوا لا عن تنقيب، وعزوا من دون دراية. لكن عجبني كله من مثل هذا الذي يرى نفسه منقّباً ويحسبه فذاً من أفذاذ هذا العصر الذهبي، عصر النور، عصر البحث والتنقيب الذي مني بمثل هذا الدكتور وأمثاله من جمال مُستنوقة^(١) يسرون حسواً في ارتغاء^(٢) يُريدون أن يُفخّذوا أمة كبيرة تُعدُّ بالملايين عن الأمة الإسلامية بنسبة الإلحاد إليهم من تناسخ وحلول، فتلعن هؤلاء أولئك لاعتقادهم بكفرهم، وتغضب أولئك على هؤلاء عندما يقفون على مثل هذا الإفك الشائن، فيقع ما لا تُحمد مغبته من شقّ العصا وتفريق الكلمة، وذلك منية من قيض طه «حسين» لمثل هذه المعرّة وأثابه عليها.

ألم يسأل هذا الرجل باحثٌ عن مصدر هاتين الفريتين؟ هل قرأهما في كتاب من كتب الشيعة؟ أم سمعهما عن شيعي؟ أو بلغه الخبر عن عالم من علماء الإمامية؟ هؤلاء الشيعة وكتبهم منذ العصور المتقدمة حتى اليوم تحكم بكفر من يقول بالتناسخ والحلول وتدين بالبراءة منه، فهلاً راجع الدكتور هاتيك الكتب قبل أن يرمي لا عن سدد؟ وتخطّ يمينه لا عن رشد؟ نعم سبقه في نسبة التناسخ إلى السيّد ابن حزم الأندلسي في «الفصل» وقد عرفت ابن حزم ونزعاته في الجزء الأول ص ٣٧٧ - ٣٩٤. وأمّا القول بالرجعة فليس من سنخ القول بالتناسخ والحلول وقد نطق بها الكتاب والسنة كما فصل في طيات الكتب الكلامية وتضمّنته التأليف التي أفردتها أعلام الإمامية فيها، وقد عرف من وقف على أخبار السيّد وشعره وحججه براءته عن كل ما نبذه به من سخافة إن لم يكن الدكتور ممن يرى أن التهالك في موالة أهل البيت ومودّتهم ومدحهم والذب عنهم سخافة.

حديثه مع من لم يتشيع

لم يكن يرى السيّد لمناوي العترة الطاهرة صلوات الله عليهم حرمة

(١) مثل سائر.

(٢) مثل يضرب.

وقدراً، وكان يشدد النكير عليهم في كل موقف ويلفظهم بالسنة حداد بكل حول وطول، وله في ذلك أخبار منها:

١ - عن محمد بن سهل الحميري عن أبيه قال: إنحدر السيد الحميري في سفينة إلى الأهواز، فمراه رجل في تفضيل علي عليه السلام وباهله على ذلك، فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة، فدفعه السيد فغرقه، فصاح الملاحون: غرق والله الرجل. فقال السيد: دعوه فإنه باهلي (١)

٢ - إن السيد كان بالأهواز، فمرت به امرأة من آل الزبير تزف إلى إسماعيل بن عبدالله بن العباس، وسمع الجلبة فسأل عنها فأخبر بها، فقال:

أتتنا تزف على بغلة	وفوق رحالتها قبه
زبيرية من بنات الذي	أحل الحرام من الكعبه (٢)
تزف إلى ملك ماجد	فلا اجتمعا وبها الوجبه

فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء فنهشتها أفعى فماتت فكان السيد يقول: لحقتها دعوتي.

٣ - عن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر قال: خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيد وعليه ثياب خز وجبة ومطرف وعمامة فجعل يجر مطرفه ويقول:

اهبط إلى الأرض فخذ جلمداً	ثم ارمهم يا مزن بالجلمد
لا تسقمهم من سبل قطرة	فإنهم حرب بني أحمد

٤ - حدثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلات لهم وهو ولي عهد، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش فجاء السيد فرفع

(١) الظاهر: باهلي.

(٢) يعني عبدالله بن الزبير وقد تحصن بالبيت الحرام وقاتل به.

إلى الربيع - حاجب المنصور - رقعة مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه. فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عباس سمي محمد	لا تُعطينُ بني عديّ درهما
أحرم بني تيم بن مرة إنهم	شرُّ البريئة آخرأ ومقدما
إن تُعطيهم لا يشكروا لك نعمة	ويكافئوك بأن تُذمَّ وتُشتما
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم	خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدءوكم	بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تراث محمد أعمامه	وابنيه وابنته عديلة مريما
وتأمروا من غير أن يستخلفوا	وكفى بما فعلوا هنالك ماثما
لم يشكروا لمحمد انعامه	أفيشكرون لغيره إن أنعماء؟
والله من عليهم بمحمد	وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثم انبروا لوصييه وولييه	بالمنكرات فجرعوه العلقما

قال: فرمى بها إلى أبي عبيد الله معاوية بن يسار الكاتب للمهدي ثم قال: اقطع العطاء فقطعه، وانصرف الناس، ودخل السيد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل! ولم يُعطيهم شيئاً.

٥ - عن سويد بن حمدان بن الحصين قال: كان السيد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذات يوم فخلفه رجلٌ وقال: لكم شرفٌ وقدرٌ عند السلطان فلا تجالسوا هذا فإنه مشهورٌ بشرب الخمر وشتم السلف. فبلغ ذلك السيد فكتب إليه:

وصفت لك الحوض يابن الحصين	على صفة الحارث الأعور ^(١)
فإن تسق منه غداً شربة	تفز من نصيبك بالأوفر
فما لي ذنبٌ سوى أنني	ذكرت الذي فرُّ عن خبير

(١) هو الحارث الأعور الهمداني المتوفى سنة ٦٥ من مقدمي أصحاب أمير المؤمنين، يأتي ذكره في ترجمة والد شيخنا البهائي في شعراء القرن العاشر.

ذكرت امرأ فرّ عن مرحب فرار الحمار من القصور
فأنكر ذاك جليس لكم زنيماً أخو خلق أعور
لحاني بحبّ إمام الهدى وفاروق أمتنا الأكبر
سأحلق لحيته إنَّها شهودٌ على الزور والمنكر

قال: فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك ولزموا محبة السيد ومجالسته.
الأغاني ج ٧ ص ٢٥٠ - ٢٥٤.

٦ - عن معاذ بن سعيد الحميري قال: شهد السيد إسماعيل بن محمد الحميري رحمه الله عند سوار القاضي بشهادة، فقال له: ألسنت إسماعيل بن محمد الذي يُعرف بالسيد؟ فقال: نعم. فقال له: كيف أقدمت على الشهادة عندي وأنا أعرف عداوتك للسلف؟ فقال السيد: قد أعاذني الله من عداوة أولياء الله وإنما هو شيءٌ لزمني. ثم نهض فقال له: قم يا رافضي! فوالله ما شهدت بحق. فخرج السيد رحمه الله وهو يقول:

أبوك ابن سارق عنز النبي وأنت ابن بنت أبي جحدر
ونحن على رغمك الرافضو ن لأهل الضلالة والمنكر

ثم عمل شعراً وكتبه في رقعة وأمر من ألقاها في الرقاع بين يدي سوار. قال: فأخذ الرقعة سوار فلما وقف عليها خرج إلى أبي جعفر المنصور وكان قد نزل الجسر الأكبر ليستعدي على السيد فسبقه السيد إلى المنصور فأنشأ قصيدته التي يقول فيها^(١):

يا أمين الله يا من صور يا خير الولاة
إن سوار بن عبد الد ه من شرّ القضاة

(١) أولها:

قم بنا يا صاح واربِع في المغانبي الموحشات

نعثلي^(١) جملي
 جدّه سارق عنز
 لرسول الله والقبا
 والذي كان يُنادي
 يا هناة اخرج إلينا
 فاكفنيه لا كفاه الد
 سنّ فينا سنناً كا
 فهجوناه ومن يهجو
 لكم غير مواتي
 فجرة من فجرات
 ذفة بالمنكرات^(٢)
 من وراء الحجرات^(٣)
 إنّنا أهل هنا
 ه شر الطارقات
 نت مواريث الطغاة
 يصب بالفاقرات^(٤)

قال: فضحك أبو جعفر المنصور وقال: نصبتك قاضياً فامدحه كما هجوته

فأنشد رحمه الله يقول:

إنني امرؤ من جمير أسرتي
 آليت لا أمدح ذا نائل
 إلا من الغر بني هاشم
 إن لهم عندي يداً شكرها
 يا أحمد الخير الذي إنّما
 حمزة والطيار في جنة
 منهم وهادينا الذي نحن من
 لما دجا الدين ورق الهدى
 ذاك علي بن أبي طالب
 بحيث تحوي سروها جمير
 له سناء وله مفخر
 إن لهم عندي يداً تُشكر
 حق وإن أنكرها منكر
 كان علينا رحمة تُشر
 فحيث ما شاء دعا جعفر
 بعد عمانا فيه نستبصر
 وجار أهل الأرض واستكبروا
 ذاك الذي دانت له خبير

(١) قال الأستاذ العدوي في تعليقه على الأغاني ج ٧ ص ٢٦١: نعثل في الأصل: اسم رجل يهودي من أهل المدينة، وقيل: نعثل: رجل لحياني (طويل اللحية) من أهل مصر. كان يشبه به عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه.

(٢) اخذنا هذا البيت من الأغاني ج ٧ ص ٢٦١، والطبقات لابن المعتز ص ٨.

(٣) إشارة إلى نزول آية الحجرات في بني العنبر أجداد القاضي سوار.

(٤) الفارقة: الداهية الشديدة. هذا البيت أخذناه من طبقات ابن المعتز ص ٧.

دانت وما دانت له عنوةً حتى تدهدا عرشه الأكبر
 ويوم سلع إذ أتى عاتباً عمرو بن عبد مُصلتاً يخطرُ
 يخطر بالسيف مُدلاً كما يخطر فحل الصرمة الدوسر^(١)
 إذ جلل السيف على رأسه أبيض غضباً حده مبترُ
 فخرٌ كالجدع وأوداجه ينصب منها حلبٌ أحمرُ

وكان أيضاً ممّا جرى له مع سوار ما حدّث به الحرث بن عبيدالله الربيعي ،
 قال : كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوار عنده والسيد
 ينشده :

إن الإله الذي لا شيء يشبهه آتاكم الملك للدنيا وللدن
 آتاكم الله ملكاً لا زوال له حتى يُقاد إليكم صاحب الصين
 وصاحب الهند مأخوذ برمته وصاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى القصيدة والمنصور يضحك فقال سوار، هذا والله يا أمير
 المؤمنين يُعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إن القوم الذين يدين بحبهم
 لغيركم، وإنه لينطوي في عداوتكم. فقال السيد: والله إنه لكاذب وإنني في
 مديحك لصادق، ولكنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي
 ومودّتي لكم أهل البيت لعرق لي فيها عن أبوي، وإن هذا وقومه لأعداؤكم في
 الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عز وجل على نبيه عليه وآله السلام في أهل
 بيت هذا^(٢) إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. (سورة
 الحجرات آية ٤) فقال: المنصور: صدقت. فقال سوار: يا أمير المؤمنين إنه
 يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسب والوقية فيهما. فقال السيد: أمّا قوله:
 بأنني أقول بالرجعة فإنّ قولي في ذلك ما قال الله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كلّ
 أمة فوجاً ممّن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ (سورة النمل آية ٨٣) وقد قال في

(١) الصرمة بالكسر: القطعية من الإبل. الدوسر: الضخم الشديد.

(٢) راجع تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٤.

موضع آخر: ﴿وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً﴾ (سورة الكهف آية ٤٧) فعلمت أنّها هنا حشرين أحدهما عامٌ والآخر خاصٌّ. وقال سبحانه: ﴿ربّنا أمّتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروجٍ من سبيل﴾ (سورة غافر آية ١١) وقال الله تعالى: ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾ (سورة البقرة آية ٢٥٩) وقال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ (سورة البقرة آية ٢٤٣) فهذا كتاب الله عز وجل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يُحشر المتكبرون في صور الذر يوم القيامة^(١) وقال صلى الله عليه وآله: لم يجر في بني إسرائيل شيء إلا ويكون في أمّتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف^(٢) وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الأمة قردهً وخنزيراً^(٣) فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنة. وإنّني لأعتقد أنّ الله تعالى يردُّ هذا - يعني سواراً - إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرةً فإنّه والله متجبرٌ متكبرٌ كافرٌ. قال: فضحك المنصور وأنشد السيد يقول:

جائت سواراً أبا شملة	عند الإمام الحاكم العادل
فقال قولاً خطأ كله	عند الوري الحافي والنائل
ما ذبّ عما قلت من وصمة	في أهله بل لجّ في الباطل
وبان للمنصور صدقي كما	قد بان كذب الأنوك الجاهل
يبغض ذا العرش ومن يصطفي	من رسله بالنير الفاضل
ويشأ الحبر الجواد الذي	فُضّل بالفضل على الفاضل
ويعتدي بالحكم في معشر	أدوا حقوق الرُّسل للراسل
فبيّن الله تزاويقه	فصار مثل الهائم الهائل

(١) أخرجه الترمذي والنسائي والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٥، وابن الدبيع في تيسير الوصول ج ٤ ص ١٥١.

(٢) راجع سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٥٠٣.

(٣) راجع سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٨٩، والترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠٧.

قال: فقال المنصور: كَفُّ عنه. فقال السيد: يا أمير المؤمنين البادي
أظلم يكفُّ عني حتى أكفُّ عنه. فقال المنصور لسوار: تكلم بكلام فيه نصفه،
كفُّ عنه حتى لا يهجوك. الفصول المختارة ج ١ ص ٦١ - ٦٤ .

وروى أبو الفرج للسيد مما أنشده المنصور في سوار القاضي قوله:

قل للإمام الذي يُنجى بطاعته	يوم القيامة من بحبوحه النار
لا تستعينن جزاك الله صالحه	يا خير من دب في حكم بسوار
لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف	جم العيوب عظيم الكبر جبار
تضحى الخصوم لديه من تجبره	لا يرفعون إليه لحظ أبصار
تيهاً وكبراً ولولا ما رفعت له	من ضبعه كان عين الجائع العاري

فدخل سوار، فلما رآه المنصور تبسّم وقال: أما بلغك خبر أياس^(١) بن
معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود، فما أحوجك للتعريض
للسيد ولسانه ثم أمر السيد بمصالحته وأمره بأن يصير إليه معذراً ففعل فلم
يعذره، فقال:

أتيت دعي بني العنبر	أروم اعتذاراً فلم أعذر
فقلت لنفسي وعاتبته	على اللؤم في فعلها: أقصري
أيعتذر الحرّ ممّا أتى	إلى رجل من بني العنبر؟!
أبوك ابن سارق عنز النبي	وأمك بنت أبي جحدر
ونحن على رغمك الرافضو	ن لأهل الضلالة والمنكر

قال: وبلغ السيد أن سواراً قد أعدّ جماعة يشهدون عليه بسرقة ليقطعه،
فشكاه إلى أبي جعفر، فدعا بسوار وقال له: قد عزلتك عن الحكم للسيد أو
عليه، فما تعرّض له بسوء حتى مات .

(١) هو أياس بن معاوية بن قرة المزني البصري ولاء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة توفي سنة ١٢٢،
وحدث قبوله شهادة الفرزدق يوجد في الأغاني ج ١١ ص ٥٠ طبع ١٩ ص ٥٠ طبع بولاق.

٧ - عن إسماعيل بن الساهر قال: تلاحي رجلان من بني عبد الله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله ﷺ فرضيا بحكم أول من يطلع فطلع السيد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضل علي بن أبي طالب عليه السلام منهما: إنني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقلت: علي بن أبي طالب. فقطع السيد كلامه ثم قال: وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية؟! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحر جواباً. الأغاني ج ٧ ص ٢٤١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧ عن محمد بن عبد الله السدوسي عن السيد نفسه.

٨ - في كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٩١ شبه السيد ابن محمد الحميري عائشة رضي الله عنها في نصبها الحرب يوم الجمل لقتال بنيتها بالهرة حين تأكل أولادها فقال:

جاءت مع الأشقين في هودج تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها

أخباره وملحه

روى أبو الفرج وغيره شطراً وافياً من أخبار السيد وملحه ونوادره لو جمعت ليأتي كتاباً ونحن نضرب عن ذكر جميعها صفحاً ونقتصر منها ببندة يسع لذكرها المجال.

١ - روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥٠ بإسناده عن رجل قال: كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن^(١) فلقيني السيد يوماً وأنا منصرف من عندهما، فقال: أرني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتها فمحوها ما فيها. فأعطيته ألواحي فكتب فيها:

لشربة من سوق عند مسغبة وأكلة من ثريد لحمه واري

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي يسار البصري المتوفى سنة ١١٠، قال ابن أبي الحديد: كان ممن قيل: انه يبغض علياً عليه السلام ويلمه.

أشدُّ ممَّا روى حباً إليَّ بنو قيس وممَّا روى صلت بن دينار
ممَّا رواه فلان عن فلانهم ذاك الذي كان يدعوهم إلى النار

٢ - جلس السيد يوماً إلى قوم فجعل ينشدهم وهم يلغظون فقال:

قد ضيَّع الله ما جمعت من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر
لا يسمعون إلى قول أجيء به وكيف تستمع الأنعام للبشر؟!
أقول ما سكتوا: إنس فإن نطقوا قلت الضفادع بين الماء والشجر

٣ - اجتمع السيد في طريقه بامرأة تميمية إباحية، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوّد بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون ككناح أم خارجة قبل حضور ولي وشهود، فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

إن تسأليني بقومي تسألني رجلاً في ذروة العز من أحياء ذي يمن
حولي بها ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عمان الأكرمون إذا عدت مآثرهم في سالف الزمن
بانة كريمتهم عني فدارهم داري وفي الرحب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلحج منزل وسط منها ولي منزل للعز في عدن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به من كبة النار للهادي أبي حسن

فقلت: قد عرفناك ولا شيء أعجب من هذا يمان وتميمية؛ ورافضي وإباحية، فكيف يجتمعان؟ فقال: بحسن رأيك في، تخسو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيات الأمور؟! قال: أعرض عليك أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحد. قالت: تلك أخت الزنا. قال: أعيدك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان. قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾. فقالت: ألا تستخير الله وأقلدك إن كنت صاحب قياس؟! قال: قد فعلت. فانصرفت معه ويات معرّساً بها، وبلغ أهلها من الخوارج أمرها،

فتوَعَدوها بالقتل وقالوا: تزوّجت بكافر؟! فحدثت ذلك ولم يعلموا بالمتعة. فكانت مدّة تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا.

(قول السيّد) في صدر القصة: يكون كنيّاح أم خارجة: ايعاز إلى المثل السائر: أسرع من نكاح أم خارجة. يُضرب به في السرعة، وأمّ خارجة هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب. فتقول: نكح. فيقول: أنزلي. فتقول: أنخ. قال المبرد: ولدت أمّ خارجة للعرب في نيف وعشرين حياً من آباء متفرقة، وكانت هي إحدى النساء اللّاتي إذا تزوّجت واحدة الرّجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت، وعلامة إرتضائها للزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح.

٢ - قال عليّ بن المغيرة: كنت مع السيّد على باب عقبة بن سلم، ومعنا ابن لسليمان بن عليّ ننتظره وقد أسرج له ليركب، إذ قال ابن سليمان بن عليّ يعرض بالسيّد: أشعر الناس والله الذي يقول:

محمد خير من يمشي على قدم وصاحبه وعثمان بن عفّانا

فوئب السيّد وقال: أشعر والله منه الذي يقول:

سائل قريشاً إذا ما كنت ذا عمه من كان أثبتها في الدين أوتاداً؟!!

من كان أعلمها علماً؟! وأحلمها حلماً؟! وأصدقها قولاً وميعاداً؟!!

إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حسّاداً

ثمّ أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى! نعم الخلف أنت لشرف سلفك، أراك تهدم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله، وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك، فوئب الفتى خجلاً ولم ينتظر عقبة بن سلم. وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الركوبة حتى خرجت الجائزة للسيّد.

٥ - روى أبو سليمان الناجي: أن السيّد قدم الأهواز وأبو بجير بن سمّك الأسدي يتولاها وكان له صديقاً، وكان لأبي بجير مولى يُقال له يزيد بن مذعور

يحفظ شعر السيد ويُنشده أبا بُجير، وكان أبو بُجير يتشيع. فذهب السيد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم فلما أمسى انصرف، فأخذه العَسَسُ (١) فحبس فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مذعور، فدخل على أبي بُجير وقال: قد جنى عليك صاحب عَسَسِكَ ما لا قوام لك به. قال: وما ذلك؟ قال: اسمع هذه الأبيات كتبها السيد من الحبس، فأنشده يقول:

قف بالديار وحيها يا مربعُ	واسأل وكيف يجيب من لا يسمعُ؟
إنَّ الديار نخلت وليس بجوها	إلا الضوايح والحمام الوقعُ
ولقد تكون بها أوانس كالدمى	جملٌ وعزَّة والرباب ويوزعُ
حورٌ نواعم لا ترى في مثلها	أمثالهن من الصيانة أربعُ
فعرين بعد تآلفٍ وتجمعُ	والدهر - صاح - مشتت ما تجمعُ
فاسلم فإنك قد نزلت بمنزل	عند الأمير تضرُّ فيه وتنفعُ
تأتي هواك إذا نطقت بحاجة	فيه وتشفع عنده فيشفعُ
قل للأمير إذا ظهرت بخلوة	منه ولم يك عنده من يسمعُ
هب لي الذي أحببته في أحمد	وبنيه إنك حاصدٌ ما تزرعُ
يختصُّ آل محمدٍ بمحبةٍ	في الصدر قد طويت عليها الأضلعُ
ويقول فيها:	

قم يابن مذعور فأنشد نكسوا	خضع الرقاب بأعين لا ترفعُ
لولا حذار أبي بُجير أظهروا	شنانهم وتفرقوا وتصدعوا
لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا	سبعين عاماً والأنوف تُجدعُ
إذ لا يزال يقوم كلُّ عروبة (٣)	منكم بصاحبنا خطيبٌ مصقعُ
مستحضرٌ في غيبه متتابعُ	في الشتم مثله بخيل يسجعُ
ليسرُّ مخلوقاً ويسخط خالقاً	إن الشقي بكلُّ شرٍّ مولعُ

(١) جمع العاس من عس عساً: طاف بالليل يحرس الناس.

(٢) الدمى ج الدمية: الصورة المزينة فيها حمرة كالدم.

(٣) يوم الجمعة كان يسمى قديماً: يوم عروبة ويوم العروية. والأفصح عدم إدخال الألف واللام.

فلما سمعها أبو بَجِير دعا صاحب عَسْعَسَه فشتمه وقال: جنيت عليّ ما لا يُدلى به. اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيكم أبو هاشم؟ فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابّتك وامش معه صاغراً حتى تأتيني به. ففعل، فأبى السيّد ولم يُجبه إلى الخروج إلّا بعد أن يطلق له كلٌّ من أخذ معه، فرجع إلى أبي بَجِير فأخبره. فقال: الحمد لله الذي لم يقل: أخرجهم وأعط كل واحد منهم مالاً. فما كنّا نقدر على خلافه، افعل ما أحبّ برغم أنفك الآن. فمضى فخلّى سبيله وسبيل كل من كان معه ممّن أخذ في تلك الليلة، وأتى به إلى أبي بَجِير: فتناوله بلسانه وقال: قدمت علينا فلم تأتتا وأتيت بعض أصحابك الفسّاق، وشربت ما حُرّم عليك حتى جرى ما جرى. فاعتذر من ذلك إليه. فأمر له أبو بَجِير بجائزة سنّة وحمله وأقام عنده مدّة.

٦ - قال أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥٩: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شُبّة قال: حدّثنا حاتم بن قبيصة قال: سمع السيّد محدّثاً يُحدّث: إنّ النبي ﷺ كان ساجداً فركب الحسن والحسين على ظهره، فقال عمر رضي الله عنه: نعم المطيُّ مطيكما. فقال النبي ﷺ: ونعم الراكبان هما. فانصرف السيّد من فوره فقال في ذلك:

أتى حسنٌ والحسينُ النبيُّ	وقد جلسا حجره يلعبان
ففداهما ثمّ حيّاهما	وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه	فنعم المطيّة والراكبان
وليّدان أمّهما برّة	حصانٌ مطهرةٌ للحسان
وشيخهما ابن أبي طالب	فنعم الوليدان والوالدان
خليليّ لا تُرجيا واعلمّا	بأنّ الهدى غير ما تزعمان
وأنّ عمى الشكّ بعد اليقين	وضعف البصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تلججا فيهما	فبُست لعمركما الخصلتان
أُرجى عليّ إمام الهدى	وعثمان ما أعند المرجيان
ويُرجى ابن حرب وأشياعه	وهوج الخوارج بالنهروان

يكون إمامهم في المعاد خبيث الهوى مؤمن الشيصبان^(١)

وذكر ابن المعتز في طبقاته ص ٨ أبياتاً من دون ذكر الحديث وهي :

أتى حسناً والحسين الرسولُ وقد برزوا ضحوةً يلعبان

وضمّهما وتفدّاهما وكانا لديه بذاك المكان

وطأطأ تحتها عاتقيه فنعيم المطيئة والركبان

وذكر المرزباني في أخبار السيد ستة أبيات منها ولم يذكر الحديث وزاد :

جزى الله عنا بني هاشم بانعام أحمد أعلى الجنان

فكلّهم طيبٌ طاهرٌ كريم الشمائل حلو اللسان

(قال الأميني) : هذه القصيدة تتضمن أحاديث وردت في الإمامين

السبتين وقد تلفت جملةً من أبياته فقوله :

أتى حسنٌ والحسين النبيُّ وقد جلسا حجره يلعبان

إشارةً إلى ما أخرجه الطبراني وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٤ عن

أبي أيوب الأنصاري قال : دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان

بين يديه في حجره فقلت : يا رسول الله ! أتحبّهما؟ فقال : كيف لا أحبّهما؟!

وهما ريحانتي من الدنيا أشمّهما.

وعن جابر : قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين

على ظهره وهو يمشي بهما فقلت : نعم الجمّل جملكما . فقال : نعم الراكبان

هما . وفي لفظ : دخلت عليه والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على

أربع يقول ﷺ : نعم الجمّل جملكما ونعم العدلان أنتما . أخرجه ابن عساكر

في تاريخ الشام ج ٤ ص ٢٠٧ .

(١) الشيصبان : اسم الشيطان .

وقوله:

أتى حسناً والحسين الرسولُ وقد برزوا ضحوةً يلعبان

وبعده من أبيات إشارة إلى ما أخرجه الطبراني عن يعلى بن مرة وسلمان قالا: كنا حول النبي ﷺ فجاءت أم أيمن فقالت: يا رسول الله! لقد ضلّ الحسن والحسين وذلك راد النهار. يقول: ارتفاع النهار. فقال رسول الله ﷺ: قوموا فاطلبوا ابني وأخذ كل رجل تجاه وجهة وأخذت نحو النبي ﷺ فلم يزل حتى أتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين يلتزقان، واحد منهما صاحبه وإذا شجاع على ذنبه يخرج من فيه شبه النار فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب فدخل بعض الأحجرة ثم أتاهما فأفرق بينهما ومسح وجوههما وقال: بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله. ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوبى لكما نعم المطيئة مطيئكما. فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما. الجامع الكبير للسيوطي كما في ترتيبه ج ٧ ص ١٠٦.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٧ عن عمر: قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نعم الفرس راحلتكما. وفي لفظ ابن شاهين في السنة: نعم الفرس تحتكما: فقال النبي ﷺ: ونعم الفارسان هما

٧ - عن سليمان بن أرقم قال: كنت مع السيد فمر بقاص على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يوزن رسول الله ﷺ يوم القيامة في كفة بأمته أجمع فيرجح بهم، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح، فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمرى إن رسول الله ﷺ ليرجح على أمته في الفضل، والحديث حق، وإنما رجح الأخران الناس في سيئاتهم، لأن من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها^(١) قال: فما

(١) أخرج حديث: من سن. ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٩٠ ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم.

أجابه أحد فمضى فلم يبق أحد من القوم إلا سبه. [الأغاني ج ٧ ص ٢٧١].

٨ - عن محمد بن كناسة قال: أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيد رداءً عدنياً، فكتب إليه السيد فقال:

وقد أتانا رداءً من هديتكم فلا عدمتك طول الدهر من والٍ
هو الجمال جزاك الله صالحاً لو أنه كان موصولاً بسربالٍ

فبعث إليه بخلعة تامة وفرس جواد وقال: يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا.

٩ - روى المرزباني مسنداً عن الحرث بن عبيدالله بن الفضل قال: كنا عند المنصور فأمر بإحضار السيد فحضر قال: أنشدني مدحك لنا في قصيدتك الميمية التي أولها:

أتعرف داراً عفى رسمها
ودع التشبيب. فأنشده وقال:

فإنك والله تستعصم فدع ذا وقل في بني هاشم
وحبكم خير ما يعلم بني هاشم حبكم قربة
كذاك غداً بكم يهتم بكم فتح الله باب الهدى
ألا لائي فيكم اليوم ألام وألقى الأذى فيكم
سوى أنني بكم مغرم وما لي ذنب يعدونه
وإني بحبكم معصم وإني لكم وامق ناصح
مأثر فرعون أو أعظم فأصبحت عندهم مائي
كما أنا عندهم متهم فلا زلت عندكم مرتضى
على رغم أنف الذي يرغم جعلت ثنائي ومدحي لكم

فقال له المنصور: أظنك أوديت في مدحنا كما أودى حسان بن ثابت في مدح رسول الله ﷺ وما أعرف هاشمياً إلا ولك عليه حق. والسيد يشكره وهو يكلمه بكلام من وصفه ما سمعته يقول لأحد مثله.

١٠ - روى المرزباني في أخبار السيد بإسناده عن جعفر بن سليمان قال: كنا عند المنصور فدخل عليه السيد فقال له: أنشدني قصيدتك التي تقول فيها:

ملك ابن هند وابن أروى قبله	ملكاً أمر بحله الإبرام
وأضاف ذاك إلى يزيد ملكه	إثم عليه في الورى وغرام
أخزى الإله بني أمية إنهم	ظلموا العباد بما أتوه وحاموا
نامت جدودهم وأسقط نجمهم	والنجم يسقط والجدود تنام
جزعت أمية من ولاية هاشم	وبكت ومنهم قد بكى الإسلام
إن يجزعوا فلقد أتتهم دولة	وبها تدوم عليكم الأيام
فلكم يكون بكل شهر أشهر	وبكل عام واحد أعوام
يا رهط أحمد إن من أعطاكم	ملك الورى وعطاؤه أقسام
ردّ الوراثة والخلافة فيكم	وبنو أمية صاغرون رغام
لمتمم لكم الذي أعطاكم	ولكم لديه زيادة وتمام
أنتم بنو عم النبي عليكم	من ذي الجلال تحية وسلام
وورثتموه وكنتم أولى به	إن الولاء تحوزه الأرحام
ما زلت أعرف فضلكم ويحبكم	قلبي عليه وإنني لغلام
أوذى وأشتم فيكم ويصيبني	من ذي القرابة جفوة وملام
حتى بلغت مدى المشيب فأصبحت	مني القرون كأنهن ثغام ^(١)

قال: فرأيت المنصور يلقيه من كل شيء كان بين يديه ويقول: شكراً لله ولك يا إسماعيل حبك لأهل البيت صلى الله عليهم، ومدحك لهم، وجزاك عنا خيراً، يا ربيع ادفع إلى إسماعيل فرساً وعبداً وجاريةً وألف درهم واجعل الألف له في كل شهر.

١١ - عن الجاحظ عن إسماعيل الساحر قال: كنت أسقي السيد الحميري

(١) الثغام: شجر أبيض الزهر واحده: ثغامة. يقال: صار الرأس ثاغماً. أي أبيض.

وأبا دلامة فسكر السيد وغمض عينيه حتى حسبناه نام فجاءت بنت لأبي دلامة قبيحة الصورة فضمها إليه ورقصها وهو يقول:

ولم ترضعك مريم أم عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيم
ففتح السيد عينه وقال:

ولكن قد تضمك أم سوء إلى لبساتها وأب لثيم

«لسان الميزان ج ١ ص ٤٣٨».

١٢ - روى شيخ الطائفة كما في أمالي ولده ص ١٢٤ بإسناده عن محمد ابن جبلة الكوفي قال: اجتمع عندنا السيد بن محمد الحميري، وجعفر بن عفان الطائي^(١) فقال له السيد: ويحك أتقول في آل محمد عليهم السلام شراً: ما بال بيتكم يُخرَّب سقفه وثيابكم من أرزل الأثواب؟

فقال جعفر: فما أنكرت من ذلك؟ فقال له السيد: إذا لم تحسن المدح فاسكت أيوصف آل محمد بمثل هذا؟ ولكني أعذرك هذا طبعك وعلمك ومنتهاك وقد قلت أنحو عنهم عار مدحك:

أقسم بالله وآلئه والمرء عما قال مسؤل
إن علي بن أبي طالب على التقى والبر مجبول
وإنه كان الإمام الذي له على الأمة تفضيل
يقول بالحق ويعني به ولا تلهيه الأباطيل
كان إذا الحرب مرتها القنا وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفه أبيض ماضي الحد مصقول
مشي العفرني^(٢) بين أشباله أبرزه للقنص^(٣) الغيل^(٤)

(١) أبو عبدالله المكفوف من شعراء الكوفة له في أهل البيت مرثي استنشدتها الإمام الصادق صلوات الله عليه.

(٢) يقال: أسد عفرني. أي: شديد.

(٣) قنص الطير قنصاً: صاده. والقنص بفتح القاف والنون: المصيدة.

(٤) الغيل: الأجمة. موضع الاسد ج أغيال وغيول.

ذاك الذي سلّم في ليلة عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مدداً أنزلوا كأنهم طير أبابيل
فسلّموا لما أتوا حذوه وذاك إعظام وتبجيل

كذا يُقال فيه يا جعفر! وشعرك يُقال مثله لأهل الخصاصة والضعف. فقبّل جعفر رأسه وقال: أنت والله الراس يا أبا هاشم، ونحن الأذنان. وهذا الحديث رواه أبو جعفر الطبري في الجزء الثاني من «بشارة المصطفى» عن الشيخ أبي علي ابن شيخ الطائفة عن أبيه بإسناده.

خلفاء عصره:

أدرك السيّد عشراً من الخلفاء: خمسة من بني امية وخمسة من بني العباس وهم:

١ - هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥ عن خلافة ١٩ سنة و ٩ أشهر. وُلد السيّد في أوّل خلافته.

٢ - وليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول سنة ١٢٦.

٣ - يزيد بن الوليد المتوفى سنة ١٢٦ عن ملك ستة أشهر.

٤ - إبراهيم بن الوليد المتوفى سنة ١٢٧ عن ملك ثلاثة أشهر.

٥ - مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم المقتول سنة ١٣٢ وبه انقرضت دولتهم.

٦ - السفّاح أوّل من تسنّم بالملك من بني العباس سنة ١٣٢ توفي سنة

١٣٦ وللسيّد فيه شعرٌ يوجد في الأغاني، وفوات الوفيات، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢١٤. وكانت جراية السيّد منه كلّ سنة جاريةً ومن يخدمها، وبدره دراهم وحاملها، وفرساً وسائسها، وتختاً من صنوف الثياب وحامله.

٧- المنصور المتوفى سنة ١٥٨ وكان حسن الحال عنده يطلق لسانه بما أراد، وكانت جرايته للسيد كل شهر ألف درهم.

٨- المهدي بن المنصور المتوفى سنة ١٦٩ تورع عنه السيد في أول خلافته وهجاه فأخذ واعتذر فرضي عنه فمدحه . مرّ بعض أخباره معه .

٩- الهادي بن المهدي المتوفى سنة ١٧٠ .

١٠- الرشيد المتوفى سنة ١٩٣ بعد ملك ٢٣ عاماً مدحه السيد بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرقهما فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا .

قال المرزباني في أخبار السيد: لَمَّا ولي الرشيد رُفِعَ إليه في السيد أنه رافضي فأحضره فقال: إن كان الرافضي هو الذي يحب بني هاشم ويُقدّمهم على سائر الخلق فما اعتذر منه ولا أزول عنه، وإن كان غير ذلك فما أقول به ثم أنشد:

شجاك الحي إذ بانوا	فدمع العين هتّانُ
كأنّي يوم ردّوا العيس	للرحلة نشوانُ
وفوق العيس إذ ولّوا	بها حورٌ وغزلانُ
إذا ما قمن فالاعجا	ز في التشبيه كثبانُ
وما جاوز للأعلى	فأقمارٌ وأغصانُ

ومنها:

عليّ وأبو ذرّ	ومقداد وسلمانُ
وعبّاسٌ وعمّار	وعبدالله إخوانُ
دعوا فاستودعوا علماً	فأدّوه وما خانوا
أدين الله ذا العزّة	بالدين الذي دانوا
وعندي فيه إيضاحُ	عن الحقّ وبرهانُ
وما يجحد ما قد قل	ت في السبطين إنسانُ

وإن أنكروا ذو النصب فعندي فيه عرفان
 وإن عدّوه لي ذنباً وحال الوصل هجران
 فلا كان لهذا الذنب عند القوم غفران
 وكم عدت إساءات لقوم وهي إحسان
 وسري فيه يا داعي دين الله إعلان
 فحببي لك إيمان وميلي عنك كفران
 فعُدّ القوم ذا رفضاً فلا عدّوا ولا كانوا

قال: فالطف له الرشيد ووصله جماعة من بني هاشم.

صفته في خلقته:

كان السيد الحميري أسمر، تامّ القامة، أشنب^(١) ذا وفرة^(٢)، جميل الوجه، رحيب الجبهة، عريض ما بين السالفتين، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كلّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه، وكان من أظرف الناس.

قال شيبان بن محمّد الحرّاني - وكان يُلقّب بعوضة من سادات الأزد -:
 كان السيد جاري وكان أدلم وكان يُنادم فتياناً من فتیان الحيّ فيهم فتى مثله أدلم
 غليظ الأنف والشفّتين مزنج الخلقة. وكان السيد من أنتن الناس إبطين وكانا
 يتمازحان فيقول له السيد: أنت زنجي الأنف والشفّتين. ويقول الفتى للسيد:
 أنت زنجي اللون والإبطين. فقال السيد:

أعارك يوم بعناه رباح^(٣) مشافره وأنفك ذا القبيحا
 وكانت حصّتي إبطين منه ولوناً حالكاً أمسى فضوحا

(١) الشنب: البياض والبريق والتحديد في الأسنان.

(٢) الوفرة: ما جاوز شحمة الاذنين من الشعر.

(٣) من أسماء العبيد.

فهل لك في مبادلتك إبطي بأنفك؟ تحمد البيع الربيعا
فإنك أقبح الفتيان أنفاً وإبطي أنتن الأباط ريعا

الأغاني ج ٧ ص ١٣٣ ، أمالي ابن الشيخ ص ٤٣ .

ولادته، ووفاته:

ولد سيد الشعراء الحميري سنة ١٠٥ بعمّان^(١) ونشأ في البصرة في حضانة والديه الإباضيّين إلى أن عقل وشعر فهاجرهما واتصل بالأمير عقبة بن سلم وتزوّف لديه حتى مات والداه فورثهما كما مرّ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ثم غادر البصرة إلى الكوفة وأخذ فيها الحديث عن الأعمش وعاش متردداً بينهما.

وتوفي في الرميّة ببغداد في خلافة الرشيد وهذا هو المتسالم عليه وكفن بأكفان وجّهها الرشيد بأخيه وصلى عليه أخوه علي بن المهدي^(٢) وكبر خمساً على طريق الإمامية ووقف على قبرة إلى أن سطح بأمر من الرشيد ودفن في جنيّة^(٣) ناحية من الكرخ مما يلي قطيعة الربيع^(٤).

أما سنة وفاته فقد أرّخها المرزباني سنة ١٧٣ ونقلها القاضي المرعشي في مجالسه عن خط الكفعمي^(٥) وقال ابن حجر بعد نقل التاريخ المذكور عن أبي الفرج: أرّخه غيره سنة ١٧٨ وأرّخه ابن الجوزي سنة تسع.

روى المرزباني بإسناده عن ابن أبي حودان قال: حضرت السيد ببغداد عند موته فقال لغلام له: إذا مت فأت مجمع البصريّين وأعلمهم بموتي وما أظنه يجيء منهم إلا رجل أو رجلان ثم اذهب إلى مجمع الكوفيّين فأعلمهم بموتي أنشدهم:

(١) لسان الميزان ج ١ ص ٤٣٨ .

(٢) فما في مجالس المؤمنين وبعض المعاجم: صلى عليه المهدي فيه تصحيف إذ المهدي توفي سنة ١٦٩ قبل المترجم بسنين.

(٣) الجنيّة تصغير جنة وهي الحديقة والبستان.

(٤) تنسب إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور.

(٥) أحد شعراء الغدير في القرن العاشر تأتي هناك ترجمته.

يا أهل كوفان إني وامق لكم
 أهواكم وأواليكم وأمدحكم
 لحبكم لوصي المصطفى وكفى
 والسيد أولي الحسنى ونجلهم
 هو الإمام الذي نرجو النجاة به
 كتبت شعري إليكم سائلاً لكم
 أن لا يليني سواكم أهل بصرتنا
 ولا السلاطين إن الظلم حالفهم
 وكفوني بياضاً لا يخالطه
 ولا يُشيعني النصاب إنهم
 عسى الإله ينجيني برحمته

مد كنت طفلاً إلى السبعين والكبر
 حتماً علي كمتوم من الفدر
 بالمصطفى وبه من سائر البشر
 سمي من جاء بالآيات والسور
 من حر نار على الأعداء مستعر
 إذ كنت أنقل من دار إلى حفر
 الجاحدون أو الحادون للبدر
 فعرفهم صائر لا شك للنكر
 شيء من الوشي أو من فاخر الحبر
 شر البرية من انثى ومن ذكر
 ومدحي الغر الزاكين من سقر

فإنهم ليسارعون إلي ويكبرون. فلما مات فعل الغلام ذلك فما أتى من
 البصريين إلا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان وعطر، وأتى من الكوفيين خلق عظيم معهم
 سبعون كفنًا، ووجه الرشيد بأخيه علي وبأكفان وطيب؛ فردت أكفان العامة
 عليهم وكفن في أكفان الرشيد، وصلى عليه علي بن المهدي وكبر خمسا ووقف
 على قبره إلى أن سطح ومضى، كل ذلك بأمر الرشيد. وروى مجيء الكوفيين
 بسبعين كفنًا عن أبي العينا^(١) عن أبيه وزاد: فلما مات دفن بناحية الكرخ مما
 يلي قطعة الربيع.

وفي حديث موته له مكرمة خالدة تُذكر مدى الدهر، وتقرأ في صحيفة
 التاريخ مع الأبد. قال بشير بن عمار حضرت وفاة السيد في الرملة ببغداد فوجه
 رسولا إلى صف الجزارين الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب
 إلى صف المسموسين (كذا) فشتموه ولعنوه، فعلم أنه قد غلط، فعاد إلى
 الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته فوفاه سبعون كفنًا قال: وحضرنا جميعاً وإنه

(١) أبو عبدالله محمد بن القاسم بن خلاد البصري المتوفى سنة ٢٨٣.

ليتحسّر تحسراً شديداً وأنَّ وجهه لاسودَّ كالقار وما يتكلّم إلا أن أفاق إفاقة وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة (جهة النجف الأشرف) ثم قال: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليّك؟ قالها ثلاث مرّات مرّة بعد اخرى قال: فتجلّى والله في جبينه عرقٌ بياضٌ فما زال يتّسع ولبس وجهه حتى صار كله كالبدر وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنيّة ببغداد وذلك في خلافة الرشيد.

الأغاني ج ٧ ص ٢٧٧ .

وقال أبو سعيد محمّد بن رشيد الهروي: إنَّ السّيّد اسودَّ وجهه عند الموت فقال: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ فابيضَّ وجهه كأنه القمر ليلة البدر فأنشأ يقول:

أحبُّ الذي من مات من أهل ودّه	تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحكُ
ومن مات يهوى غيره من عدوه	فليس له إلا إلى النار مسلكُ
أبا حسن أفديك نفسي واسرتي	ومالي وما أصبحت في الأرض أملكُ
أبا حسن إنّي بفضلك عارفُ	وإنّي بحبل من هواك الممسكُ
وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه	فإننا نُعادي مبغضيك ونتركُ
ولاح لحاني في عليّ وحزبه	فقلت: لحاك الله إنك أعفكُ
مواليك ناجٍ مؤمنٌ بين الهدى	وقاليك معروف الضلالة مشركُ

رجال الكشي ص ١٨٥ ، أمالي ابن الشيخ ص ٣١ ، بشارة المصطفى .

وقال الحسين بن عون: دخلت على السّيّد الحميري عائداً في علته التي مات فيها فوجدته يُساق به ووجدت عنده جماعةً من جيرانه وكانوا عثمانيةً وكان السّيّد جميل الصورة رحيب الجبهة عريض ما بين السالفتين فبدت في وجهه نقطة سوداء مثل النقطة من المداد ثم لم تزل تزيد وتنمي حتى طبقت وجهه يعني اسوداداً فاغتم لذلك من حضره من الشيعة فظهر من الناصبة سرورٌ وشماتةٌ فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل

تزيد بياضاً وتنمى حتى اسفرَّ وجهه وأشرق وافترَّ السيدُّ ضاحكاً وأنشأ يقول:

كذب الزاعمون أن علياً لن يُنجي محبُّه من هناتٍ
قد وربي دخلت جنة عدن وعفى لي الإله عن سيّاتي
فابشروا اليوم أولياء عليٍّ وتولّوا عليٌّ حتى المماتِ
ثم من بعده تولّوا بنيه واحداً بعد واحد بالصّفاتِ

ثم أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلا الله حقّاً حقّاً. وأشهد أن محمداً رسول الله حقّاً حقّاً^(١) وأشهد أن علياً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً. أشهد أن لا إله إلا الله ثم غمّض عينيه لنفسه فكأنما كانت روحه ذبالة^(٢) طفأت أو حصاة سقطت.

أمالي الشيخ ص ٤٣، مناقب السروي ج ٢ ص ٢٠، كشف الغمة ص

. ١٢٤

تضله في العلم والتاريخ:

إنَّ مَنْ يقف على موارد حجاج السيد الحميري والمعاني التي طرقها في شعره ومحاوراته مع مَنْ عاصره من رجال الفريقين، جدُّ عليهم بما له من خطوات واسعة والشوط البعيد في فهم مغازي الكتاب الكريم وفقه السنّة الشريفة، وأن تهالكة في ولاء أهل البيت عليهم السّلام كان على بصيرة من أمره عن علم متدفق، ومعرفة ناضجة لا كمن يتلقّى المبدأ عن تقليد بحت ومدرك بسيط، ويغلب على فكره الجلبة والسخب فمن نماذج علمه ما مرَّ ص ٣٠١ من حجاجه مع القاضي سوار في مجلس المنصور حول القول بالرجعة وإفحامه إيّاه بالكتاب والسنّة. وما مرَّ ص ٣٠٨ .

(١) في لفظ السروي: صدقاً صدقاً. وأشهد أن علياً وليّ الله رفقا رفقا.

(٢) الذبالة: الفتيلة ج ذبال.

قال المرزباني في أخبار السيد: قيل: إن السيد حج أيام هشام فلقى الكميت فسلم عليه وقال: أنت القائل:

ولا أقول إذا لم يُعطيا فديكاً بنت الرسول ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا حضرا؟!

قال: نعم قلته تقيّة من بني امية وفي مضمون قولي شهادة عليهما أنهما أخذتا ما كان في يدها. فقال السيد: لولا إقامة الحجّة لوسعني السكوت، لقد ضعفت يا هذا عن الحق، يقول رسول الله ﷺ: فاطمة بضعة مني يُريني ما رابها، وإن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. فخالفت رسول الله ﷺ، وهب لها فديكاً بأمر الله له وشهد لها أمير المؤمنين والحسن والحسين وأمّ أيمن بأن رسول الله ﷺ أقطع فاطمة فديكاً فلم يحكما لها بذلك والله تعالى يقول: يرثني ويرث من آل يعقوب. ويقول: وورث سليمان داود. وهم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم الصلاة وشهادة المرأة لأبيها: إن رسول الله ﷺ قال: مروا فلاناً بالصلاة بالناس. فصُدّقت المرأة لأبيها ولا تُصدّق فاطمة وعليّ والحسن والحسين وأمّ أيمن في مثل فديك، وتطالب مثل فاطمة بالبينة على ما ادعت لأبيها، وتقول أنت مثل هذا القول. وبعد: فما تقول في رجل حلف بالطلاق أن الذي طلبت فاطمة عليها السلام هو حق وأن علياً والحسن والحسين وأمّ أيمن ما شهدوا إلا بحق ما تقول في طلاقه؟! قال: ما عليه طلاق قال: فإن حلف بالطلاق أنهم قالوا غير الحق؟! قال: يقع الطلاق لأنهم لم يقولوا إلا الحق. قال: فانظر في أمرك. فقال الكميت أنا تائب إلى الله ممّا قلت وأنت يا أبا هاشم أعلم وأفقه منا.

وهو مع تضلعه في علمي الكتاب والسنة ومعرفته بالحجج الدينية وبصيرته بمناهج الحجاج في المذهب وإقامة الحجّة على من يُضادّه في المبدأ كان له يدٌ غير قصيرة في التاريخ وله كتاب (تاريخ اليمن) ذكره له الصفدي في «الوافي بالوفيات» ج ١ ص ٤٩.

وفي شعره الطافح بمعاني الكتاب والسنة شهادة صادقة على إحاطته بما

فيها من مرامي وإشارات ونصوص وتصريحات، وكلما ازدادت الفضيلة قوة، والبرهان وضوحاً، وكانت الحجّة بالغة كان اعتناؤه بسرد القريض فيها أكثر كحديث الغدير والمنزلة والتطهير والراية والطير وأمثالها، ومنها: حديث العشيرة الوارد في قوله تعالى: وأنذر عشيرتک الأقربين، في بدء الدعوة النبوية فقد أشار إليه في عدة قصائد منها قوله:

يا أمير المؤمنين	بأبي أنت وأمّي
وبرهطي أجمعينا	بأبي أنت وأمّي
وبناتي والبنينا	وبأهلي وبمالي
يا إمام المتقين	وفدتك النفس مني
رث علم الأولينا	وأمين الله والوا
أحمد خير المرسلينا	ووصي المصطفى
ثد عنه المحدثينا	وولي الحوض والذا
س وخير الناس دينا	أنت أولى الناس بالنا
يوم يدعو الأقربينا	كنت في الدنيا أخاه
ه فكانوا أربعينا	ليُجيبوه إلى الدّ
حوله كانوا عرينا	بين عمّ وابن عمّ
والكتاب المستبين	فورثت العلم منه
ورضيعاً وجنيننا	طبت كهلاً وغلماً
يوم كان الخلق طينا	ولدى الميثاق طينا
عند ذي العرش مكينا	كنت مأموناً وجيهاً
طيّباً لطاهرينا	في حجاب النور حيّاً

وقوله من قصيدة لم نقف على تمامها:

صلّى وآمن بالرحمن إذ كفروا	من فضله أنه قد كان أول من
مع النبي على خوف وما شعروا	سنين سبعاً وأياماً محرّمة
أنذر عشيرتک الأدين إن بصروا	ويوم قال له جبريل: قد علموا

فقام يدعوهم من دون أمته
فمنهم آكل في مجلس جذعاً
فصدّهم عن نواحي قصعة شبعاً
فقال: يا قوم ان الله أرسلني
فأيكم يجتبي قولي ويؤمن بي
فقال: تبا أتدعوننا لتلفتنا
من ذا الذي قال منهم وهو أحدثهم
أمنت بالله قد أعطيت نافلة
وإن ما قلته حق؟! وإنهم
فهاز قدماً بها والله أكرمه

وقوله من قصيدة لم توجد بتمامها:
علي عليه ردت الشمس مرة
وردت له اخرى يبابل بعدما
وقيل له: أنذر عشيرتك الأولى
فقال لهم: إني رسول إليكم
وقد جئتكم من عند رب مهيمن
فأيكم يقفو مقالي؟! فأمسكوا
فهاز بها منهم علي وسادهم

حديث بدء الدعوة في السنة والتاريخ والأدب

أخرجه غير واحد من الأئمة وحفاظ الحديث من الفريقين في الصحاح
والمسانيد ومر عليه آخرون منهم ممن يُعتدّ بقوله وتفكيره مخبتين به من دون أي

(١) العس بضم العين: القدح أو الإناء الكبير ج عساس وأعساس.
(٢) الودرة من اللحم: القطعة الصغيرة منه ج وذر ووذر.

غمز في الإسناد أو توقف في متنه . وتلقاه المؤرخون من الأمة الإسلامية وغيرها بالقبول، وأرسل في صحيفة التاريخ إرسال المسلم، وجاء منظوماً في أسلاك الشعر والقريض وسيوافيك في شعر الناشي الصغير المتوفى سنة ٣٦٥ وغيره .

لفظ الحديث

أخرج الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٦ عن ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن العباس عن علي بن أبي طالب قال: لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: وأنذر عشيرتك الأقربين^(١) دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي! إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبريل فقال: يا محمدا! إنك إلا تفعل ما تؤمر به يُعذِّبك ربك . فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به . ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال: خذوا بسم الله . فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: إسق القوم . فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى روي منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بذرّه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقدماً سحركم صاحبكم . فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال في الغد: يا علي! إن هذا

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم إليّ. قال: ففعلت ثمّ جمعتهم ثمّ دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة ثمّ قال: إسقهم. فجثتهم بذلك العسّ فشربوا حتّى رُؤوا منه جميعاً ثمّ تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنّي جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت واني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله! أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال: إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

وبهذا اللفظ أخرجه الإسكافي المتكلم المعتزلي البغدادي المتوفى سنة ٢٤٠ في كتابه نقض العثمانية^(١) وقال: إنه روي في الخبر الصحيح. ورواه الفقيه برهان الدين^(٢) في [أبناء نجباء الأبناء] ص ٤٦ - ٤٨. وابن الأثير في «الكامل» ج ٢ ص ٢٤. وأبو الفدا عماد الدين الدمشقي في تاريخه ج ١ ص ١١٦. وشهاب الدين الخفاجي في «شرح الشفاء» للقاضي عياض ج ٣ ص ٣٧ (وبتر آخره) وقال: ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح. والخازن علاء الدين البغدادي في تفسيره ص ٣٩٠. والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٢ نقلاً عن الطبري وفي ص ٣٩٧ عن الحفاظ الستة: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبي نعيم، والبيهقي، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٤. وذكره

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن ظفر المكي المغربي المولود سنة ٤٩٧ والمتوفى سنة ٥٦٧ / ٦٥.

المؤرخ جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ ص ٣١، والاستاذ محمد حسين هيكل في حياة محمد ص ١٠٤ من الطبعة الأولى.

ورجال السند كلهم ثقات إلا أبو مريم عبد الغفار بن القاسم فقد ضعفه القوم وليس ذلك إلا لتشيعه فقد أثنى عليه ابن عقدة وأطراه وبالح في مدحه كما في (لسان الميزان) ج ٤ ص ٤٣، وأسند إليه وروى عنه الحفاظ المذكورون وهم أساتذة الحديث، وأئمة الأثر، والمراجع في الجرح والتعديل، والرفض والإحتجاج، ولم يقذف أحد منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبي مريم في اسناده، واحتجوا به في دلائل النبوة والخصائص النبوية.

وصححه أبو جعفر الإسكافي وشهاب الدين الخفاجي كما سمعت وحكى السيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٦ تصحيح ابن جرير الطبري له. على أن الحديث ورد بسند آخر رجاله كلهم ثقات كما يأتي، أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ١١١ بسند رجاله كلهم من رجال الصحاح بلا كلام وهم: شريك، الأعمش، المنهال، عباد.

وليس من العجيب ما هملج به ابن تيمية من الحكم بوضع الحديث فهو ذلك المتعصب العنيد، وأن من عاداته إنكار المسلمات، ورفض الضروريات، وتحكماته معروفة، وعرف منه المنقّبون أن مدار عدم صحة الحديث عنده هو تضمّنه فضائل العترة الطاهرة.

صورة اخرى:

جمع رسول الله ﷺ أو: دعا رسول الله ﷺ. بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذع ويشرب الفرق قال: فصنع لهم مدًا من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ، ثم دعا بغمر فشربوا حتى روي وبقي الشراب كأنه لم يُمسّ. أو: لم يُشرب. ثم قال: يا بني عبد المطلب، إنني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما رأيتم، فأياكم يُبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد فقامت إليه

وكنْتُ أصغر القوم قال: فقال: اجلس. قال: ثم قال ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس. حتّى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي.

أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ١٥٩ عن عفّان بن مسلم (الثقة المترجم له ج ١ ص ١١٦) عن أبي عوانة (الثقة المترجم له ج ١ ص ١٠٧) عن عثمان بن المغيرة (الثقة) عن أبي صادق (مسلم الكوفي الثقة) عن ربيعة بن ناجذ (التابعي الكوفي الثقة) عن عليّ أمير المؤمنين.

وبهذا السند والمتن أخرجه الطبري في تاريخه ج ١ ص ٢١٧، والحافظ النسائي في «الخصائص» ص ١٨، وصدر الحفاظ الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ٨٩، وابن أبي الحديد في [شرح النهج] ج ٣ ص ٢٥٥، والحافظ السيوطي في [جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٨].

صورة ثالثة:

عن أمير المؤمنين قال: لَمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾. دعا بني عبد المطلب وصنع لهم طعاماً ليس بالكثير فقال: كلوا باسم الله من جوانبها فإنّ البركة تنزل من ذروتها. ووضع يده أولهم فأكلوا حتّى شبعوا ثمّ دعا بقدر فشرب أولهم ثمّ سقاهم فشربوا حتّى رووا، فقال أبو لهب: لقدماً سحرّكم. وقال: يا بني عبد المطلب إنّي جئتكم بما لم يجيء به أحد قطّ أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وإلى الله وإلى كتابه. فنفروا وتفرّقوا مثل ذلك، ثمّ قال لهم ومدّ يده: من بايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي؟! فمددت يدي وقلت: أنا أبايعك، وأنا يومئذ أصغر القوم عظيم البطن فبايعني على ذلك. قال: وذلك الطعام أنا صنعته.

أخرجه الحفاظ ابن مردويه بإسناده، ونقله عنه السيوطي في [جمع الجوامع] كما في الكترج ج ٦ ص ٤٠١.

صورة رابعة:

(بعد ذكر صدر الحديث) ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، إنّ

الله قد بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة، فقال: وأنذر عشيرتك الأقربين. وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان: شهادة أن لا إله إلا الله. وأني رسول الله. فمن يُجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني يكن أخي ووزيرى ووصيى ووارثى وخليفتى من بعدى. فلم يُجبه أحدٌ منهم، فقام عليٌّ وقال: أنا يا رسول الله! قال: اجلس. ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا فقام عليٌّ وقال: أنا يا رسول الله! فقال: اجلس. ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يُجبه أحدٌ منهم فقام عليٌّ فقال: أنا يا رسول الله! فقال: اجلس فأنت أخي ووزيرى ووصيى ووارثى وخليفتى من بعدى.

أخرجه الحافظان ابن أبي حاتم، والبغوي، ونقله عنهما ابن تيمية في (منهاج السنة) ج ٤ ص ٨٠، وعنه الحلبي في سيرته ج ١ ص ٣٠٤.

صورة خامسة:

مرّ ص ١١٨ في حديث قيس ومعاوية فيما رواه التابعي الكبير أبو صادق الهلالي في كتابه عن قيس: فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع بني عبد المطلب فيهم: أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وخادمه عليٌّ عليه السلام ورسول الله في حجر عمّه أبي طالب فقال: أيكم ينتدب أن يكون أخي ووزيرى ووصيى وخليفتى في أمّتي وولي كل مؤمن من بعدى؟! فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال عليٌّ أنا يا رسول الله صلى الله عليك فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهم املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثم قال لأبي طالب: يا أبا طالب! اسمع الآن لإبنك وأطع فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى.

صورة سادسة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ / ٣٧، المترجم له ج ١ ص ١٤٣ في تفسيره (الكشف والبيان) عن الحسين بن محمد بن الحسين قال:

حدَّثنا موسى بن محمد حدَّثنا الحسن بن علي بن شعيب^(١) العمري حدَّثنا عباد بن يعقوب، حدَّثنا علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: لَمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس، فأمر علياً برجل شاة فأدمها ثم قال: أدنوا بسم الله. فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا باسم الله. فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب! إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال: مَنْ يُوَاحِشِنِي وَيُوَازِرُنِي وَيَكُونُ وَلِيِّي وَوَصِيِّي بَعْدِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي يَقْضِي دِينِي؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: أنا. فقال في المرة الثالثة: أنت. فقام وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك.

وبهذا السند والتمن أخرجه صدر الحفاظ الكنجي الشافعي في الكفاية ص ٨٩، وجمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين» بتغيير يسير في لفظه.

صورة سابعة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبي في - الكشف والبيان - عن أبي رافع وفيه: ثم قال إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم عشيرتي ورهطي، وإن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في أهله، فأياكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووزير ووصي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فسكت القوم فقال: ليقومن قائمكم أو ليكونن

(١) في كفاية الكنجي: شبيب.

في غيركم ثم لتندمن. ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام علي فبايعه وأجابه ثم قال: أدن مني. فدنا منه ففتح فاه ومج في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثديه فقال أبو لهب: فبئس ما حبوت به ابن عمك! إن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً. فقال ﷺ: ملأته حكمةً وعلماً.

وفي كتاب [الشهيد الخالد الحسين بن علي] تأليف الأستاذ حسن أحمد لطفي. قال في ص ٩: إن النبي علي ما رواه كثيرون لما جمع أعمامه واسرته لينذرهم قال لهم فأيتكم يوازرنني علي هذا الأمر علي أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم الجميع إلا علي وكان أصغرهم فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ الرسول صلى الله عليه وآله برقبته ثم قال: هذا وصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

وفي (كتاب محمد) تأليف توفيق الحكيم ص ٥٠: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جثتكم به، قد جثتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأيتكم يوازرنني علي هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قريش: لا أحد، لا أحد.

أعرابي: نعم لا أحد يوازرك علي هذا حتى ولا كلب الحي.

علي: أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب علي من حاربت.

وذكر الحديث الصحافي القدير عبد المسيح الأنطاكي المصري^(١) في تعليقه علي علويته المباركة ص ٧٦ ولفظ الحديث فيه: فمن يجيني إلى هذا الأمر ويوازرنني علي القيام به يكن أخي ووزيري وخليفتي من بعدي؟ فلم يجبه أحد من بني عبد المطلب إلا علي وكان أحدثهم سناً فقال: أنا يا رسول الله! فقال المصطفى: اجلس. ثم أعاد القول ثانياً فصمت القوم وأجاب علي: أنا يا

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأني هناك ترجمته.

رسول الله . فقال المصطفى : اجلس . ثم أعاد القول ثالثاً فلم يكن في بني عبد المطلب من يُجيبه غير عليّ فقال : أنا يا رسول الله . حينئذ قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : اجلس فأنت أخي ووزير ووصي ووارثي وخليفتي من بعدي . فمضى القوم . الخ . ونظم هذه الإثارة بقوله من قصيدته المذكورة :

وتلك بعثته الزهراء عليه صلا	ة الله للخلق عربيها وعجميها
فصار يدعو إليها من توسم فيه	ه الخير سرّاً وخوف الشر يُخفيها
بذا ثلاثة أعوام قضى وله	قد دان بعض قريش واهتدوا فيها
وبعدها جاءه جبريل يأمره	بأن يجاهر بالإسلام مُجريها
وقال : فاصدع بأمر الله إنك مبع	وثٌ لتدعو إليه الناس تهديها
أنذر عشيرتك الدنيا بشرعتك الـ	غراً وأظهر لها أسنى معانيها
ومذ تبليغ أمر الله همّ به	بهمة ما اعتدا الكفار يشنيها
ولم يجد عضداً كي يستعين به	على مجاهرةٍ قد كان خاشيها
إلا العليّ فناده وأخبره	ببغيه حسب أمر الله باغيها
وقال هيء لنا في الحال مأدبة	وليتقنن لها الألوان طاهيها
فرجل شاة على صاع الطعام واع	ساس لها اللبن النوقي يملها
وادع الهواشم باسمي كي أشافها	بأمر ربّي باريّ وباريها
قام العليّ بأمر المصطفى ودعا	إلى وليمته أكرم بداعيها
أبناء هاشم هم كانوا عشيرته	ولم يكن فيهم إلا مُلبيها
وعدهم كان عند الأربعين وهم	رجالة العرب في إحصاء محصيها
هذي عشيرة طه بل قرابته الـ	دنيا التي كان للاسلام راجيها
وإذ أتته تلقأها على رحب	ببشره وانثنى صفواً يُحييها
حتى إذا ما استوى فيها المقام لها	مدّ السماط وفيه ما يُشهيها
فأقبلت ورسول الله يخدمها	على الطعام ويعني كي يُهنّيها
حتى إذا أكلت ذاك الطعام ومن	ألبانه سُقيت والله كافيها
ظلّ الطعام كما قد كان وهو أيـ	م الله ما كان يكفي مُستجيعيها

وتلك معجزة للمصطفى وبها
وتمَّ ابتدر القوم الرسول بذك
وإذ أبو لهب في الحال قاطعه
وقال: يا ناس طه جاء يسحركم
هي انهضوا ودعوه أن يغش نفو
وهكذا ارفض ذلك الإجماع وأنفس
وعاد طه إلى تكرار دعوته
حتى إذا اجتمعت للأكل ثانية
فقال: ما جاء قبلي قومه أحد
لكم بها الخير في دنيا وآخرة
فمن يوازرنى منكم فذاك أخي
فلم يجد من لبيب راح مقتنعاً
وكلما ازداد تبياناً لبعثه ال
وتمَّ بولهب ناداه: ويلك لم
تبت يداه فإنَّ الجهل توّه
وكرر المصطفى أقواله علناً
فما رأى غير الباب مُحجَّرة
وأنفساً عن كتاب الله معرضة
وأحجمت كلها عن فيض رحمته
إلاَّ العليَّ فنأدى دونها: فأنا
نادى: أن أجلس ثلاثاً وهو يعرض دع
حتى إذا بات مأیوساً ومنزعجاً
عنها تولَّى إلى حيث العليُّ منو
وكان ماسكه من طوق رقبتة
وقال: هذا أخي ذا وارثي وخلي
وقال: فرض عليكم حسن طاعته

قام العليُّ وعنه نحن نرويه
رى يُمن بعثته يبدي خوفاً فيها
وموّه الحقُّ بالتضليل تمويهها
بذا الطعام احذروا الإضلال والتهيا
س الغير في هذه الدعوى ويصيبها
الجمع داجي الكفر غاشيها
وكان حيدرة المقدم راعيها
على الخوان اثني طه يفاهيها
بمثلها جئت من نعماء أسديها
إذا انضويتم إلى زاهي مغانيها
وذاك يُخلفني في رعي ناميها
بصدق بعثته أو راح راضيها
زهراء زادته تكذيباً وتسفيها
يجيء فتى قومه ما جئنا ايها
والكفر في دركات النار تتويها
وقد توسع إنذاراً وتنبئها
هيئات ليس يلين النصيح قاسيها
والكفر قد كان والإشراك معميها
مع يُمن دعوته فالكلُّ آبيها
نعماك يا هادي الأكوان باغيها
واؤه على القوم يبغي مُستجيبها
من الهواشم مُعي عن ترضيها
هاً به بين ذلك الجمع تنويها
يقول: هذا لها والله يحميها
فتي على أمتي يحمي مراعيها
بعدي وإمرته ويل لعاصيها

فأرفض جمعهم والهزء آخذهم إلى الغواية في أدجى دياجيتها
 وهم يقولون: أحكام الغلام عد سي يا أبا طالب كن من مطيعيها
 كذاك حيدرة ماشى النبوة مذ نادى بها المصطفى لبي مُناديها
 وشارك المصطفى من يوم أن وضع الأ ساس حتى انتهت عليا مبانيها

كلمة الإسكافي حول الحديث في كتابه النقض على العثمانية

قال بعد ذكر الحديث باللفظ المذكور ص ٣٢٣: فهل يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز؟! وغر غير عاقل؟! وهل يُؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟! وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلا عاقل لبيب؟! وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده ويُعطيه صفقة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك؟!! بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! ولم يلصق بأشكاله؟! ولم يُر مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدهم في طبقتهم، كبعضهم في معرفته، وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟! فيقال: وعاه بعض الصبا، وخاطر من خواطر الدنيا، وعملته الغرّة والحدثة على حضور لهوهم، والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلا ماضياً على إسلامه، مصمماً في أمره، محققاً لقوله بفعله، قد صدق إسلامه بعفاه وزهده، ولصق برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته، وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه، لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لما دعا رسول الله ﷺ الشجرة فأقبلت تخذ الأرض فقالت قريش: ساحرٌ خفيف السحر. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله! أنا أول من يؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوتك وبرهاناً على دعوتك.

فهل يكون إيماناً قطُّ أصبح من هذا الإيمان؟! وأوثق عقدة؟! وأحكم مرة؟! ولكن حنق العثمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ وانحرافه مما لا حيلة فيه.

جنايات على الحديث

منها: ما ارتكبه الطبري في تفسيره ج ١٩ ص ٧٤ فإنه بعد روايته له في تاريخه كما سمعت قلب عليه ظهر المجن في تفسيره فأثبتته برمته حرفياً متناً وإسناداً غير أنه أجمل القول فيما لهج به رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل من يُبادر إلى تلقي الدعوة بالقبول قال فقال: فأَيْكُمْ يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا؟! وقال في كلمته صلى الله عليه وآله الأخيرة: ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا.

وتبعه على هذا التقلب ابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ وفي تفسيره ج ٣ ص ٣٥١ فعل ابن كثير هذا وثقل عليه ذكر الكلمتين وبين يديه تاريخ الطبري وهو مصدره الوحيد في تاريخه وقد فصل فيه الحديث تفصيلاً لأنه لا يروق إثبات النص لأمر المؤمنين بالوصية والخلافة الدينية، والدلالة عليه والإشارة إليه. وهل هذه الغاية مقصد الطبري حينما حرف الكلم عن مواضعه في التفسير بعد ما جاء به صحيحاً في التاريخ على حين غفلة عنها؟! أنا لا أدري، لكن الطبري يدري. وأحسبك أيها القارىء جدُّ عليم بذلك.

ومنها: خزاية فاضحة تحملها محمد حسين هيكل حيث أثبت الحديث كما أوعزنا إليه في الطبعة الأولى من كتابه - حياة محمد - ص ١٠٤ بهذا اللفظ:

نزل الوحي: أن أنذر عشيرتك الأقربين. وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. وقل إني أنا النذير المبين. فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، ودعا محمد عشيرته إلى طعام في بيته وحاول أن يحدثهم داعياً إياهم إلى الله. فقطع عمه أبو لهب حديثه. واستنفر القوم ليقوموا. ودعاهم محمد في الغداة كرة أخرى. فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأَيْكُمْ

يُوازرنى على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟! فأعرضوا عنه وهمّوا بتركه لكن عليّاً نهض وما يزال صبيّاً دون الحلم وقال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت. فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين. اهـ.

فإنه أسقط من الحديث أولاً ما فرّع به رسول الله ﷺ كلامه من قوله لعلّي: فأنت أخي ووصيّي ووارثي. ثم نسب إلى أمير المؤمنين ثانياً أنه قال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت. ليته دلّنا على مصدر هذه النسبة في لفظ أيّ محدث أو مؤرّخ من السلف؟! وراقه أن يحكم في الحضور في تلك الحفلة بتبسم بني هاشم وقهقهة بعضهم ولم نجد لهذا التفصيل مصدراً يعول عليه.

ومهما لم يجد (هيكل) وراءه من يأخذه بمقاله، ولم ير هناك من يناقشه الحساب في تقولاته وتصرفاته أسقط منه ما يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩، ولعلّ السرّ فيه لفته منه إلى غاية ابن كثير وأمثاله بعد النشر، أو أن اللفظ والصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئي العترة الطاهرة، فأخذته أمواج اللوم والعتب حتى اضطرتّه إلى الحذف والتحريف. أو أن العادة المطردة في جملة من المطابع عاثت في الكتاب فغض عنها الطرف صاحبه لإشترائه معها في المبدء أو عجزه عن دفعها. وعلى أيّ فحى الله الشعور الحيّ، والأمانة الموصوفة، والحق المضاع المأسوف عليه.

أسفي على بسطاء الأمة الإسلامية واعتنائهم بمثل هذه الكتب المشحونة بزخرف القول وأباطيل الكلم المموّهة وقد جاءت بذات الرعد والصليل^(١) وسيل بالأمة وهي لا تدري^(٢). ثم أسفي على مصر وحملة علمها المتدفّق، وعلى تأليفها القيّمة، وكتّابها النزهاء، فإنها راحت ضحيةً لتلك الشهوات والميول،

(١) مثل يضرب لمن جاء بشر وعمر.

(٢) مثل يضرب للساعي الغافل.

ضحية تلکم النفوس الخائرة، ضحية تلکم الکفريات المبيدة للمجتمع، ضحية تلکم الأقلام المستأجرة وقد اتخذت الباطل دغلاً، وشغرت لها الدنيا برجلها (١).

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلُّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. [سورة الكهف: الآية ١٠٣].

(١) مثل يضرب لمن ساعدته الدنيا فنال منها حظه.



٨ - العبدى الكوفى

برء لقلبك من داء الهوى الوصب؟^(١)
 ما استحدثته النوى من دمك السرب
 نأى الخليط الذى ولى ولم يؤب
 له المدامع من ماء ومن عشب
 إن العيون لهم أهى^(٢) من السحب
 لباً وكم قطعوا للوصل من سب
 غدرأ وما الغدر من شأن الفتى العربى
 للكاشحين^(٣) ويخفى وجد مكتئب
 عن النواظر أطراف القنا السلب
 بطرفه خدر من يهوى فلم يصب
 حجب من قضب عنا ومن كش
 لعساء^(٣) مُرتشف غراء مُنتقب
 ما ضمت الكاس من راح ومن حب
 بردن كل حشا بالوجد مُلتهب

هل فى سؤالك رسم المنزل الخرب
 أم حره يوم وشك البين يبرده
 هيهات أن ينفد الوجد المثير له
 يا رائد الحى حسب الحى ما ضمنت
 ما نلت من قبل أن خالت نوى قذف
 بانوا فكم أطلقوا دمعا وكم أسروا
 من غادر لم أكن يوماً أسراً له
 وحافظ العهد يُبدي صفحتي فرح
 بانوا قباباً وأحباباً تصونهم
 وخلفوا عاشقاً مُلقى رمى خلساً
 لهفي لما استودعت تلك القباب وما
 من كل هيفاء أعطاف هضيم حشاً
 كأنما ثغرها وهنا وريقتها
 وفي الخدور بدور لو برزن لنا

(١) همى يهمنى همياً: سال. العين: صبت دمعتها.

(٢) كاشح فلاناً كاشحاً ومكاشحة وكشح له كشحاً: عاداه.

(٣) لعس: سواد مستحسن فى الشفة.

شوقٌ إلى برد ذاك الظلم والشنب^(١)
 بان الخليط ويا مُضنى الغرام تُب
 ريب المنون وغالته يد النوب
 دارٌ ولم أقض ما في النفس من إرب
 لكن بقائي وقد بانوا من العجب
 سهمٌ متى ما يصب شمل الفتى يشب
 ولا اعتراني من وجدٍ ومن طرب
 إلى الغري وما فيه من الحسب
 خير الرجال وهذا أشرف الترب
 فإنه عن ضميري غير محتجب

وفي حشاي غليلٌ بات يضرمه
 يا راقد اللوعة اهيب^(٢) من كراك فقد
 أما وعصر هوى دب العزاء له
 لأشرقن^(٣) بدمعي إن نأت بهم
 ليس العجيب بأن لم يبق لي جلد
 شبت ابن عشرين عاماً والفراق له
 ما هز عظمي من شوق إلى وطني
 مثل اشتياقي من بُعدٍ ومُتزعج
 أزي ثرى ضمٌ أركى العالمين فذا
 إن كان عن ناظري بالغيب محتجباً

إلى أن يقول:

ملاءة اليد بالتقريب والجنب^(٤)
 وتطلح الكاسر الفتخاء في صبب^(٥)
 حسرى الطلائح بالغيطان والخرب
 أوفى البرية من عجم ومن عرب
 وناد خير وصي صنو خير نبي
 عن حكمتك انقلبوا عن شر منقلب
 وضحته واقتفوا نهجاً من العطب^(٦)

يا راكباً جسرةً تطوي مناسمها
 تُقيد المغزل الأدماء في صعد
 تشني الرياح إذا مرّت بغايتها
 بلغ سلامي قبراً بالغري حوى
 واجعل شعارك لله الخشوع به
 اسمع أبا حسن إن الأولى عدلوا
 ما بالهم نكبوا نهج النجاة؟! وقد

(١) الظلم بالفتح: ماء الأسنان وبريقها. الشنب: بياض الأسنان وحسنها.

(٢) أهبه من نومه: أيقظه.

(٣) أشرقه بريقه: أي أغصه ومنعه التنفس.

(٤) جنبه جنباً جنباً: أبعدته ونجاه.

(٥) المغزل: من أغزلت الظبية إذا ولدت الغزال. الأدم من الظباء بيضاً تعلوهن طرائق فيهن غبرة.

طلع: أتعب وأعبى. الكاسر: العقاب. الفتخاء: اللينة الجناح. الصبب: ما انحدر من الأرض.

(٦) العطب: الهلاك.

زمامه من قريش كفُّ مُغتصبٍ
 خشاشها تربت من كفُّ مُجتذبٍ (١)
 أرادها اليوم لو لم يأت بالكذبِ؟
 والحلم أحسن ما يأتي مع الغضبِ
 والموت داع متى يدع امرأ يُجبِ
 منه بأفضع محمول ومحتقبِ
 لك النبيُّ ولكن حال من كثبِ
 وقد تبدل منها الجدُّ باللعبِ
 تجرُّ فيها ذئابُ اكلة الغلبِ
 لَمَّا رقى أحمد الهادي على قتبِ
 ثاوٍ لديه ومن مُصغٍ ومُرتقبِ
 أبلغ الناس والتبليغ أجدر بي
 بعدي وإن علياً خير منتصبِ
 إليك من فوق قلب عنك منقلبِ
 قولاً ولا لهجُ بالغشِّ والرَّيبِ
 ولا تدور رحيّ إلا على قطبِ
 ولا تشابههم في البيت والنسبِ
 يظلُّ مضطرباً في كفِّ مضطربِ
 ويريد ممتنع في الرُّوع مُجتنبِ
 إلا وتحجبه في رأس مُحتجبِ
 عن اليهود بغير الفرِّ والهربِ
 على الشرى ناكصاً يهوي على العقبِ
 يحبُّه الله والمبعوث منتجبِ

ودافعوك عن الأمر الذي اعتقلت
 ظلّت تُجاذبها حتى لقد خرمت
 وكان بالأمس منها المُستقيل فلم
 وأنت توسعه صبواً على مضض
 حتى إذا الموت ناداه فأسمعه
 حبا بها آخراً فاعتاض محتقباً (٢)
 وكان أول من أوصى ببيعته
 حتى إذا ثالث منهم تقمصها
 عادت كما بدأت شوهاً جاهلة
 وكان عنها لهم في «ختم» مزدجرُ
 وقال والناس من دان إليه ومن
 قم يا عليُّ فإني قد أمرت بأن
 إنني نصبت علياً هادياً علماً
 فبايعوك وكلُّ باسط يده
 عافوك لا مانع طويلاً ولا حصرُ
 وكنت قطب رحي الإسلام دونهم
 ولا تماثلهم في الفضل مرتبة
 إن تلحظ القرن والعسال في يده
 وإن هزرت قناةً ظلت توردها
 ولا تسلّ حساماً يوم ملحمة
 كيوم خبير إذ لم يمتنع زفرُ
 فأغضب المصطفى إذ جرُّ رايته
 فقال: إنني سأعطيها غداً لفتى

(١) خرم الخرزة: شق وترة الأنف. الخشاشة: عود يجعل في أنف الجمل.

(٢) اعتاض: أخذ بدلاً وخلفاً. احتقب: أركبه وراهه.

حتى غدوت بها جذلان تحملها
 جمّ الصلادم والبيض الصوارم وا
 فالأرض من لاحقيات مطهّمة
 وعارض الجيش من نقع بوارقه
 أقدمت تضرب صبراً تحته فغدا
 غادرت فرسانه من هاربٍ فرق
 لك المناقب يعى الحاسبون بها
 كرجعة الشمس إذ رمت الصلابة وقد
 رُدّت عليك كأنّ الشهب ما اتضحت
 وفي براءة أنباء عجائبها
 وليلة الغار لما بت ممتلئاً
 ما أنت إلا أخو الهادي وناصره
 وزوج بضعته الزهراء يكنفها^(٤)
 من كل مجتهد في الله مُعتضد
 هادين للرشد إن ليل الضلال دجا
 لُقبت بالرفض لما إن منحتهم
 صلاة ذي العرش ترى كل آونة
 وأبنيه من هالك بالسّم مُخترم
 والعباد الزاهد السجّاد يتبعه
 وجعفر وابنه موسى ويتبعه ال

تلقاء أرعن من جمع العدى لجب^(١)
 لزرق اللهازم والمأذي واليلب^(٢)
 والمستظلّ مثار القسطل الهدب
 لمع الأسنة والهنديّة القضب
 يصوب مزناً ولو أحجمت لمن يصب
 أو مقعص^(٣) بدم الأوداج مُختضب
 عدّاً ويعجز عنها كلُّ مكتتب
 راحت تواري عن الأبصار بالحجب
 لناظرٍ وكأنّ الشمس لم تغب
 لم تطو عن نازج يوماً ومُقترِب
 أمناً وغيرك ملان من الرعب
 ومظهر الحق والمنعوت في الكتب
 دون الوري وأبو أنائه النجب
 بالله مُعتقد لله مُحْتَسِب
 كانوا لطارقهم أهدى من الشهب
 وُدّي وأحسن ما أدعى به لقبى
 على ابن فاطمة الكشاف للكرب
 ومن مُعفر خدّ في الشرى ترب
 وياقر العلم داني غاية الطلب
 ببر الرضا والجواد العابد الدثب

(١) جذل وجذلان: فرح وفرحان. أرعن: أحمق. جيش لجب: ذو كثرة وجلبة.

(٢) الصلادم ج الصلدم: الصلب. الأسد. الزرق: يكنى به عن الأسنة والنصال لما في لونها من الزرقة. اللهازم ج اللهزم: الحاد القاطع. الماضي: كل سلاح من الحديد. اليلب. الفولاذ وخالص الحديد.

(٣) قعصه وأقعصه: قتله مكانه.

(٤) كنف الشيء. صانه وحفظه وحاطه وضمه إليه.

والعسكريين والمهدي قائلهم
 من يملأ الأرض عدلاً بعدما ملأت
 القائد بهم الشوس الكماة إلى
 أهل الهدى لا أناس باع بائعهم
 لو أن أضغانهم في النار كامنة
 يا صاحب الكوثر الرقراق زاخرة
 قارعت منهم كماً في هواك بما
 حتى لقد وسمت كلما جباههم
 صحبت حبك والتقوى وقد كثرت
 فاستجل من خاطر العبدى أنسة
 جاءت تمايل في ثوبى حياً وهدى
 أتعبت نفسي في مدحيك عارفة
 ذو الأمر لابس أثواب الهدى القشب
 جوراً ويقمع أهل الزيغ والشغب
 حرب الطغاة على قب الكلا الشزب^(١)
 دين المهيمن بالدنيا وبالرتب
 لأغنت النار عن مذك ومحتطب
 ذود النواصب عن سلساله العذب
 جردت من خاطر أو مقول ذرب
 خواطري بمضاء الشعر والخطب
 لي الصحاب فكانا خير مصطحب
 طابت ولو جاوزتك اليوم لم تطب
 إليك حالية بالفضل والأدب
 بأن راحتها في ذلك التعب

وذكر ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ص ١٨١ ط إيران للعبدى

قوله:

ما لعلى سوى أخيه
 فداه إذ أقبلت قريش
 وافاه في خم وارتضاه
 محمد في الورى نظير
 عليه في فرشاه الأمير
 خليفة بعده وزير

الشاعر

أبو محمد سفيان بن مصعب العبدى الكوفى. من شعراء أهل البيت الطاهر المتزلفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيته وانقطاعه إليهم؛ وقد ضمن شعره غير يسير من مناقب مولانا أمير المؤمنين الشهيرة، وأكثر من مدحه ومدح ذريته الأطيبين وأطاب. وتفجع على مصائبهم وورثاهم على ما انتابهم من المحن، ولم نجد في غير آل الله له شعراً.

(١) البهم ج البهمة: الشجاع. الشوس: الشديد الجريء في القتال. القب: القطع.

استنشد الإمام الصادق صلوات الله عليه شعره كما في رواية ثقة الإسلام الكليني في «روضة الكافي» بإسناده عن أبي داود المسترق عنه قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: قولوا لامّ فروة: تجيء فتسمع ما صنع بجدها. قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثم قال: فأنشدنا. قال: فقلت:

فروجودي بدمعك المسكوب

قال: فصاحت وصحن النساء فقال أبو عبدالله عليه السلام: الباب. فاجتمع أهل المدينة على الباب قال: فبعث إليهم أبو عبدالله: صبي لنا غشي عليه فصحن النساء. واستنشد شعره الإمام أبا عمارة المنشد كما في «الكامل لابن قولويه» ص ١٠٥ بإسناده عن أبي عمارة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا عمارة! أنشدني للعبد في الحسين عليه السلام قال: فأنشدته فبكي ثم أنشدته فبكي ثم أنشدته فبكي. قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار. الحديث.

عده شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الإمام الصادق ولم يك صحبته مجرد ألفة معه، أو محض اختلاف إليه، أو أن عصراً واحداً يجمعهما لكنه حظي بزلفة عنده منبعثة عن صميم الودّ ونخالص الولاء، وإيمان لا يشوبه أي شائبة حتى أمر الإمام عليه السلام شيعته بتعليم شعره أولادهم وقال: إنه على دين الله. كما رواه الكشي في رجاله ص ٢٥٤ بإسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معشر الشيعة علموا أولادكم شعر العبد فإنه على دين الله.

وينم عن صدق لهجته، واستقامة طريقته في شعره، وسلامة معانيه عن أي مغمز، أمر الإمام عليه السلام إياه بنظم ما تنوح به النساء في الماتم كما رواه الكشي في رجاله ص ٢٥٤.

وكان يأخذ الحديث عن الصادق عليه السلام في مناقب العترة الطاهرة فينظمه في الحال ثم يعرضه عليه كما رواه ابن عياش في «مقتضب الأثر» عن

أحمد بن زىاد الهمدانى قال: حدّثنى على بن إبراهيم بن هاشم قال: حدّثنى أبى عن الحسن بن على سجاده عن أبان بن عمر ختن آل ميثم قال: كنت عند أبى عبدالله عليه السّلام فدخّل عليه سفيان بن مصعب العبدى قال: جعلنى الله فداك ما تقول فى قوله تعالى ذكره ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسىماهم﴾^(١) قال: هم الأوصياء من آل محمد الإثنى عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه. قال: فما الأعراف جعلت فداك؟! قال: كئائب من مسك عليها رسول الله والأوصياء يعرفون كلاً بسىماهم. فقال سفيان: أفلا أقول فى ذلك شيئاً؟! فقال من قصيدة:

أيا ربهم هل فىك لى اليوم مربع؟! وهل لليالٍ كنٌ لى فىك مرجعٌ؟!
يقول فيها:

وأنتم ولاة الحشر والنشر والجزاء وأنتم لىوم المفزع الهول مفزعٌ
وأنتم على الأعراف وهى كئائبٌ من المسك رياءها بكم يتضوعٌ
ثمانية بالعرش إذ يحملونه ومن بعدهم فى الأرض هادون أربعٌ

والقارىء إذا ضمّ بعض ما ذكرنا من حديث المترجم له إلى الآخر يقف على رتبة عظيمة له من الدين تقصر دون شأوها الوصف بالثقة، ويشاهد له فى طيات الحديث والتاريخ حسن حال وصحة مذهب تفوق شؤون الحسان، فلا مجال للتوقف فى ثقته كما فعله العلامة الحلّى، ولا لعدّه من الحسان كما فعله غيره، ولا يبقى لنسبته إلى الطيّارة [أى الغلو والإرتفاع فى المذهب] وزنٌ كما رآه أبو عمرو الكشّى فى شعره، ولم نجد فى شعره البالغ إلينا إلا المذهب الصحيح، والولاء المحض لعترة الوحي، والتشيع الخالص عن كل شائبة سوء.

ويزيدك ثقةً به واعتماداً عليه رواية مثل أبى داود المنشد سليمان بن سفيان المسترق المتسالم على ثقته عنه، وأبو داود هو شيخ الأثبات الأجلة نظراء

(١) سورة الأعراف: آية ٤٦.

الحسن بن محبوب، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، وعلي بن الحسن بن فضال.

كما أن أفراد مثل الحسين بن محمد بن علي الأزدي الكوفي المجمع على ثقته وجلالته تأليفاً في أخبار المترجم له وشعره كما عدّه النجاشي في فهرسته ص ٤٩ من كتبه يؤذن بموقفه الشامخ عند أعظم المذهب، ويُنبىء عن إكبارهم محلّه من العلم والدين.

نبوغه في الأدب والحديث:

إنّ الواقف على شعر شاعرنا (العبدّي) وما فيه من الجودة، والجزالة، والسهولة، والعدوبة، والفخامة، والحلاوة، والامتانة. يشهد بنبوغه في الشعر، وتضلّعه في فنونه، ويعترف له بالتقدم والبروز، ويرى ثناء الحميري سيّد الشعراء عليه بأنّه «أشعر الناس» من أهله في محلّه، روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٢ عن أبي داود المسترق سليمان بن سفيان: أنّ السيّد والعبدّي اجتمعا فأنشد السيّد:

إني أدني بما دان الوصيُّ به يوم الخريبة^(١) من قتل المحلينا
وبالذي دان يوم النهراوان به وشاركت كفه كفي بصفينا

فقال له العبدّي: أخطأت، لو شاركت كفك كفه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفه كفي، لتكون تابعا لا شريكاً. فكان السيّد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلا العبدّي.

والمتأمل في شعره يرى موقفه العظيم في مقدّمي رجال الحديث، ومكثري حملته ويجده في الرعيل الأول من جامعي شتاته، وناظمي شوارده، ورواة نوادره، وناشري طرفه، ويشهد له بكثرة الدرّاية والرّواية، ويُشاهد همّته

(١) الخريبة: موضع بالبصرة كانت به واقعة الجمل.

العالية، وولعه الشديد فى بث الأخبار الماثورة فى آل بيت العصمة صلوات الله عليهم، وستقف على ذلك كله فى ذكر نماذج شعره.

ولادته ووفاته:

لم نقف على تاريخى ولادة المترجم له ووفاته ولم نعثر على ما يقربنا إليهما إلا ما سمعت من روايته عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام واجتماعه مع السيد الحميرى المولود سنة ١٠٥ والمتوفى سنة ١٧٨ ومع أبى داود المسترق، وملاحظة تاريخى ولادة أبى داود المسترق الراوى عنه ووفاته يؤذنا بحياة شاعرنا العبدى إلى حدود سنة وفاة الحميرى فإن أبى داود توفى سنة ٢٣١ كما فى فهرست النجاشى أوفى سنة ٢٣٠ كما فى رجال الكشى^(١) وعاش سبعين سنة كما ذكره الكشى، فىكون ولادة أبى داود سنة ١٦١ على قول النجاشى و١٦٠ على اختيار الكشى، وبطبع الحال كان له من عمره حين روايته عن المترجم أقل ما تستدعيه الرواية، فىستدعي بقاء المترجم أقل إلى أواخر أيام الحميرى، فما فى أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٠ من كون وفاة المترجم فى حدود سنة ١٢٠ قبل ولادة الراوى عنه أبى داود المسترق بأربعين سنة حال عن كل تحقيق وتقريب.

ومن نماذج شعره:

إننا روينا فى الحديث خبراً	يعرفه سائر من كان روى
إن ابن خطاب أتاه رجلٌ	فقال: كم عدّة تطلق الإماماً!
فقال: يا حيدر كم تطلقه	للأمة؟ اذكره فأومى المرتضى
بإصبعيه فثنى الوجه إلى	سائله قال: اثنتان واثنى
قال له: تعرف هذا؟ قال: لا	قال له: هذا على ذو العلا

(١) ما فى نسخ الكشى من ذكر تاريخ وفاة أبى داود برقم ١٣٠ تصحيف ٢٣٠، ويشهد بالتصحيف رواية طبقة أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام عنه، وكذلك رواية الحسن بن محبوب المولود سنة ١٤٩ والمتوفى سنة ٢٢٤، ورواية محمد بن الحسين بن أبى الخطاب المتوفى سنة ٢٦٢.

وقد روى عكرمة في خبر
 مر ابن عباس على قوم وقد
 وقال مغتاضاً لهم: أيكم
 قالوا: معاذ الله قال: أيكم
 قالوا: معاذ الله قال: أيكم
 قالوا: نعم قد كان ذا فقال: قد
 يقول: من سب علياً سبني
 محمداً وصنوه وابنته
 صلى عليهم ربنا باري الورى
 صفاهم الله تعالى وارتضى
 لولا هم الله ما رفع السما
 لا يقبل الله لعبد عملاً حتى يؤاليهم
 ولا يتم لامرئٍ صلته
 لو لم يكونوا خير من وطىء الحصى
 هل أنا منكم؟! شرفاً ثم علا
 لو أن عبداً لقي الله بأعم
 ولم يكن والى علياً حببت
 وإن جبريل الأمين قال لي
 إنهما ما كتبوا قط على الـ

ما شك فيه أحد ولا امترى
 سبوا علياً فاستراع وبكا
 سب إله الخلق جل وعلا؟!
 سب رسول الله ظلماً واجترا؟!
 سب علياً خير من وطىء الحصى؟!
 سمعت والله النبي المجتبا
 وسبتي سب الإله واكتفا
 وابنيه خير من تحفى واحتذا
 ومنشئ الخلق على وجه الثرى
 واختارهم من الأنام واجتبي
 ولا دحى الأرض ولا أنشأ الورى
 بإخلاص الولا
 إلا بذكراهم ولا يزكو الدعا
 ما قال جبريل بهم تحت العبا
 يُفاخر الأملاك إذ قالوا: بلى
 ال جميع الخلق برأ وتقى
 أعماله وكب في نار لظى
 عن ملكيه الكاتبين مذنا
 طهر علي زلة ولا خنا

بيان ما حوته الأبيات من الحديث
 مما أخرجه أعلام العامة

قوله:

إننا روينا في الحديث خبراً يعرفه سائر من كان روى
 أخرج الحافظ الدارقطني وابن عساكر: إن رجلين أتيا عمر بن الخطاب

وسألاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجلٌ أصلعٌ فقال: أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة؟! فرفع رأسه إليه ثم أومى إليه بالسبابة والوسطى، فقال لهما عمر: تطليقتان. فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومى إليك. فقال لهما: تدريان من هذا؟! قالوا: لا. قال: هذا عليُّ بن أبي طالب أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: إن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعا في كفة ثم وضع إيمان عليٍّ في كفة لرجح إيمان عليٍّ بن أبي طالب.

وفي لفظ الزمخشري: جئناك وأنت الخليفة فسألناك عن طلاق فجئت إلى رجل فسألته، فوالله ما كلمتك. فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ الحديث .

ونقله عن الحافظين الدارقطني وابن عساكر: الكنجي في الكفاية ص ١٢٩ وقال: هذا حسنٌ ثابتٌ. ورواه من طريق الزمخشري خطيب الحرمين الخوارزمي في المناقب ص ٧٨، والسيد علي الهمداني في مودة القريبى . وحديث الميزان رواه عن عمر محب الدين الطبري في «الرياض» ج ١ ص ٢٤٤، والصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٠ .

قوله:

وقد روى عكرمة في خبر ما شك فيهِ أحدٌ ولا امترا
أخرج أبو عبدالله الملا في سيرته عن ابن عباس: إنه مرَّ بعد ما كفَّ بصره على قوم يسبون علياً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟! قال: سبوا علياً.
قال: ردني إليهم. فردّه فقال: أيكم السابُّ لله عزَّ وجلَّ؟! قالوا: سبحان الله من سبَّ الله فقد أشرك. قال: فأيكم السابُّ لرسول الله؟! قالوا: سبحان الله ومن سبَّ رسول الله فقد كفر. قال: أيكم السابُّ عليُّ بن أبي طالب؟! قالوا: أمّا هذا فقد كان. قال: فأنا أشهد بالله وأشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من

سبُّ عليّاً فقد سبني ، ومن سبني فقد سبَّ الله عزَّ وجلَّ ومن سبَّ الله كبه الله على منخريه في النار. ثم ولى عنهم فقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟ قال: ما قالوا شيئاً. قال: فكيف رأيت وجوههم إذ قلت ما قلت؟ قال:

نظروا إليك بأعين محمّرة نظر التيوس إلى سفار الجازير

قال: زدني فداك أبوك. قال:

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الدليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبوك. قال: ما عندي غير هذا قال: لكن عندي:

أحياؤهم عارٌ على أمواتهم والميتون فضيحةٌ للغابر

وأخرجه محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ١ ص ١٦٦ ، والكنجي في «الكفاية» ص ٢٧ ، وشيخ الإسلام الحموي في «الفرائد» في الباب السادس والخسين ، وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ص ١٢٦ .

قوله:

محمّدٌ وصنوه وابنته وابنيه خير من تحفى واحتذا

عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمناً العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركعاً قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم! قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنة والنار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين. آليت بعزّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخله ناري، ولا أبالي يا آدم! هؤلاء صفوتي

بهم أنجيتهم وبهم أهلكتهم ، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا ، ومن حاد عنها هلك ، فمن كان له إلى الله حاجة ، فليسأل بنا أهل البيت .

أخرجه شيخ الإسلام الحموي في الباب الأوّل من «فرائد السمطين» وروى قريباً منه الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥٢ . وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٥١ عن أبي ذرّ وصحّحه بلفظ : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وأخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٩١ عن أنس . والبزار عن ابن عباس ، وابن الزبير . وابن جرير ، والطبراني عن أبي ذرّ وأبي سعيد الخدري . وأبو نعيم ، وابن عبد البر ، ومحبّ الدين الطبري ، وكثيرون آخرون . وأشار إليه الإمام الشافعيّ بقوله المأثور عنه في «رشفة الصادي» ص ٢٤ :

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم	مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهلِ
ركبت على اسم الله في سفن النجا	وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسلِ
وأمسكت حبل الله وهو ولائهم	كما قد أمرنا بالتمسك بالحبلِ (١)

قوله :

لا يقبل الله لعبد عملاً حتى يُواليهم بإخلاص الولا
عن ابن عباس في حديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله : لو أن رجلاً صفن (٢) بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار . أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٤٩ وصحّحه ، والذهبي في تلخيصه .

وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي ليلي عن الإمام السبط الشهيد

(١) يأتي شرح هذا البيت الأخير في محله إن شاء الله تعالى .

(٢) صفن الرجل : صف بين قدميه .

عن جدّه رسول الله ﷺ أنّه قال: الزموا مودّتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا. وذكره الهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٧٢، وابن حجر في «الصواعق»، ومحمّد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت» ج ١ ص ٨. والنبهاني في «الشرف المؤبّد» ص ٩٦ والحضرمي في «رشفة الصادي» ص ٤٣.

وأخرج الحافظ السّمّان في أماليه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أن عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة وهو عمر الدنيا ثمّ أتى الله عزّ وجلّ يبغض عليّ بن أبي طالب جاحداً لحقه ناكثاً لولايته لأتعتس الله خيره وجدع أنفه. وذكره القرشي في شمس الأخبار ص ٤٠.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب» ص ٣٩ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ: يا عليّ! لو أن عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يُوالك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنة ولم يدخلها.

عن أمّ سلمة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يا أمّ سلمة أتعرفينه؟! قلت: نعم هذا عليّ بن أبي طالب. قال: صدقت سجيّته سجيّتي ودمه دمي وهو عيبة علمي فاسمعي وأشهدني لو أن عبداً من عباد الله عزّ وجلّ عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي أكبه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنم. أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ثمّ قال: هذا حديثٌ سنده مشهورٌ عند أهل النقل.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ في حديث: يا عليّ! لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبهم الله في النار. وذكره الكنجي في

«الكفاية» ص ١٧٩ وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب» ونقله عنه القرشي في «شمس الأخبار» ص ٣٣. ورواه شيخ الإسلام الحموي في «الفرائد» في الباب الأول.

وهناك أخبار كثيرة تضاهي هذه في ولاء أمير المؤمنين وعترته لا يسعنا ذكرها.

قوله:

ولا يتم لامرئٍ صلواته إلا بذكرهم . . .

أشار إلى كون الصلاة عليهم مأموراً بها في الصلاة وفي المقام أخبار كثيرة وكلمات ضافية توجد في طيات كتب الفقه والتفسير والحديث. ذكر ابن حجر في «الصواعق» ص ٨٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها وأن النبي صلى الله عليه وآله قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه ثم قال: وهذا دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر فلما أُجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه عليه السلام أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليهم مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما دخل من مر في الكساء قال: اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم^(١) وقضية استجابة هذا الدعاء: إن الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم فحينئذ طلب من المؤمنين صلواتهم عليهم معه. ويروى: لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون بل

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٢٣.

قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ثم نقل عن الإمام الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(١)

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على آل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قولييه.

وقال ص ١٣٩ من «الصواعق»: أخرج الدارقطني والبيهقي حديث من صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. وكان هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه: إن الصلاة على آل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه ﷺ لكنه ضعيف فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. والأمر للوجوب حقيقة على الأصح.

وقال الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩١: إن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وقوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمد وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير آل فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب. وقال: أهل بيته ﷺ ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي السلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة.

وقال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾: كفي شرفاً لآل رسول الله ﷺ وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم في كل صلاة.

وروى محب الدين الطبري في «الذخائر» ص ١٩ عن جابر رضي الله عنه

(١) ونسبهما إلى الإمام الشافعي الزرقاني في شرح المواهب ج ٢ ص ٧ وجمع آخرون.

أنه كان يقول: لو صلّيت صلاةً لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تُقبل.

وأخرج القاضي عياض في الشفا عن ابن مسعود مرفوعاً: من صلّى صلاةً لم يُصلّ عليّ فيها وعلى أهل بيتي لم تُقبل منه. وللقاضي الخفاجي الحنفي في شرح الشفا ج ٣ ص ٥٠٠ - ٥٠٥ فوائده جملةً حول المسئلة وذكر مختصر ما صنّفه الإمام الخيصرى في المسئلة سمّاه [زهر الرياض في ردّ ما شنّعه القاضي عياض]. وصور الصلوات الماثورة على النبي وآله مذكورة في (شفاء السقام) لتقيّ الدين السبكي ص ١٨١ - ١٨٧، وأورد جملةً منها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٣ وأول لفظ ذكره عن بُريدة قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال. قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وآل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

قوله:

ولا يزكو الدّعا . إشارةً إلى ما أخرجه الديلمي أنه ﷺ قال: الدعاء محجوبٌ حتّى يُصلّى على محمد وأهل بيته: اللهم صلّ على محمد وآله. ورواه عنه ابن حجر في «الصواعق» ص ٨٨.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: كلُّ دعاء محجوب حتّى يُصلّى على محمد وآل محمد. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٠ وقال: رجاله ثقات.

وأخرج البيهقي وابن عساكر وغيرهما عن عليّ عليه السلام مرفوعاً ما معناه: الدعاء والصلّاة معلقٌ بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيء حتّى يُصلّى عليه وعلى آل محمد. «شرح الشفا للخفاجي» ج ٣ ص ٥٠٦.

قوله:

لو لم يكونوا خير من وطىء الحصا ما قال جبريلٌ لهم تحت العبا

أشار إلى ما ورد في لفظ بعض رواة حديث الكساء الصحيح المتواتر المتفق عليه من أنه صلى الله عليه وآله أدرج معهم جبرئيل وميكائيل. ذكره الشبلنجي في [نور الأبصار] ص ١١٢، والصبان في «الإسعاف» [هامش نور الأبصار] ص ١٠٧.

قوله:

وإن جبرئيل الأمين قال لي عن ملكيه الكاتين مذ دنا

أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٤ ص ٤٩ عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: إن حافضي علي بن أبي طالب ليفخران علي سائر الحفظة لكينونتهما مع علي بن أبي طالب وذلك أنهما لم يصعدا إلى الله تعالى بعمل يسخطه. وفي لفظه الآخر: قط. وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب». والخوازمي في «المناقب» ص ٢٥١. والقرشي في [شمس الأخبار] ص ٣٦.

ومن شعر العبدى

آل النبي محمد	أهل الفضائل والمناقب
المرشدون من العمى	والمنقذون من اللوازم
الصّادقون النّاطقون	السّابقون إلى الرغائب
فولاهم فرض من الر	حمن في القرآن واجب
وهم الصراط مستقيم	فوقه ناج وناكب
صدّيقة خلقت لصدّ	يق شريف في المناسب
واختاره واختارها	طهرين من دنس المعائب
اسماهما قرنا على سطر	بظلّ العرش راتب
كان الإله وليها و	أمينه جبريل خاطب
والمهر خمس الأرض مو	هبة تعالت في المواهب
وتهابها من حمل طوبى	طيبت تلك المواهب

بيان ما ضمته الأبيات من الحديث

قوله:

الصادقون. إشارة إلى ما روي في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. (سورة التوبة) من طريق الحافظ أبي نعيم وابن مردويه وابن عساكر وآخرين كثيرين عن جابر وابن عباس: أي كونوا مع عليّ ابن أبي طالب. ورواه الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ١١١. والحافظ السيوطي في (الدرّ المثور) ج ٣ ص ٢٩٠. وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١٠: قال علماء السير: معناه: كونوا مع عليّ وأهل بيته. قال ابن عباس: عليّ سيّد الصادقين.

قوله:

السابقون إلى الرغائب. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾. (سورة الواقعة) وإنها نزلت في عليّ عليه السلام. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أنها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون. وحبيب النجار الذي ذكر في يس. وعليّ بن أبي طالب. وكلّ رجلٍ منهم سابق أمته وعليّ أفضلهم. وفي لفظ ابن أبي حاتم يوشع بن نون بدل حزقيل. وأخرج الديلمي عن عائشة. والطبراني وابن الضحّاك والثعلبي وابن مردويه وابن المغازلي عن ابن عباس: إنّ النبيّ ﷺ قال: السُّبُق. وفي لفظ: السُّبّاق ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون. وصاحب ياسين إلى عيسى. والسابق إلى محمّد عليّ بن أبي طالب. وزاد الثعالبي في لفظه: فهم الصّدّيقون وعليّ أفضلهم.

ورواه محبّ الدين الطبري في رياضه ج ١ ص ١٥٧، والهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٠٢، والكنجي في «الكفاية» ص ٤٦ بلفظ: سُبّاق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب. وصاحب ياسين. ومؤمن آل فرعون. فهم الصّدّيقون وعليّ أفضلهم. ثمّ قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به.

ورواه باللفظ الأول الحافظ السيوطي في [الدرّ المثور] ج ٦ ص ١٥٤ .
وابن حجر في «الصواعق» ص ٧٤ . وسبط ابن الجوزي في «التذكرة» ص ١١ .
قوله :

فولاهم فرض من الرّ حمان في القرآن واجب

أشار به إلى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ، وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(١) توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلمات ضافية حول الآية الشريفة لا يسعنا بسط المقال فيها غير أننا نقتصر بجملة منها .

١ - أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ فَقَالَ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا .

ورواه محب الدين الطبري في «الذخائر» ص ٢٥ ، والزمخشري في «الكشاف» ج ٢ ص ٣٣٩ . والحموي في «الفرائد» ، والنيسابوري في تفسيره، وابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» ص ٨ و صححه، والرازي في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره ج ١ (هامش تفسير الرازي) ج ٧ ص ٦٦٥ ، وأبو حيان في تفسيره ج ٧ ص ٥١٦ ، والنسفي في تفسيره (هامش تفسير الخازن) ج ٤ ص ٩٩ ، والحافظ الهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٦٨ ، وابن الصباغ المالكي في [الفصول المهمة] ص ١٢ ، والحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٣١ ، والقسطلاني في «المواهب» وقال: ألزم الله مودة قرياه كافة بريته،

(١) سورة الشورى . آية ٢٣ .

وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾. ورواه الزرقاني في (شرح المواهب) ج ٧ ص ٣ و٢١، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١ و١٣٥، والسيوطي في [إحياء الميت] هامش «الإتحاف» ص ٢٣٩، والشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١١٢، والصبان في «الإسعاف» هامش نور الأبصار ص ١٠٥.

٢ - أخرج الحافظ أبو عبد الله الملا في سيرته: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإنني سألتكم غداً عنهم. ورواه محب الدين الطبري في «الذخائر» ص ٢٥، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠٢ و١٣٦، والسمهودي في [جواهر العقدين].

٣ - قال جابر بن عبد الله: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد أعرض عليّ الإسلام فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟ قال: لا إلا المودة في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك؟ قال: قرابتي. قال: هات، أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله. فقال النبي صلى الله عليه وآله: آمين. أخرجه الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٣١ من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمد بن أحمد بن مخلد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

٤ - أخرج الحافظ الطبري وابن عساكر والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، بعدة طرق عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقني من شجرة واحدة فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام لم يدرك صحبتنا أكبه الله على منخرية في النار. ثم تلا: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى. وذكره الكنجي في «الكفاية» ص ١٧٨.

٥ - أخرج أحمد وأبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ومن يقترف

حسنة ﴿ قال: المودة لآل محمد. ورواه الثعلبي في تفسيره مسنداً، وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ص ١٣، وابن المغازلي في «المناقب»، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١، والسيوطي في «الدرّ المثور» ج ٦ ص ٧، و«إحياء الميت» - هامش الإتحاف ص ٢٣٩، والحضرمي في «الرشفة» ص ٢٣، والنبهاني في [الشرف المؤبد] ص ٩٥.

٦ - أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتابه «الثواب» من طريق الواحدي عن عليّ عليه السلام قال: فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن. ثم قرأ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾. وذكره ابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١ و ١٣٦، والسمهودي في [جواهر العقدين].

٧ - عن أبي الطفيل قال: خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه خاتم الأوصياء ووصي الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء ثم قال: أيها الناس لقد فارقتكم رجلاً ما سبقه الأولون ولا يُدركه الآخرون لقد كان رسول الله ﷺ يُعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصي موسى وعرج بروحه في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم، وفي الليلة التي أنزل الله عز وجل فيها الفرقان، والله ما ترك ذهباً ولا فضة، وما في بيت ماله إلا سبعمائة وخمسون درهماً فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأمّ كلثوم. ثم قال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد. ثم تلا هذه الآية قول يوسف: ﴿واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾. ثم أخذ في كتاب الله. ثم قال: أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، أنا ابن النبي، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسل رحمةً للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولايتهم فقال فيما أنزل على محمد: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾.

وفي لفظ الحافظ الزرندي في [نظم درر السمطين] وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل عليه السلام ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله تعالى مودتهم على كل مسلم وأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾. واقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت.

أخرجه البزار والطبراني في الكبير. وأبو الفرج في مقاتل الطالبين وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٤ ص ١١. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦. وابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٦٦ وقال: رواه جماعة من أصحاب السير وغيرهم. والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٣٢ من طريق ابن عقدة عن أبي الطفيل. والنسائي عن هبيرة، وابن حجر في الصواعق ص ١٠١ و١٣٦. والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٣١. والحضرمي في الرشفة ص ٤٣.

٨- أخرج الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ١٦ بإسناده عن السدي عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين (الإمام السجاد) رضي الله عنهما أسيراً فأقيم على درج الدمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة. فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟! فقال: نعم. قال: فقرأت آل حم؟! قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. قال: وإنكم لأنتم هم؟! قال: نعم.

ورواه الثعلبي في تفسيره بإسناده. وأشار إليه أبو حيان في تفسيره ج ٧ ص ٥١٦. وأخرجه السيوطي في الدرر المشورج ج ٦ ص ٧. وابن حجر في الصواعق ص ١٠١ و١٣٦ عن الطبراني. والزرقاني في شرح المواهب ج ٧ ص ٢٠.

٩- روى الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ١٦ و١٧ عن سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب أنهما قالوا: هي قريبي رسول الله ﷺ. ورواه عنهما وعن

السدي أبو حيان في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور. قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩٠: وأنا أقول: آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه فكلُّ مَنْ كان أمرهم إليه أشدَّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكُّ أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدَّ التعلقات، وهذا كالمعلول بالنقل المتواتر، وجب أن يكونوا هم الآل.

وقال المناوي: قال الحافظ الزرندي. لم يكن أحدٌ من العلماء المجتهدين والأئمة المهتدين إلّا وله في ولاية أهل البيت الحظُّ الوافر والفخر الزاهر كما أمر الله بقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١).

وقال ابن حجر في الصواعق ص ٨٩: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية عليٍّ. وكأنَّ هذا هو مراد الواحد بقوله: روي في قوله تعالى: وقفوهم إنهم مسؤولون أي عن ولاية عليٍّ وأهل البيت لأنَّ الله أمر نبيه ﷺ أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرِّسالة أجرًا إلّا المودَّة في القربى. والمعنى إنهم يُسألون: هل والوهم حقُّ الموالاة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها؟! فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وذكر في الصواعق ص ١٠١ للشيخ شمس الدين ابن العربي قوله:

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعديورثني القربا
فما طلب المبعوث أجرًا على الهدى بتبليغه إلّا المودَّة في القربى

وذكر ابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٣ لقائل:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحى وإنزال
مناقب في شورى وسورة هل أتى وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم آل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروضٌ بحكم وإسجال

(١) وقفنا على (نظم درر السمطين) للحافظ الزرندي، فوجدنا الكلمة على ما حكاها المناوي.

وذكر لآخر:

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً تمسك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم ضاقوا العالمين مناقباً محاسنهم تجلى وأثارهم تُروى
موالاتهم فرضٌ وحبّهم هدى وطاعتهم وودّهم تقوى

وذكر الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٣ لأبي الحسن بن جبير:

أحبّ النبيّ المصطفى وابن عمّه علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا
موالاتهم فرضٌ على كلّ مسلم وحبّهم أسنى الذخائر للأخري
وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإنّي أرى البغضاء في حقهم كفرا
قوله:

وهم الصراط فمستقيمٌ فوقه ناجٍ وناكبٌ

أخرج الثعلبي في «الكشف والبيان» في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. قال مسلم بن حيّان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمد وآله.

وفي تفسير وكيع بن الجراح عن سفيان الثوري عن السدي عن أسباط ومجاهد عن عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حبّ محمد وأهل بيته.

وأخرج الحموي في «الفرائد» بإسناده عن أصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصُّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾^(١) قال: الصُّرَاطُ ولايتنا أهل البيت.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراط في الدنيا. وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا فهو عليّ بن أبي طالب. وأما صراط

(١) سورة المؤمنون: آية ٧٥.

الآخرة فهو جسر جهنم. مَنْ عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة. ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي كما في «الصواعق» ص ١١١ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي.

وأخرج شيخ الإسلام الحموي بإسناده في فرائد السمطين في حديث عن الإمام جعفر الصادق قوله: نحن خيرة الله ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله.

فهم الصراط إلى الله فمن تمسك بهم فقد اتخذ إلى ربه سبيلاً كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة بإسناده عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً. [ذخائر العقبى ص ١٦].

قوله: صديقه.

يعني به فاطمة بنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الله عليه وآله سماها بها أبوها فيما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة» عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لعلي: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحدٌ ولا أنا: أوتيت صهرًا مثلي ولم أوت أنا مثلي. وأوتيت زوجة صديقه مثل إبتني ولم أوت مثلها زوجة. وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم. الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢.

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٢، الاستيعاب ج ٢ ص ٧٥١، ذخائر العقبى ص ٤٤، تقريب الأسانيد وشرحه ج ١ ص ١٥٠، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١ وقال: رجاله رجال الصحيح.

قوله: لصديق.

يعني به أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو صديق هذه الأمة وذلك لقبه الخاص، قال محب الدين الطبري في رياضه: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سماه صديقاً

وقال في ص ١٥٥ : قال الخجندي : وكان يلقَّب بـيعسوب الأمة وبالصديق الأكبر . وهناك أخبار كثيرة نذكر بعضها :

١ - أخرج ابن النجار وأحمد في المناقب عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ الصديقون ثلاثة : حزقيل مؤمن آل فرعون . وحبيب النجار صاحب آل يسين . وعلي بن أبي طالب . وأخرجه أبو نعيم في المعرفة ، وابن عساكر ، عن أبي ليلى ، وزادا في لفظهما : وهو أفضلهم . وأخرجه محب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٥٤ ، والكنجي في الكفاية ص ٤٧ بلفظ أبي ليلى ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢ ، وابن حجر في الصواعق ص ٧٤ بلفظ ابن عباس ، وص ٧٥ بلفظ أبي ليلى .

٢ - عن رسول الله ﷺ : إنَّ هذا أول من آمن بي ، وهو أول من يصفحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهذا فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين .

أخرجه الطبراني عن سلمان وأبي ذر ، والبيهقي ، والعدني ، عن حذيفة ، والهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٢ ، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٩ من طريق الحافظ ابن عساكر وفي آخره : وهو بابي الذي أوتى منه وهو خليفتي من بعدي . وذكره باللفظ الأول المتقي الهندي في إكمال كنز العمال ج ٦ ص ٥٦ .

٣ - عن ابن عباس وأبي ذر قالوا : سمعنا النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي : أنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل .

أخرجه محب الدين في الرياض ج ٢ ص ١٥٥ وقال : وفي رواية : وأنت يعسوب الدين . عن الحاكمي والقُرشي في شمس الأخبار ص ٣٥ وفيه : وأنت يعسوب المؤمنين . ورواه مع الزيادة شيخ الإسلام الحموي في الفرائد في الباب الرابع والعشرين . وابن أبي الحديد عن أبي رافع في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ ولفظه : قال أبو رافع : أتيت أبا ذر بالريذة أودعه فلما أردت الإنصراف قال لي ولأناس معي : ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فاتبعوه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن

بي ، وأول من يُصافحني يوم القيامة ، وأنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين ، وأنت أخي ووزيرني وخير من أترك بعدي وتنجز موعدي ، وذكره القاضي الإيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦ ، والصفوري في (نزهة المجالس) ج ٢ ص ٢٠٥ .

٤ - عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال قال لي ربي عز وجل ليلة أسرى بي : من خلقت على أمتك يا محمد؟ قال قلت : يا رب أنت أعلم . قال : يا محمد! أنتجتك برسالتني ، واصطفيتك لنفسني ، وأنت نبي وخيرتي من خلقي ، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقتك من طينتك وجعلته وزيرك وأبي سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيدي شباب الجنة ، وزوجته خير نساء العالمين ، أنت شجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها ، خلقتك من طينة عليين وخلقت شيعتك منكم ، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلا حبا . قلت : يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال : أخوك علي بن أبي طالب .

أخرجه القرشي في «شمس الأخبار» ص ٣٣ .

٥ - عن علي عليه السلام أنه قال : أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر ، لقد صليت قبل الناس سبع سنين . أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح . والنسائي في «الخصائص» ص ٣ بسند رجاله ثقات . وابن أبي عاصم في «السنة» . والحاكم في «المستدرک» ج ٣ ص ١١٢ وصححه . وأبو نعيم في «المعرفة» . وابن ماجه في سننه ج ١ ص ٥٧ بسند صحيح . والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٣ بإسناد صحيح ، والعقيلي ، والخلعي ، وابن الأثير في «الكامل» ج ٢ ص ٢٢ . وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ . ومحب الدين الطبري في «الذخائر» ص ٦٠ ، و«الرياض» ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٨ و١٦٧ . والحموي في «الفرائد» في الباب التاسع والأربعين . والسيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٤ . وفي طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥ : قال علي رضي الله عنه : أنا الصديق الأكبر لا

يقولها بعدي إلا كاذب.

٦ - عن معاذة قالت: سمعت علياً وهو يخطب على منبر البصرة يقول: أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. أخرجه ابن قتيبة في «المعارف» ص ٧٣، وابن أيوب، والعقيلي، ومحّب الدين في «الذخائر» ص ٥٨، و«الرياض» ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٧، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥١، ٢٥٧، والسيوطي في الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٥.

قوله:

إسماهما قرنا على سطرٍ بظلّ العرش راتب

أشار إلى حديث كتابة أسماء فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها في ظلّ العرش وقد كتبت على باب الجنة كما أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه ج ١ ص ٢٥٩ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ليلة عُرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله، عليٌّ حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على مبغضهم لعنة الله. ورواه الخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ٢٤٠.

قوله:

كان الإله وليّها وأمينه جبريل خاطبٌ

إشارة إلى أن الله تعالى هو زوج فاطمة علياً وكان وليّ أمرها وخطب فيه الأمين جبرئيل عليه السلام كما ورد عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس! هذا علي بن أبي طالب أنتم تزعمون أنني أنا زوجته ابنتي فاطمة ولقد خطبها إليّ أشرف قريش فلم أجب، كل ذلك أتوقع الخبر من السماء حتى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمد: العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في وادٍ يُقال له: الأفيج. تحت شجرة طوبى وزوج فاطمة علياً وأمرني، فكنت الخاطب: والله تعالى الولي. الحديث. [كفاية الطالب ص ١٦٤].

وأخرج محب الدين الطبري في «الذخائر» ص ٣١ عن عليّ قال قال رسول الله ﷺ: أتاني ملكٌ فقال: يا محمد، إنّ الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنّي قد زوجت فاطمة ابنتك من عليّ بن أبي طالب، في الملاء الأعلى فزوجها منه في الأرض.

وأخرج النسائي والخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١٢٩ بالإسناد عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: أصاب فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبيح العرس رعدة فقال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة، إنّي زوجتك سيّداً في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصّالحين يا فاطمة! إنّي لَمَّا أردت أن أملكك لعليّ أمر الله جبريل فقام في السّماء الرابعة فصفّ الملائكة صفوفاً ثمّ خطب عليهم جبريل فزوجك من عليّ، ثمّ أمر شجر الجنان فحملت الحليّ والحلّل ثمّ أمرها فنثرت على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذٍ أكثر ممّا أخذ صاحبه أو أحسن افتخر به إلى يوم القيامة. قالت أمّ سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حيث أوّل من خطب عليها جبريل. وذكره الكنجي في «الكفاية» ص ١٦٥ ثمّ قال: حسنٌ عال رزقناه عالياً. ومحبّ الدين في «الذخائر» ص ٣٢.

وروى الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٥ عن جبرئيل أنّه قال لرسول الله ﷺ: إنّ الله أمر رضوان أن ينصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وأمر ملكاً يُقال له: «راحيل» أن يصعده، فعلا المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحاً وسروراً، وأوحى الله إليّ أن أعقد عقدة النكاح، فإنّي زوجت عليّاً بفاطمة أمّتي بنت محمّد رسولي، فعقدت وأشهدت الملائكة وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة، وإنّي أمرت أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان. وهناك في هذا المعنى أخبارٌ كثيرة.

قوله:

والمهرُ خمسُ الأرضِ مو هبةٌ تعالت في المواهب

أشار به إلى ما أخرجه شيخ الإسلام الحموي في (فرائد السمطين) في

الباب الثامن عشر عن رسول الله ﷺ أنه قال لعليّ: يا عليّ! إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وإنه أوحى إليّ أن أزوجك فاطمة على خمس الأرض، فهي صداقها فمن مشى على الأرض وهو لكم مبغضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشي عليها.

قوله:

وتهابها من حمل طوبى طيبت تلك المواهب

أشار إلى حديث النثار المروي عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ذات يوم متبسماً ضاحكاً ووجهه مسرورٌ كدارة القمر فقام إليه عبدالرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: بشارةٌ أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي، بأن الله زوج علياً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً، يعني صكاكاً، بعدد محبي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كل ملك صكاكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق فلا يبقى محبٌ لأهل البيت إلا دفعت له صكاً فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمّي وبنتي فكاك رقاب رجال ونساء أمّتي من النار.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢١٠. وابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٢٠٦ وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة»، وأبو بكر الخوارزمي في «المناقب»، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠٣، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٥، والحضرمي في «رشفة الصادي» ص ٢٨.

وأخرج أبو عبدالله الملا في سيرته عن أنس قال بينما رسول الله ﷺ في المسجد إذ قال لعليّ: هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى: أن انثري عليهم الدرّ والياقوت. فنثرت عليهم الدرّ والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يتلقطن في أطباق الدرّ والياقوت فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة. ورواه محبّ الدين في

« الذخائر » ص ٣٢، وفي « الرياض » ج ٢ ص ١٨٤، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٣.

ومن شعر العبدني

يا سادتي يا بني علي
من ذا يُوازِيكمُ وأنتم
أنتم نجوم الهدى اللواتي
لولا هداكم إذا ضللنا
لا زلت في حبكم أوالي
وما تزودت غير حبي
وذاك ذخري الذي عليه
ولاكم والبراء ممن
وللعبدني قوله:

بفاطمة المهذبة الطهور
لما تحويه من كرم وحرور
نساء ومهرها خير المهور
وله:

ووالى شهيقتها والزفيرا
يطلن التقرير والتعبيرا
علياً بعلاً مُعياً فقيرا
فقد نلت منه فضلاً كبيراً
مُعلناً في السماء صوتاً جهيراً
وردوا بيت ربنا المعمورا
تحميد لله جل والتكبيراً
ه على الخلق دونها مبرورا
من المسك والعبير نثيراً

إذ أتته البتول فاطمٌ تبكي
إجتمعن النساء عندي وأقبلن
قلن إن النبي زوجهك اليوم
قال يا فاطم اصبري واشكري الله
أمر الله جبرئيل فنادي:
إجتمعن الأملاك حتى إذا ما
قام جبريل خاطباً يكثراً
خمس أرضي لها حلالٌ فصير
نثرت عند ذاك طوبى الحور

بيان: قوله:

اذ أتته البتولُ فاطمُ تبكى وتُوالي شهيقها والزفيرا

إشارة إلى ما أخرجه الحافظ عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس والخطيب بإسناده في تاريخه ج ٤ ص ١٩٥ عن ابن عباس قال: لَمَّا زُوجَ النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! زُوجْتَنِي مِنْ رَجُلٍ فَقِيرٍ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا تَرْضِينَ! إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَجُلَيْنِ: أَحَدَهُمَا أَبُوكَ وَالْآخَرَ زَوْجَكَ. وَذَكَرَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ج ٣ ص ١٢٩ وَصَحَّحَهُ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ج ٩ ص ١١٢، وَالسُّيُوطِيُّ فِي «الْجَمْعِ» كَمَا فِي تَرْتِيبِهِ ج ٦ ص ٣٩١، وَالصَّفُورِيُّ فِي «النَّزْهَةِ» ج ٢ ص ٢٢٦.

وفي نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦ عن العقائق: ان فاطمة رضي الله عنها بكت ليلة عرسها فسألها النبي ﷺ عن ذلك فقالت له: تعلم اني لا أحب الدنيا ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة فخشيت أن يقول لي علي: بأي شيء جئت! فقال النبي ﷺ: لك الأمان فإن علياً لم يزل راضياً مرضياً. ثم بعد ذلك تزوجت امرأة من اليهود وكانت كثيرة المال فدعت النساء إلى عرسها فلبسن أفخر ثيابهن ثم قلن: نريد أن ننظر إلى بنت محمد وفقرها. فدعونها، فنزل جبريل بحلة من الجنة فلما لبستها واتزرت وجلست بينهن رفعت الإزار فلمعت الأنوار فقالت النساء: من أين لك هذا يا فاطمة! فقالت: من أبي. فقلن: من أين لأبيك! قالت: من جبريل. قلن: من أين لجبريل! قالت: من الجنة. فقلن: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن أسلم زوجها استمرت معه وإلا تزوجت غيره. مر بيان ما في بقية الأبيات من الحديث المأثور

وللعبدى قوله من قصيدة يمدح علياً عليه السلام:

وكان يقول: يا دنياي غري سواي فلست من أهل الغرور

ومن اخرى.

لم تشتمل قلبه الدنيا بزخرفها بل قال: غري سواي كل محتقر

أشار بهما إلى ما في حديث ضرار بن ضمرة الكناني لَمَّا وصف أمير المؤمنين لمعاوية بن أبي سفيان قال: لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إليّ تعرّضتِ؟! أم إليّ تشوّقتِ؟! هيهات هيهات قد بايتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصيرٌ، وعيشك حقيرٌ، وخطرك يسيرٌ. الحديث .

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ج ١ ص ٨٤، وابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٣٥ وكثيرون آخرون من الحفاظ والمؤرخين.

وله قوله:

لَمَّا أتاه القوم في حجراته والطهر يخصف نعله ويرقع
قالوا له: إن كان أمرٌ من لنا خلف إليه في الحوادث نرجع؟!
قال النبي: خليفتي هو خاصف النعل الزكي العالم المتورع

أشار بهذه الآيات إلى حديث أم سلمة، قالت لعائشة أم المؤمنين في بدء واقعة الجمل: أذكرك كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليّ يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها وقعد في ظل سمره وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يُحدّثانه فيما أرادا ثم قالا: يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفرعاً. فقال لهما: أما إنني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قلت له وكنت أجراً عليه منا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟! فقال: خاصف النعل. فنزلنا فلم نر أحداً إلا علياً فقلت: يا رسول الله! ما أرى إلا علياً. فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. فقالت: فأني خرج تخرجين بعد هذا؟! فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن

شاء الله فقالت: أنتِ ورأيكِ. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢
ص ٧٨.

ولشاعرنا العبدىُّ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام:
يا من شكت شوقه الأملاك إذ شغفت بحبِّه وهواه غاية الشغفِ
فصاغ شبهك ربُّ العالمين فما ينفكُّ من زائرٍ منها ومُعتكفِ
وله في مدحه صلوات الله عليه:
صوّر الله لأملاك العلى مثله أعظمه في الشرفِ
وهي ما بين مُطيف زائرٍ ومُقيم حوله مُعتكفِ
هكذا شاهده المبعوث في ليلة المعراج فوق الرفرفِ

في هذه الأبيات إشارة إلى حديث الحافظ المتقن الكبير الثقة يزيد بن هارون عن حميد الطويل الثقة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مررت ليلة أُسري بي إلى السماء فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحديق به فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟! قال: أدن منه وسلّم عليه. فدنوت منه وسلّمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمي عليّ بن أبي طالب. فقلت: يا جبرئيل سبقني عليّ إلى السماء الرابعة؟! فقال لي: يا محمّد لا، ولكن الملائكة شكت حبّها لعليّ فخلق الله تعالى هذا الملك من نور على صورة عليّ، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرة يسبّحون الله ويُقدّسونه ويهدون ثوابه لمحَبِّ عليّ. أخرجه الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٥١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

ومن شعر العبدىُّ قوله:

وزوَّجه بفاطم ذو المعالي على الأرقام من أهل النفاقِ
وخمس الأرض كان لها صداقاً ألا لله ذلك من صداقِ

وقوله يمدح به أمير المؤمنين:

وكم غمرة للموت في الله خاضها
وكم ليلة ليلاء لله قامها
ولجة بحر في الحكوم أقامها
وكم صبحه مشجورة الحر صامها

وقوله في مدحه عليه السلام:

أنت عين الإله والجنب من ف
أنت فلك النجاة فينا وما زل
وعليك الورود تسقي من الحو
وإليك الجواز تُدخل من شئت
رط فيه يصلى لظى مذموما
ت صراطاً إلى الهدى مستقيما
ض ومن شئت ينثني محروما
جناناً ومن تشاء جحيما

مر بيان ما في بعض هذه الأبيات. (قوله):

وعليك الورود تسقي من الحو ض ومن شئت ينثني محروما

فيه ايعاز إلى أن سقاية الحوض (الكوثر) يوم القيامة بيد علي أمير المؤمنين يسقي منه محبيه ومواليه ويذود عنه المنافقين والكفار، وورد في ذلك أحاديث في الصحاح والمسانيد ونحن نذكر بعضها:

١ - أخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض.

«الذخائر» ص ٩١ «الرياض» ج ٢ ص ٢١١، «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٥، «الصواعق» ص ١٠٤.

٢ - أخرج أحمد في «المناقب» بإسناده عن عبدالله بن إجاره قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو على المنبر يقول: أنا أذود عن حوض رسول الله بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاة غريبة الإبل عن حياضهم..

ورواه الطبراني في الأوسط. وذكر في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٩، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢١١، وكتر العمال ج ٦ ص ٤٠٣.

٣ - أخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال لعليّ: أنت أمامي يوم القيامة فيدفع إليّ لواء الحمد فأدفعه إليك وأنت تذود الناس عن حوضي. وذكره السيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٠ وفي ص ٣٩٣ عن ابن عباس عن عمر في حديث طويل عنه ﷺ: وأنت تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي.

٤ - أخرج أحمد في «المناقب» بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت في عليّ خمساً هو أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها، أمّا واحدة: فهو تكأتي بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من الحساب. وأمّا الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته. وأمّا الثالثة: فواقفٌ على عقر حوضي يسقي من عرف من أمّتي. الحديث.

وذكر في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣، وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣.

٥ - أخرج شاذان الفضيلي بإسناده عن أمير المؤمنين قال قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، سألت ربّي عز وجلّ فيك خمس خصال فأعطاني أمّا الأولى: فأني سألت ربّي أن تنشقّ عني الأرض وانفضّ التراب عن رأسي وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثانية: فسألته أن يوقفني عند كفة الميزان وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون والفائزون بالجنة، فأعطاني. وأمّا الرابعة: فسألته أن يسقي أمّتي من حوضي، فأعطاني. وأمّا الخامسة: فسألته أن يجعلك قائد أمّتي إلى الجنة فأعطاني. فالحمد لله الذي من به عليّ.

وتجده في «المناقب» للخطيب الخوارزمي ص ٢٠٣، و[فرائد السمطين]

في الباب الثامن عشر، و[كنز العمال] ج ٦ ص ٤٠٢.

٦ - أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة في حديث قال قال رسول الله ﷺ: كأني بك (يا عليّ) وأنت على حوضي تذود عنه الناس وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل

وجعفر في الجنة إخواناً على سُرر متقابلين أنت معي وشيعتك في الجنة.
[مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٣].

٧ - عن جابر بن عبد الله في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي، والذي نفسي بيده إنك لذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الضال عن الماء بعضاً لك من عوسج وكأني أنظر إلى مقامك من حوضي. [مناقب الخطيب ص ٦٥].

٨ - أخرج الحاكم في «المستدرک» ج ٣ ص ١٣٨ بإسناده وصححه عن علي بن أبي طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة ومعنا معاوية بن حُديج - بالتصغير - فقليل للحسن: إن هذا معاوية بن حُديج الساب لعلي. فقال: علي به فأتني به فقال: أنت الساب لعلي؟ إنقال: ما فعلت: قال: والله إن لقيته وما أحسبك تلاقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله ﷺ يزود عنه رايات المنافقين بيده عصاً من عوسج، حدثني الصادق المصدوق ﷺ وقد خاب من افتري..

وأخرجه الطبراني وفي لفظه: لتجدنه مشمراً حاسراً عن ذراعيه يزود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ قول الصادق المصدوق محمد..
قوله:

وإليك الجواز تُدخل من شئت جناناً ومن تشاء جحيماً

أشار به إلى معنى ورد في أخبار كثيرة تقتصر بذكر بعضها:

١ - أخرج الحافظ ابن السمان في الموافقة عن قيس بن حازم قال: التقى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب فتبسم أبو بكر في وجه علي فقال له: ما لك تبسمت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز. وذكر في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ و ٢٤٤.
والصواعق ص ٧٥، وإسعاف الراغبين ص ١٦١.

٢ - عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أقام الله عز وجل جبريل ومحمداً على الصراط فلا يجوز أحدٌ إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب. أخرجه الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥٣. والفقير ابن المغازلي في «المناقب» بلفظ: علي يوم القيامة على الحوض لا يدخل إلا من جاء بجواز من علي بن أبي طالب. وذكره القرشي في شمس الأخبار ص ٣٦.

٣ - أخرج الحاكمي عن علي قال قال رسول الله ﷺ: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنم ما جازها أحدٌ حتى كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب. وذكر في [فرائد السمطين] في الباب الرابع والخمسين. و[الرياض النضرة] ج ٢ ص ١٧٢.

٤ - عن الحسن البصري عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس وهو جبلٌ قد علا على الجنة وفوقه عرش رب العالمين، ومن سفحه يتفجر أنهار الجنة وتفرق في الجنان، وهو جالسٌ على كرسي من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحدٌ الصراط إلا معه براءة بولايته وولاية أهل بيته يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار. أخرجه الخوارزمي في «المناقب» ص ٤٢، والحموي في [فرائد السمطين] في الباب الرابع والخمسين.

٥ - أخرج القاضي عياض في «الشفاء» عن النبي ﷺ أنه قال: معرفة آل محمد براءة من النار. وحب آل محمد جوازٌ على الصراط. والولاية لآل محمد أمانٌ من العذاب. ويوجد في «الصواعق» ص ١٣٩ و «الإتحاف» ص ١٥، و«رشفة الصادي» ص ٤٥٩.

٦ - أخرج الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ١٦١ عن ابن عباس قال: قلت للنبي ﷺ يا رسول الله للنار جواز؟ قال: نعم. قلت: وما هو؟ قال: حب علي بن أبي طالب. ويأتي حديث: علي قسيم الجنة والنار، في محله إن شاء الله تعالى.

ومن شعر العبدی یمدح أمير المؤمنين

وعلمك الذي علم البرايا وألمك الذي لا يعلمونا
فزادك في الوری شرفاً وعزاً ومجداً فوق وصف الواصفينا
لقد أعطيت ما لم يُعط خلقاً هنيئاً يا أمير المؤمنين
إليك اشتاقت الأملاك حتى تحنت من تشوقها حيناً
هناك برا لها الرحمن شخصاً كشبهك لا يُغادره يقيناً

أشار بالبيت الأول إلى حديث مرّ ص ٥٨ ومرّ بيان بقية الأبيات ص ٣٤٥
ومن شعره:

لأنتم على الأعراف عرف عارف بسيماء الذي يهواكم والذي يشنا
أثمتنا أنتم سندعى بكم غداً إذا ما إلى ربّ العباد معاً قمنا
بجدكم خير الوری وأبيكم هُدينا إلى سبل النجاة وأنقذنا
ولولاكم لم يخلق الله خلقه ولا لقب الدنيا الغرور ولا كنا
ومن أجلكم أنشأ الإله لخلقه سماءً وأرضاً وابتلى الإنس والجننا
تجلّون عن شبه من الناس كلهم فشأنكم أعلى وقدركم أسنا
إذا مسنا ضرٌّ دعونا إلهنا بموضعكم منه فيكشفه عنا
وإن دهمتنا غمّة أو ملّمة جعلناكم منها ومن غيرنا حصنا
وإن ضامنا دهرٌ فعذنا بعزكم فيبعد عنا الضيم لَمَّا بكم عذنا
وإن عارضتنا خفية من ذنوبنا براءة لنا منها شفاعتكم أمنا

البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كُلاًّ بسيماهم﴾. وما ورد فيه. أخرج الحاكم ابن الحداد الحسكاني (المترجم ج ١ ص ١٤٧) بإسناده عن أصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند عليّ فأتاه ابن الكوا فسأله عن قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ﴾. الآية. فقال: ويحك يا ابن الكوا نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه النار.

وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في - الكشف والبيان - في الآية الشريفة عن ابن عباس أنه قال: الأعراف موضعُ عالٍ من الصُّراطِ عليه العباس وحمزة وعليُّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه. ورواه ابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» ص ١٧ وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١، والشوكاني في «فتح القدير» ج ٢ ص ١٩٨.

والبيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾. وأئمة الشيعة هم العترة الطاهرة يُدعون بهم ويُحشرون معهم إذ المرء كما قال النبيُّ الأقدس مع من أحبُّ (١) ومن أحبُّ قوماً حُشِر معهم (٢) ومن أحبُّ قوماً حشره الله في زمرةٍهم (٣).

وبقية الأبيات بعضها واضحةٌ وبعضها مرُّ بيانه.

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن أنس وابن مسعود.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک وابن الدبيع في تمييز الطيب من الخبيث ص ١٥٣.
(٣) أخرجه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة وصححه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٨٨.



عاصر المترجم من شعراء الشيعة مشاركه في كنيته ولقبه وبيئته نشأته ومذهبه ألا وهو أبو محمد يحيى بن بلال العبدى الكوفى، فنذكره لكثرة وقوع الإشتباه بينهما وقلة ذكره، قال المرزبانى في معجمه ص ٤٩٩: إنه كوفى نزل همدان وهو شاعر محسن يتشيع وله في الرشيد مدائح حسنة وهو القائل:

وللموت خير من حياة زهيدة وللمنع خير من عطاء مكدر
ف عش ثرياً أو مكدرأ؟ من عطية تمنى وإلا فاسأل الله واصبر

وله:

لعمري لإن حارت امية واعتدت لأول من سن الضلالة أجور
وأنشد (العبدى هذا) عبدالله^(١) بن علي بن العباس بنهر أبي فطرس وله

فيه خبر:

أما الدعاء إلى الجنان فهاشم وبنو امية من دُعاة النار
أمي ما لك من قرار فالحقي بالجن صاغرة بأرض وبار
فلئن رحلت لترحلن ذميمة وإذا أقمت بذلة وصغار

(١) أحد أعمام أبي العباس السفاح، كان من رجال الدهر حزماً ورأياً ودهاءاً وشجاعة انهدم عليه الحبس سنة ١٤٧ وكان قد حبسه المنصور سراً. وقيل: إنه قتل سراً وهدم عليه الحبس قصداً. قال الوطواط: انه جلس يوم الجمعة في جامع دمشق وقتل من بني امية خمسين ألفاً.

وخبر العبدِيُّ هذا وإنشاده الشعر المذكور عبدالله العباسي ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٧؛ واليعقوبي في تاريخه ج ٣ ص ٩١، وابن رشيقي في العمدة ج ١ ص ٤٨، وأحسب أنّ من علّق على هذه الكتب لم يقف على ترجمة الشاعر فضرب عن ترجمته صفحاً وسكت عن تعريفه.

فقال ابن قتيبة: ولَمَّا افتتح المنصور الشام وقتل مروان قال^(١) لأبي عون ومن معه من أهل خراسان: إن لي في بقية آل مروان تدبيراً فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكمل عدة، ثم بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولد لهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الأذن للكلبي: ممن أنت؟! قال: من كلب وقد ولدتهم قال: فانصرف ودع القوم فأبى أن يفعل. وقال: إنني خالهم ومنهم فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟! ليدخل فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟! ليدخل. ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟! ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟! ثم قيل: إئذنوا لهم فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأومأ إليه: أن ارتفع فأجلسه معه على طنفته وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قياماً بأيديهم العمدة فقال: أين العبدِيُّ؟! فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها:

أما الدُّعاة إلى الجنان فهاشمٌ وبنو أمية من دُعاة النَّارِ

فلَمَّا أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يا بن الزانية! فانقطع العبدِيُّ وأطرق عبدالله ساعة ثم قال: إمض في نشيدك. فلَمَّا فرغ رمى إليه بصرة فيها ثلاثمائة دينار ثم تمثّل بقول القائل:

ولقد ساءني وساء سواي قسربهم من منابر وكراسي

(١) الظاهر أن في العبارة سقطاً إذ القصة وقعت مع عبدالله بن علي وكان أميراً على الشام من قبل المنصور كما في ذيل العبارة ومعجم المرزباني وتاريخي اليعقوبي وابن الأثير وعمدة ابن رشيقي.

أنزلوها بحيث أنزلها اللد ه بدار الهوان والإتعاس
لا تُقيلنُ عبد شمس عشاراً واقطعوا كل نخلة وغراس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس

ثم قال لأهل خراسان: دهيد^(١) فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبى فقال: أيها الأمير أنا رجلٌ من كلب لست منهم. فقال:
ومُدخلُ رأسه لم يُدنه أحدٌ بين الفريقين حتى لزه القرنُ

ثم قال: دهيد. فشدخ الكلبى معهم ثم التفت إلى النمر فقال: لا خير لك في الحياة بعدهم. قال: أجل. فقتل ثم دعا ببراذع^(٢) فألقاها عليهم وبسط عليها الأنطاح ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ حتى فرغ ثم قال: ما تهنأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومي هذا. وقام فأمر بهم فجزوا بأرجلهم وأغنم أهل خراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه، وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق إلى البستان فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف، فقبل له: لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب. فقال: والله لرائحتها أحب إلي وأطيب من رائحة المسك. ثم قال:

حسبت امية أن سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلاً ورب محمد وإلهه حتى تُباح سهولها وحزونها
وتذل ذل حليلة لحليلها بالمشرفي وتسترد ديونها

وقال اليعقوبي: وانصرف عبدالله به علي إلى فلسطين فلما صار بنهر أبي فطرس بين فلسطين والأردن جمع إليه بني امية ثم أمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز والعطايا ثم جلس من غد وأذن لهم فدخل عليه ثمانون رجلاً من بني امية وقد أقام على رأس كل رجل منهم رجلين بالعمد وأطرق ملياً ثم قام العبيدي فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم وبنو امية من دعاة النار

(١) كلمة فارسية.

(٢) البرذعة: كساء يلقي على ظهر الدابة.

وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً إلى جنب عبدالله بن علي فقال له : كذبت يا ابن اللخناء، فقال له عبدالله بن علي : بل صدقت يا أبا محمد فامض لقولك ثم أقبل عليهم عبدالله بن علي فذكر لهم قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته ثم صفق له بيده فضرب القوم رؤوسهم بالعمد حتى أتوا عليهم فناداه رجلٌ من أقصى القوم :

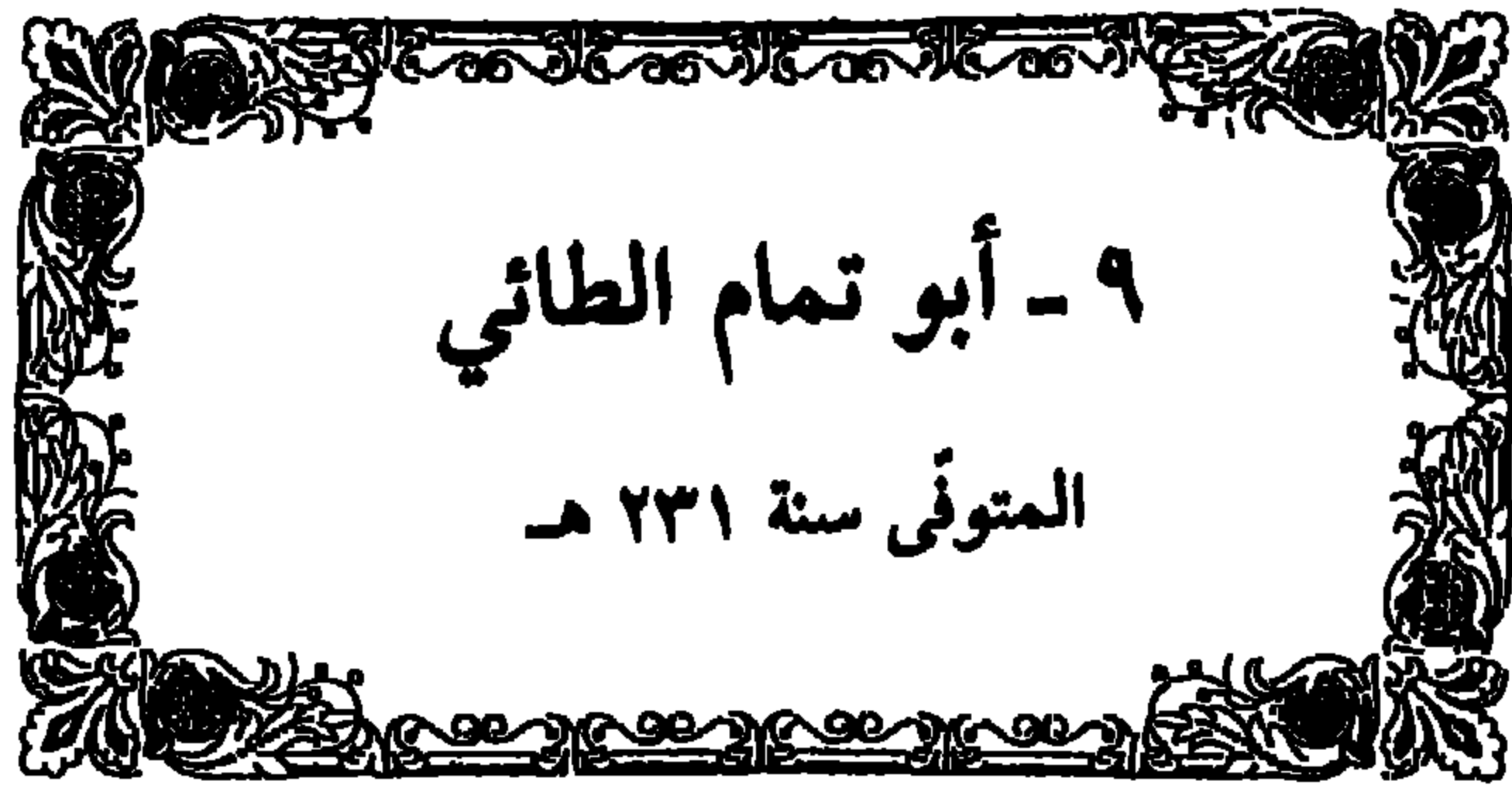
عبد شمس أبوك وهو أبونا لا تُناديك من مكانٍ بعيدٍ
فالقرايات بيننا واشجياتُ محكمات القوى بعقدٍ شديدٍ

فقال : هيهات قطع ذلك قتل الحسين . ثم أمر بهم فسُحبوا فطرحت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام فأكل فقال : يوم كيوم الحسين بن علي ولا سواء . وكان قد دخل معهم رجلٌ من كلب قال : رجوت أن ينالوا خيراً فأنال معهم . فقال عبدالله بن علي : اضربوا عنقه .

ومُدخلُ رأسه لم يُدنه أحدٌ بين الفريقين حتى لزه القدرُ



شعراء الفطير
في القرن الثالث الهجري



٩ - أبو تمام الطائي

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

أظبيةً حيث استنت الكشب العفرُ رويدك لا يغتالك اللوم والزجرُ
 أسري حذاراً لم تُقيدك ردةً فيحسر ماءً من محاسنك الهذرُ
 أراك خلال الأمر والنهي بؤةً عداك الردى ما أنت والنهي والأمرُ؟
 أتشغلني عما هرعت لمثله حوادث أشجان لصاحبها نكرُ؟
 ودهرُ أساء الصنع حتى كأنما يقضي ندوراً في مساءتي الدهرُ
 له شجرات خيم المجد بينها فلا ثمرُ جانٍ ولا ورقُ نضرُ
 وما زلت ألقى ذاك بالصبر لا بساً رداءً به حتى خفت أن يجزع الصبرُ
 وإن نكيراً أن يضيق بمن له عشيرة مثلي أو وسيلته مصرُ
 وما لإمرىء من قاتل يوم عثرةٍ لعاً وخديناه الحدائث والفقرُ
 وإن كانت الأيام آضت وما بها لذي غلةٍ وردٍ ولا سائلٍ خبرُ
 هم الناس سار الذم والحرب بينهم وهم أن يغشاهم الحمد والأجرُ
 صفيك منهم مضمراً عنجھية^(١) فقائده تيه وسائقه كبرُ
 إذا شام برق اليسر بالقرب شأنه وأنأي من العيوق إن ناله عسرُ
 أريني فتى لم يقله الناس أوفتى يصح له عزمٌ وليس له وقرُ
 ترى كل ذي فضل يطول بفضله على مُعتفيه والذي عنده نزرُ
 وإن الذي أحذاني الشيب للذي رأيت ولم تكمل له السبع والعشرُ

(١) العنجهية بضم العين والجيم: الكبر.

به كرهاً ينهاض من دونها الصدرُ
 وقولهمُ إلا أقلهم الكفرُ
 دليلٌ لهم أولى به الشمس والبدرُ
 إلى هوةٍ لا الماء فيها ولا الخمرُ
 تعدونها لو قد طغى بكم البحرُ
 على جهل ما أمست تفور به القدرُ
 يجيء بما لا تبسأون به الزجرُ ١٩
 فأين لكم نخبءٌ وقد ظهر النشءُ ١٩
 أفاعيل أدناها الخيانة والغدرُ
 بداهيةٍ دهيةٍ ليس لها قدرُ
 لها قبلها مثلٌ عوانٌ ولا بكرُ
 فلا مثله أخٌ ولا مثله صهرُ
 كما شدُّ من موسى بهارونه الأزرُ
 يمزقها عن وجهه الفتح والنصرُ
 وسيف الرسول لا ددانٌ ولا دثرُ
 ووجه ضلالٍ ليس فيه له أثرُ
 وللواصمين الدينُ في حده ذعرُ
 ويعتاض من أرض العدو به الثغرُ
 وفرسانه أحدٌ وماج بهم بدرُ
 وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو
 وأسيافه حمرٌ وأرماحه حمرُ
 وفارجه والأمر ملتبسٌ إمرُ
 بضحايا^(١) لا فيها حجابٌ ولا سترُ
 ليقر بهم عرفٌ ويناهم نكرُ

واخرى إذا استودعتها السرُّ بينت
 طغى من عليها واستبدُّ برأيهم
 وقاسوا دجى أمرهم وكلاهما
 سيحدوكم استسقاؤكم حلب الردى
 سأتم عبور الضحل خوضاً فايةً
 وكنتم دماء تحت قدير مغارةٍ
 فهلاً زجرتم طائر الجهل قبل أن
 طويتم ثنايا تخبأون عوارها
 فعلتم بأبناء النبي ورهطه
 ومن قبله أخلفتُم لوصيه
 فجأتكم بها بكرأ عواناً ولم يكن
 أخوه إذا عدَّ الفخار وصهره
 وشدُّ به أزر النبي محمداً
 وما زال كشافاً دياجير غمرةٍ
 هو السيف سيف الله في كل مشهد
 فأني يد للذم لم يبر زندها
 ثوى ولأهل الدين أمنٌ بحده
 يسدُّ به الثغر المخوف من الردى
 بأحدٍ وبديرٍ حين ماج برجله
 ويوم حنينٍ والنضير ونخيبير
 سما للمنايا الحمر حتى تكشفت
 مشاهدٌ كان الله كاشف كربها
 و«يوم الغدير» استوضح الحق أهله
 أقام رسول الله يدعوهم بها

(١) وفي نسخة: بفيحاء.

يمدُّ بضبعيه ويُعلم^(١) : أنه
 يروح ويغدو بالبيان لمعشر
 فكان لهم جهراً بإثبات حقه
 أثم جعلتم حظه حدمرهف
 بكفي شقي وجّهته ذنوبه
 وليُّ ومولاكم فهل لكم خبرٌ؟
 يروح بهم غمرٌ ويغدو بهم غمرٌ
 وكان لهم في بزهم حقه جهراً
 من البيض يوماً حظُّ صاحبه القبرُ
 إلى مرتع يُرعى به الغيُّ والوزرُ

القصيدة ٧٣ بيتاً توجد في ديوانه ص ١٤٣ .

ما يتبع الشعر

لا أجد لذي لبٍّ مُتدحاً عن معرفة يوم الغدير لا سيما وبين يديه كتب
 الحديث والسير ومدونات التاريخ والأدب . كل يومي إليه بسبأته، ويوعز إليه
 بينانه، كلُّ يلمس يدي القاريء حقيقة يوم الغدير، فلا يدع له ذكراً خالياً منه،
 ولا مخيلة تعدوه، ولا أضالع إلا وقد انحنت عليه، فكأنه وهو يتلقى خبره
 بعد لأيٍ من الدهر يرنو إليه من كئيب، ويستشف أمره على أمم، ولعلَّ الواقف
 على كتابنا هذا من البدء إلى الغاية يجد فيه نماذج مما قلناه .

إذا فهلّم معي واعجب من الدكتور ملحم إبراهيم الأسود شارح ديوان
 شاعرنا المترجم حيث يقول عند قوله :

ويوم الغدير استوضح الحق أهله

يوم الغدير واقعة حرب معروفة . وذكر بعده في قوله :

يمدُّ بضبعيه ويعلم أنه

ما يكشف عن أنها كانت من المغازي النبوية قال ص ٣٨١ : يمدُّ بضبعيه
 يساعده وينصره والهاء راجعة إلى الإمام عليّ، أي : كان رسول الله ﷺ ينصره
 ويعلم أنه وليّ، كان العضد والمساعد الوحيد للنبي ﷺ في الغدير والرسول

(١) من أفعال . ويظهر من الدكتور ملحم شارح ديوان أبي تمام أنه قرأه مجرداً من علم لا مزيداً من أعلم
 كما قرأناه ومختارنا هو الصحيح الذي لا يعدوه الذوق العربي .

نفسه كان ينصره عالماً أنه سيكون ولياً على شعبه بعده وخليفةً له، وهذه هي الحقيقة، فهل تعلمون؟ اهـ.

ألا مسائل هذا الرجل عن مصدر هذه الفتوى المجردة؟ أهل وجد هاتيك الغزوة في شيء من السير النبوية؟ أو نص عليها أحد من أئمة التاريخ؟ أم أن تلك الحرب الزبون وحدها قد توسع بنقلها المتوسعون من نقلة الحديث؟! دع ذلك كله هل وجد قصاصاً يقصها؟ أو شاعراً يصورها بخياله؟!

ألا من يسأله عن أن هذه الغزوة متى زيدت على الغزوات النبوية المحدودة؟ المعلومة بكمها وكيفها، المدونة أطوارها وشئونها، وليس فيها غزوة يوم الغدير، متى زيدت هذه على ذلك العدد الثابت بوحدة؟! فكان فيها عليٌّ والنبيُّ يتناصران، ويعضد كلُّ صاحبه، ويدفع كلُّ عن الآخر كما يحسبه هذا الكاتب.

وإنك لتجد الكاتب عيياً عن جواب هذه الأسئلة لكنه حبذت له بواعثه أن يستر حقيقة الغدير بذيل أمانته، وهو يحسب أنه لا يقف على ذلك التعليق إلا الدهماء، أو أن البحثة يمرّون عليه كراماً، لكن المحافظة على حقيقة دينية أولى من التحفظ على اعتبار هذا الكاتب الذي يكتب ولا يبالي بما يكتب، ويرى الكذب حقيقة راهنة.

نعم كان في الجاهلية يوم أغار فيه دُرَيْدُ بن الصِّمَّة (المقتول كافراً بعد فتح مكة) على غطفان يطالبهم بدمه فاستقراهم حياً حياً وقتل من بني عبس ساعدة بن مرّ وأسر دؤاب بن أسماء الجشمي فقالت بنو جشم: لو فاديناه. فأبى ذلك دُرَيْدُ عليهم وقتله بأخيه عبدالله وأصاب جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة ومن أحياء غطفان. قال في الأغاني ج ٩ ص ٦: وذلك في «يوم الغدير» وذكر لدُرَيْدُ شعراً في ذلك.

وعُدَّ في العقد الفريد ج ٣ ص ٧١ من حروب الجاهلية يوم [غدير قلياد] قال: قال أبو عبيدة، فاصطلح الحيان إلا بني ثعلبة بن سعد فإنهم أبوا ذلك

وقالوا: لا نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها فخرجوا من قطن (١) حتى وردوا [غدير قلياد] فسبقهم بنو عيس إلى الماء فمنعواهم حتى كادوا يموتون عطشاً ودوابهم فأصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سبيع من بني ثعلبة، وإياها يعني زهير بقوله:

تداركتها عيساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم «الخ»

«وقلياد» في الكلام المذكور مصحّف «قلهى» كما يظهر من معجم البلدان ج ٧ ص ١٥٤، وبلوغ الإرب ج ٢ ص ٧٣، وفي الأخير عدّه من أيام العرب المشهورة.

هذا كلُّ ما رُوي في حديث هذا اليوم الذي لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا لأحد من الهاشميين فيه حلٌّ ولا مرتحلٌ ولا لوصيه أمير المؤمنين عليه السلام فيه صولةٌ أو جولةٌ، فالحديث ليس فيه أيُّ صلةٍ بهما، أفمن المعقول إذن أن يريد أبو تمام المادح للوصيِّ الأعظم؟! ويعدّه ماثرةً له؟! على أن الشعر نفسه يابى أن يكون المراد به واقعة حرب دامية فإنَّ الشاعر بعد أن عدَّ مواقف أمير المؤمنين عليه السلام في الغزوات النبوية وذكر منها غزاة أحد وبدر وحنين والنضير وخيبر والخندق وختمها بقوله:

مشاهد كان الله كاشف كربها وفارجه والأمر ملتبسٌ إمرٌ

أخذ في ذكر منقبة ناءٍ بها اللسان دون السيف والسنان فقال: - ويوم الغدير - وأنت ترى أنه يوعز إلى قصة فيها قيامٌ ودعوةٌ وإعلامٌ وبيانٌ ومجاهرةٌ بإثبات الحقِّ لأهله.

الشاعر

أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجع بن يحيى بن مزيّنا بن سهم بن ملحان بن مروان بن رفاقة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن

(١) يوم قطن من حروب الجاهلية، راجع إلى العقد الفريد ج ٣ ص ٦.

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحارث بن طيء جلهم بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨.

أحد رؤساء الإمامية كما قال الجاحظ^(١) والأوحد من شيوخ الشيعة في الأدب في العصور المتقدمة، ومن أئمة اللغة، ومنتجع الفضيلة والكمال، كان يؤخذ عنه الشعر وأساليبه، وينتهي إليه السير، ويلقى لديه المقالد، ولم يختلف اثنان في تقدمه عند حلبات القريض، ولا في تولعه بولاء آل الله الأكرمين صلوات الله عليهم، وكان آية في الحفظ والذكاء حتى قيل: إنه كان يحفظ أربعة آلاف ديوان من الشعر غير ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد^(٢) وفي [معاهد التنصيص]: أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وفي التكملة: أنه أحمل في زمانه خمسمائة شاعر كلهم مجيد.

المترجم له شامي الأصل وُلد بقرية «جاسم» من قرى «الجيدور» من أعمال «دمشق» وإن أباه كان يُقال له: ندوس^(٣) العطار فجعلوه أوساً، وفي دائرة المعارف الإسلامية: إن المترجم هو الذي بدله وكان أبوه نصرانياً. نشأ المترجم بمصر وفي حدائثه كان يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم وتعلم منهم وكان فطناً فهماً وكان يحب الشعر فلم يزل يُعانيه حتى قال الشعر وأجاد، وشاع ذكره، وسار شعره، وبلغ المعتصم خبره فحمله إليه وهو بسر من رأى، فعمل أبو تمام فيه قصائد عدة وأجازه المعتصم وقدمه على شعراء وقته، وقدم إلى بغداد وتجوّل في العراق وإيران، وراه محمد بن قدامة بقزوين، فجالس بها الأدباء وعاشر العلماء وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس.

قال الحسين بن إسحاق قلت للبحثري: الناس يزعمون أنك أشعر من أبي

(١) فهرست النجاشي ص ١٠٢.

(٢) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) لهذا الاسم قراءات مختلفة: تدوس. تدرس. ندوس. ثدوس. نادوس. ثيودوس.

تمام فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضرُّ أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ولكني والله تابع له لائذُ به آخذُ منه، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه. [تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨].

كان البحري أول أمره في الشعر ونباهته فيه أنه سار إلى أبي تمام وهو بحمص فعرض عليه شعره وكانت الشعراء تقصده لذلك، فلما سمع شعر البحري أقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال له: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟! فشكى إليه القلة. فكتب أبو تمام إلى أهل معرة النعمان وشهد له بالحدق وشفع له إليهم وقال له: إمتدحهم. فسار إليهم فأكرموه بكتاب أبي تمام ووظفوا أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصابه ثم أقبل عليه أبو تمام يصف شعره ويمدحه فلزمه البحري بعد ذلك، وقيل للبحري: أنت أشعر أم أبو تمام؟! فقال: جيده خير من جيدي، وردتي خير من رديته. وقيل: سئل أبو العلاء المعري: من أشعر الثلاثة؟! أبو تمام أم البحري أم المتنبى؟! فقال: المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحري. وقيل: أنشد البحري أبا تمام شيئاً من شعره فقال له: أنت أمير الشعراء بعدي. قال البحري: هذا القول أحب إلي من كل ما نلته.

وقال ابن المعتز: شعره كله حسن. وذكر اعتناؤه البالغ بشعر مسلم بن الوليد صريع الغواني وأبي نواس. وعن عمارة بن عقيل في حديث نقله عنه ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٢٢: أنه لما سمع قوله:

وطول مقام المرء بالحي مخلوقٌ لدياجتيه فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت حبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسمد

قال: إن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، وأطراف المراد، واستواء الكلام، فهي لأبي تمام، وهو أشعر الناس، وإن كان غيرها فلا أدري. وكان في لسانه حبة وفي ذلك يقول ابن المعدل أو أبو العميثل:

يا نبي الله في الشعر روياعيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الدُّ ما لم تتكلم

مدح الخلفاء والأمراء فأحسن، وحدث عن صهيب بن أبي الصباح الشاعر، والعتاب بن هارون، وكرامة بن أبان العدوي، وأبي عبد الرحمن الأموي، وسلامة بن جابر النهدي، ومحمد بن خالد الشيباني، وروى عنه خالد بن شريد الشاعر، والوليد بن عبادة البحتري، ومحمد بن إبراهيم بن عتاب، والعدوي البغدادي. [تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٨].

رُوي أنه لما مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيّات بقصيدته التي يقول فيها:

ديمةٌ سمحة القياد سكوبٌ مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ
لو سعت بقعةً لأعظامٍ أخرى لسعى نحوها المكان الجديدُ

قال له ابن الزيّات: يا أبا تمام! إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك ودرر معانيك ما زيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازنة، وكان بحضرته الكندي الفيلسوف فقال له: إن هذا الفتى يموت شاباً. فقيل له: من أين حكمت عليه بذلك؟! فقال: رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحسن وجودة الخاطر ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده. [تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١٣٢].

ذكر الصولي: إن المترجم امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينية فلما انتهى إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياسِ

قال له الكندي الفيلسوف وكان حاضراً: الأمير فوق ما وصفت. فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه فأنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباسِ
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فعجبوا من سرعة فطنته.

ديوان شعر أبي تمام

قد يقال: إن المترجم لم يُدوّن شعره. لكنّ الظاهر من قراءة عثمان بن المثنى القرظي المتوفى سنة ٢٧٣ ديوانه عليه كما في «بغية الوعاة» ص ٣٢٤، أنّ شعره كان مدوّناً في حياته. واعتنى بعده جمعٌ من الأعلام والأدباء بترتيبه وتلخيصه وشرحه وحفظه ومنهم:

- ١ - أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن كيسان المتوفى سنة ٣٢٠، له شرحه.
- ٢ - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ / ٦، رتبه على حروف المعجم في نحو ثلاثمائة ورقة.
- ٣ - عليّ بن حمزة الأصبهاني، رتبه على الأنواع.
- ٤ - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الشافعيّ المتوفى سنة ٣٨٠، له شرحه.
- ٥ - أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي المتوفى سنة ٣٧١، له شرحه.
- ٦ - الخالغ حسين بن محمد الرافعي كان حياً في حدود سنة ٣٨٠، له شرحه.
- ٧ - الوزير حسين بن عليّ المغربيّ المتوفى سنة ٤١٨، له كتاب اختيار شعره.
- ٨ - أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٣٤٠، له شرحه رآه الحموي بخطه.
- ٩ - أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعريّ المتوفى سنة ٤٤٩، له تلخيصه المسمّى بـ «ذكرى حبيب» وشرحه.
- ١٠ - أبو زكريا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢، له شرحه.

١١ - أبو البركات ابن المستوفي مبارك الأربلي المتوفى سنة ٦٣٧، له شرحه في عشر مجلدات.

١٢ - أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد المتوفى سنة ٦٣٧، كان يحفظه.

١٣ - أبو الحجّاج يوسف بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٦٧٢، كان يحفظه ويحفظ الحماسة.

١٤ - محيي الدين الخياط، له شرحه^(١).

١٥ - الدكتور ملحم إبراهيم أسود، له شرحه المطبوع بمصر.

والظاهر أنّ النسخة المطبوعة من ديوان أبي تمام، هو ترتيب الصولي لأنها مرتبة على الحروف إلا أنّ فيها سقطاً كثيراً من شعره لأنّ النجاشي قال في فهرسته ص ١٠٢: له شعر في أهل البيت كثير، وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله: أنه رأى نسخة عتيقة ولعلها كتبت في أيامه أو قريباً منه وفيها قصيدة يذكر فيها الأئمة حتى انتهى إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام لأنه توفي في أيامه. اهـ. ولا يوجد في الديوان المطبوع شيء من ذلك الكثير عدا رأيته المذكورة في هذا الكتاب، فإما أنّ يد الأمانة في طبع الكتب حذفت لكم القصائد عند تمثيل الديوان إلى عالم الطباعة كما صنعت مع غيره أيضاً، أو أنّها لم تصل إليها عند النشر، أو أنّ المطبوع اختصار أبي العلاء المعري المذكور.

ديوان الحماسة وشروحه

ولأبي تمام ممّا أفرغه في قالب التأليف ديوان الحماسة الذي سار به الرّكبان واستفادت به الأجيال بعده، جمع فيه عيون الشعر ووجوهه من كلام

(١) راجع فهرست ابن النديم ص ٢٣٥، فهرست النجاشي ص ١٠٢، الطبقات لابن أبي صبيحة ج ٢ ص ٢٠ تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٠، ١٣٣، بغية الوعاة ص ٣٢٤، ٤٠٤، ٤٢٣، كشف الظنون، معجم المطبوعات.

العرب، جمعه بدار أبي الوفاء ابن سلمة بهمدان عندما اضطرتّه الثلوج إلى الإلتجاء إلى هذه المدينة أثناء أوبته من زيارة عبدالله بن طاهر، ورتبه على عشرة أبواب خصّ كلّ باب بفرنّ وقد اعتنى بشرحه جمعٌ كثيرٌ من أعلام الأدب منهم:

- ١ - أبو عبدالله محمد بن القاسم ماجيلويه البرقي .
- ٢ - أبو الحسن عليّ بن محمد السُميساطي^(١) المتوفى أواسط المائة الرابعة .
- ٣ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا اللغويّ الرازيّ المتوفى سنة ٣٦٩ .
- ٤ - أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن عبدالله النمريّ المتوفى سنة ٣٨٥، ولأبي محمد الأسود الحسن الغندجاني ردُّ على النمري هذا في شرح الحماسة كما في [معجم الأدباء] ج ٣ ص ٢٤ .
- ٥ - أبو الفتح عثمان بن جنيّ المتوفى سنة ٣٩٢، له «المنهج» في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة وشرح مستغلق الحماسة .
- ٦ - أبو الحسن عليّ بن زيد البيهقي .
- ٧ - أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري كان حياً إلى سنة ٣٩٥ .
- ٨ - أبو المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروي. النحوي المتوفى سنة ٤١٤ .
- ٩ - الشيخ أبو عليّ أحمد بن محمد المرزوقي الإصبهاني المتوفى سنة ٤٢١ .
- ١٠ - أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعريّ التنوخيّ المتوفى سنة ٤٤٩ .

(١) نسبة إلى سُميساط بالمهملتين بضم أوله وفتح ثانيه، فما في كثير من المعاجم «الشمشاطي» بالمعجمتين تصحيف.

١١ - أبو الحسن عليّ بن أحمد بن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ .

١٢ - أبو الحسين عبدالله بن أحمد بن الحسين الشاماتي المتوفى سنة

.٤٧٥

١٣ - أبو القاسم زيد بن علي بن عبدالله الفارسي المتوفى سنة ٤٦٧ .

١٤ - أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخبري المتوفى سنة ٤٧٦ .

١٥ - أبو الحجّاج يوسف بن سلمان الشتمري المتوفى سنة ٤٧٦ ،

شرحها شرحاً كبيراً ورتبها على الحروف .

١٦ - أبو زكريّا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ ، له

شروحها الثلاثة .

١٧ - أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن الأشبيلي المتوفى سنة ٥١٤ .

١٨ - أبو المحاسن مسعود بن عليّ البيهقي المتوفى سنة ٥٤٤ .

١٩ - أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ .

٢٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الحضرمي الأشبيلي المتوفى سنة

.٥٨٤

٢١ - أبو محمّد القاسم بن محمّد الديمرتي الإصبهاني .

٢٢ - الشيخ عليّ بن الحسن الشميم الحلّي المتوفى سنة ٦٠١ .

٢٣ - أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي المتوفى

سنة ٦١٦ .

٢٤ - أبو عليّ الحسن بن أحمد الأسترابادي اللغويّ النحويّ .

٢٥ - المولوي فيض حسين شرحها مختصراً وأسماء بالفيضي .

٢٦ - الشيخ لقمان .

٢٧ - الشيخ سيد بن علي المرصفي الأزهرى المعاصر .

راجع فهرست النجاشي: فهرست ابن النديم، معجم الأدباء، بغية الوعاة، الذريعة.

دواوين الحماسة

تبع أبا تمام في صناعة الحماسة كثيرون، منهم:

- ١ - البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيدة المتوفى سنة ٢٨٤.
- ٢ - أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي الرازي المتوفى سنة ٣٦٩.
- ٣ - الخالديان إنا هاشم: أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد المتوفى سنة ٣٧١.
- ٤ - أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري النحوي.
- ٥ - أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الشتمري المتوفى سنة ٤٧٦.
- ٦ - أبو حصين محمد بن علي الإصبهاني الديمرتي.
- ٧ - أبو دماش عدّه ابن النديم من النحويين اللغويين.
- ٨ - أبو العباس محمد بن خلف بن المرزباني.
- ٩ - أبو السعادات هبة الله بن عليّ المعروف بابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢.
- ١٠ - الشيخ عليّ بن الحسن الشميم الحلّي المتوفى سنة ٦٠١.
- ١١ - أبو الحجّاج يوسف بن محمد الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٣.
- ١٢ - صدر الدين عليّ بن أبي الفرج البصري المقتول سنة ٦٥٩.
- ١٣ - أبو الحجّاج يوسف بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٦٧٢ (١).

(١) فهرست ابن النديم، معجم الأدباء، بغية الوعاة.

ومن آثار أبي تمام الأدبية: الاختيارات من شعر الشعراء، الاختيار من شعر القبائل، اختيار المقطعات، المختار من شعر المحدثين. نقائض جرير والأخطل. الفحول وهو مختارات من قصائد شعراء الجاهلية والإسلام تنتهي بابن هرمة، ذكرها له ابن النديم في فهرسته ص ٢٣٥ وغيره.

المؤلفون في أخبار أبي تمام

لقد جمع أخباره وما يؤثر عنه غضون حياته من نوادر وظرف ونكت وأدب وشعر جماعة منهم:

- ١ - أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠، له كتاب: [سركات النحويين من أبي تمام].
- ٢ - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٦، له «أخبار أبي تمام». طبع مع فهرسته في ٣٤٠ صحيفة.
- ٣ - أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى البصرى المتوفى سنة ٣٧١، له كتاب [الموازنة بين أبي تمام والبحثري] في عشرة أجزاء. ولياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ٢ ص ٥٩ كلمات حول هذه الموازنة. وللأمدى هذا ردُّ على ابن عمَّار فيما خطأ فيه أبا تمام.
- ٤ - الخالديان إينا هاشم: أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد المتوفى سنة ٣٧١، لهما كتاب [أخبار أبي تمام ومحاسن شعره].
- ٥ - أبو علي أحمد بن محمد المرزوقى الإصبهاني المتوفى سنة ٤٢١، له كتاب [الانتصار من ظلمة أبي تمام] دفع عنه ما انتقد به.
- ٦ - أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٤٤٤، له كتاب «أخبار أبي تمام» في نحو من مائة ورقة.
- ٧ - أبو الحسين علي بن محمد العدوي السَّميساطي، له كتاب [أخبار

أبي تمام والمختار من شعره]. وله كتاب تفضيل أبي نواس على أبي تمام.

٨ - أبو ضياء بشر بن يحيى النصيبي له كتاب [سرقات البحري من أبي تمام].

٩ - أحمد بن عبيدالله القطريلي المعروف بالفريد، صنّف في أخطاء أبي تمام في الإسلام وغيره.

١٠ - الشيخ يوسف البديعي القاضي بالموصل المتوفى سنة ١٠٧٣ له كتاب [هبة الأيام فيما يتعلّق بأبي تمام] في ٣٠٩ صحيفة طبع بمصر سنة ١٣٥٢.

١١ - الشيخ محمّد علي بن أبي طالب الزاهدي الجيلاني المتوفى ببنارس الهند سنة ١١٨١.

١٢ - سيّدنا المحسن الأمين العاملي مؤلّف أعيان الشيعة.

١٣ - عمر فروخ من كتّاب العصر الحاضر، له تأليف في المترجم طبع بيروت في مائة صحيفة.

وتوجد ترجمته في طبقات ابن المعتز ص ١٣٣، فهرست ابن النديم ص ٢٣٥، تاريخ الطبري ج ١١ ص ٩، فهرست النجاشي ص ١٠٢، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨، مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ و ٣٥٧، معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٨ - ٢٧، نزهة الألباء ص ٢١٣، تاريخ ابن خلّكان ج ١ ص ١٣١، رجال ابن داود. خلاصة العلامة، رمآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢، معاهد التنصيص ج ١ ص ١٤، شذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢، مجالس المؤمنين ص ٤٥٨، كشف الظنون ج ١ ص ٥٠١، رياض الجنة للزنوزي في الروضة الرابعة، أمل الأمل ص ٨، منتهى المقال ص ٩٦، منهج المقال ص ٩٢، تكملة أمل الأمل لسيدنا الصدر الكاظمي، دائرة المعارف للبيستاني ج ٢ ص ٥٦، دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٣٢٠، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٢ ص ٦٨٥ - ٦٩٣. وغيرها.

ولادته ووفاته

لم نجزم فيهما بشيء مما في المعاجم لتكثر الاختلاف فيها، وكان الحقيق أن يُؤخذ بالمنقول عن ابنه تمام إذ أهل البيت أدري بما فيه، لكن اختلاف المعاجم في المنقول عنه يسلب الثقة به، فمجموع الأقوال: أنه ولد سنة ١٧٢، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢ وتوفي سنة ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، بالموصل ودفن بها وبني عليه أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة خارج باب الميدان على حافة الخندق ورثاه علي بن الجهم بقوله:

غاضت بدائع فطنة الأوهام	وغدت عليها نكبة الأيام
وغدا القريض ضئيل شخص باكياً	يشكور زيته إلى الأقسام
وتأوت غور القوافي بعده	ورمى الزمان صحيحها بسقام
أودى مثقفها ورائد صعبها	وغدير روضتها أبا تمام
وقال الحسن بن وهب يرثيه:	

فُجع القريض بخاتم الشعراء	وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً فتجاورا في حفرة	وكذاك كانا قبل في الأحياء

قد يُعزى البيتان إلى ديك الجن. ورثاه الحسن بن وهب أيضاً بقوله من

قصيدة:

سقى بالموصل القبر الغريبا	سحائب. ينتحبين له نحيبا
إذا أظلمنه أظلمن فيه	شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمن البروق به حدوداً	وأشققن الرعود به جيوبا
فإن تراب ذاك القبر يحوي	حبيباً كان يُدعى لي حيبا

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيّات وزير المعتصم، وقيل: إنه لأبي الزبير بن عبد الله بن الزبير بن الكاتب مولى بني أمية بقوله:

نبأ أتى من أعظم الأنبياء	لما ألمّ مقلقل الأحشاء
قالوا: حبيبٌ قد ثوى فأجبتهم	ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

سُئل شرف الدين أبو المحاسن محمد بن عنين عن معنى قوله :
سقى الله روح الغوطتين ولا ارتوت من الموصل الجدباء إلا قبورها
لِمَ حرّمها ونحصّ قبورها؟! فقال: لأجل أبي تمام.
خلف المترجم ولده الشاعر تمام، قصد بعد موت أبيه عبدالله بن طاهر
فاستنشده فأنشده:

حيّاك ربّ الناس حيّاكا إذ بجمال الوجه رواكا
بغداد من نورك قد أشرقت وأورق العود بجدواكا
فأطرق عبدالله ساعة ثم قال:

حيّاك ربّ الناس حيّاكا إنّ الذي أمّلت أخطاكا
أتيت شخصاً قد خلا كيسه ولو حوى شيئاً لأعطاكا

فقال: أيها الأمير، إنّ بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما فضلاً من
المال. فضحك منه وقال: لئن فاتك شعر أبيك فما فاتك ظرفه: فأمر له بصلة.
[غرر الخصائص لوطواط ص ٢٥٩].

الجواد قد يكبو:

لا ينقضي العجب وكيف ينقضي من مثل أبي تمام العريق في المذهب،
والعارف بنواميسه، والبصير بأحوال رجاته، وما لهم من مآثر جمّة، وجهود
مشكورة، وهو جدّ عليم بما لأضدادهم من تركاض وهملجة في تشويه
سمعتهم، وإعادة تاريخهم المجيد المملوء بالأوضاح والغرر، إلى صورة
ممقوتة، محفوفة بشية العار، مشفوعة كلّ هاتيك بجلبة ولغط، وقد انطلت لديه
أمثلة من تلكم السفاسف حول رجل الهدى، الناهض المجاهد، والبطل
المغوار، المختار بن أبي عبيد الثقفي؛ فحسب ما قذفته به خصماؤه الألداء في
دينه وحديثه ونهضته حقائق راهنة حتى قال في رائيته المثبتة في ديوانه
ص ١١٤:

والهاشميون استقلت غيرهم من كربلاء بأوثق الأوتار

فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختار
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا منه براء السمع والأبصار

ومن عطف على التاريخ والحديث وعلم الرجال نظرة تشفعها بصيرة نفاذة
علم أن المختار في الطليعة من رجال الدين والهدى والإخلاص؛ وأن نهضته
الكريمة لم تكن إلا لإقامة العدل باستئصال شأفة الملحدين، واجتياح جذوم
الظلم الأموي، وأنه بمنزح من المذهب الكيساني؛ وأن كل ما نبزوه من قذائف
وطامات لا مقييل لها من مستوى الحقيقة والصدق، ولذلك ترحم عليه الأئمة
الهداة سادتنا: السجاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم، وبالغ في الثناء عليه
الإمام الباقر عليه السلام، ولم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر هو وأعماله.

وقد أكبره ونزّهه العلماء الأعلام منهم: سيدنا جمال الدين ابن طاوس في
رجاله. وآية الله العلامة في الخلاصة. وابن داود في الرجال. والفقيه ابن نما
فيما أفرد فيه من رسالته المسماة بذوب النضار. والمحقق الأردبيلي في حديقة
الشيعة. وصاحب المعالم في التحرير الطاووسي. والقاضي نور الله المرعشي
في المجالس. وقد دافع عنه الشيخ أبو علي في منتهى المقال. وغيرهم.

وقد بلغ من إكبار السلف له أن شيخنا الشهيد الأول ذكر في مزاره زيارة
تخص به ويُزار بها وفيها الشهادة الصريحة بصلاحه ونصحه في الولاية وإخلاصه
في طاعة الله ومحبة الإمام زين العابدين، ورضا رسول الله وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهما وآلهما عنه؛ وأنه بذل نفسه في رضا الأئمة ونصرة العترة
الطاهرة والأخذ بشارهم.

والزيارة هذه توجد في كتاب «مراد المرید» وهو ترجمة مزار الشهيد للشيخ
علي بن الحسين الحائري، وصححها الشيخ نظام الدين الساوجي مؤلف «نظام
الأقوال» ويظهر منها أن قبر المختار في ذلك العصر المتقادم كان من جملة
المزارات المشهورة عند الشيعة، وكانت عليه قبة معروفة كما في رحلة ابن
بطوطة ج ١ ص ١٣٨.

المؤلفون في مختار بن أبي عبيد ٤٠٣

ولقد تصدّى لتدوين أخبار المختار وسيرته وفتوحه ومعتقداته وأعماله جماعة من الأعلام فمنهم:

١ - أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى سنة ١٥٧، له كتاب [أخذ الثار في المختار].

٢ - أبو المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار المتوفى سنة ٢١٢، له «أخبار المختار».

٣ - أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي سيف المدائني المتوفى سنة ٢١٥ / ٢٥، له «أخبار المختار».

٤ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى سنة ٢٨٣، له «أخبار المختار».

٥ - أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفى سنة ٣٠٢، له «أخبار المختار».

٦ - أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق المتوفى سنة ٣٨١، له «كتاب المختار».

٧ - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٩، له [مختصر أخبار المختار].

٨ - أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري الطالبي خليفة شيخنا المفيد، له «أخبار المختار».

٩ - الشيخ أحمد بن المتوج له «الثرات» أو «قصص الثار». منظومة.

١٠ - الفقيه نجم الدين جعفر الشهير بابن نما المتوفى سنة ٦٤٥، له (ذوب النضار في شرح الثار) طبع برمته في المجلد العاشر من البحار.

١١ - الشيخ علي بن الحسين العاملي المروزي له [قرّة العين في شرح ثارات الحسين] فرغ منه ٢٠ رجب سنة ١١٢٧.

١٢ - الشيخ أبو عبدالله عبد بن محمد له [قرّة العين في شرح ثار الحسين] طبع مع [نور العين ومثير الأحران].

١٣ - السيّد إبراهيم بن محمد تقي حفيد العلامة الكبير السيّد دلدار علي النقوي النصير آبادي له [نور الأبصار في أخذ الثار].

١٤ - المولى عطاء الله بن حسام الهروي له (روضة المجاهدين) طبع سنة ١٣٠٣.

١٥ - المولى محمد حسين بن المولى عبدالله الأرجستاني، له «حملة مختارية».

١٦ - الكاتب الهندي نواب علي نزيل لكهنو له «نظارة انتقام» طبع في جزئين.

١٧ - الحاج غلام علي بن إسماعيل الهندي، له «مختار نامه».

١٨ - سيّدنا السيّد محسن الأمين العاملي له [أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار] ط.

١٩ - السيّد حسين الحكيم الهندي، له ترجمة (ذوب النضار) لابن نما.

٢٠ - السيّد محمد حسين ابن السيّد حسين بخش الهندي المولود سنة ١٢٩٠، له (تحفة الأخبار في إثبات نجاة المختار).

٢١ - الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي، له [سبك النضار]. أو: شرح حال شيخ الثار] في مائتين وخمسين صحيفة وقد أدى فيه حق المقال، وأغرق نزاعاً في التحقيق، ولم يُبق في القوس منزعاً، قرأت كثيراً منه ووجدته فريداً في بابه لم يؤلف مثله، جزاه الله عن الحق والحقيقة خيراً. وله في المختار قصيدة على روي قصيدة أبي تمام عطف فيها على مديحه إطراء صاحبه ومشاطره في الفضيلة: إبراهيم بن مالك الأشتر وهي:

يهنيك يا بطل الهدى والثار ما قد حويت بمدرك الأوتار

مشكورة جلّت عن الأكبار
 فيه جنان مهذب مغوار
 أضحت بنو صخر وقود النار
 وأمّية كأس الردى والعار
 بمهند عند الكريهة وار
 يوم الهياج بفيلق جرار
 أسد الوغي خواضة الأخطار
 إلا بكل مدجج ثوار
 فتشادقوا فيها بيا للثار
 من كل زناء إلى خمّار
 علوية مذ أرزئت بالثار
 بالطف قد أودت برّب الدار
 إلّاك يا حيت من مسبار
 في الروح من نخع هزبر ضاري
 الصيد الأباة بملتقى الأصار
 وعلاً يفوح بها أريج نجار
 هضب السرواسي الشم في المقدار
 والغيث في تسكابه المدرار
 المصطفين السادة الأبرار
 إلا وأرسب من سطا بغمار
 إلا ورد شواظها بأوار
 والملتطي ذلاً لكل فخار
 كلّ الثنا قصر على المختار
 زهت الروابي عنه بالأزهار
 قد شفّعت بمحاسن الآثار
 عمّا ينضد فيه من أشعار

لك عند آل محمد كم من يد
 عرفتك مقبلة الخطوب محنكاً
 أضرت للحرب العوان لظى بها
 وأذقت نغل سمية بأس الهدى
 فروا هواناً عند ضفة خاذر
 فرقت جمعهم العرمم عنوة
 وفوارس من حزب آل المصطفى
 وبواسل لم تغرهم وثباتهم
 لم يعرفوا إلا الإمام وثاره
 فتفرقت فرقا علوج أمية
 وأخذت ثارا قبله لم تكتحل
 وعمرت دوراً هدمت منذ العدى
 عظم الجراح فلم يصب أعماقه
 في نجدة ثقفية يسطو بها
 الندب إبراهيم من رضخت له
 من زانه شرف الهدى في سودد
 حشو الدروع أخوحجى من دونه
 إن يحكه فالليث في حملاته
 أو يحسوه فقلوب آل محمد
 ما إن يخض عند اللقا في غمرة
 أو يمم الجلى بعزم ثاقب
 المرتدي حلل المديح مطارفاً
 وعليه كلّ الفضل قصر مثلما
 عن مجده أرج الكبا وحديثه
 ومآثر مثل النجوم عدادها
 وكفاه آل محمد ومديحهم

وكمثلهم عند الكفاح شعاري
 أجر الشهادة في ثناءٍ جاري
 من آل حرب مدركاً أوتاري
 ثبج العدى بالمقضب البتار
 نشثوا على الإلحاد في استهتار
 والعار أجريّة من الكفار
 إذ لم أكن أحمي هناك ذماري
 إذ إن ما فعلوا بها مختاري
 فيها لكل مذمّم كفار
 عند اشتباك الجحفل الموار
 وجنوده تلتاح في إعصار
 لشوى الكماة بأنصل وشفار
 من رازح في كربه بأسار
 لبني الهدى كالسيّد المختار
 وأمين آل المصطفى الأطهار
 كرب المهمّ وندحة الأوزار
 فالقوم في شغل عن الإبصار
 إن تعش عنها نظرة الأبصار؟
 ولمن قلاك مزلة الأغرار
 وملاذ عترته حماة الجار
 فالطود لا يلوى بعصف الذاري
 مشكورة في الورد والإصدار
 عن قدس مجدك في شفير هار
 تزور عنه جلبة المهذار
 من جوهر أو من سبيك نضار
 بزغت بشارقة من الأقمار

أسفي على أن لم أكن من حزبه
 فهناك إمّا موتة أرجو بها
 أو أنني أحظى بنيل المبتغى
 وأخواض في الأوساط منهم ضارباً
 ولأثكلن أراملاً في فتية
 ومشیخة قد أورثوا كل الخنا
 لكن على ما في من مفضل الجوى
 لم تعدني تلك المواقف كلها
 فلقد رضيت بما أراقوا من دم
 ولأشفين النفس منهم في غد
 يوم ابن طه عباقد لبسوده
 تشوي الوجوه لظى به نزاعة
 فهناك الظفر المريح جوى الحشا
 ويتم فيه القصد من عُصب الولا
 يا أيها الندب المؤجج عزمه
 يا نجعة الخطب الملم وآلة ال
 لاغرو إن جهلت علاك عصابة
 فلقد بزغت ذكاً وهل يُزرى بها
 لك حيث مرتبع الفخار مباتة
 ومبوء لك في جوار محمّد
 فلئن رموك بمحفظ من إفكهم
 أو يجحدوك مناقباً ماثورة
 فلك الحقيقة والوقية لم تزل
 فتهنّ محتبياً بسوددك الذي
 خذها إليك قصيدة منضودة
 لم يحكها نجم السماء لأنها

كلاً ولا ضاهى محاسن نظمها
هي غادة زفت إليك ولم يُشن
هبت عليك نسائم قدسية
وسقى لإبراهيم مضطجع الهدى
ما نافح الروض النسيم مشفعا
يتلو كما يتلى بكل صحيفة
ما عن حطيئة جاء أو بشار
إقبالها بدعارة ونفار
حيث ثراك برحمة ويسار
ودق الغمام المرزم المكثار
سجع البلابل فيه شدو هزار
مرّ العشي وكرة الإبكار



١٠ - دعبل الخزاعي

الشهيد سنة ٢٤٦ هـ

نوائح عجم اللفظ والنطقات
أسارى هوى ماضٍ وآخر آتٍ
صفوف الدجا بالفجر منهزمت
سلام شجٍ صبَّ على العرصات^(٢)
من العطرات البيض والخفرات^(٣)
ويعدى تدانينا على الغربات
ويسترن بالأيدي على الوجنات
يبيت بها قلبي على نشوات
وقوفي يوم الجمع من عرفات
على الناس من نقص وطول شتات؟!
بهم طالباً للنور في الظلمات
إلى الله بعد الصوم والصلوات؟!
وبغض بني الزرقاء والعبلات
أولوا الكفر في الإسلام والفجرات

تجاوين بالأرنان والزفرات
يخبُرُن بالأنفاس عن سرِّ أنفس
فأسعدن أو أسعفن حتى تقوُضت^(١)
على العرصات الخاليات من المها
فعهدي بها خضر المعاهد مألفاً
ليالي يعدين الوصال على القلا
وإذ هنُّ يلحظن العيون سوافراً
وإذ كلُّ يوم لي بلحظي نشوة
فكم حسرات هاجها بمحسر^(٤)
ألم تر للأيام ما جرَّ جورها
ومن دُول المستهزئين ومن غدا
فكيف ومن أنى بطالب زلفة
سوا حبِّ أبناء النبي ورهطه
وهند وما أدَّت سُميَّة وابنها

(١) تقوُضت الصفوف: انتقضت وتفرقت.

(٢) المها: البقرة الوحشية. الصب: العاشق وذو الولع الشديد.

(٣) خفرت الجارية: استحيت أشد الحياء.

(٤) وادي محسر بكسر السين المشددة: حد «منى» إلى جهة «عرفة».

هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه
ولم تك إلا محنة قد كشفتهم
تراث بلا قربي وملك بلا هدى
رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة
وما سهلت تلك المذاهب فيهم
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة
ولو قلدوا الموصى إليه أمورها
أخي خاتم الرسل المصطفى من القذى
فإن جحدوا كان « الغدير » شهيداً
وأي من القرآن تُتلى بفضله
وغيرُ خلال أدركته بسبقها

ومحكّمه بالزور والشبهات
بدعوى ظلال من هن وهنات
وحكم بلا شورى بغير هدات
وردت أجاجاً طعم كل فرات
على الناس إلا بيعة الفلتات
بدعوى تراث في الضلال نتات
لزمت بمأمون عن العشرات
ومفترس الأبطال في الغمرات
وبدر وأحد شامخ الهضبات
وايثاره بالقوت في اللزيات
مناقب كانت فيه مؤتفات^(١)

(القصيدة ١٢١ بيتاً)

ما يتبع من الشعر

من كلمات أعلام العامة

١ - قال أبو الفرج في الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ : قصيدة دعبل :

مدارسُ آياتٍ نخلت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحي مقفر العرصات^(٢)

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام،
قصدها عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام بخراسان قال : دخلت على عليّ بن
موسى الرضا عليه السلام فقال لي : أنشدني شيئاً مما أحدثت . فأنشدته :

مدارسُ آياتٍ نخلت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحي مقفر العرصات

(١) أنف كل شيء : أوله . وروض أنف : ما لم يرعه أحد : كأس أنف : لم يشرب بها . المستأنف : ما لم يسبق إليه .

(٢) هو البيت الثلاثون من القصيدة وتسمى به .

حتى انتهيت إلى قولي :

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفأ عن الأوتار منقبضات

قال : فبكى حتى أغمي عليه وأوما إلي خادم كان على رأسه : أن اسكت . فسكت فمكث ساعة ثم قال لي : أعد . فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى وأوما الخادم إلي : أن اسكت . فسكت فمكث ساعة أخرى ثم قال لي : أعد . فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها . فقال لي : أحسنت - ثلاث مرّات - ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه ولم تكن دفعت إلى أحد بعد وأمر لي من في منزله بحلي كثير أخرجته إلي الخادم ، فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم اشتراها مني الشيعة فحصل لي مائة ألف درهم فكان أول مال اعتقدته^(١) .

قال ابن مهرويه : وحدثني حذيفة بن محمد : إن دعبلاً قال له : إنه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غضباً وقالوا له : إن شئت أن تأخذ المال فافعل وإلا فأنت أعلم . فقال لهم : إني والله لا أعطيك إياها طوعاً ولا تنفعكم غضباً وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف الدرهم وفردكم من بطانتها ، فرضي بذلك فأعطوه فردكم فكان في أكفانه وكتب قصيدته :

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحي مقفر العرصات

فيما يقال على ثوب وأحرم فيه وأمر بأن يكون في أكفانه^(٢) .

وروى في ص ٣٩ عن دعبل قال : لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبدالله بن طاهر في تلك

(١) في معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥ ، عيون أخبار الرضا ص ٢٨٠ .

(٢) وذكر في معجم الأدباء ج ٤ ص ١٩٦ ، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥ ، وعصر المأمون ص ٣ .

الليلة فإني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردودٌ عليّ: السّلام عليكم ورحمة الله أنج يرحمك الله. فاقشعرُ بدني من ذلك ونالني أمرٌ عظيمٌ فقال لي: لا ترع عافاك الله فإني رجلٌ من إخوانك من الجنّ من ساكني اليمن طرء إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مدارسُ آياتٍ نخلت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍ مقفر العرصاتِ

فأحبيت أن أسمعها منك. قال فأنشدته إياها فبكي حتى خر، ثم قال: رحمك الله ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى. قال مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السّلام فصرت إلى المدينة فسمعتة يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: عليّ وشيعته هم الفائزون. ثم ودّعني لينصرف فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان بن عامر^(١).

٢ - قال أبو إسحاق القيرواني الحصري المتوفى سنة ٤١٣ في «زهر الأداب» ج ١ ص ٨٦: كان دعبل مداحاً لأهل البيت عليهم السّلام كثير التعصب لهم والغلو فيهم وله المرثية المشهورة وهي من جيد شعره وأولها:

مدارسُ آياتٍ نخلت من تلاوةٍ	ومنزلٌ وحيٍ مقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى	وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديار عليّ والحسين وجعفر	وحمزة والسجاد ذي الثففاتِ
قفا نسأل الدار التي خف أهلها	متى عهدتها بالصوم والصلواتِ؟!
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى	أفانين في الأفاق مفترقاتِ؟!
أحبُّ قصي الدار من أجل حبهم	وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي

٣ - قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤: ثم إن المأمون لما ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه أقبل بجمع الآثار في فضائل

(١) وذكره صاحب معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥.

آل الرسول فتناهى إليه فيما تنهى من فضائلهم قول دعبل:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلٌ وحي مقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمراتِ

فما زالت تردّد في صدر المأمون حتى قدم عليه دعبل (١) فقال له: أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك ولك الأمان من كل شيء فيها فإنني أعرفها وقد رويتها إلا أنني أحبُّ أن أسمعها من فيك. قال: فأنشده حتى صار إلى هذا الموضع:

ألم تر أنني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فيتهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيتهم صفراتِ
قال رسول الله نحفٌ جسومهم وآل زياد غلظ القصراتِ
بنات زياد في الخدور مصونة وبنت رسول الله في الفلواتِ
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفأ عن الأوتار منقبضاتِ
فلولا الذي أرجوه في يوم أو غد تقطع نفسي إثرهم حسراتِ

فبكى المأمون حتى اخضلت لحيته وجرت دموعه على نحره، وكان دعبل أول داخل عليه وآخر خارج من عنده.

٤ - قال ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ٤ ص ١٩٦: قصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنى المدائح قصد بها علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان [وذكر حديث البردة وقصتها المذكورة ثم قال:] ويقال: أنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يُظنُّ (٢) أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة وأنا موردون ما صحَّ منها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلٌ وحي مُقفر العرصاتِ

(١) ومن هنا يوجد في الأغاني ج ١٨ ص ٥٨، وزهر الأداب ج ١ ص ٨٦، ومعاهد التنصيص ص ٢٠٥، والاتحاف ص ١٦٥.

(٢) يأتي في آخر ما يتبع الشعر: ان هذا الظن إثم ولا يغني من الحق شيئاً.

لآل رسول الله بالخيف من منى
ديار عليّ والحسين وجعفر
ديار عفاها كلُّ جون مبادرٍ
قفا نسأل الدار التي خفت أهلها
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى
هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا
وما الناس إلا حاسدٌ ومكذّبٌ
إذا ذكروا قتلى بيدرٍ وخيبر
قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطيبة
وقبرٌ ببغداد لنفس زكية
فأما المصمات التي لست بالغأ
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً
نفوسٌ لدى النهرين من أرض كربلا
تقسّمهم ربُّ الزمان كما ترى
سوى أن منهم بالمدينة عصبه
قليلة زوارٍ سوى بعض زورٍ
لهم كلُّ حين نومةٌ بمضاجع
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها
تنكب لأواء السنين جوارهم
إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا
وإن فخرُوا يوماً أتوا بمحمد
ملامك في أهل النبي فإنهم
تخيرتهم رشداً لأمرى فإنهم
فياربٌ زدني من يقيني بصيرة
بنفسي أنتم من كهول وفتية
أحبُّ قصي الرحم من أجل حبكم

وبالركن والتعريف والجمرات
وحمزة والسجاد ذي الثنات
ولم تعف لآيام والسنوات
متى عهدتها بالصوم والصلوات؟
أفانين في الأفاق مفترقات؟
وهم خيرٌ قاداتٍ وخيرٌ حماةٍ
ومضطغنٌ ذو إحنة وتراتٍ
ويوم حنين أسبلوا العبرات
وأخرى بفخ نالها صلواتي
تضمّنها الرحمن في الغرفات
مبالغها مني بكنه صفاتٍ
يفرّج منها الهم والكربات
معرّسهم فيها بشطّ فراتٍ
لهم عقرة مغشية الحجرات
مدى الدهر أضناه من الأزمات
من الضبع والعقبان والرخمات
لهم في نواحي الأرض مختلفاتٍ
مغاوير يختارون في السروات
فلا تصطليهم جمرة الجمرات
مساعر جمر الموت والغمرات
وجبريل والفرقان ذي السورات
أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي
على كلِّ حال خيرة الخيرات
وزد حبهم يارب في حسناتي
لفك عناية أو لحمل دياتٍ
وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

وأكتُم حَبِيكُم مخافة كاشح
 لقد حَفَّت الأَيام حولي بشرها
 ألم تر أني مذ ثلاثين حَجَّة
 أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
 فآل رسول الله نحفٌ جسومهم
 بنات زياد في القصور مصونة
 إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم
 فلو لا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ
 خروج إمام لا محالة خارجٌ
 يميِّز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ
 سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم
 فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري
 فإن قُرب الرُّحمن من تلك مدتي
 شفيت ولم أترك لنفسي رزيةً
 أحاول نقل الشمس من مستقرها
 فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ
 قصاراي منهم أن أموت بغصبة
 كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها

عتيد لأهل الحق غير مواتٍ
 وإنني لأرجو الأمن بعد وفاتي
 أروح وأغدو دائم الحسرات؟
 وأيديهم من فيئهم صفراتٍ
 وآل زياد حفل القصرات^(١)
 وآل رسول الله في الفلوات
 أكفأ من الأوتار منقبضاتٍ
 لقطع قلبي إثرهم حسراتي
 يقوم على اسم الله والبركات
 ويجزي على النعماء والنقمات
 كفاني ما ألقى من العبرات
 فغير بعيد كل ما هو آتٍ
 وآخر من عمري لطول حياتي
 ورويت منهم منصلي وقناتي
 وأسمع أحجاراً من الصلوات
 يميل - مع الأهواء - والشبهات
 تردد بين الصدر واللهوات
 لما ضمنت من شدة الزفرات.

٥ - أخرج شيخ الإسلام أبو إسحاق الحموي (المترجم له ج ١ ص ١٥٨) عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعي قال: أنشدت قصيدة لمولاي علي الرضا رضي الله عنه:

مدارسُ آيات نخلت من تلاوة ومنزلٌ وحي مُقفر العرصات

(١) الحفل من الحافل: الممتلئ. القصرات جمع قصرة: أصل العنق.

قال لي الرضا: أفلا ألحق البيتين بقصيدتك؟! قلت: بلى يا بن رسول الله! فقال:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحّت بها الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا الهم والكربات^(١)

قال دعبل: ثم قرأت باقي القصيدة فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم الله والبركات

بكى الرضا بكاء شديداً ثم قال: يا دعبل نطق روح القدس بلسانك أتعرف من هذا الإمام؟! قلت: لا إلا أنني سمعت خروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. فقال: إن الإمام بعدي ابني محمد وبعد محمد ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأما متى يقوم فإنخبار عن الوقت لقد حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة. ويأتي هذا الحديث عن الشبراوي أيضاً.

٦ - قال أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في «مطالب السؤل» ص ٨٥ قال دعبل: لَمَّا قَلت: مدارس آيات قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا وهو بخراسان، وليّ عهد المأمون فأحضرني المأمون وسألني عن خبري ثم قال لي: يا دعبل! أنشدني - مدارس آيات خلّت من تلاوة - فقلت: ما أعرفها يا أمير المؤمنين! فقال: يا غلام أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. فلم يكن إلا ساعة حتى حضر فقال له: يا أبا الحسن! سألت دعبلًا عن - مدارس آيات خلّت من تلاوة - فذكر أنه لا يعرفها. فقال لي أبو الحسن: يا دعبل! أنشد أمير المؤمنين. فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها فأمر لي بخمسين ألف درهم. وأمر لي أبو الحسن الرضا بقريب من

(١) ألحقهما الإمام عليه السلام بعد قول دعبل:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمان في الغرفات

ذلك فقلت: يا سيدي! إن رأيت أن تهبني شيئاً من ثيابك ليكون كفني. فقال: نعم. ثم دفع لي قميصاً قد ابتذله ومنشفة لطيفة، وقال لي: احفظ هذا تحرس به. ثم دفع ذو الرياستين أبو العباس الفضل بن سهل وزير المأمون صلةً وحملني على بردون أصفر خراساني، وكنت أسايره في يوم مطير وعليه ممطر خزّ وبرنس فأمر لي به ودعا بغيره جديد ولبسه وقال: إنما آثرتك باللبس لأنه خير الممطرين. قال: فأعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه، ثم كررت راجعاً إلى العراق فلما صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا فكان ذلك اليوم يوماً مطيراً فبقيت في قميص خلق وضرّ شديد متأسف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة ومفكر في قول سيدي الرضا إذ مرّ بي واحد من الأكراد الحرامية تحته الفرس الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر ووقف بالقرب مني ليجتمع إليه أصحابه وهو ينشد - مدارس آيات خلت من تلاوة - ويبكي فلما رأيت ذلك عجبت من لص من الأكراد يتشيع ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت: يا سيدي. لمن هذه القصيدة؟! فقال: وما أنت وذلك؟! ويلك فقلت: لي فيه سببٌ أخبرك به. فقال: هي أشهر بصاحبها من أن تجهل. فقلت: من؟! قال: دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل محمد جزاه الله خيراً. قلت له: يا سيدي فأنا والله دعبل وهذه قصيدتي. الحديث.

وقال ص ٨٦ بعد ذكر الحديث ما لفظه: فانظر إلى هذه المنقبة وما أعلاها وما أشرفها وقد يقف على هذه القصة بعض الناس ممن يطالع هذا الكتاب ويقراه فتدعوه نفسه إلى معرفة هذه الأبيات المعروفة ب- مدارس آيات - ويشتهي الوقوف عليها وينسبني في إعراضي عن ذكرها إماماً أنني لم أعرفها، أو: أنني جهلت ميل النفوس حينئذ إلى الوقوف عليها فأحببت أن أدخل راحةً على بعض النفوس وأن أدفع عني هذا النقص المتطرق إلى بعض الظنون فأوردت منها ما يُناسب ذلك، وهي:

ذكرتُ محلّ الربع من عرفاتٍ وأرسلت دمع العين بالعبراتِ
وفلّ عرى صبري وهاج صبابتي رسوم ديار أقفرت وعراتِ

مدارسُ آياتِ خلَّتْ من تلاوة
 لآلِ رسولِ الله بالخيفِ من منى
 ديارِ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ
 ديارِ عفاها جورُ كلِّ مُنابذِ
 ودارِ لعبداللهِ والفضلِ صنوه
 منازلُ كانت للصلاةِ وللتقى
 منازلُ جبريلِ الأمينِ يحلُّها
 منازلُ وحيِ الله معدنِ علمه
 منازلُ وحيِ الله ينزلُ حولها
 فأين الأولى شطت بهم غربةِ النوبِ
 همُّ آلِ ميراثِ النبيِّ إذا انتموا
 مطاعيمِ في الأعسارِ في كلِّ مشهدِ
 إذا لم تُنَّاجِ الله في صلواتنا
 أئمةٌ عدلٌ يُقتدى بفعالهم
 فيا ربِّ زد قلبي هدىً وبصيرةً
 ديارِ رسولِ الله غلَّتْ رقابهم
 وآلِ رسولِ الله تُدمى نحورهم
 وآلِ رسولِ الله تُسبى حريمهم
 وآلِ زيادِ في القصورِ مصونةً
 فيا وارثي علمِ النبيِّ وآله
 لقد آمنت نفسي بكم في حياتها

ومهبطُ وحيِ مُقفرِ العرصاتِ
 وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ
 وحمزةِ والسجَّادِ ذي الثغفاتِ (١)
 ولم تعفِ بالأيامِ والسنواتِ
 سليلِ رسولِ الله ذي الدعواتِ
 وللصُّومِ والتطهيرِ والحسناتِ
 من الله بالتسليمِ والزكواتِ
 سبيلِ رشادِ واضحِ الطرقاتِ
 على أحمدِ الروحاتِ والغدواتِ
 أفانينِ في الأقطارِ مفترقاتِ؟
 وهم خيرُ ساداتِ وخيرُ حماتِ
 لقد شرفوا بالفضلِ والبركاتِ
 بذكرهم لم يقبلِ الصَّلواتِ
 وتؤمن منهم زلَّةُ العثراتِ
 وزد حُبهم يا ربِّ في حسناتي
 وآلِ زيادِ غلَّظِ القصراتِ
 وآلِ زيادِ زينوا الحججياتِ
 وآلِ زيادِ آمنوا السريياتِ
 وآلِ رسولِ الله في الفلواتِ
 عليكم سلامٌ دائمِ النفحاتِ
 واني لأرجو الأمنِ بعد مماتي

٧ - ذكر شمس الدين سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٤ في تذكروته ص ١٣٠ من القصيدة ٢٩ بيتاً وفيها ما لم يذكره الحموي في «معجم

(١) ذكر الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٣ بيتين من القصيدة أحدهما: مدارس آيات. والثاني هذا البيت وقال: (ذو الثغفات) كان يقال لكل من علي بن الحسين بن علي عليه السلام وعلي بن عبدالله بن عباس: ذو الثغفات. لما على أعضاء السجود منهما من السجودات الشبيهة بثغفات الإبل وذلك لكثرة صلاتهما.

الأدباء». وُذِّكرت في هامش التذكرة القصيدة من أولها إلى - مدارس آيات -.

٨- ذكر صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في «الوافي بالوفيات»

ج ١ ص ١٥٦ طريق رواية القصيدة عن عبيدالله^(١) بن جخجخ النحوي عن محمد بن جعفر بن لنكك أبي الحسن البصري النحوي عن أبي الحسين العباداني عن أخيه عن دعبل، وهذا الطريق ذكره جلال الدين السيوطي في «بغية الوعاة» ص ٩٤.

٩- روى الشبراوي الشافعي المتوفى سنة ١١٧٢ في «الإتحاف»

ص ١٦٥ عن الهروي قال: سمعت دعبلاً يقول: لَمَّا أنشدت مولاي الرُّضا قصيدتي التي أولها:

مدارسُ آيات نخلت من تلاوة ومهبطٌ وحي مقفر العرصاتِ

فلَمَّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كلُّ حقٍّ وباطل ويُجزِي على النعماء والنقمات

بكي الرُّضا عليه السَّلام بكاءً شديداً ثم رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعيُّ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام؟! ومتى يقوم؟! فقلت: لا يا سيدي! إلا أني سمعت بخروج إمام منكم (إلى آخر ما مرَّ عن الحموي)^(٢).

وفي «الإتحاف» ص ١٦١: نقل الطبري في كتابه عن أبي الصلت

الهروي قال: دخل الخزاعيُّ على عليِّ بن موسى الرُّضا بمرو فقال: يا بن رسول الله! إنني قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك وأحبُّ أن تسمعها مني فقال له عليُّ الرُّضا: هات قل، فأنشأ يقول:

ذُكرت محلُّ الربع من عرفاتٍ فأجريتُ دمع العين بالعبراتِ

(١) قال ياقوت الحموي: كان ثقة صحيح الكتابة.

(٢) وذكره الصدوق في العيون ص ٣٧٠، والأمامي ص ٢١٠، والطبرسي في أعلام الورد ص ١٩٢،

وفلُّ عُرَى صَبْرِي وَهَاجَتِ صَبَابَتِي
 مَدَارِسُ آيَاتِ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ
 لآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
 دِيَارِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرِ
 دِيَارِ لِعَبْدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ صَنُوهُ
 مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَلِلتَّقَى
 مَنَازِلُ جَبْرِيلَ الْأَمِينِ يَحُلُّهَا
 مَنَازِلُ وَحْيِ اللَّهِ مَعْدِنَ عِلْمِهِ
 قَفَا نَسَّالَ الدَّارِ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
 وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
 أَحَبُّ قِضَاءِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ
 هُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا انْتَمَوْا
 مَطَاعِيمِ فِي الْأَعْسَارِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 أُمَّةٌ عَدَلٌ يُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ
 يَا رَبِّ زِدْ قَلْبِي هِدًى وَبَصِيرَةً
 لَقَدْ آمَنْتَ نَفْسِي بِهِمْ فِي حَيَاتِهَا
 أَلَمْ تَرَ أَنِي مَدَّ ثَلَاثِينَ حُجَّةً
 أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَتَقَسِّمًا
 إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرَهُمْ
 وَآلَ رَسُولِ اللَّهِ نَحَفَتْ جُسُومُهُمْ
 سَابِكِيهِمْ مَا ذَرَفِي الْأَفْقَ شَارِقُ
 وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا
 دِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلْقَعًا
 وَآلَ زِيَادِ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
 فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
 خُرُوجِ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجِ

رَسُومِ دِيَارِ أَقْفَرَتْ وَعَرَاتِ
 وَمَهْبِطِ وَحْيِ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
 وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمْرَاتِ
 وَحَمْزَةِ وَالسَّجَادِ ذُو الثَّنَاتِ
 نَجِيٍّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ
 وَلِلصُّومِ وَالتَّطْهِيرِ وَالْحَسَنَاتِ
 مِنْ اللَّهِ بِالتَّعْلِيمِ وَالرُّحْمَاتِ
 سَبِيلِ رِشَادِ وَاضِحِ الطَّرِيقَاتِ
 مَتَى عَهْدَهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ
 فَآمَسِينَ فِي الْأَقْطَارِ مَفْتَرِقَاتِ؟
 وَأَهْجَرَ فِيهِمْ أُسْرَتِي وَثِقَاتِي
 وَهُمْ خَيْرُ سَادَاتٍ وَخَيْرُ حِمَاةٍ
 لَقَدْ شَرَّفُوا بِالْفَضْلِ وَالْبَرَكَاتِ
 وَتَوَمَّنَ مِنْهُمْ زَلَّةَ الْعَثَرَاتِ
 وَزَدَ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
 أَرْوِحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ؟
 وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فِيهِمْ صَفْرَاتِ
 أَكْفَأُ عَنِ الْأَوْتَارِ مَنْقِبَضَاتِ
 وَآلَ زِيَادِ غَلُظِ الْقَصْرَاتِ
 وَنَادِي مَنَادِي الْخَيْرِ بِالصَّلَوَاتِ
 وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ وَبِالْغَدَوَاتِ
 وَآلَ زِيَادِ تَسْكُنِ الْحَجْرَاتِ
 وَآلَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
 تَقَطَّعَ نَفْسِي إِثْرَهُمْ حَسْرَاتِي
 يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِالْبَرَكَاتِ

يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَسَنٍ وَبِاطِلٍ وَيُجْزِي عَنِ النِّعْمَاءِ وَالنِّقْمَاتِ
فِي نَفْسٍ طَيِّبٍ ثُمَّ يَأْتِي نَفْسَ فَاصْبِرِي فَغَيْرِ بَعِيدٍ كُلِّ مَا هَوَاتِ

وهي قصيدة طويلة عددها أبياتها مائة وعشرون بيتاً. ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن الرضا وقال: لا تبرح. فأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه. فردها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون وإني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ. فأعطاه الرضا جبة خز عليه الصرة وقال للغلام: قل له: خذها ولا تردّها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها. فأخذها وأخذ الجبة. [إلى آخر حديث اللصوص المذكور].

١٠ - ذكر الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١٥٣ ما مرّ عن الشبراوي برمته حرفياً.

أما أعلام الطائفة

فقد ذكر القصيدة وقصة الجبة واللصوص جمع كثير لا نطيل المقال بذكر كلماتهم بل نقتصر منها على ما لم يذكر في الكلمات المذكورة. روى شيخنا الصدوق في «العيون» ص ٣٦٨ و«الأمالى» ص ٢١١ عن الهروي قال: دخل دعبل على أبي الحسن الرضا عليه السلام بمرور فقال له: يا بن رسول الله! إنني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك فقال عليه السلام: هاتها. فأنشده فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات
بكى أبو الحسن عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي! فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكفاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السَّلام يقلبُ كَفِّيه ويقول: أجل والله مُنقبضات: فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وآيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرُّضا: آمَنك الله يوم الفزع الأكبر. فلما انتهى إلى قوله:

وقبرٌ ببغداد لنفْس زكيَّة تضمُّنها الرَّحمن في الغرفاتِ

قال له الرُّضا: أفلا ألحق لك بهذا الموضوع بيتين بهما تمام قصيدتك؟؟!

فقال: بلى يا بن رسول الله. فقال عليه السَّلام:

وقبرٌ بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقاتِ

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرِّج عنا الهمَّ والكرباتِ

فقال دعبل: يا بن رسول الله! هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟! فقال

الرُّضا: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي

وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة

مغفوراً له. ثم نهض الرُّضا عليه السَّلام وأمر دعبل أن لا يبرح من موضعه. فذكر

قصة الجبة واللصوص ثم قال:

كانت لدعبل جارية لها من قبله محلٌّ فرمدت عينها رمداً عظيماً فأدخل

أهل الطبُّ عليها فنظروا إليها فقالوا: أمَّا العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد

ذهبت، وأمَّا اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم. فاغتمٌ لذلك دعبل

غمماً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً، ثمَّ أنه ذكر ما كان معه من وصلة الجبة

فمسحها على عيني الجارية وعصبتها بعصابة منها من أول الليل فأصبحت

وعيناها أصحَّ ما كانتا قبلُ ببركة أبي الحسن الرُّضا عليه السَّلام^(١).

في مشكاة الأنوار^(٢) ومؤجج الأحزان^(٣): رُوي أنه لَمَّا قرأ دعبل قصيدته

(١) وذكره الطبرسي في أعلام الوري ص ١٩١، والأربلي في كشف الغمة ص ٢٧٥.

(٢) تأليف الشيخ محمد بن عبد الجبار البحراني.

(٣) تأليف الشيخ عبد الرضا بن محمد الأوالي البحراني.

على الرضا عليه السلام وذكر الحجّة عجل الله فرجه بقوله:

فلولا الذي أرجوه اليوم أوغدي تقطع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات.

وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه وتواضع قائماً ودعى له بالفرج.
وحكاه عن «المشكاة» صاحب الدمعة الساكبة وغيره.

ولهذه التائبة عدّة شروح لأعلام الطائفة منها:

شرح العلامة الحجّة السيّد نعمه الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢.

شرح العلامة الحجّة كمال الدين محمد بن محمد القنوي الشيرازي.

شرح العلامة الحاج ميرزا علي العلياري التبريزي المتوفى سنة ١٣٢٧.

لفت نظر

إنّ مستهلّ هذه القصيدة ليس كلّ ما ذكره فإنّها مبدوءة بالنسب ومطلّعتها:

تجاوين بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات

قال ابن الفّتال في روضته ص ١٩٤ ، وابن شهر اشوب في «المناقب»

ج ٢ ص ٣٩٤ : وروي أنّ دعبل أنشدها الإمام عليه السّلام من قوله : مدارس

آيات - وليس هذا البيت رأس القصيدة ولكن أنشدها من هذا البيت فقبل له : لم

بدأت بمدارس آيات؟ قال : استحيت من الإمام عليه السّلام أن أنشده

التشبيب فأنشده المناقب ورأس القصيدة:

تجاوين بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات

ذكرها برمتها وهي مائة وعشرون بيتاً الإربلي في [كشف الغمّة].

والقاضي في «المجالس» ص ٤٥١ ، والعلامة المجلسي في «البحار» ج ١٢

ص ٧٥ ، والزنوزي في الرّوضة الاولى من «رياض الجنّة» ونصّ على عددها

المذكور الشبراوي والشبلنجي كما مرّ. فما قدّمناه عن الحموي من أن [نسخ

هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يُظنُّ أنّها مصنوعة ألحقها بها أناسٌ من

الشيعة وأنا موردون هنا ما صحَّ [من بعض الظنِّ الذي هو إثمٌ وقد ذكر هو في معجم البلدان ما هو خارجٌ عمَّا أثبتته في معجم الأدباء من الصحيح عنده فحسب راجع ج ٢ ص ٢٨ ، وذكر المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٢٣٩ وغيره بعض ما ذكره في معجم البلدان، وأثبت سبط ابن الجوزي في «التذكرة»، وابن طلحة في «المطالب» والشبراوي في «الإتحاف»، والشبلنجي في «نور الأبصار» زيادات لا توجد في ما استصحَّه الحموي، وليس من الممكن قذف هؤلاء الأعلام بإثبات المفتعل. وبما أنَّ العلم تدريجيُّ الحصول فمن المحتمل أنَّ الحموي يوم تأليفه «معجم الأدباء» لم يقف به البحث على أكثر مما ذكر ثمَّ لَمَّا توسَّع في العلوم ثبت عنده غيره أيضاً فأدرجه في «معجم البلدان» الذي هو متأخر في التأليف، ولذلك يحيل فيه على «معجم الأدباء» في أكثر مجلِّداته راجع ج ٢ ص ٤٥ و ١١٧ و ١٣٥ ، ١٨٦ ، وج ٣ ص ١١٧ ، ١٨٤ ، وج ٤ ص ٢٢٨ ، ٤٠٠ ، وج ٥ ص ١٨٧ ، ٢٨٩ ، وج ٦ ص ١٧٧ وغيرها لكن سوء ظنه بالشيعة حذاه إلى نسبة الإفتعال إليهم عند تدوين الترجمة، ونحن لا نناقشه بالحساب في هذا التظنيِّ فإنَّ الله لهم بالمرصاد وهو نعم الرقيب والحسيب.

الشاعر

أبو عليّ - أبو جعفر - دعبل بن عليّ بن رزين^(١) بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بُديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزى بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي .

أخذناه من فهرست النجاشي ص ١١٦ . وتاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٨٢ ، وأمالي الشيخ ص ٢٣٩ ، وتاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٧ ، ومعجم الأدباء للحموي ج ١١ ص ١٠٠ وقال: وعلى هذا الأكثر، والإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٤١ .

(١) في الأغاني ج ٨ ص ٢٩ : ابن سليمان بن تميم بن نهشل بن خدّاش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمه بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقيا .

بيت رزين

بيت علم وفضل وأدب وإن خصه ابن رشيقي في عمدته ج ٢ ص ٢٩٠
 بالشعر، فإن فيهم محدثون وشعراء، وفيهم السؤدد والشرف، وكل الفضل
 والفضيلة ببركة دعاء النبي الأطهر لجدهم الأعلى: بُدِيل بن ورقاء، لما أوقفه
 العباس بن عبد المطلب يوم الفتح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلّم: وقال: يا رسول الله! هذا يوم قد شرفت فيه قوماً فما بال خالك بُدِيل بن
 ورقاء؟! وهو قعيد حبه. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: أحسر عن حاجبيك
 يا بُدِيل! فحسر عنهما وחדر لثامه فرأى سواداً يعارضه فقال: كم سنوك يا
 بُدِيل؟! فقال: سبع وتسعون يا رسول الله! فتبسم النبي صلى الله عليه وآله
 وسلّم وقال: زادك الله جمالاً وسواداً وأمتعك وولدك^(١).

ومؤسس شرفهم الباذخ: البطل العظيم عبدالله بن ورقاء الذي كان هو
 وأخواه عبدالرحمن ومحمد رُسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى اليمن
 كما في رجال الشيخ. وكانوا هم وأخوهم عثمان من فرسان مولانا أمير المؤمنين
 الشهداء في صفين^(٢) وأخوهم الخامس: نافع بن بُدِيل استشهد على عهد النبي
 صلى الله عليه وآله ورثاه ابن رواحة بقوله:

رحم الله نافع بن بُدِيل رحمة المبتغي ثواب الجهاد
 صابراً صادق الحديث إذا ما أكثر القوم قال قول السداد^(٣)

فحسب هذا البيت شرفاً أن فيه خمسة شهداء وهم بعين الله ومع ابن عم
 رسول الله ﷺ وكان عبدالله من متقدمي الشجعان، والمتبرّز في الفروسية
 والمتحلّي بأعلى مراتب الإيمان، وعدّه الزهري من دُهاة العرب الخمسة كما في
 الإصابة ج ٢ ص ٢٨١ قال له أمير المؤمنين يوم صفين: احمل على القوم.

(١) أمالي الشيخ ص ٢٣٩، الإصابة ج ١ ص ١٤١.

(٢) صفين لابن مزاحم ص ١٢٦، خصال الصدوق، شرح النهج ج ١ ص ٤٨٦. الإصابة ج ٣
 ص ٣٧١.

(٣) الإصابة ج ٣ ص ٥٤٣.

فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدماً ويقول:

لم يبق غير الصبر والتوكلِ والتُّرس والرمح وسيف مصقلِ
ثم التمشي في الرعيل الأولِ مشي الجمال في حياض المنهلِ

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه إلى الموت فأمرهم أن يصمدوا لعبدالله بن بُديل وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه. واختلط الناس واضطرم الفيلقان ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشام وأقبل عبدالله بن بُديل يضرب الناس بسيفه قدماً حتى أزال معاوية عن موقفه وجعل ينادي: يا ثارات عثمان! وإنما يعني أخاه قُتل، وظنُّ معاوية وأصحابه أنه يعني: عثمان بن عفان. وتراجع معاوية عن مكانه القهقري كثيراً وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتى لم يبق مع ابن بُديل إلا نحو مائة إنسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولجَّ ابن بُديل في الناس وصمَّم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه ومع معاوية عبدالله بن عامر واقفاً فنادى معاوية بالناس: ويلكم الصخر والحجارة. حتى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه، وجاء معاوية وعبدالله بن عامر حتى وقفا عليه فأما عبدالله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحَّم عليه وكان له من قبل أخاً وصديقاً، فقال معاوية: اكشف عن وجهه. فقال: لا والله لا يُمثل به وفي روح فقال معاوية: اكشف عن وجهه فإننا لا نُمثل به قد وهبناه لك. فكشف ابن عامر عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة اللهم اظفربي بالأشتر النخعي والأشعث الكندي والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر: (١)

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمَّرت عن ساقها الحرب شمَّرا
ويحمي إذا ما الموت كان لقاءه قدى السير يحمي الأنف أن يتأخرا

(١) هو حاتم الطائي من قصيدة في ديوانه ص ١٢١ ولم يرو فيه البيت الثالث.

كليث هزبر كان يحمي ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا (١).
 ثم قال: إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقتلني فضلاً عن رجالها
 لفعلت (٢).

ومرَّ بعبد الله بن بديل وهو بآخر رمق من حياته الأسود بن طهمان الخزاعي
 فقال له: عزَّ عليَّ والله مصرعك أما والله لو شهدتك لأسيئك ولدافعت عنك، ولو
 رأيت الذي أشعرك لأحببت أن لا أزيله ولا يزايلني حتى أقتله أو يلحقني بك.
 ثم نزل إليه فقال: رحمك الله يا عبد الله! إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت
 لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله. قال: أوصيك بتقوى الله وأن
 تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتى يظهر الحق أو تلحق بالله، وأبلغ أمير
 المؤمنين عنِّي السلام وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك،
 فإنه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب. ثم لم يلبث أن مات فأقبل
 الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال: رحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة
 ونصح لنا في الممات. (٣).

وينمُّ عن عظمة عبد الله بن بديل بين الصحابة العلوية قول ابن عدي بن
 حاتم رضوان الله عليه يوم صفين:

أبعد عمّار وبعده هاشم
 وابتعد بديل فارس الملاحم
 نرجو البقاء مثل حلم الحالم
 وقد عضضنا أمس بالأباهم

وقول سليم (سليمان) بن صرد الخزاعي يوم صفين:

يا لك يوماً كاسفاً عصبصبا
 يا لك يوماً لا يُواري كوكبا
 يا أيها الحي الذي تذبذبنا
 لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا
 لأنّ فينا بطلاً مجرباً
 ابن بديل كالهزبر مغضباً

(١) تقطر: سقط صريعاً.

(٢) كتاب صفين لابن مزاحم ص ١٢٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦.

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٤٣ ط إيران و ٥٢٠ ط مصر، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٩.

أمسى عليُّ عندنا محببًا نفديه بالأُمِّ ولا نبقي أبا
وقول الشنّي في أبيات له :

فإن يك أهل الشّام أودوا بهاشم وأودوا بعمّار وأبقوا لنا ثكلا
وبابني بُدِيل فارسي كلُّ بهمة وغيث خزاعيّ به ندفع المحلا(١)

وأما أبو المترجم عليُّ بن رزين فكان من شعراء عصره، ترجمه المرزباني في «معجم الشعراء» ج ١ ص ٢٨٣، وجدّه رزين كان مولى عبدالله بن خلف الخزاعي أبي طلحة الطلحات كما ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء.

وعمُّ المترجم عبدالله بن رزين، أحد الشعراء كما ذكره ابن رسيق في «العمدة».

وابن عمّه أبو جعفر محمّد أبو الشيص ابن عبدالله المذكور، شاعرٌ له ديوان عمله الصولي في مائة وخمسين ورقة، توجد ترجمته في «البيان والتبيين» ج ٣ ص ٨٣، «الشعر والشعراء» ص ٣٤٦، «الأغاني» ج ١٥ ص ١٠٨، «فوات الوفيات» ج ٢ ص ٢٥. وغيرها. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص ٢٦ - ٣٣ وذكر له قصائد طويلة غير أنه عكس في اسمه واسم أبيه وذكره بعنوان: عبدالله بن محمّد. والصحيح: محمّد بن عبدالله. وعبدالله بن أبي الشيص المذكور، شاعرٌ له ديوانٌ في نحو سبعين ورقة، وذكره أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٠٨ وقال: إنّه شاعرٌ صالح الشعر وكان منقطعاً إلى محمّد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج إلى الناس. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص ١٧٣.

أبو الحسن عليّ أخو دعبل

كان شاعراً له ديوان شعر نحو خمسين ورقة كما في فهرست ابن النديم، سافر مع أخيه المترجم إلى أبي الحسن الرضا سلام الله عليه سنة ١٩٨ وخطباً

(١) البهمة بالضم: الجيش. المحل: الخديعة والكيد. الشدة: الجذب.

بحضرته الشريفة مدّة طويلة، قال أبو الحسن عليّ هذا: رحلنا أنا ودعبل سنة ١٩٨ إلى سيّدي أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا فأقمنا عنده إلى آخر سنة مأتين وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيّدي أبو الحسن الرضا على أخي دعبل قميصاً خزاً أخضر وخاتماً فضّه عقيق، ودفع إليه دراهم رضويّة وقال له: يا دعبل! صر إلى قم فإنك تفيد بها. فقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صلّيت فيه ألف ليلة ألف ركعة وختمت فيه القرآن ألف ختمة^(١). ولد سنة ١٧٢ وتوفي سنة ٢٨٣.

وخلف أبا القاسم إسماعيل بن عليّ الشهير بالدعبلي المولود سنة ٢٥٧، يروي كثيراً عن والده أبي الحسن كان مقامه بواسط وولي الحسبة^(٢) بها. له كتاب تاريخ الأئمة، وكتاب النكاح.

رزين أخو دعبل

وأخوه هذا أحد شعراء هذا البيت ولدعبل فيه أبيات في تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٣٩ وقال الأزدي: وخرج إبراهيم بن العباس ودعبل ورزين ابني عليّ رجالة إلى بعض البساتين (أو: إلى زيارة أبي الحسن الرضا عليه السلام كما في روايته العيون) فلقوا جماعة من أهل السواد من حمّال الشوك فأعطوهم شيئاً وركبوا حميرهم فقال إبراهيم:

ك أحمالاً من الخزف	أعيدت بعد حمل الشو
بل من شدّة الضعف	نشأوى لا من الخمرة
تصيرون إلى القصف	ثم قال لرزين: أجزها. فقال:
ولا تبقوا على الخسف	فلو كنتم على ذاك
	تساوت حالكم فيه

(١) فهرست النجاشي ص ١٩٧، أمالي الشيخ ص ٢٢٩.

(٢) يأتي كلامنا في الحسبة في الجزء الرابع عند ترجمة ابن الحجاج البغدادي.

ثم قالاً لدعبل: أجز يا أبا علي! فقال:

فإذ فات الذي فات فكونوا من ذوي الظرف
ونخفوا نقصف البيرو م فإني بايع خفسي

بدائع البداية ج ٢ ص ٢١٠.

أما المترجم

فهو دعبل^(١) يكنى أبا علي عند الجميع وعن ابن أيوب^(٢) أبو جعفر. وفي الأغاني عن ابن أيوب: إن اسمه محمد، وفي تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٨٣: زعم أحمد بن القاسم أن اسمه الحسن، وقال ابن أخيه إسماعيل: اسمه عبدالرحمن. وقال غيرهما: محمد. وعن إسماعيل: إنما لقبته دايته بدعبل لدعابة كانت فيه فأرادت ذعبلاً فقلبت الذال دالاً.

يقال: أصله كوفي كما في كثير من المعاجم، وقيل: من قرقيسا. وكان أكثر مقامه ببغداد وخرج منها هارباً من المعتصم لما هجاه وعاد إليها بعد ذلك وجول في الآفاق فدخل البصرة ودمشق ومصر على عهد المطلب بن عبدالله بن مالك المصري وولاه أسوان فلما بلغ هجاؤه إياه عزله فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له وقال: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه. فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب فقال له دعبل: دعني أخطب فإذا نزلت قرأته قال: لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه. فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً وخرج منها إلى المغرب إلى بني الأغلب.

الأغاني ج ١٨ ص ٤٨.

سافر إلى الحجاز مع أخيه رزين، وإلى الري وخراسان مع أخيه علي، وقال أبو الفرج^(٣): كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد

(١) الدعبل: الناقة التي معها ولدها. البعير المسن. الشيء القديم (الأغاني).

(٢) في الأغاني. ومعاهد التنصيص. ونهاية الأرب.

(٣) في الأغاني ج ١٨ ص ٣٦.

أفاد وأثرى، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه ولا يؤذونه ويُواكلونه ويُشاربونه ويبرونه وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه: ثقيف وشعف. وكانا مغنيين فأقعهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يُواصلونه ويصلونه، وأنشد دعبل لنفسه في بعض أسفاره:

حللت محلاً يقصر البرق دونه ويعجز عنه الطيف أن يتجشماً

وقال ابن المعتز في طبقاته ص ١٢٥: وكان يجتاز بقم فيقيم عند شيعتها فيقسطون له في كل سنة خمسة آلاف درهم.

يقع البحث في ترجمته من نواحي أربع.

١ - تهالكه في ولاء أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم.

٢ - نبوغه في الشعر والأدب والتاريخ وتأليفه.

٣ - روايته للحديث والرواة عنه ومن يروي هو عنه.

٤ - سيره مع الخلفاء. ثم ملحه ونوادره ثم ولادته ووفاته.

أما الأولى

فجلية الحال فيها غنية عن البرهنة عليها فما ظنك برجل كان يُسمع منه وهو يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها. وقيل للوزير محمد بن عبد الملك الزيات. لم لا تُجيب دعبلاً عن قصيدته التي هجأك فيها؟ قال: إن دعبلاً جعل خشبته على عنقه يدور بها يطلب من يصلبه عليها منذ ثلاثين سنة وهو لا يُبالي^(١).

كل ذلك من جرأ ما كان يُنافح ويُناطح ويُنازل في الذب عن البيت النبوي الطاهر، والتجاهر بموالاتهم، والوقية في مناوئهم، لا يقرب به

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢٥.

قراراً، فلا يُقلِّه مأمناً ولا يُظلِّه سقف منتجع، وما زالت تتقاذف به أجواز الفلا فرقاً من خلفاء الوقت، وأعداء العترة الطاهرة، ومع ذلك كله فقصائده السائرة تلهج بها الركبان، وتزدان بها الأنديّة، وهي مسرّات للموالين، ومحفظات للأعداء، ومشيرات للعهن والضغائن حتى قُتل على ذلك شهيداً.

وما يُنقم من المترجم له من التوغّل في الهجاء في غير واحد من المعاجم فإنّ نوع ذلك الهجو والسباب المُقذع فيمن حسبهم أعداءً للعترة الطاهرة وغاصبي مناصبهم، فكان يتقرّب به إلى الله وهو من المقرّبات إليه سبحانه زُلْفى، وإنّ الولاية لا تكون خالصةً إلاّ بالبراءة ممّن يُضادّها ويُعاندها كما تبرأ الله ورسوله من المشركين، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، غير أنّ أكثر أرباب المعاجم من الفئة المتحيّزة إلى أعداء هذا البيت الطاهر حسبوا ذلك منه ذنباً لا يُغفر كما هو عادتهم في جلّ رجالات الشيعة.

أمّا نبوغه في الأدب

فأيّ برهنة له أوضح من شعره السائر؟! الذي تلهج به الألسن، وتتضمّنه طيّات الكتب، ويُستشهد به في إثبات معاني الألفاظ وموادّ اللغة، ويُهتف به في مجتمعات الشيعة آناء الليل وأطراف النهار، ذلك الشعر السهل الممتنع الذي يحسب السامع لأوّل وهلة أنّه يأتي بمثيله ثمّ لَمَّا خاض غماره، وطفق يرسب ويطفو بين أواذيه، علم أنّه قصير الباع، قصير الخطأ، قصير المقدرة عن أن يأتي بما يُدانيه فضلاً عمّا يُساويه.

كان محمّد بن القاسم بن مهرويه يقول: سمعت أبي يقول: ختم الشعر بدعبل. وقال البحرّي: دعبل بن عليّ أشعر عندي من مسلم بن الوليد فقيل له: كيف ذلك؟! قال: لأنّ كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصّب له^(١).

وعن عمرو بن مسعدة قال: حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له

(١) الأغاني ج ١٨ ص ١٨، ٣٧.

المأمون أبي شيء تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟ فقال: وأي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أمّا من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين، وأمّا من مواليتهم فظاهر وابنه عبدالله. فقال: ومن عسى في هؤلاء أن يُسئل عن شعره سوى دعبل؟ هات أي شيء عندك فيه. وقال الجاحظ: سمعت دعبل بن علي يقول: مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلّا وأنا أقول فيه شعراً^(١). ولمّا أنشد دعبل أبا نواس شعره:

أين الشباب؟ وأية سلكا؟ لا أين يُطلب؟ ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: أحسنت ملء فيك وأسماعنا. قال محمد بن يزيد: كان دعبل والله فصيحاً^(٢) وهناك كلمات ضافية حول أدبه والثناء عليه لا يهمنّا ذكرها.

أخذ الأدب عن صريع الغواني مسلم بن الوليد^(٣) واستقى من بحره وقال: ما زلت أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي: أكتّم هذا حتى قلت:

أين الشباب؟ وأية سلكا؟ لا أين يطلب؟ ضلّ بل هلكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئت لمن شئت. وقال أبو تمام: ما زال دعبل مائلاً إليّ مسلم بن وليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وكان فيه بخل فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا نخلد كنّا عقيدي مودّة هواناً وقلباناً جميعاً معاً معاً
أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي وأنجع إشفاقاً لأن تتوجّعاً
فصيرتني بعد انتحائك متهاً لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعاً
عششت الهوى حتى تداعت أصوله بنا وابتذلت الوصل حتى تقطّعا

(١) الأغانى ج ١٨ ص ٤٤.

(٢) تاريخي ابن خلكان وابن عساكر.

(٣) كان شاعراً متصرفاً في فنون القول حسن الأسلوب أستاذ الفن: ويقال: انه أول من قال الشعر المعروف بالبديع ووسعه وتبعه فيه أبو تمام وغيره توفي بجرجان سنة ٢٠٨.

وأنزلت من بين الجوانح والحشى ذخيرة ودّ طالما قد تمنعاً
فلا تعدلني ليس لي فيك مطمعٌ تخرقت حتى لم أجد لك مرقعاً
فهبك يميني استأكلت فقطعتها وجشمت قلبي صبره فتشجعاً^(١)

ويروي عنه في الأدب محمد بن يزيد. والحمدوي الشاعر، ومحمد بن القاسم بن مهرويه، وآخرون.

آيات نبوغه

له كتاب: الواحدة. في مناقب العرب ومثالبها. وكتاب: طبقات الشعراء. وهو من التأليف القيمة، والأصول المعول عليها في الأدب والتراجم، ينقل عنه كثيراً المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٧، ٣٦١، ٤٣٤، ٤٧٨. والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٣٤٢ وج ٤ ص ١٤٣ وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٤٦، ٤٧. وابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ١٦٦. والياضي في المرأة ج ٢ ص ١٢٣. وأكثر النقل عنه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٦٩، ١٣٢، ١٧٢، ٣٧٠، ٤١١، ٥٢٥، ٥٢٧، وج ٢ ص ٩٩، ١٠٣، ١٠٨. وج ٣ ص ٩١ و ١١٩، ١٢٣، ٢٧٠، ٥٦٥، وج ٤ ص ٧٤، ٥٦٥ وغيرها.

وأحسب أنه كتابٌ ضخْمٌ مبوّبٌ على البلدان كتيمة الدهر للشعالي ففيه: أخبار شعراء البصرة. وبهذا العنوان ينقل عنه الأمدى في [المؤتلف والمختلف] ص ٦٧، وابن حجر في «الإصابة» ج ٣ ص ٢٧٠.

أخبار شعراء الحجاز. وبهذا الاسم ينقل عنه ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٧٤، ١٦٣، ويقول: ذكر دعبل في طبقات الشعراء في أهل الحجاز.

أخبار شعراء بغداد. ينقل عنه باسم كتاب شعراء بغداد الأمدى في «المؤتلف» ص ٦٧.

(١) ويروي: وحملت قلبي فقدما. الأغاني ج ١٨ ص ٤٧.

وله ديوان شعر مجموع كما في تاريخ ابن عساكر. وقال ابن النديم: عمله الصولي نحو ثلاثمائة ورقة. وعدّ في فهرسته ٢١٠ من تأليف أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر: كتاب: إختيار شعر دعبل.

ومن آيات نبوغه: قصيدته في ذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرهم على نحو ستمائة بيتاً كما في [نشوار المحاضرة] للتونخي ص ١٧٦. مطلعها:

أفيقي من ملامك يا طعينا كفاك اللوم مرّ الأربعينا
يردُّ بها على الكميت في قصيدته التي يمتدح بها نزاراً وهي ثلاثمائة بيت
أولها:

ألا حييت عنّا يا مدينا وهل ناسٌ تقول مسلمينا؟
قالها الكميت ردّاً على الأعرور الكلبي في قصيدته التي أولها:
أسودينا وأحمرينا
.....

فراى دعبل النبي ﷺ في النوم فنهاه عن ذكر الكميت بسوء. ولم يزل دعبل كان عند الناس جليل القدر حتى ردّ على الكميت فكان ممّا وضعه^(١) وردّ عليه أبو سعد المخزومي بقصيدة. وعلى أثر هذه المناجزة والمشاجرة افتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار؛ وأدلى كلُّ فريق بما له من المفاخر، وتخربت الناس، وثارَت العصبية في البدو والحضر فتتج بذلك أمر مروان بن محمّد الجعدي، وتعصّب لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني امية إلى بني هاشم، ثمّ ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصّباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعه في القدم. إلى آخر ما في مروج الذهب ج ٢ ص ١٩٧.

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٢٩، ٣١.

أما روايته في الحديث:

فعده ابن شهر اشوب في «المعالم» ص ١٣٩ من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام، وحكى النجاشي في فهرسته ص ١٩٨ عن ابن أخيه: إنه رأى موسى بن جعفر ولقي أبا الحسن الرضا. وقد أدرك الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ولقيه، وروى الحميري في «الدلائل» وثقة الإسلام الكليني في «اصول الكافي»: إنه دخل على الرضا عليه السلام فأعطاه شيئاً فلم يحمد الله تعالى فقال: لمَ لم تحمد الله تعالى؟ ثم دخل على الجواد فأعطاه فقال: الحمد لله. فقال عليه السلام: تأدبت.

ويروي شاعرنا عن جماعة منهم:

- ١ - الحافظ شعبة بن الحججاج المتوفى سنة ١٦٠^(١) وبهذا الطريق يروى عنه الحديث في كتب الفريقين كما في أمالي الشيخ ص ٢٤٠. وتاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨.
- ٢ - الحافظ سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ (تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).
- ٣ - إمام المالكية مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ (تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).
- ٤ - أبو سعيد سالم بن نوح البصري المتوفى بعد المائتين (تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).
- ٥ - أبو عبدالله محمد بن عمرو الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ (تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).
- ٦ - الخليفة المأمون العباسي المتوفى سنة ٢١٨، تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤، ٢٢٨.

(١) يروي عنه وعن الثوري وهو لم يبلغ الحلم.

٧ - أبو الفضل عبدالله بن سعد الزهري البغدادي المتوفى سنة ٢٦٠، يروي عنه عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر عن ابن حوشب عن أبي هريرة حديث صوم الغدير المذكور ج ١ ص ٤٠١ (١).

٨ - محمد بن سلامة يروي عنه بطريقه شيخ الطائفة في أماليه ص ٢٣٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبته الشهيرة بالشقشقية التي أولها: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي؛ ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير ولكني سدلت عنها ثوباً، وطويت عنها كشحاً.

٩ - سعيد بن سفيان الأسلمي المدني. (أمالي الشيخ ص ٢٢٧)

١٠ - محمد بن إسماعيل «مشارك» (أمالي الشيخ ص ٢٢٧)

١١ - مجاشع بن عمر يروي عنه عن مسيرة عن الجزري عن ابن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله عز وجل: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا.

الحديث. أمالي الشيخ ص ٢٤٠.

١٢ - موسى بن سهل الراسبي، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٤٨ شيخاً للمترجم له ولم يعرفه.

وعدّ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٢٨ ممن يقال برواية المترجم عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري وخفي عليه أن يحيى الأنصاري توفي سنة ١٤٣ قبل ولادة المترجم بسنين.

والرواة عن المترجم هم

١ - أبو الحسن عليّ أخوه كما في كثير من كتب الحديث والمعاجم.

٢ - موسى بن حماد اليزيدي. فهرست النجاشي ص ١١٧.

- ٣ - أبو الصلت الهروي المتوفى سنة ٢٣٦ . في مصادر كثيرة .
- ٤ - هارون بن عبدالله المهلبي . في الأمالي والعيون .
- ٥ - علي بن الحكيم . في اصول الكافي .
- ٦ - عبدالله بن سعيد الأشقري . الأغاني وغيره .
- ٧ - موسى بن عيسى المروزي . الأغاني وغيره .
- ٨ - ابن المنادي أحمد بن أبي داود المتوفى سنة ٢٧٢ . تاريخ ابن عساكر^(١) .
- ٩ - محمد بن موسى البريري . تاريخ ابن عساكر .

أما سيره مع الخلفاء والوزراء

فهذه ناحية واسعة النطاق، طويلة الذيل، يجد الباحث في طيات كتب التاريخ ومعاجم الأدب المفصلة حولها كراريس مسطرة فيها لغو الحديث نضرب عنها صفحاً ونقتطف منها النزر اليسير.

- ١ - عن يحيى بن أكثم قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه الله وآمنه على نفسه فلما مثل بين يديه وكنت جالساً بين يدي المأمون فقال له: أنشدني قصيدتك «الرائية» فجحدها دعبل وأنكر معرفتها، فقال له: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك . فأنشده:

تأسفت جارتني لَمَّا رأت زوري	وعدت الحلم ذنباً غير مغتفر
ترجو الصبي بعدما شابت ذوائبها	وقد جرت طلقاً في حلية الكبر
أجارتني إن شيب الرأس يُعلمني	ذكر المعاد وأرضاني عن القدر
لو كنت أركن للدنيا وزينتها	إذا بكيت على الماضين من نفر
أخنى الزمان على أهلي فصدعهم	تصدع الشيب لاقى صدمة الحجر

(١) ج ٥ ص ٢٢٨ . وابن المنادي في المعاجم: محمد بن عبيدالله .

بعضُ أقام وبعضُ قد أصار به
أما المقيم فأخشى أن يفارقني
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي
لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا
وفي مواليك للحرين مشغلةُ
كم من ذراع لهم بالطف بائةُ
أمسى الحسين ومسراهم لمقتله
يا أمة السوء ما جازيت أحمد في
خلفتموه على الأبناء حين مضى
داعي المنية والباقي على الأثر
ولست أوبة من ولي بمنتظر
كحالم قص رؤياً بعد مذكر
من أهل بيت رسول الله لم أقر
من أن تبيت لمشغول على أثر
وعارض بصعيد الترب منعفر
وهم يقولون: هذا سيد البشر
حسن البلاء على التنزيل والصور
خلافة الذئب في إنفاد ذي بقر

قال يحيى: وأنفذني المأمون في حاجة ففقت فعدت إليه وقد انتهى إلى

قوله:

لم يبق حي من الأحياء نعلمه
إلا وهم شركاء في دمائهم
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبةُ
أرى أمية معذورين إن قتلوا
قوم قتلتم على الإسلام أولهم
أبناء حرب ومروان وأسرتهم
إربع بطوس على قبر الزكي بها
قبران في طوس خير الناس كلهم
ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا
هيئات كل امرئ رهن بما كسبت
من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
كما تشارك إيسار على جزر
فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
ولا أرى لبني العباس من عذر
حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
بنو معيط ولاة الحقد والزعر
إن كنت تربع من دين على وطير
وقبر شرهم هذا من العبر
على الزكي بقرب الرجس من ضرر
له يدها فخذ ما شئت أو فذر

قال: فضرب المأمون عماته الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل (١).

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٥٧. تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٣٣. أمالي المفيد. أمالي الشيخ ص ٦١.

روى شيخنا الصدوق في أماليه ص ٣٩٠ بإسناده عن دعبل أنه قال:
جائني خبر موت الرضا عليه السلام وأنا مقيمٌ بقم فقلت القصيدة الرائية. ثم ذكر
أبياتاً منها.

٢ - دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون فشكى إليه حاله وقال: يا أمير
المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى فضلك في نفسك علي، وألهمك الرأفة والعفو
عني، والنسب واحد، وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال: وما قال؟! لعل
قوله:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفا إليه كل أطلس مائق

وأنشده الأبيات فقال: هذا من بعض هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من
هذا فقال المأمون: لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته، وقال في^(١):

أيسومني المأمون خطة جاهل أو ما رأى بالأمس رأس محمد؟
إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعدي^(٢)
شادوا بذكرك بعد طول خمولة واستنقذك من الحضيض الأوهدي

فقال إبراهيم: زادك الله حليماً يا أمير المؤمنين وعلماً، فما ينطق أحدنا إلا
عن فضل علمك، ولا تحمل إلا أتباعاً لحلمك.

٣ - حدث ميمون بن هرون قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً
في دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجياد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينيةً يلتذها الأمر والأشمطُ
والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربطُ

(١) أول القصيدة:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد والنائبات من الأنام بمرصد

(٢) أشار إلى قضية طاهر الخزاعي وقتله الأمين محمد بن الرشيد وبذلك ولي المأمون الخلافة..:

وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفة البربط

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين. فقال: دع هذا عنك، فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا. وضحك ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لإبراهيم: دعبل يجسر على أبي عباد بالهجاء ولا يحجم عن أحد. فقال له: وكان أبو عباد أبسط يداً منك؟ قال: لا، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم وأصفح، والله ما رأيت أبا عباد مقبلاً إلا أضحكني قول دعبل فيه:

أولى الأمور- بضيعة وفسادٍ أمرٌ يُدبِّره أبو عباد^(١)

٤ - حدث أبو ناجية قال: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله فهرب إلى الجبل وقال يهجو:

بكى لشتات الدين مكتئبٌ صبُّ	وفاض بفرط الدمع من عينه غربُّ
وقام إمامٌ لم يكن ذا هداية	فليس له دينٌ وليس له لبُّ
وما كانت الأنبياء تأتي بمثله	يُملك يوماً أو تدين له العربُ
ولكن كما قال الذين تتابعوا	من السلف الماضين إذ عظم الخطبُ
ملوك بني العباس في الكتب سبعة	ولم تأتنا عن ثامن لهم كتبُ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة	خيارٌ إذا عُدوا وثامنهم كلبُ
وإني لأعلي كلهم عنك رفعة	لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم	وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ
وفضل بن مروان يثلم ثلثة	يظل لها الإسلام ليس له شعبُ

٥ - حدث ميمون بن هارون قال: لما مات المعتصم، قال محمد بن عبد

الملك الزييات يرثيه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا	في خير قبرٍ لخير مدفونٍ
: لن يجبر الله أمةً فقدت	مثلك إلا بمثل هارونٍ

(١) توجد بقية الأبيات في الأغاني ج ١٨ ص ٣٩.

فقال دعبل يعارضه :

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا في شرِّ قبرٍ لشرِّ مدفونٍ
: اذهب إلى النار والعذاب فما خلّتك إلا من الشياطينِ
ما زلت حتى عقدت بيعة من أضربُ بالمسلمين والدينِ

٦ - حدّث محمد بن قاسم بن مهرويه قال : كنت مع دعبل بالضميرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل : أمعك شيء تكتب فيه ؟ قلت : نعم ، وأخرجت قرطاساً فأملى عليّ بديهاً :

الحمد لله لا صبر ولا جلدُ ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحدُ وآخر قام لم يفرح به أحدُ

٧ - حدّث محمد بن جرير قال : أنشدني عبيدالله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه :

ولست بقائل قذعاً ولكن لأمر ما تعبّدك العبيدُ
قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

٨ - دخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له المأمون : أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين . قال : هاتها ويحك . فأنشده عبدالله قول دعبل :

سقياً ورعياً لأيام الصباياتِ أيّام أرفل في أثواب لذاتي
أيّام غصني رطيب من ليلانته أصبو إلى خير جارٍ وكناتِ
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه واقذف برجلك عن متن الجهالاتِ
واقصد بكلّ مديحٍ أنت قائله نحو الهداة بني بيت الكراماتِ

فقال المأمون : إنّه قد وجد والله مقالاً ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم . ثمّ قال المأمون : لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تحمّلوا إلى وطن قبل الممات رجوعاً ؟

فقلت ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
 تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع
 كذاك الليالي صرفهن كما ترى لكل أناس جدبة وربيع
 ثم قال: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري
 وهجرتي ومسيلتي حتى أعود.

٩ - حدث ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله
 وأخاه يحيى فلم يرضيا فعله فقال يهجوها :

ما زال عصياننا لله يردلنا حتى دفعنا زلي يحيى ودينار
 وغدين عجولين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنار

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل والحسن بن رجاء وأبيه يقول دعبل:

ألا فاشتروا مني ملوك المخزّم أبع حسناً وابني رجاء بدرهم
 وأعط رجاءً فوق ذاك زيادة وأسمع بدينار بغير تندم
 فإن ردّ من عيب عليّ جميعهم فليس يردّ العيب يحيى بن أكثم

ملح ونوادر

١ - حدث أحمد بن خالد قال: كنا يوماً بدار صالح بن عليّ، من عبد
 القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا، فسقط على كنيسة في سطحه ديك طار
 من دار دعبل فلما رأناه قلنا: هذا صيدنا فأخذناه فقال صالح: ما نصنع به؟
 قلنا: نذبحه. فذبحناه وشوينا فخرج دعبل وسأل عن الديك، فعرف أنه سقط
 في دار صالح فطلبه منا فجددناه وشرينا يومنا فلما كان من الغد، خرج دعبل
 فصلّى الغداة ثم جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع
 فيه جماعة من العلماء ويتتابهون الناس فجلس دعبل على المسجد، وقال:

أسر المؤذن صالح وضيوفه أسر الكمي هفا خلال المايط
 بعثوا عليه بنيتهم وبناتهم من بين ناتفة وآخر ساميط

يتنازعون كأنهم قد أوثقوا خاقان أو هزموا كتائب ناعط^(١)
نهشوه فانتزعت له أسنانهم وتهشمت أبقاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت: ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل؟! ثم أنشدنا الشعر وقال لي: لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعثت به إلى دعبل وإلا وقعنا في لسانه ففعلت ذلك.

٢ - عن إسحاق النخعي قال: كنت جالساً مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف فمر به أعرابي يرفل في ثياب خبز فقال لغلامه: أدع لي هذا الأعرابي فأوما الغلام إليه فجاء فقال له دعبل: ممن الرجل؟! قال: من بني كلاب. قال: من أيّ ولد كلاب أنت؟! قال: من ولد أبي بكر. فقال دعبل: أتعرف القائل:

ونبات كلباً من كلاب يسبني ومحض كلاب يقطع الصلوات
فإن أنا لم أعلم كلاباً بأنها كلابٌ وأني بأسل النقمات
فكان إذاً من قيس عيلان والدي وكانت إذاً أمي من الحبطات

قال: هذا الشعر لدعبل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابي فقال له الأعرابي: ممن أنت؟! فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

أناسٌ عليّ الخير منهم وجعفرُ وحمزةٌ والسجّادُ ذو الثغفات
إذا فخرُوا يوماً أتوا بمحمّد وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول: ما لي إلى محمّد وجبريل والفرقان والسورات

مرتقى.

٣ - حدّث الحسين بن أبي السرى قال: غضب دعبل على أبي نصر بن

(١) ناعط: قبيلة من همدان. وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه.

جعفر بن محمد بن الأشعث وكان دعبل مؤدِّبه قديماً لشيء بلغه عنه فقال يهجو أباه:

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي خير أبوة من عثعث
عبثاً تمارس بي تمارس حية سوارت إن هجتها لم تلبث
لو يعلم المغرور ماذا حاز من حزني لوالده إذا لم يعبث

قال: فلقية عثعث فقال له: أي شيء كان بيني وبينك؟! حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء. فضحك دعبل وقال: لا شيء والله إلا إتفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية، أو لا ترضى أن أجعل أباك وهو أسود خيراً من آباء الأشعث بن قيس؟!

٤ - عن الحسين بن دعبل قال: قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل وقلت فسيّرت المقالة في الفضل
ألا إن في الفضل بن سهل لعبرة إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل
فأبق حميداً من حديث تفزبه ولا تدع الإحسان والأخذ بالفضل
فإنك قد أصبحت للملك قيماً وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب إذا هي أنشدت سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له: قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرك^(١).

نماذج من شعر دعبل في المذهب

قال في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

أتسكب دمع العين بالعبرات؟ وبت تقاسي شدة الزفرات؟!

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٢.

وتبكي لأثار لآل محمّد؟!
 ألا فابكهم حقاً وبلّ عليهم
 ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم
 سقى الله أجداثاً على أرض كربلا
 وصلّى على روح الحسين حبيبه
 قتيلاً بلا جرم فجعلنا بفقده
 أنا الظامىء العطشان في أرض غربة
 وقد رفعوا رأس الحسين على القنا
 فقل لابن سعد، عذب الله روحه
 سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا
 على معشر ضلّوا جميعاً وضيعوا
 فقد ضاق منك الصدر بالحسرات
 عيوناً لريب الدهر منسكبات
 وداهية من أعظم النكبات
 مرابيع أطار من المزنات
 قتيلاً لدى النهرين بالفلوات
 فريداً يُنادي: أين أين حُماتي؟!
 قتيلاً ومظلوماً بغير ترات
 وساقوا نساءً وهماً خفرات
 ستلقى عذاب النار باللعنات
 وأقنت بالأصال والغدوات
 مقل رسول الله بالشبهات

ويمدح أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر تصدّقه خاتمه للسائل في الصلّاة
 ونزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. فيه (١) بقوله:

نطق القرآن بفضل آل محمّد
 بولاية المختار من خير الذي
 إذ جاءه المسكين حال صلّاته
 فتناول المسكين منه خاتماً
 فاخصّبه الرّحمن في تنزيله
 إنّ الإله وليكم ورسوله
 يكن الإله خصيمه فيها غداً
 وولاية لعليّه لم تُجحد
 بعد النبيّ الصادق المتودّد
 فامتدّ طوعاً بالذراع وباليدي
 هبة الكريم الأجود بن الأجود
 من حاز مثل فخاره فليعدد
 والمؤمنين فمن يشأ فليجحد
 والله ليس بمخلف في الموعد

وله يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

سقياً لبيعة أحمد ووصيه
 أعني الإمام ولينا المحسودا

(١) راجع ما مر صفحة ٤٧ من هذا الجزء.

أعني الذي نصر النبي محمداً قبل البرية ناشئاً ووليداً
 أعني الذي كشف الكروب ولم يكن في الحرب عند لقائه رعيديداً
 أعني الموحد قبل كل موحد لا عابداً وثناً ولا جلموداً
 وله يرثي الإمام السبط شهيد الطفِّ سلام الله عليه:

إن كنت محزوناً فما لك ترقدُ؟! هلاً بكيت لمن بكاه محمداً؟!
 هلاً بكيت على الحسين وأهله؟! إن البكاء لمثلهم قد يُجمدُ
 لتضعضع الإسلام يوم مصابه فالجود يبكي فقده والسوددُ
 فلقد بكته في السماء ملائكُ زهر كرامٍ راعون وسُجدُ
 أنسيت إذ صارت إليه كتائبُ فيها ابن سعد والطغاة الجحدُ؟!
 فسقوه من جرع الحتوف بمشهدٍ كثر العداة به وقلُّ المُسعدُ
 لم يحفظوا حقَّ النبي محمداً إذ جرَّعوه حرارةً ما تبردُ
 قتلوا الحسين فأثكلوه بسبطه فالشكل من بعد الحسين مبردُ
 كيف القرار؟! وفي السبايا زينبُ تدعو بفرط حرارة: يا أحمدُ
 هذا حسينٌ بالسيوف مُبضعُ مُتلطِّخٌ بدمائه مُستشهدُ
 عار بلا ثوب صريعٍ في الثرى بين الحوافر والسنايك يُقصدُ
 والطيبون بنوك قتلَى حوله فوق التراب ذبائح لا تلحدُ
 يا جدُّ قد منعوا الفرات وقتلوا عطشاً فليس لهم هنالك موردُ
 يا جدُّ من ثكلي وطول مصيبي ولما أعانيه أقوم وأقعدُ

وله من قصيدة طويلة في رثاء الشهيد السبط عليه السلام قوله:

جاؤا من الشام المشومة أهلها للشوم يقدم جندهم إبليسُ
 لعنوا وقد لعنوا بقتل إمامهم تركوه وهو ضدُّ خموسُ
 وسبوا فوا حزني بنات محمداً عبرى حواسر ما لهن لبوسُ
 تبا لكم يا ويلكم أرضيتم بالنار؟! ذلُّ هنالك المحبوسُ
 بعتم بدنيا غيركم جهلاً بكم عزُّ الحياة وإنه لنفيسُ
 أخزٍ بها من بيعة أمويةٍ لعنت وحظُّ البائعين خسيسُ

بإمامكم وسط الجحيم حيسُ
من عصبته هم في القياس مجوسُ
يوم الطفوف على الحسين نفوسُ
يوماً على آل اللعين عبوسُ
وعليه نفسي ما حيت أسوسُ

بؤساً لمن بايعتم وكأني
يا آل أحمد ما لقيتم بعده؟!
كم عبرة فاضت لكم وتقطعت
صبراً موالينا فسوف نديلكم
ما زلتُ متبعاً لكم ولأمركم

وذكر له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ١١ ص ١١٠ في رثاء الإمام السبط عليه السلام قوله :

يا للرجال على قناةٍ يُرفعُ
لا جازعٌ من ذا ولا متخشعُ
وأنمتَ عيناً لم تكن بك تهجعُ
وأصمَّ نعيك كلُّ أذنٍ تسمعُ
لك مضجعٌ ولخطُّ قبرك موضعُ

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيه
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى
كحلت بمنظرِكَ العيون عمايةً
ما روضةٌ إلا تمننت أنها

وله في مدح الإمام الطاهر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :

ذاك الإمام . القسوره
ليس له مناضلُ
وضيفمٌ ما يُغلبُ
وفارسٌ محاولُ
مُبيد كلُّ فاسقٍ
أخلصه الصياقلُ

أبو ترابٍ حيدرهِ
مُبيد كلُّ الكفرهِ
مبارزٌ ما يهبُ
وصادقٌ لا يكذبُ
سيف النبي الصّادقِ
بمرهف ذي بارقِ

وله يرثي الإمام السبط صلوات الله عليه :

إلى وادي المياه إلى الطوي
مصاب الأكرمين بني علي
تضاءل فيه أولاد الزكي
وذكرك مصرع الحبر التقي

مازل بين أكناف الغري
لقد شغل الدموع عن الغواني
أتى أسفي على هفوات دهري
ألم تقف البكاء على حسين؟! أ

ألم يحزنك أن بني زياد أصابوا بالترات بني النبي؟!
وإن بني الحصان يمرُّ فيهم علانيةً سيوف بني البغي

ولادته ووفاته:

وُلد سنة ١٤٨ واستشهد ظلماً وعدواناً وهو شيخ كبير سنة ٢٤٦ فعاش سبعا وتسعين سنة وشهوراً من السنة الثامنة. يُقال: إنه هجما لك بن طوق بأبيات وبلغت مالكا فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس العباسي وكان بلغه هجاء دعبل نزاراً فلما دخل البصرة بعث من قبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها، وبكل يمين تبريء من الدم أنه لم يقلها، وإن عدواً له قالها، إماماً أبو سعيد أو غيره ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويبكي بين يديه، فرق له فقال: أما إذا عفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك. ثم دعى بالعصا فضربه حتى سلح وأمر به وألقي على قفاه وفتح فمه فرد سلاحه فيه والمقارع تأخذ رجله وهو يحلف: أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله. فما رفعت عنه حتى بلع سلاحه كله ثم خلّاه فهرب إلى الأهواز، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً^(١) مقداماً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز^(٢) لها زجٌ مسمومٌ فمات من غد ودفن بتلك القرية. وقيل: بل حُمِل إلى السوس ودفن بها^(٣) وفي تاريخ ابن خلكان: قُتل بـ (الطيب) وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز. وقال الحموي^(٤): وبزويلة^(٥) قبر دعبل ابن علي الخزاعي قال بكر بن حماد:

الموت غادر دعبلاً بزويلة في أرض برقة أحمد بن خصيب

(١) الحصيف: الجيد الرأي محكم العقل.

(٢) العكاز بالعين المضمومة والكاف المشددة: عصا ذات زج في أسفلها يتوكأ عليها.

(٣) الأغاني ج ١٨ ص ٦٠، معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٨.

(٤) معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٨.

(٥) أول حدود بلاد السودان.

لا يخفى على الباحث أن ترديد ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٢ بعد ذكر وفاة المترجم سنة ٢٤٦ وقوله: [قيل: إنه هجا المعتصم فقتله. وقيل: إنه هجا مالك فارس إلى من سمه بالسوس] ترديد بلا تأمل، ونقل بلا تدبر، إذ المعتصم توفي سنة ٢٢٧ قبل شهادة المترجم بتسع عشرة سنة. كما أن ما ذكره الحموي في «معجم البلدان» ج ٤ ص ٤١٨ من [أن دعبلًا لما هجا المعتصم أهدر دمه فهرب إلى طوس واستجار بقبر الرشيد فلم يُجره المعتصم وقتله صبراً في سنة ٢٢٠] خلاف ما اتفق عليه المؤرخون وعلماء الرجال من شهادته سنة ٢٤٦.

كان البحري صديقاً للمترجم وأبي تمام المتوفى قبله فرثاهما بقوله:

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي	مشوى حبيب يوم مات ودعبل
أخوي لا تزل السماء مخيلة ^(١)	تغشاكما بسماء مزني مسبل
جدت على الأهواز يبعد دونه	مسرى النعي ورمسه بالموصل

قال أبو نصر محمد بن الحسن الكرخي الكاتب: رأيت على قبر دعبل مكتوباً:

أعدُّ لله يوم يلقاه	دعبل: أن لا إله إلا هو
يقولها مخلصاً عساه بها	يرحمه في القيامة الله
الله مولاه والرُّسول ومن	بعدهما فالوصيُّ مولاه

خلف المترجم ولداه: عبدالله وحسين الشاعر: ذكر النديم للثاني منهما ديواناً في نحو مائتي ورقة، وترجمه ابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ١٩٣ وذكر نماذج من شعره وقال: الدعبل مليح الشعر جداً.

(١) خيل السحاب: رعد وبرق ونهياً للمطر.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

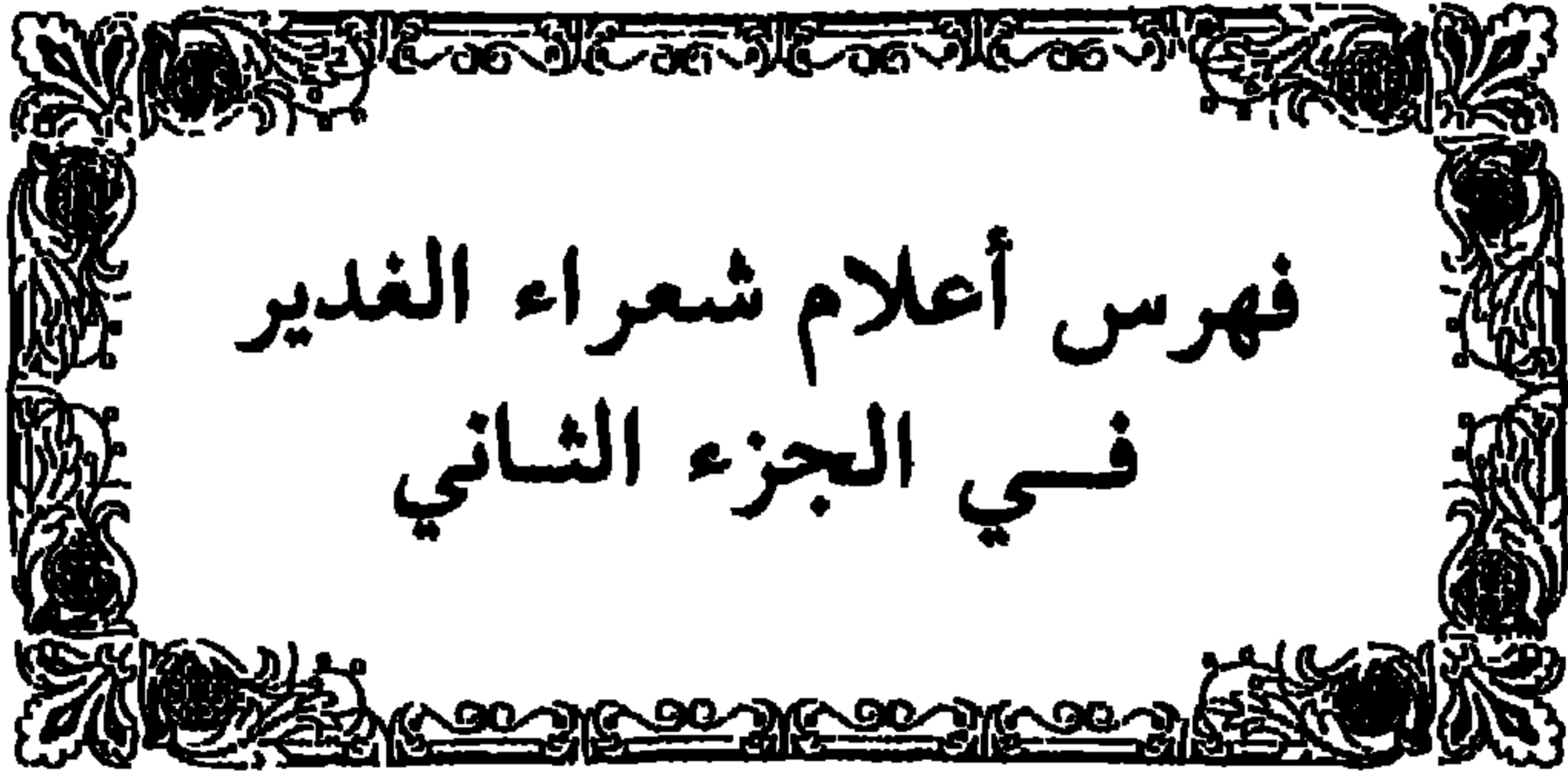
هنا ينتهي الجزء الثاني، ويتلوه الجزء الثالث، ويبدأ ببقية شعراء
القرن الثالث، أولهم أبو إسماعيل العلوي

والله المستعان وعليه التكلان

شكر على تقدير

كان في هواجس ضميري: أن كتابي هذا سيقدره كلُّ رجلٍ دينيٍّ، ومن
يحمل ولاء العترة الطاهرة، فصدق الخبر الخبر، وأتتنا رسائل كريمة وكتابات
أنيقة من أرجاء العراق وخارجها من شتى الأقطار من الجمعيات والشخصيات
البارزة في تقرّظ الكتاب والإعجاب به نظماً ونثراً، كل ذلك ينم عن روحية
حاسة قوية في الملام الإسلامية، وفكرة صالحة في المجتمع الديني، وشعور
حي في رجالات الأمة، فحيا الله العرب ودينه الحق، ومرحباً بالتابعين له
ياحسان من الامم الإسلامية، فنحن نقدم إلى الجميع شكرنا المتواصل، ونسأل
لهم التوفيق، ونأمل الرقي والتقدم لحملة القرآن الأقدس.

المؤلف الأمين



الصفحات

الأعلام

شعراء الغدير في القرن الأول

- ١ - أمير المؤمنين على صلوات الله عليه ٤٩ - ٤٠
- ٢ - حسان بن ثابت الأنصاري ٨٦ - ٥٠
- ٣ - قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ١٣٦ - ٨٧
- ٤ - عمرو بن العاص بن وائل ٢٠٧ - ١٣٧
- ٥ - محمد بن عبد الله الحميري ٢١٠ - ٢٠٨

شعراء الغدير في القرن الثاني

- ٦ - الكميت بن زيد ٢٤٩ - ٢١٣
- ٧ - السيد إسماعيل بن محمد الحميري ٣٣٦ - ٢٥١
- ٨ - العبدى سفيان بن مصعب الكوفي ٣٨٢ - ٣٣٧

شعراء الغدير في القرن الثالث

- ٩ - أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ٤٠٧ - ٣٨٥
- ١٠ - دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ٤٤٩ - ٤٠٩



الصفحة	الموضوع
٥	تقريظ الشيخ سعيد دحدوح على الكتاب
١١	مقدمة الكتاب
١٣	الشعر والشعراء
١٤	الشعر والشعراء في الكتاب والسنة
٢١	الهواتف بالشعر في الدعاية
٢٨	موكب الشعراء
٣٢	الشعر والشعراء عند أئمة العترة
٣٥	الشعر والشعراء عند العلماء

شعراء الغدير في القرن الأول

٤٠	التيمن بشعر مولانا أمير المؤمنين (ع)
٤١	ما يتبع شعر مولانا أمير المؤمنين (ع)
٤٦	تصحيح غلط
٤٧	شكر ونقد
٤٨	شعر لمولانا أمير المؤمنين (ع)
٤٩	ترجمة الإمام أمير المؤمنين (ع)

الموضوع	الصفحة
غديرية حسان بن ثابت	٥٠
رواة شعر حسان	٥١
ديوان حسان والتحرير فيه	٥٩
شعر حسان في أمير المؤمنين (ع) وشرحه	٦٠
نزول آية : ﴿أفمن شرح صدره في الإسلام﴾ . في علي أمير المؤمنين (ع)	٦١
حديث : إمتحن الله قلبه بالإيمان في مولانا علي (ع)	٦١
احاديث في علم علي (ع)	٦١
نزول : ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ . في علي (ع)	٦٤
حديث ليلة المبيت	٦٦
نزول آية : ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ . في علي (ع)	٦٨
نزول آية : ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ . في علي (ع)	٧٠
نزول آية : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ . في علي (ع)	٧٠
نزول آية : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ . في علي (ع)	٧١
نزول آية : ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله﴾ . في علي (ع)	٧٢
نزول آية : ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾	٧٥
نزول آية : ﴿أم حسب الذين اجترحوا﴾	٧٦
نزول آية : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾	٧٦
نزول آية : ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾	٧٨
حديث : لا فتى إلا علي	٧٩
حديث : فاطمة أحصنت فرجها	٨١

الموضوع الصفحة

٨٢	ترجمة حسان وقصة جنبه
٨٥	تحريف كتاب «المعارف» لابن قتيبة
٨٥	غديريّة قيس بن سعد
٨٨	ما يتبع شعر قيس
٨٩	ترجمة قيس
٨٩	حديث شرف قيس
٩٠	حديث إمارة قيس
٩٢	حديث دهاء قيس
٩٥	حديث فروسيته ومواقفه
١٠٧	حديث جوده
١١٠	حديث خطابته
١١١	حديث زهده
١١٤	حديث فضله
١١٧	كلمتنا الأخيرة في قيس
١١٩	مشايخ قيس والرواة عنه
١٢١	معاوية وقيس قبل صفين
١٢٤	كتاب مفتعل على قيس
١٢٤	شنشنة التقول والإفتعال
١٢٥	معاوية وبدعة السيئة
١٢٧	الصلح بين قيس ومعاوية
١٢٩	قيس ومعاوية بعد الصلح
١٣٠	قيس ومعاوية في المدينة
١٣٢	قيس في خلقة
١٣٤	وفاة قيس
١٣٥	بيت قيس

الصفحة

الموضوع

- ١٣٧ قصيدة عمرو الججلية
- ١٤٠ ما يتبع شعر عمرو بن العاص
- ١٤٢ ترجمة عمرو بن العاص
- ١٤٣ نسب عمرو أباً وأماً
- ١٤٩ إسلام عمرو والكلمات حوله وهي عشرون كلمة
- ١٥١ كلمة للنبي (ص) في عمرو
- ١٥٢ كلمة لأمير المؤمنين (ع) وصورها
- ١٥٢ كلمة أخرى لأمير المؤمنين (ع)
- ١٥٣ كلمة ثالثة له (ع)
- ١٥٤ كتاب أمير المؤمنين (ع) إلى عمرو
- ١٥٥ خطبة أمير المؤمنين (ع) إلى التحكيم
- ١٥٧ قنوت أمير المؤمنين (ع) بلحن عمرو
- ١٥٨ دعاء عائشة على عمرو
- ١٥٨ الحسن السبط (ع) وعمرو
- ١٦١ بيان كلام الحسن (ع)
- ١٦٢ كتاب ابن عباس إلى عمرو
- ١٦٣ ابن عباس وعمرو
- ١٦٤ ابن عباس وعمرو أيضاً
- ١٦٥ معاوية وعمرو بن العاص
- ١٦٦ معاوية وعمرو بصورة مفصلة
- ١٧١ عمّار بن ياسر وعمرو
- ١٧٢ أبو نوح الحميري وعمرو
- ١٧٢ أبو الأسود الدؤلي وعمرو
- ١٧٥ حديث أبي جعفر وزيد
- ١٧٥ عمرو وابن أخيه وشعره

الصفحة	الموضوع
١٧٦	شعرُ لأمير المؤمنين (ع)
١٧٨	غانمة بنت غانم وعمرو
١٧٩	فذلكة حقيقة عمرو
١٨٠	عمرو وعثمان بن عفان
١٨١	عمرو وعليّ أمير المؤمنين (ع)
١٨٣	حديث شجاعة عمرو
١٨٦	أمير المؤمنين (ع) وعمرو في معترك القتال
١٨٩	رواية ابن عباس في عمرو
١٩٠	معاوية وعمرو
١٩٥	الأشتر وعمرو في القتال
١٩٧	ابن عباس وعمرو
١٩٧	ابن عباس وعمرو في حفلة أُخرى
١٩٨	عبد الله المرقال وعمرو
٢٠١	درس دين وأخلاق
٢٠٥	وفاة عمرو وما وقع فيها
٢٠٦	فائدة في اسم والد عمرو
٢٠٧	مصادر ترجمة عمرو بن العاص
٢٠٨	غديرية محمد الحميري
٢٠٩	ما يتبع شعر الحميري وترجمته

شعراء الغدير في القرن الثاني

٢١٣	غديرية الكميت بن زيد
٢١٤	ما يتبع هاشميات الكميت
٢١٥	العينية من الهاشميات
٢١٧	الكلمات حول الهاشميات

الصفحة	الموضوع
٢٢٠	الميمية من الهاشميات
٢٢٤	البائية من الهاشميات
٢٢٧	اللامية من الهاشميات
٢٣٠	غديرية أخرى للكमित
٢٣٠	ترجمة الكमित
٢٣٢	حكيم الأعور وقصته
٢٣٣	الكमित وحياته المذهبية
٢٣٧	دعاء الأئمة للكमित
٢٤١	الكमित وهشام بن عبد الملك
٢٤٧	الكमित ويزيد بن عبد الملك
٢٤٧	الكमित وخالد القسري
٢٤٨	الكमित والفرزدق
٢٤٨	ولادة الكमित وشهادته
٢٥١	غديرية السيد الحميري الأولى والثانية
٢٥٢	غديرية الثالثة
٢٥٣	غديرية الرابعة
٢٥٤	غديرية الخامسة والسادسة
٢٥٥	غديرية السابعة والثامنة
٢٥٦	غديرية التاسعة
٢٥٧	غديرية العينية العاشرة
٢٥٨	ما يتبع عينية السيد
٢٦٣	شروح عينية السيد
٢٦٤	تخميسات عينية السيد
٢٦٥	غديرية الحادية عشر والثانية عشر
٢٦٦	غديرية الثالثة عشر والرابعة عشر

الصفحة	الموضوع
٢٦٧	غديرته الخامسة عشر
٢٦٩	غديرته الـ ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩
٢٧٠	غديرته الـ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣
٢٧١	ترجمة السيد الحميري
٢٧٢	قصته مع والديه وشعره فيهما
٢٧٤	عظمة السيد الحميري
٢٧٧	التأليف في أخبار السيد
٢٧٨	الثناء على أدبه وشعره
٢٨١	إكثار السيد في آل الله
٢٨٤	رواة شعره وحفاظه
٢٨٦	الكلمات حول مذهبه
	كلمة ابن المعتز ، وشيخنا الصدوق ، والحافظ المرزباتي ، وشيخنا
٢٨٦	المفيد ، وابن شهر آشوب ، والإربلي
٢٩٥	فرية طه حسين على الشيعة
٢٩٦	السيد الحميري مع من لم يتشيع
٣٠٤	أخبار السيد وملحه
٣٠٨	شعر السيد في السبطين وحديثه
٣١٤	خلفاء عصر السيد
٣١٦	صفة السيد في خلقته
٣١٧	ولادته ووفاته
٣١٩	مكرمة وفاة السيد
٣٢٠	تضلع السيد في العلم والتاريخ
٣٢٢	شعره في بدء الدعوة النبوية
٣٢٣	حديث بدء الدعوة
٣٢٤	الحديث بلفظ الطبري وصوره السبع

الموضوع	الصفحة
كلمة الأنطاكي في الحديث وشعره	٣٣٠
كلمة الأسكافي حول الحديث	٣٣٣
جنايةً على الحديث من الطبري ، وابن كثير ، ومحمد هيكل	٣٣٤
غديرية العبدية الكوفي	٣٣٧
ترجمة العبدية الكوفي	٣٤١
نبوغ العبدية في الأدب والحديث	٣٤٤
ولادته ووفاته	٣٤٥
نماذج شعر العبدية	٣٤٥
بيان ما في شعر العبدية من الحديث	٣٤٦
حديث عمر في أمير المؤمنين (ع)	٣٤٦
حديث ابن عباس في سب علي (ع)	٣٤٧
فضيلة للأشباح الخمسة	٣٤٨
أهل البيت سفن النجاة	٣٤٩
لا يُقبل عملٌ إلا بالولاية	٣٤٩
لا تتم الصلاة إلا بذكر آل محمد (ع)	٣٥٠
لا تزكو الدعاء إلا بذكر الآل	٣٥١
حافظا علي ليفخران على الحفظة	٣٥٣
أبيات من شعر العبدية	٣٥٤
آل محمد هم الصادقون	٣٥٥
آل محمد هم السابقون	٣٥٥
آل محمد حبهم فرض بالقرآن	٣٥٥
آية : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾	
والأحاديث فيها وهي تسعة	٣٥٦
كلمة الرازي . والمناوي . وابن حجر	٣٦٠
آل محمد هم الصراط المستقيم	٣٦١

الموضوع الصفحة

- ٣٦٢ فاطمة هي الصديقة (ع)
- ٣٦٢ الأحاديث الواردة في أن علياً هو الصديق أو هو الفاروق وهي ستة .
- ٣٦٤ الأسماء المكتوبة على باب الجنة
- ٣٦٥ إن الله زوج فاطمة علياً (ع)
- ٣٦٦ خمس الأرض مهر فاطمة (ع)
- ٣٦٧ النثار في زواج فاطمة (ع)
- ٣٦٨ شعر للعبد في العترة
- ٣٦٩ بكاء فاطمة (ع) وقولها لأبيها
- ٣٧٠ قول علي (ع) يا دنيا غري غيري
- ٣٧٠ حديث : خليفتي خاصف النعل
- ٣٧١ مثال علي (ع) المصور في السماء
- ٣٧٢ شعر العبد في أمير المؤمنين (ع)
- علي (ع) ساقى الحوض والذائد عنه والأحاديث الواردة فيه وهي
- ٣٧٣ ثمانية
- الأحاديث الواردة في أن أحداً لا يجوز الصراط إلا بجواز من
- ٣٧٥ علي (ع)
- ٣٧٦ شعر للعبد والحديث فيه
- ٣٧٦ تفسير آية : ﴿وعلى الأعراف رجال﴾
- ٣٧٩ العبد معاصر العبد

شعراء الغدير في القرن الثالث

- ٣٨٥ غديريّة أبي تمام الطائي
- ٣٨٧ جناية ملحمة إبراهيم الأسود
- ٣٨٩ ترجمة أبي تمام والثناء على أدبه
- ٣٩٣ ديوان شعر أبي تمام

الصفحة

الموضوع

٣٩٤	ديوان الحماسة وشروحه
٣٩٧	دواوين الحماسة
٣٩٧	تأليف أبي تمام
٣٩٨	المؤلفون في أخبار أبي تمام
٤٠٠	ولادة أبي تمام ووفاته
٤٠٢	غلطة أبي تمام في المختار
٤٠٢	ما جاء في المختار بن أبي غبيد
٤٠٣	المؤلفون في أخبار المختار
٤٠٣	قصيدة في مدح المختار
٤٠٥	قصيدة أخرى في مدح المختار
٤٠٩	تأثية دعبل الخزاعي
٤١٠	الكلمات حول تأثية دعبل
٤١٢	كلمة أبي الفرج الإصبهاني
٤١٢	كلمة أبي إسحاق الحصري والحافظ ابن عساكر
٤١٣	كلمة ياقوت الحموي
٤١٥	كلمة أبي إسحاق الحموي
٤١٦	كلمة أبي سالم ابن طلحة
٤١٨	كلمة سبط ابن الجوزي ، والصفدي ، والشبراوي ، والشبلنجي ..
٤٢١	كلمة شيخنا الصدوق
٤٢٢	كلمة البحرانيين
٤٢٣	شروح تأثية دعبل ومستهلها
٤٢٤	ظن سوء على الشيعة
٤٢٤	ترجمة دعبل الخزاعي
٤٢٥	عبد الله جد دعبل وإخوته
٤٢٧	ترجمة جمع من بيت رزين

الفهرس ٤٦٣

الصفحة

الموضوع

٤٣٠	ترجمة دعبل الخزاعي
٤٣١	تهالك دعبل في الولاء
٤٣٢	نبوغ دعبل في الأدب
٤٣٤	آيات نبوغ دعبل
٤٣٦	رواية دعبل الحديث
٤٣٦	الرواة عن دعبل
٤٣٨	سيرة مع الخلفاء والوزراء
٤٤٣	ملح دعبل ونوادره
٤٤٥	شعر دعبل في المذاهب
٤٤٩	ولادة دعبل ووفاته
٤٥٢	فهرس أعلام شعراء الغدير في الجزء الثاني
٤٥٣	الفهرس